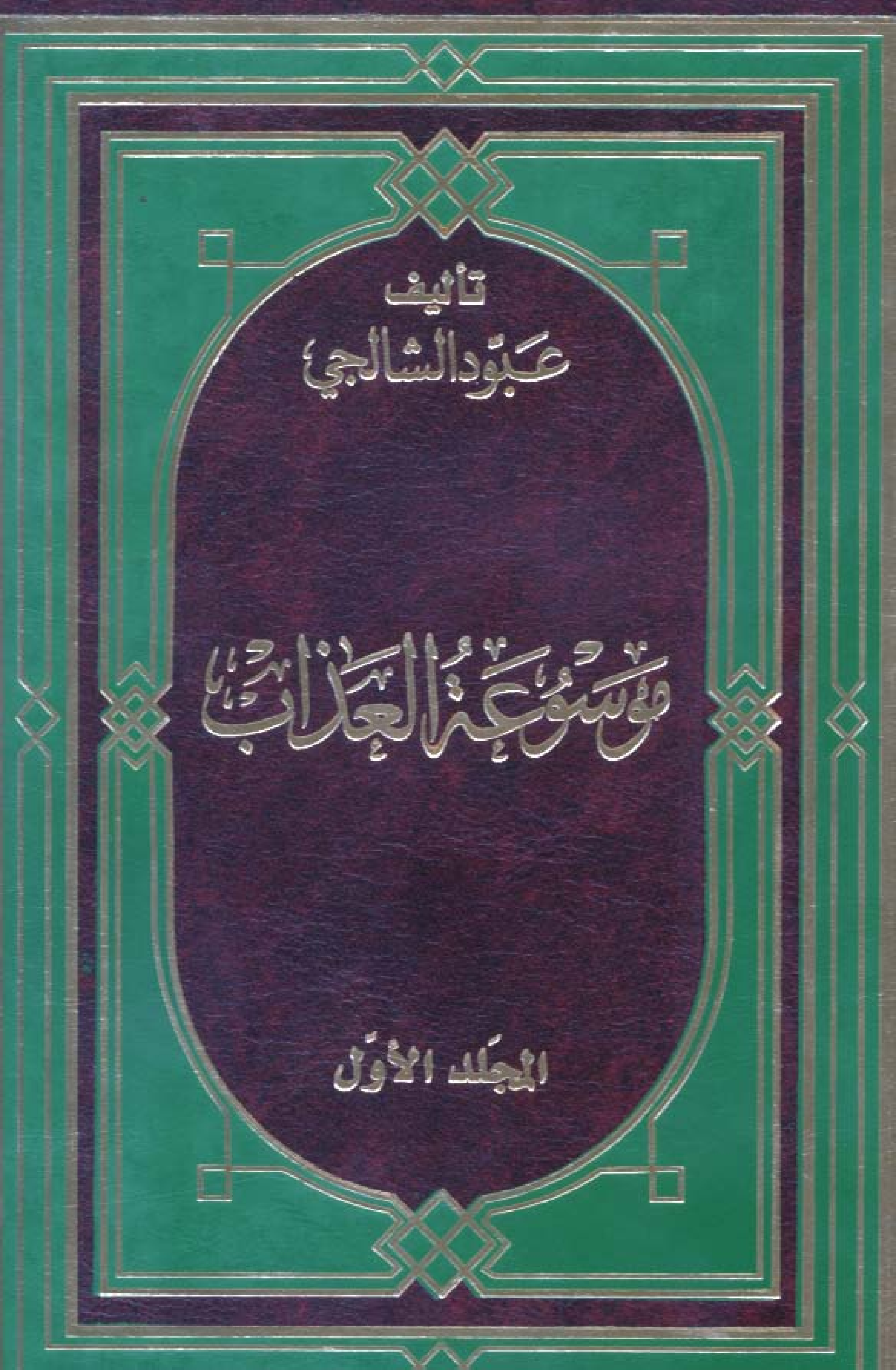

تأليف
عبّود الشالجي
موسوعة العذاب
المجلد الأول

موسوعة العذاب



موسوعة العذاب

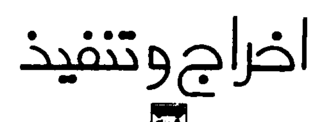
تأليف

عبّود الشالجي

المجلّد الأوّل

الدار العربية للموسوعات

GLEBEWEALD LTD.



THE ARAB ENCYCLOPEDIAS LTD.

الدار العربية للموسوعات

London
2 Greville Lodge, 15 Westbourne
Grove Terrace . London W2, P.O. Box 1088
Tel (01) 2293880, (01) 2294054
Telex: Arben G825388,Telefax: 7920802

بيروت - لبنان
ص. ب: ١٣/٥٣٤٨ تلكس: ٢٣١٠٧ Arabred Le
هاتف: ٣٥٢٥٩٨ - ٣٤٣٨٢٨ - الحمرا.
ص. ب: ٤٤٦ الحازمية - تلكس: ٤٢٨٣٩ Arab Le
هاتف: (٢) ٤٢٩٩٨١ - Telefax: (٩٦١١) ٤٢٩٩٨١

مقدمة المؤلـف

بسم الله الرحمن الرحيم

ربّ يسّر

العذاب شعبة من شعب الظلم ، والظلم في اللغـة : وضع الشيء في غيـر موضعـه ، وفي الاصطلاح : إيـذاء الناس وآنتقـاص حقوقهم ، وهو خلاف التقوى التي هي مخافة الله ، والعمل بطاعته .

قال الله تعالى : ﴿ فقطع دابر القوم الذين ظلموا ﴾[١] .

وقال النبي صلوات الله عليه : الظلم ظلمات يوم القيامة[٢] .

وقال : من أعان ظالماً ، سلّطه الله عليه[٣] .

والتاريخ مشحـون بأخبـار قوم بغـوا وظلموا ، فمنهم من عـوجل ، ومنهم من أمهل ، غير أنّ عاقبة ظلمه لحقت أولاده وأحفاده وأهـل بيته ، مصداقاً لقول النبي صلوات الله عليه : من خاف على عقبه وعقب عقبـه فليتّق الله .

وقـد ابتلي النـاس في مختلف أدوار التـاريـخ بـأشخـاص قسـاة ظـالمين ، ظلمـوا ، وعـذّبـوا ، ونكّلوا ، واستـأصلوا ، وأبادوا أمماً من الناس ، فكانت عـاقبة هؤلاء الـظالمين البوار ، وتـردّت أسماؤهم بـأردية العار والشنار .

---

(١) ٤٥ ك الانعام ٦ .

(٢) محاضرات الادباء ١/ ٢١٥ .

(٣) محاضرات الأدباء ١/ ٢١٨ .

ولم يكن العذاب ممارساً في صدر الإسلام ، فإنّ الإسلام جاء بالسلام ، والمودّة ، والعطف والرحمة ، وشعاره أن لا إكراه في الدين .

واختصر نبيّ الإسلام ، عليه السلام جميع ما قام به ، في كلمة واحدة ، قال : بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق .

وكانت وصيّته لكلّ سريّة يبعث بها إلى الحرب ، لا تغلّوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا امرأة ولا وليداً[١] .

وخلفه أبو بكر الصدّيق ، فكانت وصيته لأمراء جيشه : لا تخونوا ، ولا تغلّوا ، ولا تمثّلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ، ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ، ولا تحرقوه ، وسوف تمرّون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع (يريد الرهبان) فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له[٢] .

وجيء إليه مرّة برأس أحد القتلى في إحدى المعارك ، فغضب ، وقال : هذا من اخلاق العجم ، ومنعهم من تكرار ذلك إذ اعتبر أنّ قطع الرأس من المثلة المنهيّ عنها[٣] .

وكان الخليفة عمر الفاروق يقول لعمّاله : إنّي إنّما استعملتكم على الناس لتقضوا بينهم بالحقّ ، وتقسموا بالعدل ، ولم استعملكم لتضربوا أبشارهم أو لتأخذوا أموالهم .

وبلغه أنّ أحد أولاد عمرو بن العاص عامله على مصر قنّع بعصاه رجلاً من الرعيّة ، وقال له وهو يضربه : أنا آبن الأكرمين ، فأحضر عَمْراً ، وولده ، وأحضر المضروب ، ولما تحقّق من صحّة القصّة أعطى المضروب عصا ، وقال له : اضرب بها ابن الأكرمين ، حتى إذا ضربه

---

(١) العقد الفريد ١/١٢٨ .
(٢) الطبري ٣/٢٢٧ .
(٣) تاريخ الخلفاء ٩٩ .

التفت إلى عمرو ، وقال له : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمّهاتهم أحراراً .

وكان إذا بعث بعثاً للحرب ، أوصاهم ، فقال : بسم الله ، وعلى عون الله ، لا تجبنوا عند اللقاء ، ولا تمثلوا عند الغارة ، ولا تسرفوا عند الظهور ، ولا تقتلوا هرماً ، ولا امرأة ، ولا وليداً[1] .

وكان الإمام علي بن أبي طالب ، يوصي قوّاده في كل موطن يلقون فيه عدوّاً ، فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ، فإذا هزمتموهم فلا تقتلوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تكشفوا عورة ، ولا تمثّلوا بقتيل ، فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ، ولا تدخلوا داراً إلّا بإذن ، ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في معسكرهم ، ولا تهيجوا امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم ، وسببن أمراءكم وصلحاءكم[2] .

ولما اغتال عبد الرحمن بن ملجم ، الإمام علي بن أبي طالب ، أوصى الإمام ولده الحسن وهو يودّع الحياة ، وقال في آخر وصيّته : وأما عبد الرحمن فإن عشتُ فسأرى فيه رأيي ، وإن متُّ فضربة بضربة ، ولا يمثلن به أحد ، فإنّي سمعت رسول الله يقول : إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور[3] .

ولم ينس أبو الحسن ، وهو في حالته تلك ، أن يوصيهم بالعناية بقاتله ، لأنّه أسير عندهم ، فقال : أطيبوا طعامه وألينوا فراشه[4] .

ولما تسلّط الأمويّون على الحكم تغيّر الأمر عما كان عليه في عهد الخلفاء الراشدين ، فظلم بعضهم الناس ، وسلّطوا عليهم عمّالاً من

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٥/١٠٦ .

(٢) الطبري ٥/١٠ و١١ .

(٣) الطبري ٥/١٤٨ وابن الأثير ٣/١٩١ .

(٤) كتاب اسماء المغتالين ١٦٢ والامامة والسياسة ١/١٣٨ .

الظالمين ، وأوّل من سلّط على الناس من هؤلاء الظالمين زياد بن أبيه ، فعذّب الناس ودفنهم وهم أحياء[1] ، وبنى عليهم الحيطان ، وقطع أطراف النساء[2] .

ثم سلّطوا ولده عبيد الله بن زياد ، فسار على طريقه أبيه في الجور[3] ، وزاد عليه ، بأنّه كان يرمي الناس من شاهق[4] ، ويقتل الرجل البريء ، ويبعث برأسه إلى آبنته الصبيّة ، فإن جاءت الإبنة تطلب جثّة أبيها لتدفنها ، أمر بالإبنة فقتلت ، وهو يمتّع نفسه بمرآها وهي تقتل[5] .

وجاء من بعدهما الظالم السيّء الصيت الحجّاج بن يوسف الثقفي فزاد عليهما في الظلم والبغي ، وقتل ما يزيد على ألف ألف إنسان[6] .

ولحق بهم في العهد العباسي ، المنصور ، فالمتوكّل ، فالقاهر ، وأتباع لهم نشأوا في ظلّ حكمهم ، كالبريديّين الثلاثة الذين كانوا ينعّلون الناس بنعال الدواب ، ويسمّرون الناس في الحيطان ، ويسلّون أظافيرهم ، ويشرحون لحومهم بجرّ القصب المشقوق على أبدانهم[7] .

وكانت عاقبة كلّ ظالم من هؤلاء أسوأ العواقب ، فهلكوا ، وهلك نسلهم من بعدهم ، ولم يبق لهم من أثر ، سوى صفحات مظلمة دوّنها لهم التاريخ .

كانت عاقبة ما صنعه بعض الأمويّين بالناس ، أنّ العباسيّين ، لما

---

(١) المحاسن والاضداد ٢٧ والاغاني ١٧/١٥٣ .
(٢) الحيوان للجاحظ ٥/٥٨٨ و٥٨٩ .
(٣) المحاسن والمساوىء ٢/١٦٥ .
(٤) ابن الأثير ٤/٣٥ وتاريخ الكوفة ٦٨ و٢٧٢ و٢٧٣ .
(٥) أنساب الاشراف ٥/٨٩ .
(٦) لطائف المعارف ١٤١ .
(٧) تجارب الامم ٢/١٤ ونشوار المحاضرة ٤/١٢٤ .

انتصروا عليهم ، قتلوهم صغاراً وكباراً حتى النساء قتلاً ذريعاً ، في كلّ مكان[1] فلم يفلت منهم إلاّ الرضيع ، أو من هرب إلى الأماكن القاصية[2] ، ثم تجاوزوا الأحياء منهم إلى الأموات ، فنبشوا قبورهم ، وأخرجوا رممهم ، وضربوها بالسياط وأحرقوها بالنار .

وقضى زياد مذموماً مشنوءاً ، وقد صيّرته مهزلة الاستلحاق موضع هزء وسخرية ، وغدا مثلاً يضرب في الادعاء الكاذب ، قال الشاعر يهجو كاتباً :

حمارٌ في الكتابة يدّعيها كدعوى آل حرب في زياد

أمّا ولده عبيد الله بن زياد ، فقد عاش ختّاراً بذمّته ، ومات عبداً ، قتيل الله بالزاب .

وأمّا الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقد عمّ شؤمه جميع أهل بيته وأفراد عائلته ، فإنّه لما هلك ، واستخلف سليمان بن عبد الملك ، أمر بجميع الرجال من آل أبي عقيل ، عائلة الحجاج ، فاعتقلوا بواسط ، وعذّبوا ، حتى ماتوا بأجمعهم تحت العذاب[3] .

ولما استخلف الخليفة الصالح ، عمر بن عبد العزيز ، بعث بالباقين من أفراد عائلة الحجاج إلى الحارث بن عمر الطائي عامله على البلقاء ، وكتب إليه : أمّا بعد ، فقد بعثت إليك بآل أبي عقيل ، وبئس - والله - أهل البيت في دين الله ، وهلاك المسلمين ، فأنزلهم بقدر هوانهم على الله تعالى وعلى أمير المؤمنين[4] .

---

(١) الفخري ٢٥٢ والعيون والحدائق ٣/٢٠٦ - ٢١١ والاغاني ٤/٣٤٣ - ٣٥٥ و١١/٢٩٥ ومحاضرات الادباء ٤/٥٣٥ وأخبار مجموعة في فتح الاندلس ٤٨ و٤٩ والولاة للكندي ٩٧ - ١٠٠ .

(٢) ابن الأثير ٥/٤٢٩ - ٤٣١ وأخبار مجموعة في فتح الأندلس ٤٨ و٤٩ .

(٣) ابن الأثير ٤/٥٨٨ و٥٨٩ والطبري ٦/٥٠٦ .

(٤) البصائر والذخائر م٢ ق٢ ص ٥٨٦ .

ولما استولى العبّاسيّون على الحكم ، أعلنوا أنّهم حاربوا الأمويّين لسوء سيرتهم وخرقهم بالناس وإذلالهم واستئثارهم بـالفيء والمغانم[1] ، وكانوا يكرّرون أنّهم غضبوا لما كان الأمويّون يصنعون بالنـاس ، من قتل للرجال ، وسبي للنساء ، وأسر للأطفال ، وصلب على جذوع النخـل ، وإحراق بالنيران ، ونفي في البلدان[2] .

ولكنّ بعض هؤلاء العباسيين ، كالمنصور ، والمتوكّل ، والقاهر ، تعدّى ظلمهم ظلم من سبقهم ، فإنّ المنصـور سارس نحـو الرعيـة جميع ألـوان العـذاب ، فـدقّ الأوتـاد في العيـون[3] ، وسمّـر المعــذبين في الحيطان[4] ، ودفن بعضهم أحياء[5] ، وبنى على البعض الحيـطان[6] ، وهدم على الآخرين البيوت[7] .

أمّا المتوكّـل ، فقد تعـدّى ذلك إلى نبش القبـور[8] ، وكان اتّهـام الإنسان عنده بأنّه من شيعة آل علي كافياً لقتله[9] .

وكان القاهر مثلاً من أمثلة القسوة ، فقد بدأ خلافتـه بتعليق السيدة أمّ أخيه المقتدر تارة من ثدييها وتارة منكّسة[10]، ودفن قوماً أحياء[11] ، وكـان يتلذّذ بأن يـأمـر بقتـل الإبن ، ثم يحضـر رأسـه فيضعـه بين يـدي

---

(١) الطبري ٧/٤٢٦ .
(٢) الطبري ٧/٥٧٠ .
(٣) المحاسن والمساوىء ٢/١٣٨
(٤) اليعقوبي ٢/٣٧ .
(٥) العقد الفريد ٥/٨٧ و٨٨ .
(٦) الطبري ٧/٥٤٦ وابن الأثير ٥/٥٢٦ والفخري ١٦٤ ومقاتل الطالبيين ٢٢٨ .
(٧) الطبري ٨/٧ ـ ٩ والعيون والحدائق ٣/٢٢٧ .
(٨) مقاتل الطالبيين ٥٩٧ وفوات الوفيات ١/٢٠٣ وتاريخ الخلفاء ٣٤٧ والطبري ٩/٨٥ .
(٩) وفيات الاعيان ٥/٣٤٠ .
(١٠) نشوار المحاضر للتنوخي القصة رقم ٢/٣٣ .
(١١) تجارب الأمم ١/٢٨٤ و٢٨٥ وتاريخ الخلفاء ٣٨٧ وابن الأثير ٨/٢٩٥ و٢٩٦ .

الأب ، ثم يأمر بذبح الأب ويضع الرأسين أمام ثالث يقتله من بعدهما[1] .

لما مات المنصور ، حفر له أكثر من مائة قبر ، ثم دفن في قبر آخر ، غير القبور المائة المحفورة[2] ، ذلك لأنّ المحيطين به ، يعلمون ما صنع ، ويعرفون مقدار نقمة الناس عليه ، فعمّوا موضع قبره لئلا ينبش ويحرق .

وكانت عاقبة تصرّفات المتوكّل ، أن انتهى إلى تلك النهاية التي ينتهي إليها الظالمون ، ففتح بنهايته تلك على من خلفه من الخلفاء ، وعلى من يلوذ بهم من رجال الدولة ، باباً استحال سدّه ، وكان ما أصابه فاتحة لما أصيب به الخلفاء من بعده ، والوزراء ، وسائر رجال الدولة ، من قتل ، وسمل ، وتشريد ، وامتهان .

أمّا القاهر ، فإنّ البريديّين لما دخلوا بغداد ، وجدوه مسمول العينين ، في سوق الثلاثاء ، واقفاً يطلب الصدقة ، فأنفذوا بمن أقامه ، وأجروا له في كلّ يوم خمسة دراهم[3] .

وأمّا البريديّون الثلاثة ، فكانت عاقبتهم ، أنّ أحدهم قتل أخاه ثم مات من بعده بأشهر[4] ، أمّا الثالث ، فاعتقل ببغداد وضرب ضرباً مبّرحاً ، وقرض لحمه بالمقاريض ، ثم قتل[5] .

وقد أثبت ابن الاثير ، في كتابه الكامل في التاريخ فصلاً في مظالم البريديّين ، ثم قال : إنّه ذكر هذا الفصل ليعلم الظلمة أنّ

---

(١) تجارب الأمم ١/٢٦٧ و٢٦٨ .
(٢) الطبري ٨/١١٤ .
(٣) تجارب الأمم ٢/٢٥ .
(٤) تجارب الأمم ٢/٥٣ .
(٥) تجارب الأمم ٢/٧٩ و٨٠ والتكملة ١٤٥ .

أخبارهم تنقل وتبقى على وجه الدهر ، فربما تركوا الظلم لهذا السبب ، إن لم يتركوه لله سبحانه وتعالى[1] .

وذكر الجاحظ ، في أحد كتبه ، نفراً ممن اشتهروا بالظلم ، فبعث الله عليهم المحق ، ولم يجعل من نسلهم عقباً مذكوراً ، ولا ذكراً نبيهاً وذرّيّة طيّبة ، مثل الحجّاج بن يوسف ، وأبي مسلم الخراساني ، ويزيد بن أبي مسلم (خليفة الحجاج على العراق) فإنّ هؤلاء مع كثرة الطروقة ، وظهور القدرة ، ومع كثرة الإنسال ، قد قبّح الله أمرهم ، وأخمل أولادهم ، فهم بين من لم يعقب ، أو بين من هو في معنى من لم يعقب[2] .

إنّ هؤلاء الظالمين ، الذين ضربوا أسوء الأمثال ، في الظلم ، والقسوة ، والبغي ، سوّد التاريخ صفحاتهم ، ولاقوا ببغيهم سوء المصير ، وتحقّق فيهم قول النبي صلوات الله عليه : من خاف على عقبه وعقب عقبه فليتّق الله ، فإنّ هؤلاء الذين لم يتّقوا الله ، وبغوا ، وظلموا ، كانت عاقبتهم أن آنقرض عقبهم ، فلا ترى من نسلهم أحداً .

كان عدد الأمويّين ، الذين أخرجهم الحجازيّون من مكّة والمدينة ، في عهد يزيد بن معاوية ، ثلاثة آلاف رجل[3] ، وكان هذا عددهم في قطرٍ واحد ، وهو الحجاز ، في القرن الأوّل للهجرة ، وكان هناك أمويّون غيرهم كثيرون في بقيّة الأقطار ، فضلاً عمن هو موجود منهم في الشام ، مقرّ حكمهم .

فكم هو عدد المنتسبين إلى بني أميّة الآن ؟

وفي السنة ٢٠٠ أحصي العبّاسيّون ، بناء على أمر من المأمون ،

---

(١) ابن الأثير ٨/٣٨١ و٣٨٢ .
(٢) الحيوان للجاحظ ٤/٤٣٠ و٤٣١ .
(٣) الاغاني ١/٢٦ .

فبلغ عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً[1] .

فكم عدد الذين ينتسبون إلى بني العبّاس الآن ؟

الذي أعرفه ، أنّه لا يوجد الآن من ينتسب إلى بني العبّاس في العراق ، مقر حكمهم الذي دام ستّة قرون ، سوى عائلتين اثنتين ، واحدة في البصرة ، والأخرى في بغداد .

أمّا العلويّون ، الذين كانوا في العهدين الأموي والعبّاسي ، مضطهدين ، مشرّدين ، معذّبين ، فهم في أعلى الدرجات ، وقد أصبحت قبورهم مزارات ، تشدّ إليها الرحال ، ويفخر الناس بالانتساب إليهم .

وهكذا الحال فيمن تعاقب على الحكم ، من سلالات وأشخاص ، فمن أحسن إلى الناس ، لقي المدح والثناء ، ومن أساء إليهم ، لقي الذمّ والهجاء ، وانقرض عقبه ، وبقيت صحيفته السوداء مثبتة في صفحات التاريخ ، تدلّ على أنّ التاريخ لا ينسى الإساءة ، كما أنّه لا ينسى الإحسان ، لأنّه نقّادة لا تخفي عليه خافية ، فهو في الوقت الذي يذكر فيه سيّئات يزيد ، وزياد ، والحجّاج ، لا ينسى أن يسبغ أطيب الثناء على الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، الذي ورث العدالة عن جدّه لأمّه ، عمر الفاروق ، وقد قال فيه الزهري : كان بنو أميّة دنّ خلّ ، أخرج الله منه زقّ عسل[2] ، وقال فيه حسن إبراهيم حسن : كان حكم عمر بن عبد العزيز ، غرّة في جبين ذلك العصر الذي تلطّخ بالاستبداد وسفك الدماء[3] .

كما إنّه في الوقت الذي يذكر فيه سيّئات المنصور ، والمتوكّل ،

---

(١) مروج الذهب ٢/٣٤٧ والعيون والحدائق ٣/٣٥١ .
(٢) البصائر والذخائر م٢ ق١ ص٧٢ .
(٣) تاريخ الاسلام ١/٣٢٥ .

والقاهر ، لا ينسى أن يسبغ على المأمون ، الخليفة ، العالم ، الفيلسوف ، ما يستحقه من المدح والثناء ، وهذا دليل على أنّ التاريخ لا يحابي ، وإنّما يحسن إلى من أحسن ، ويسيء إلى من أساء .

إنّي كنت أعددت هذا البحث ، ليكون تعليقاً تشتمل عليه حاشية من الحواشي التي دوّنتها في كتاب الفرج بعد الشدة ، للقاضي التنوخي ، الذي قمت بتحقيقه ، ولكنّي ، لما توسّطت البحث ، وجدت إنّه قد بلغ من الاتّساع حداً أخرجه من عداد الحاشية ، ووضعه في عداد الكتب المصنّفة ، فجمعت أخباراً أخرى ، أضفتها إلى ما اشتمل عليه من أخبار ، ورتّبته على أبواب وفصول ، وتدرّجت فيه ، في اثبات ألوان العذاب ، من الشتيمة بأصنافها ، إلى التصّرفات التي تقوم مقام الشتيمة ، كالعفطة ، والإشارة باليد ، وعرك الاذن ، ووجء العنق ، والتفل في الوجه ، والسحب على الأرض ، والحصب ، فالضرب والصفع ، وما يشبه ذلك كالركل ، واللكز ، فالحَبس على اختلاف أنواعه ، سواء في الحبوس الاعتيادية ، أو في المطبق ، أو المطمورة ، أو الكنيف ، أو دار المجانين ، وتكبيل المحبوس بالقيود ، وإلباسه جباب الصوف ، منقوعة في ماء الاكارع ، أو مغموسة في النفط ، فالنفي ، والإشهار ، فالصفع بأنواعه ، باليد ، أو المخدّة ، أو بالجراب فارغاً ، أو ملآناً ، أو بالسلق ، أو بقشور الرقّي ، إلى الإلجام ، وحمل الأثقال إلى النطح ، أو العصر ، أو ارسال الحشرات أو السباع ، فالمساهرة ، إلى حلق اللحى واللمم ، ونتف شعر اللحى والشارب ، فالمسح ، إلى التعذيب بالدوشاخة ، أو بالزمارة ، أو بالقنّارة ؛ أو بالمضرسة ، إلى التعليق بأنواعه ، من اليدين ، أو من يد واحدة ، أو من الساق منكّساً ، أو من الشدي ، أو بالكلاليب من الفم ، إلى التسمير ، أو سقي المسهل ، أو إطعام ما ليس بطعام ، أو التعذيب بالملح ، رشّاً على الجرح ، أو سقياً ، أو إسعاطاً ، أو ثقب الكعاب ، إلى قرض لحم البدن بالمقاريض ، أو التعذيب بالنار ، إحراقاً ، أو

كيّاً ، أو بالماء المغليّ سلقاً ، أو حقناً ، إلى سلخ جلد البدن ، أو قطع الأطراف ، أو سمل العين ، أو جدع الأنف، أو صلم الاذن ، أو قطع اللسان ، إلى تمزيق أعضاء البدن ، أو تقطيع الأوصال ، أو تنعيل الناس بنعال الدوابّ ، أو سلّ الأظافر ، أو شقّ لحم البدن بالقصب الفارسي ، ونضح جروحه بالخلّ والملح ، إلى خلع المفاصل ، إلى التعرّض للعورة ، باخصاء ، أو جبّ ، أو خوزقة ، أو عصر ، إلى القتل بأنواعه ، سواء كان بالتفزيع ، أو صبراً بالسيف ، بأنواعه ، قطع عنق ، أو توسيطاً ، أو حمائل ، أو قعصاً بالرماح ، أو نخساً بالحراب ، أو شدخاً بالأعمدة ، أو طعناً بالزوبين ، أو ضرباً بالنعال ، أو رجماً بالحجارة ، أو القتل بالبرد ، أو بالفصد ، أو بالنار ، أو بالسم ، أو بطرح المعذّب للسباع ، أو القتل بالجوع ، أو بالعطش ، أو بهما معاً ، أو القتل بقصف الظهر ، أو بقر البطن ، أو تحطيم الرأس ، أو القتل بكتم النَفَس ، خنقاً ، أو شنقاً ، أو غمّاً ، أو تغريقاً ، أو تدخيناً ، أو الدفن حيّاً ، أو بناء بناء عليه ، أو هدم بناء عليه ، وأفردت بحثاً خاصّاً للعذاب الذي كان يصبّ على رؤوس العمّال المصروفين ، أو الرعايا المطالبين ، والممتُ في بحث مختصر ، بما زاوله ديوان التفتيش في اسبانيا ، من ألوان العذاب ، كما أفردت بحثاً عن المرأة ، وما وقع عليها من عذاب ، وفصلاً عمّن الجأهم العذاب ، أو الخوف من العذاب ، إلى الإنتحار ، وفصلاً عن المثلة ، وهي العبث ببدن الإنسان بعد موته .

ألوان من العذاب ، يقشعرّ البدن من تصوّرها ، ويحتبس اللسان عند ذكرها ، ويرتعش القلم عند إثباتها وتدوينها ، تدلّ على مقدار ما في بعض الناس ، من وحشية لا يتدنّى إليها حيوان الغاب .

وقد كان المؤمّل ، بعد تقدّم الانسان في مضمار الحضارة ، وارتفاعه في مدارج المدنيّة ، أن يدفعه ذلك إلى رعاية حقوق الإنسان ، وتوخّي أسباب العدالة في معاملته ، وتحاشي طرق المظالم ، والاعتراف

لكلّ فرد من أفراد الهيأة الاجتماعية ، بحقّه كاملاً في أن يقول ما يعتقد ، بحرّيّة واطمئنان ، إلاّ أنّ طوائف ، هيّأت لها الظروف في القرن الأخير ، أن تتحكّم في بعض الأصقاع ، كانت على اختلاف وجهات نظرها في السياسة ، تكاد تكون متّفقة في أخذ الناس بالعنف والشدّة ، فصادرت الحريّات ، وعبثت بخصومها في الرأي عبثاً عنيفاً ، وأشاعت في الناس جوّاً من الإرهاب ، ورمتهم بالحديد والنار ، وحرمتهم من حرّية التعبير ، ولو تمكّنت لحرمتهم من حرية التفكير ، وأقامت لهم أساليب من العذاب ، ساعد عليها زيادة المعرفة بالكهرباء ، والكيمياء ، وعلم النفس ، وبنت للعذاب صروحاً ، واستأجرت لها زبانية ، استخدموا فيها آلات مبتكرة ، مارسوا بها من العذاب ألواناً جديدة ، زادت في العنف والقسوة على ألوانه الماضية .

وكان رأيي ـ أوّل الأمر ـ أن يكون البحث في هذا الكتاب ، مقصوراً على العذاب في العصور الوسطى ، إلاّ أنّ ما جمعته من الأخبار عن بعض العهود التي تلت ذلك العصر ، كانت جديرة بأن لا تضيع ، فأثبتّها .

وكنت أرغب في أن استمر في البحث مسلسلاً ، فأصل العهود الماضية ، بالعهود الحاضرة ، ولكن بعدي عن مكتبتي ، وهي في بغداد ، اضطرني إلى أن أقتصر على ما جمعت ، تاركاً لغيري من الباحثين ، أن يصل ما قطعت ، وأن يتمّ ما بدأت ، وأن يضيف إلى هذا الكتاب ، ما يصل به إلى حاضر الأيام .

والله اسأل أن يرشدنا إلى العدل والإحسان ، وأن يسبغ علينا الشعور بالاطمئنان ، لكي تظلّنا النعمتان المجهولتان ، الصحة والأمان .

عبود الشالجي

الباب الأول

الشتيمـة

السبّ والشتم : إيراد قبيح الكلام ، ما لم يكن فيه قذف .
وفي الحديث : سباب المسلم فسوق .

وأوّل من سنّ سبّ المسلمين على المنبر ، معاوية بن أبي سفيان ، فإنّه فرض أن يسبّ الإمام علي بن أبي طالب ، عند كلّ صلاة ، في جميع أنحاء ملكه وتابعه على ذلك من خلفه من بني أميّة، فلما استخلف الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، أبطل ذلك ، وأمر أن يقرأ في موضع السبّ ، الآية الكريمة : ﴿ إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان ، وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي ، يعظكم لعلكم تذكّرون ﴾ (٩٠ك النحل ١٦) (تاريخ الخلفاء ٢٤٣ ، وابن الأثير ٥ / ٤٢) .

وذكر عمر بن عبد العزيز ، إنّ أباه ، كان إذا خطب ، فنال من عليّ ، تلجلج ، فقال له : يا أبت ، إنّك تمضي في خطبتك ، فإذا أتيت على ذكر عليّ ، عرفت منك تقصيراً ، قال : أو فطنت لذلك ؟ يا بنيّ إنّ الذين حولنا لو يعلمون من عليّ ما نعلم ، تفرّقوا عنّا إلى أولاده (ابن الأثير ٥ / ٤٢) .

وكان الناس في صدر الإسلام ، في أيّام الخلفاء الراشدين ، يتحاشون السبّ ، حتى أنّ الإمام علي بن أبي طالب ، لما ضربه ابن ملجم بالسيف ، أحضره أمامه ، ولم يزد على أن قال له : يا عدوّ الله ، ألم أحسن اليك ؟ ولقيته إحدى بنات الإمام ، فقالت له : يا عدوّ الله ، قتلت أمير المؤمنين ،

فقال لها : إنما قتلت أباك .

وبلغ الإمـام عليّاً ، أنّ حجـر بن عديّ وعمـرو بن الحمق يظهـران شتم معاوية ، ولعن أهل الشام ، فأرسل إليهما أن كفّا عما يبلغني عنكما ، فأتياه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، ألسنا على الـحقّ وهم على الباطل ؟ قال : بلى ، وربِّ الكعبة المسدّنة ، قالا : فلِمَ تمنعنـا من شتمهم ولعنهم ؟ قال : كـرهت لكم أن تكونوا شتّامين لعّانين ، ولكن قولوا : أللّهمّ آحقن دمـاءنا ودمـاءهم ، وأصلح ذات بيننـا وبينهم ، وآهدهم من ضـلالتهم ، حتى يعـرف الحقّ من جهله ، ويرعوي عن الغيّ من لجّـج بـه . (الأخبار الطوال ١٦٥) .

ولمـا سنّ معاويـة بن أبي سفيان ، سبّ الإمـام علي عليه السـلام ، لم يذكره باسمه الصـريح ، وإنمـا ذكره بكنيـة كان النبيّ صلوات الله عليـه ، كنّاه بها وهي : أبو تراب، وكانت هذه الكنية من أحبّ الكنى إليه .

ولما ولّى معاوية ، المغيرة بن شعبـة الكوفـة ، كان من جملة مـا أوصاه بـه ، قـولـه : لا تتحـمّ عن شتم عليّ وذمّـه ، والعيب على أصحـاب عليّ ، والإقصـاء لهم ، وترك الإستمـاع منهم ، فأقـام المغيرة عـامـلاً لمعـاويـة على الكوفة سبع سنين وأشهراً ، كان فيها لا يدع ذمّ عليّ ، والوقـوع فيه (الـطبري ٥ / ٢٥٣ و٢٥٤) .

وبلغ المغيـرة بن شعبـة ، أنّ صعصعصـة بن صـوحـان يكثـر من ذكـر علي بن أبي طالب ، والثناء عليه ، فدعا به ، وقـال له : إيّـاك أن يبلغني أنّك تظهر من فضل عليّ علانية ، فإنّك لستَ بذاكـرٍ من فضل علي شيئـاً أجهله ، بل أنا أعلم منك به ، ولكنّ هذا السلطان قد ظهـر ، وقد أُخَـذْنا بـاظهار عيبـه للناس ، فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ، ونذكـر الشيء الذي لا نجـد من ذكره

بدّاً ، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة ، فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك ، وفي منازلكم سرّاً ، وأمّا علانية في المسجد ، فإنّ هذا لا يحتمله الخليفة لنا ، ولا يعذرنا به (الطبري ٥ / ١٨٩) .

وسار الأمويّون ، من بعد معاوية ، على سنّته في سبّ أبي تراب ، وكان أكثر من يستمعون ، لا يعرفون من هو أبو تراب ، وقد ذكر بعض الاخباريّين ، إنّه سأل رجلاً من زعماء أهل الشام ، وأهل الرأي والعقل منهم : من هو أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر ؟ فقال : أراه لصّاً من لصوص الفتن (مروج الذهب ٢ / ٢٥) .

ولما حاصر الحجاج ، عبد الله بن الزبير بمكّة ، كتب إلى عبد الملك ، إنّه قد ظفر بأبي قبيس ، وهو جبل بمكّة ، فلما ورد الكتاب على عبد الملك ، كبّر ، فكبّر معه من في داره ، وآتّصل التكبير بمن في جامع دمشق ، فكبّروا ، واتّصل ذلك بأهل الأسواق فكبّروا ، ثم سألوا عن الخبر ، فقيل لهم : إنّ الحجاج قد ظفر بأبي قبيس بمكّة ، فقالوا : لا نرضى إلّا أن يحمل أبو قبيس هذا الترابيّ الملعون ، إلينا ، مكبّلاً ، على رأسه برنس ، على جمل ، يمرّ بنا في الأسواق (مروج الذهب ٢ / ٨٦) .

وكانت سكينة بنت الإمام الشهيد الحسين ، تجيء في ستارة ، يوم الجمعة ، إلى مسجد النبي صلوات الله عليه ، فتقوم بأزاء أمير المدينة ، خالد بن عبد الملك ، المعروف بابن مطيرة ، إذا صعد المنبر ، فإذا شتم علياً ، شتمته ، هي وجواريها ، فكان يأمر الحرس ، فيضربون جواريها (الاغاني ١٦ / ١٤٣) .

وكان لقرار الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز ، بإبطال سبّ علي ، صدى مشكور في جميع البلاد الإسلامية ، بل لقد لاقى صدى مشكوراً حتى في أوساط الأمويين أنفسهم ، فإنّ هشام بن عبد الملك لما حجّ ، لقي سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ،

إنّ الله لم يزل ينعم على أهل بيت أميـر المؤمنين ، وينصر خليفتـه المظلوم ، ولم يزالوا يلعنون ، في هذه المواطن الصالحـة ، أبا تـراب ، فأميـر المؤمنين ينبغي له أن يلعنه في هذه المواطن الصالحة ، فاشمأزّ هشام من حديثه ، وقال له : ما قدمنا لشتم أحد ولا للعنه ، قدمنا حجّاجاً (الطبري ٧/٣٦).

ومن طـريف ما يـروى ، أنّه لمـا فـرض معـاويـة سبّ الإمـام علي على المنابر ، امتنـع أهل سجستـان من سبّه ، وزادوا في عهـدهم أن لا يلعن على منبـرهم أحد ، فلم يلعن عليّ على منـابـر سجستـان ولا مـرّة (معجم البلدان ٣ / ٤٣) وعلى عكس ذلك ما صنعـه أهل حـرّان ، فإنّهم بعـد أن أزيل سبّ أميـر المؤمنين ، امتنعوا عن إزالتـه ، وقـالـوا : لا صـلاة إلّا بلعن أبي تـراب (شرح نهج البلاغة ٧ / ١٢٢) .

ولما استخلف المتوكّل ، هيّأت له فسولتـه ، أن يشارك في شتم عليّ ، وزاد ، فكان يأمر نديمه عبادة المخّنث ، المجاهر بـالعهر والبغـاء ، أن يرقص بين يديه ، والمغنّون يغنّون : أقبل الأصلع البطين ، خليفـة المسلمين ، يعني عليّاً عليه السلام (ابن الأثير ٧ / ٥٥) ثم أمـر بهدم قبـر الحسين ، وهدم مـا حوله من الدور ، فكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان، وقال فيه ابن بسّام : [فوات الوفيات ١ / ٢٠٣] .

تـــا الله إن كـانت أميّـــة قـد أتت — قتـــل ابن بنت نبيّهـــا مـــظلومـــا
فـلقـــد أتـــاه بنـــو أبـيـــه بمـثـله — هـــذا لعمـــرك قـبـــره مهـــدومـــا
أسفوا على أن لا يكونـوا شاركـوا — فـي قـتـله فـتـتـبّعـــوه رمـيـمـــا

وكـان العـامّـة ببغـداد ، إذا خـاصمـوا أميـرهم ، اجتمعـوا وشتمـــوه ، وأخبارهم في ذلك كثيرة ، منها أنّ عامّة بغداد ، أحسّوا في السنة ٢٥١ نكوصاً من أميرهم محمد بن عبد الله بن طاهر ، عن نصرة المستعين ، فاجتمع جمـع منهم في الجـزيرة التي بحـذاء دار آبن طاهـر (في نهر دجلة) فصـاحوا بـه ،

وشتموه أقبح شتم ، حتى ذكروا اسم أمّه ، فضحك، وقال لأحد جلسائه : يا أبا عبدالله، ما أدري كيف عرفوا اسم أمّي ، ولقد كان كثير من جواري أبي العباس عبد الله بن طاهر لا يعرفون آسمها ، فقال له جليسه : أيّها الأمير ، ما رأيت أوسع من حلمك (الطبري ٩ / ٣٣٧ و٣٣٨) .

وكان أحمد بن أبي خالد ، وزير المأمون ، معروفاً بأنّه كان يشتم المتظلّمين ، أما أبو عبّاد وزير المأمون ، فكان إذا غضب ، رمى كتّابه بالدواة ، وإذا كان راكباً ، ضرب بالمقرعة ، حتى قال فيه دعبل الخزاعي :

أولى الأمور بضيعة وفساد أمر يدبّره أبو عبّاد
يسطو على كتّابه بدواته فمضمّخٌ بدمٍ ونضح مداد
وكأنّه من دير هِزْقِل مفلتٌ حردٌ يجرّ سلاسل الأقياد

ودير هزقل (حسقيل) هذا ، كان في المنطقة التي بين البصرة وعسكر مكرم (معجم البلدان ٢ / ٧٠٦) وكان مقرّاً للمجانين ، يحبس فيه بعضهم مقيّدين .

أما أبو العباس أحمد بن محمد بن الفرات ، فكان يضيف إلى شتم المتظلّمين ، أن يرفسهم برجله ، ويقنّعهم بالمقرعة ، وربما بصق عليهم (نشوار المحاضرة ٨ / ٨٤) .

ولما عزل الوزير ابن الفرات ، عن وزارته الأولى في السنة ٢٩٩ ، كان أبو الهيثم العباس بن ثوابه معتقلاً بالموصل ، فأطلقه الوزير الخاقاني ، خلف ابن الفرات ، وقلّده مناظرة أبي الحسن بن الفرات وأسبابه ، وكان أبو الهيثم موصوفاً بالشرّ (تجارب الأمم ١ / ٢٢) فأسرف في إيقاع المكروه بآبن الفرات ، وشتمه بحضرة أمّ موسى القهرمانة ، فردّ عليه ابن الفرات أقبح ردّ ، راجع التفصيل في تجارب الأمم ١ / ٢٢ و ٨٨ ـ ٩١ .

وقال الكاتب ابن أبي قيراط : ما رأينا ، ولا سمعنا ، برئيس أسفه لساناً من حامد بن العبّاس ، وزير المقتدر ، فإنّه كان لا يردّ لسانه عن أحد البتّة ، وكان إذا غضب شتم ، وقد أورد القاضي التنوخي ، في القصة ٨ / ٣٦ من كتاب نشوار المحاضرة ، انموذجات من شتائمه ، فليراجعها من شاء .

وذكر عن المولى أحمد افندي ، الشهير بشيخ زاده ، القاضي ـ كان ـ بدمشق في السنة ١٠٢٢ أنّه كان يكره العرب ، وإذا شتم أحداً من الناس ، صاح به : برّا ، عرب طاط (تراجم الاعيان ١ / ١٩٧) .

وكما أثبت التاريخ ، أسماء وأشخاص كانوا من أسرع الناس لساناً إلى الشتم والسفه ، فقد أثبت كذلك أسماء أشخاص كانوا يتحاشون أن يجابهوا أحداً بتعبير فيه مرارة ، منهم الإمام الحسن بن علي ، فقد ذكر عنه أنّه كان يخاصم أمويّاً في أرض ، وجبهه الأمويّ يوماً ، فاشتدّ به الغيظ ، فقال له : ليس لك عندنا إلّا ما يرغم أنفك ، وذكروا إنّه لم يفه طيلة حياته بكلمة أشدّ منها (تاريخ الخلفاء ١٩٠) .

وذكروا أنّه جرى بين الإمام الحسن ، وبين مروان بن الحكم ، كلام ، فأغلظ له مروان ، والحسن ساكت ، ثم امتخط مروان بشماله ، فقال له الحسن : ويحك ، أما علمت أنّ اليمين للوجه ، وأنّ الشمال للفرج ؟ ، أفّ لك ، (تاريخ الخلفاء ١٩٠) .

وكان الأحنف بن قيس نظيف اللسان ، أحصيت عليه سقطة واحدة ، فانّه خاصم الحباب بن المنذر ، فقال له : يا آدر ، وكان الحباب آدر ، فعدّ ذلك من سقطات الأحنف (سرح العيون ٥٧) .

وكان عبد الملك بن مروان ، نظيف اللسان أيضاً ، أحضر يحيى بن سعيد بن العاص ، وكان قد خلعه ، فلم يزد على أن قال له : يا قبيح ، بأيّ وجهٍ تنظر إليّ وقد خلعتني ؟ (الطبري ٦ / ١٦٢) .

وكان الخليفة العبّاسي القائم ، نظيف اللسان كذلك ، غضب مرة على أحد أصحابه فلم يزد على أن قال له : يا عامي ، ما حملك على هذا الفعل ، راجع تفصيل القصّة في الفصل الثاني من هذا الباب .

وكان السلطان الملك العادل نور الدين محمود بن الأتابك عماد الدين زنكي ، عفّ اللسان ، لم تسمع منه كلمة فحش ، لا في رضاه ولا في ضجره (اعلام النبلاء ٢ / ٥١) .

وذكر القاضي ابن شدّاد عن السلطان صلاح الدين الأيّوبي رحمه الله ، أنّه كان طاهر المجلس ، لا يذكر بين يديه أحد إلّا بخير ، طاهر السمع لا يحبّ أن يسمع من أحد إلّا الخير ، طاهر اللسان ، قلّما ولع بشتم قط (اعلام النبلاء ٢ / ١٩٦) .

وكذلك كان الملك الصالح نجم الدين بن أيّوب ، ملك مصر (ت ٦٤٧) فإنّه لم تسمع منه كلمة قبيحة قط ، وكان أكثر ما يقول إذا شتم : يا متخلّف (النجوم الزاهرة ٦ / ٣٣١) .

وكان القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن العديم قاضي حماة المتوفى سنة ٧٣٤ نظيف اللسان ، لم يحفظ عنه أنّه شتم أحداً مدّة ولايته (اعلام النبلاء ٤ / ٥٦٤) .

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، أذكر أنّ الحاج كاظم أبا التمّن عليه رحمات الله ، عميد آل أبي التمّن في زمانه ، وكنتُ من جيرانه ، كان على جانب عظيم من التقوى ، ؛ وسلامة الصدر ، وكرم الأخلاق ، وكان نظيف اللسان جدّاً ، لا يعرض لأحد من الناس بكلمة سيئة ، وكانت أقسى كلمة تصدر منه ، على من يغضب عليه ، أن يقول عنه : قبيح .



وقد اشتمل الباب الأول من هذا الكتاب على الشتيمة ، وقسمناها إلى الفصول التالية :

الفصل الأول : الشتيمة مع ذكر الله تعالى مثل لعنه الله ، وقاتله الله .

الفصل الثاني : الشتائم غير الموجعة .

الفصل الثالث : المعايرة .

القسم الأول : المعايرة بالعاهة .

القسم الثاني ـ المعايرة بالصناعة .

القسم الثالث ـ المعايرة بالنحلة .

القسم الرابع : المعايرة بالنسب

القسم الخامس : المعايرة بالأبوين

أ ـ المعايرة بالأب

ب ـ المعايرة بالأم .

القسم السادس ـ المعايرة بالصفات السيئة .

أ ـ المعايرة بالصفات الخلقية .

ب ـ المعايرة بالصفات العارضة .

الفصل الرابع : الفاظ مختلفة في الشتم .

القسم الأول ـ تسمية المشتوم باسم حيوان .

القسم الثاني ـ مجموعة ألفاظ في الشتيمة .

الفصل الخامس : الرفث في الشتيمة .

الفصل السادس : طرائف في الشتم .

الفصل الأول

الشتيمة مع ذكر الله تعالى

١ ـ قولهم : إلى لعنة الله

اللعن : الطرد والبعد.
وقولهم : لعنه الله، أي باعده وطرده (الفاخر لأبي طالب ٨).

لما قتل الخليفة عثمان ، وبلغ عليّاً خبر قتله ، جاء إلى الدار ، ولقي طلحة ، وكان ممّن أعان على عثمان ، فقال له طلحة : مالك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال له علي : عليك لعنة الله ، يقتل أمير المؤمنين ، وهو من أصحاب رسول الله ، بدريّ ، لم تقم عليه بيّنة ولا حجّة ، فقال طلحة : لو دفع مروان لم يقتل ، فقال عليّ : لو أخرج إليكم مروان لقُتِلَ قبل أن تثبت عليه حكومة (أنساب الأشراف ٥ / ٧٠) .

وخطب أمير المؤمنين عليّ على منبر الكوفة ، فعارضه الأشعث بن قيس ، وقال له : هذه عليك لا لك ، فخفض عليّ بصره إليه ، وقال له : ما يدريك ما عليّ مما لي ، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين ، حائك بن حائك ، منافق بن منافق ، كافر بن كافر ، والله لقد أسرك الإسلام مرّة والكفر مرّة ، فما فداك في واحدة منهما حسبك ولا مالك (الاغاني ٢١ / ١٥) .

ولما جرى التحكيم بين المتحاربين في صفّين ، واختاروا أبا موسى الأشعري وعمرو بن العاص ، وغدر عمرو بن العاص بأبي موسى وخدعه ،

قال له أبو موسى : **لعنك الله** ، فإنّ مثلك كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : **لعنك الله** ، فإنّ مثلك مثل الحمار ، يحمل أسفاراً (العقد الفريد ٤ / ٣٤٨) .

وقال الأسود الهلالي ، لآمنة بنت الشريد : **عليك لعنة الله** .

وسبب ذلك : أنّ معاوية بن أبي سفيان ، طلب عمرو بن الحمق الخزاعي ، لأنّه من اتباع عليّ ، فراغ منه ، فحبس زوجته آمنة بنت الشريد ثم ظفر بعمرو فقتله ، وبعث برأسه إلى آمنة ، وأمر الحرسي أن يضع الرأس في حجرها ، ثم أمر باطلاقها من السجن ، بأن أشار إليها بيده أن آخرجي ، فخرجت ، وهي تقول : واعجباً لمعاوية ، يكفّ عنّي لسانه ، ويشير إليّ ببنانه ، فسمعها الأسود الهلالي ، فقال : لمن تعني هذه ، ألأمير المؤمنين ؟ **عليها لعنة الله** ، وكان الأسود الهلالي ، أسود اللون ، أصلع الرأس ، أسلع (أبرص) أصعل (دقيق الرأس والعنق) ، فالتفتت إليه ، فلما رأته ، قالت : خزياً لك وجدعاً أتلعنني ، واللعنة بين جبينك ، وما بين قرنيك إلى قدميك ، أخسأ ، يا هامة الصعل ، ووجه الجعل ، فأذلل بك نصيراً ، وأقلل بك ظهيراً . (اعلام النساء ١ / ٥) .

وقال سمرة بن جندب ، لما عزل عن ولاية البصرة : **لعن الله معاوية** .

وسبب ذلك : أنّ زياد بن أبيه ، كان قد ولّى سمرة بن جندب البصرة ، ومات زياد وسمرة على البصرة ، فأبقاه معاوية بعد زياد ثمانية عشر شهراً ، ثم عزله في السنة ٥٣ ، وكان سمرة يأخذ بالظنّة ، ويقتل على الشبهة ، وعسف أصحاب الإمام علي عسفاً شديداً ، فلما عزله معاوية ، قال : **لعن الله** معاوية ، والله ، لو أطعت الله كما أطعت معاوية ، ما عذّبني أبداً (الطبري ٥ / ٢٩١ وابن الأثير ٣ / ٤٩٥) .

وشتم معاوية بن أبي سفيان ، خالداً بن المهاجر بن الوليد ، فقال لـه : عليك لعنة الله .

وتفصيـل القصة : إنّ معـاوية بن أبي سفيـان لما أراد أن يـظهـر العهـد ليزيد ، قال لأهل الشام : إنّ أمير المؤمنين ، قـد كبرت سنّـه ، ورقّ جلده ، ودقّ عظمه ، واقترب أجله ، ويريد أن يستخلف عليكم فمن ترون ؟ فقـالوا : عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، فسكت ، وأضمرها ، ودسّ ابن أثال الطبيب إلى عبد الرحمن بن خالد ، فسقاه سمّاً ، فمـات ، وبلغ خالـد بن المهاجـر ، وهـو ابن اخي عبد الـرحمن خبر مـوت عمّه بـالسمّ ، وكان بمكـة ، أخبره بـه عـروة بن الزبيـر ، وعيّره بـذلك ، فقـال له : يـا خالـد ، تـدع ابن اثـال ينقّي أوصال عمّك بالشام ، وانت بمكّة مسبل إزارك ، تجرّه وتخطر فيـه متخايـلاً ، فحمي خالد ، مع أنّه كان أسوأ النـاس رأياً في عمّـه عبد الـرحمن ، لأنّ عبد الـرحمن كان من أصحـاب معاويـة، وشهد معـه صفين، أمّا المهـاجـر، والـد خـالد ، فكـان مع الإمـام علي بصفّين ، وكان خـالد على رأي أبيـه هـاشمي المذهب ، ولكن مصابه في عمه ، حرّكه ، فخرج حتى قدم دمشق ، وتـرصّد لابن اثال ، ووثب عليه فقتله ، فقبض عليه ، وأحضر أمام معاوية ، فقال له : لا جـزاك الله من زائر خيـراً ، قتلت طبيبي ، فقال لـه خالـد : قتلت المـأمـور وبقي الآمر ، فقال له معاوية : عليك لعنة الله ، ثم حبسه ، وألـزم بني مخزوم ديـة ابن اثال إثنى عشـر ألف درهم ، أدخـل منهـا إلى بيت المـال ستّـة آلاف درهم ، وأخذ لنفسه ستّة آلاف درهم (الاغاني ١٦ / ١٩٧ و١٩٨) .

وكان جيش الشام، بقيادة الحصين بن نمير، يحاصر عبد الله بن الزبير بمكّـة ، لما وردهم الخبر بهلاك يـزيد بن معـاوية ، فـاجتمع الحصين بعبـد الله ، وقال له : تعال أبايعـك ، وتخرج معي إلى الشـام ، فلا يختلف عليـك اثنـان ، فأبى عبـد الله ، فغضب الحصين ، وقال لـه : لعنك الله ، ولعن من

زعم أنّك سيّد ، والله لا تفلح أبداً ، وعاد بجيشه إلى الشام (الإمامة والسياسة ٢ / ١٢) .

وآطّلع مروان بن الحكم ، على ضيعة له بالغوطة ، فأنكر شيئاً ، فقال لوكيله : ويحك ، إنّي لأظنّك تخونني ، فقال له : أفتظنّ ذلك ولا تستيقنه ؟ قال : وتفعله ؟ قال : نعم ، والله إنّي لأخونك ، وإنّك لتخون أمير المؤمنين ، وإنّ أمير المؤمنين ليخون الله ، فلعن الله شرّ الثلاثة (انساب الاشراف ٥ / ١٣٠ والعقد الفريد ١ / ٣٢) .

وانفرد الحجّاج عن عسكره ، ومر ببستاني ، فقال له : كيف حالكم مع الحجّاج ؟ فقال : **لعنه الله** ، المبير المبيد ، الحقود الحسود ، وعاء النقمة ، مزيل النعمة ، سافك الدماء بغير حلّها ، جاعل النساء أيامى ، والصبيان يتامى ، والروح معدوماً ، والإرث مقسوماً ، عجّل الله منه الإنتقام ، وصرف معرّته عن المسلمين (الهفوات النادرة ٩٩ و١٠٠) .

وجيء إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي ، بخارجي ، فقال له : ما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟ فقال : على ذلك الفاسق لعنة الله ولعنة اللاعنين ، قال : ولمَ ، لا أمّ لك ؟ قال : إنّه أخطأ خطيئة طبقت ما بين السماء والأرض ، قال : وما هي ؟ قال : استعماله إيّاك على رقاب المسلمين ، قال : يا حرسي اضرب عنقه ، فلما أحسّ بالسيف ، قال : لا إله إلا الله (وفيات الأعيان لابن خلكان ٢ / ٣٨) .

وقال عبد الله بن الحسن العلوي ، لكثير عزة : **عليك لعنة الله** .

وتفصيل القصّة : إنّ كثير عزّة ، كان يقول بالرجعة ، ومرض كثير ، فعاده عبد الله بن الحسن ، فقال له كثير : أبشر ، فكأنّك بي ، بعد أربعين ليلة ، قد طلعت لك على فرس عتيق .

فقال له عبد الله : مالك ، **عليك لعنة الله** (الاغاني ٩ / ١٧) .

أقول : القول بالرجعة ، هو القول بأنّ الإنسان يرجع إلى الحياة الدنيا من بعد موته ، فإن كان صالحاً عاد في درجة عليّة ، وإن كان طالحاً عاد شقيّاً أو مسخ كلباً أو خنزيراً ، وروي أنّ السيّد الحميري ، كان يدين بالرجعة ، وجاءه شخص يسخر منه ، فقال له : أقرضني مائة دينار ، إلى الرجعة ، فقال له : أعطني ضامناً ، أنّك سوف لا تعود كلباً أو خنزيراً ، فيضيع عليّ مالي .

وقال عمر بن عبد العزيز ، الخليفة الصالح : لعن الله الحجّاج ، فإنّه ما كان يصلح للدنيا ولا للآخرة . فإنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه ، جبى العراق بالعدل والنصفة مائة ألف ألف وثمانية وعشرين ألف ألف درهم ، وجباه الحجّاج مع عسفه وجبروته ثمانية عشر ألف ألف درهم فقط ، قال عمر بن عبد العزيز : وها أنا قد رجع إليّ على خرابه ، فجبيته مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم ، بالعدل والنصفة (معجم البلدان ٣ / ١٧٨) .

وجاء زياد الأقطع إلى بيت الفرزدق ، فخرجت إليه ابنة صغيرة ، فقالت له : ما بال يدك مقطوعة ؟ قال : قطعها الحرورية ، قالت : بل قطعت في اللصوصية ، فقال لها : عليك وعلى أبيك لعنة الله (المحاسن والأضداد ١٠٤) .

وقال عبد الملك بن مروان ، لثابت بن الزبير : **عليك لعنة الله** .

وتفصيل القصّة : إنّ عبد الملك بن مروان ، قال لثابت بن الزبير : أبوك كان أعلم بك حيث كان يشتمك ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنّما كان يشتمني ، لأنّي كنت أنهاه أن يقاتل بأهل مكّة والمدينة ، فإنّ الله لا ينصر بهم ، أما أهل مكّة ، فإنهم أخرجوا النبيّ وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فآذوه ، حتّى سيّرهم ، يعرّض بالحكم بن أبي العاصي ، جدّ عبد الملك ، طريد رسول الله صلوات الله عليه ، وأمّا أهل المدينة ، فخذلوا عثمان، حتى

قتل بين أظهرهم ، ولم يدفعوا عنه . فقال له : **عليك لعنة الله** (العقد الفريد ٤ / ٣٣ و٣٤) .

أقول : هكذا أورد صاحب العقد الفريد ، أنّه ثابت بن الزبير ، والصحيح أنّه ثابت بن عبد الله بن الزبير راجع أخباره في كتاب جمهرة نسب قريش وأخبارها ١ / ٨٠ ـ ٩٠ .

وشتم الحجّاج الثقفي ، أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلوات الله عليه ، فقال له : **لعنة الله عليك** .

وكان الحجاج ، قد حبس عبد الله بن أنس ، فدخل عليه أنس ليكلّمه في أمر ولده ، فقال الحجاج له : لا مرحباً بك ولا أهلاً ، **لعنة الله عليك** من شيخ جوّال في الفتنة ، مرّة مع أبي تراب ، ومرّة مع ابن الأشعث ، والله لأقلعنّك قلع الصمغة ، ولأجردنّك تجريد الضبّ.

فقال أنس : من يعني الأمير أعزّه الله ؟

فقال له الحجاج : إيّاك أعني ، أصمّ الله صداك .

فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك بن مروان ، فكتب عبد الملك إلى الحجاج : يا ابن المستفرمة بعجم الزبيب ، والله لقد هممت أن أركلك ركلة تهوي بها في نار جهنم ، **قاتلك الله** ، من عبدٍ اخيفش العينين ، أسكّ الرجلين ، أسود الجاعرتين (البيان والتبيين ٢ / ٢١) .

وقال عبد الملك بن مروان ، للحجّاج، في ساعة من ساعات غضبه عليه : إنّك عبد طمت بك الأمور ، فغلوت فيها ، حتى عدوت طورك ، وجاوزت قدرك ، أنسيتَ حال آبائك في اللؤم ، والدناءة في المروءة والخلق ، **فعليك لعنة الله** من عبدٍ أخفش العينين ، أسكّ الرجلين ، ممسوح الجاعرتين (ابن الأثير ٤ / ٣٨٦ والعقد الفريد ٥ / ٣٧ ـ ٤١) .

وقال بشر بن مروان ، للفرزدق وجرير : **عليكما لعنة الله** .

وتفصيل القصّة : أنّ الفرزدق وجرير ، اجتمعا عند بشر بن مروان ، فرجا أن يصلح بينهما حتى يتكافّا ، فقال لهما : ويحكما ، قد بلغتما من السنّ ما قد بلغتما ، وقربت آجالكما ، فلو اصطلحتما ، ووهب كلّ منكما لصاحبه ذنبه ، فقال جرير : أصلح الله الأمير ، إنّه يظلمني ، ويتعدّى عليّ ، فقال الفرزدق : أصلح الله الأمير ، إنيّ وجدت آبائي يظلمون آباءه ، فسلكت طريقهم في ظلمه .

فقال بشر : **عليكما لعنة الله** ، لا تصطلحان ـ والله ـ أبداً . (الاغاني ٢١ / ٣٥٧) .

وكانت امرأة من الخوارج ، تدعى : فراشة ، ذات نيّة في رأي الخوارج ، تجهّز أصحاب البصائر ، ولم يظفر الحجاج بها ، وجيء إليه يوماً بخارجيّ قد جهّزته فراشة ، فقال له : **يا عدو الله** .

قال : أنت أولى بها يا حجّاج .

قال : أين فراشة ؟

قال : مرّت تطير منذ ثلاث .

قال : أين تطير ؟

قال : ما بين السماء والأرض .

قال : أعن تلك سألتك ؟ **عليك لعنة الله** .

قال : عن تلك أخبرتك ، **عليك غضب الله** .

قال : سألتك عن المرأة التي جهّزتك وأصحابك .

قال : وما تصنع بها ؟

قال : أضرب عنقها .

قال : ويلك يا حجّاج ، ما أجهلك ، أدلّك وأنت عدوّ الله على من هو وليّ الله ؟ لقد ضللتُ إذن ، وما أنا من المهتدين .

قال : ما رأيك في أمير المؤمنين عبد الملك ؟

قال : على ذلك الفاسق لعنة الله ، ولعنة اللاعنين .

قال : ولم ؟ لا أمّ لك .

قال : لاستعماله إيّاك على رقاب المسلمين . (وفيات الاعيان ٢ / ٣٧) .

وكان عبيدة بن هلال اليشكري من متألّهي الخوارج وزهّادهم ، تواقف يوماً هو وأبو حزابة التميمي ، في الحرب ، فقال عبيدة : يا أبا حزابة ، إنّي سائلك عن أشياء ، أفتصدقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تضمّنت لي مثل ذلك ، قال : قد فعلت ، قال : سل عما بدا لك ، قال : ما تقول في أئمتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام ، والمال الحرام ، والفرج الحرام ، قال : ويحك ، فكيف فعلهم في المال ؟ قال : يجبونه من غير حلّه ، وينفقونه في غير حقّه ، قال : فكيف فعلهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه ماله ، ويمنعونه حقّه ، قال : ويلك يا أبا حزابة ، أفمثل هؤلاء تتّبع ؟ ، قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ، ودع عنك عتابي ، قال : قل ، قال : أي الخمر أطيب ، خمر السهل ، أو خمر الجبل ؟ فقال : ويلك ، مثلي يسأل عن هذا ؟ قال : قد أوجبتَ على نفسك أن تجيب ، قال : أمّا إذ أبيت ، فإنّ خمر الجبل ، أقوى وأسكر ، وخمر السهل ، أحسن وأسلس ، قال أبو حزابة ، فأيّ الزواني أفره ، زواني رامهرمز ، أم زواني أرّجان ؟ قال : ويلك إنّ مثلي لا يسأل عن هذا ، قال : لا بدّ من الجواب ، أو تغدر ، فقال : أمّا إذ أبيت ، فزواني رامهرمز أرقّ أبشاراً ، وزواني أرّجان أحسن أبداناً ، قال :

فأيّ الرجلين أشعر أجرير أم الفرزدق ؟ قال : **عليك وعليهما لعنة الله** ، أيّهما الذي يقول :

وطوى الطراد مع القياد بطونها طيّ التجار بحضرموت برودا

قال : جرير .

قال : فهو أشعرهما (الاغاني ٦ / ١٥٠) .

وبعث الحجّاج إلي والي البصرة : أنّ آختر لي عشرة ممّن عندك ، فاختار رجالاً منهم كثير بن أبي كثير ، قال : وكان كثير رجلاً عربياً ، قال كثير : فقلت في نفسي ، لا أفلت من الحجاج إلّا باللحن ، قال : فلما دخلنا عليه دعاني ، وقال لي : ما اسمك ؟ قلت : كثير ، قال : ابن من ؟ ، فقلت في نفسي ، إن قلتها بالواو لم آمن أن يتجاوزها ، فقلت : أنا ابن أبا كثير ، فقال : **عليك لعنة الله** ، **وعلى من بعثك** جؤوا في قفاه ، قال : فأخرجت (معجم الادباء ١ / ٢٥) .

ودعا سعيد بن بنان التغلبي ، وهو أعور ، الأخطل الشاعر ، إلى منزله ، وكان منزلاً سريّاً قد نجّد بالفرش والوطاء العجيب ، وكانت امرأته ، واسمها برّة ، في غاية الحسن والجمال ، وسأل سعيد الأخطل : هل ترى في داري عيباً ؟ فقال له الأخطل : ما أرى في بيتك عيباً غيرك ، فقال له : اخرج من بيتي ، عليك لعنة الله (العقد الفريد ٥ / ٣٨٦) .

ولما غدر عبد الملك بن مروان ، بعمرو بن سعيد الأشدق ، وقيّده ، بعد أن أعطاه الأمان ، وعاهده ، وحلف له ، أمر عبد العزيز أخاه أن يقتله ، وخرج للصلاة ، فلما عاد ، وجد عَمْراً حيّاً ، فقال لأخيه عبد العزيز : لعنك الله ، ولعن أمّاً ولدتك ، ثم قال : قدّموه إليّ ، وأخذ الحربة بيده ، فقال له عمرو : فعلتها يا آبن الزرقاء (العقد الفريد ٤ / ٤٠٩) .

وتعرّض الحجّاج لأعرابي ، فسأله : كيف سيرة أميركم الحجّاج ؟ فقال له الأعرابي ، وهو لا يعرفه : ظلوم ، غشوم ، لا حيّاه الله ولا بيّاه ، فقال الحجّاج : لو شكوتموه إلى أمير المؤمنين ، فقال الأعرابي : هو أظلم وأغشم ، عليه لعنة الله ، فبينما هو كذلك إذ أحاط بالحجّاج الجنود ، فعرف انّه الحجاج ، فقال له : أيّها الأمير ، أحبّ أن يكون السرّ الذي بيني وبينك مكتوماً (الملح والنوادر ١٥) .

وكتب عبد الملك بن مروان ، إلى الحجّاج بن يوسف الثقفي ، كتاباً قال فيه : لعن الله أبا عقيل (جدّ الحجّاج) وما نجل ، الأم والد ، وأخبث نسل ، راجع القصة في العقد الفريد ٥ / ٢١ ـ ٢٩ .

وأدخل يزيد بن أبي مسلم ، كاتب الحجّاج ، وخلفه على العراق ، علي سليمان بن عبد الملك ، لما استخلف، فقال له سليمان : على آمرىء أمّرك ، وجرّأك ، وسلّطك على الأمّة ، لعنة الله ، أتظنّ أنّ الحجّاج استقرّ في قعر جهنّم ، أم ما يزال يهوي فيها ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ الحجّاج يأتي يوم القيامة بين أخيك وأبيك ، فضعه من النار حيث شئت (العقد الفريد ٢ / ١٧٤ و١٧٥ والامتاع والمؤانسة ٣ / ١٦٨) .

وروى القاضي ابن خلّكان، في كتابه وفيات الأعيان، الخبر على وجه آخر ، قال : لما ولي سليمان بن عبد الملك ، أمر باعتقال يزيد بن أبي مسلم ، خلف الحجّاج ، وكان يسير بسيرته ، فأحضر له في جامعة ، وكان قصيراً ، دميماً ، قبيح الوجه ، عظيم البطن ، تحتقره العين ، فلما نظر إليه سليمان ، قال له : أنت يزيد بن أبي مسلم ؟ قال : نعم ، قال : لعن الله من أشركك في أمانته ، وحكّمك في دينه ، ثم قال له : أخرج عنّي إلى لعنة الله (وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٥ و٦ / ٣١٠) .

وشتم يزيد بن عبد الملك ، كثير الشاعر ، فقال له : عليك لعنة الله .

وكان ذلك ، عندما بلغ كثير أنّ يزيد بن المهلّب ، وآخرين من آل المهلّب ، قتلوا في المعركة بالعقر ، فقال كثير : سا أجل الخطب ، ضحّى آل أبي سفيان بالدين يوم الطفّ ، وضحّى بنو مروان بالكرم يوم العقر ، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فدعا به ، فلما دخل عليه ، قال له : عليك لعنة الله ، أترابية وعصبيّة (الأغاني ٩ / ٢٢) .

أقول : قول كثير عن تضحية آل أبي سفيان بالدين يوم الطفّ ، عن موقعة كربلاء ، وعن تضحية آل مروان ، بالكرم يوم العقر ، المعركة بين يزيد بن المهلّب على رأس أهل العراق ، وبين الجيش الشامي الأموي بالعقر ، حيث قتل يزيد بن المهلب وجماعة من آل المهلب ، أما قول يزيد بن عبد الملك : أترابيّة وعصبيّة ، فإنّه اتّهمه في الحزن على الحسين عليه السلام وأصحابه ، بأنّه من أنصار الإمام علي عليه السلام ، وقد لقّبه النبي صلوات الله عليه بأبي تراب ، واتّهمه بالحزن على آل المهلب ، للعصبية لأنّه أزدي وآل المهلب أز ديون .

ولما كلف يزيد بن عبد الملك ، بجاريته حبابة ، واشتغل بها ، وأضاع الرعيّة ، عذله أخوه مسلمة بن عبد الملك ، فارعوى ، وظهر للناس ، فغنّته حبابة بأبيات من شعر الأحوص :

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلّدا	فقد غلب المحزون أن يتجلّدا
إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى	فكن حجراً من يابس الصخر جلمدا
هل العيش إلاَّ ما تلذّ وتشتهي	وان لامَ فيه ذو الشنان وفنّدا

فلما سمعها ضرب بخيزرانته الأرض ، وقال : صدقت ، على مسلمة لعنة الله ، وعاد إلى سيرته الأولى (الاغاني ١٥ / ١٣٢ والعقد الفريد ٦ / ٦١) .

وفي السنة ١٠٨ غزا أسد بن عبد الله القسري ، أمير خراسان ، الغوريان ، وفي غمرة المعركة بعث إلى قائدين من قوّاده ، نصر بن سيّار ومسلم بن أحوز ، يقول : قد رأيت موقفكما منذ اليوم ، وقلّة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله (الطبري ٧ / ٤٤) .

وتعرّضت امرأة لكثير عزّة ، وشتمته ، فقالت له : عليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وتفصيل القصّة : انّ كثير عزّة ، لاقته امرأة وسيمة جميلة ، فقالت له : أنت كثير ؟ قال : نعم ، قالت : ابن أبي جمعة ؟ قال : نعم ، قالت : الذي يقول :

لعزّة أطلال أبت أن تكلّما

قال : نعم ، قالت : وأنت تقول فيها :

وكنت إذا ما جئت أجللن مجلسي وأظهرن منّي هيبة لا تجهّما

فقال : نعم : قالت : أعلى هذا الوجه هيبة ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فضجر ، وقال : من أنت ؟ فلم تجبه بشيء ، ثم قالت : أنت الذي تقول :

متى تحسروا عنّي العمامة تبصروا جميل المحيّا أغفلته الدواهن

أهذا الوجه جميل المحيّا ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فاختلط كثير ، وقال : والله ، لو عرفتك لفعلت وفعلت ، فسكتت ، فلما سكن من شأوه ، قالت : أنت الذي تقول :

يروق العيون الناظرات كأنّه هِرَقليٌّ وزنٍ أحمر التبرراجح

أهذا الوجه يروق الناظرات ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

فازداد ضجراً ، وغيظاً ، واختلاطاً ، وقامت المرأة فذهبت (الاغاني ١٢ / ١٨٦ ، ١٨٧) .

ولما قدم يزيد بن المهلّب واسطاً، قال لأميّة بن الجعد ـ وكان صديقاً للفرزدق ـ إنّي لأحبّ أن تأتيني بالفرزدق ، فقال أميّة للفرزدق : ماذا فاتك من يزيد ، أعظم الناس عفواً ، وأسخى الناس كفّاً ، قال : صدقت ، ولكنّي أخشى أن آتيه ، فأجد العمانيّة ببابه ، فيقوم إليّ رجل منهم ، فيقول : هذا الفرزدق الذي هجانا ، فيضرب عنقي ، فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ، ويبعث إلى أهلي ديتي ، فإذا يزيد قد صار أوفى العرب ، وإذا الفرزدق فيما بين ذلك قد ذهب ، لا والله ، لا أفعل ، فأخبر يزيد بما قال ، فقال : أمّا إذ قد وقع هذا بنفسه ، فدعه ، لعنه الله (الاغاني ٢١ / ٣٤٦) .

وقال الحسن البصري ، عن أهل الشام : عليهم لعنة الله وسوء الدار .

وتفصيل القصّة : إنّ يزيد بن المهلّب ، خرج بالبصرة على بني أميّة ، وأخذ يدعو الناس إلى سنّة العمرين ، فازدحم عليه الناس ، وقالوا : إنّه يدعونا إلى سنّة العمرين ، فقال الحسن البصري : كان يزيد بالأمس ، يضرب أعناق الناس ، ويسرّح برؤوسهم إلى بني مروان ، يريد بذلك رضاهم ، فلما غضب غضبة ، نصب قصباً ، ووضع عليه خرقاً ، وقال : أدعوكم إلى سنّة العمرين ، وإنّ من سنّة العمرين أن يوضع في رجله قيدٌ ، ثم يردّ إلى محبس عمر الذي حبسه فيه ، فقال له أحد أصحابه : كأنك يا أبا سعيد راض عن أهل الشام ؟ فقال : كيف أرضى عن أهل الشام ، قبحهم الله وترحهم ، عليهم لعنة الله وسوء الدار (الطبري ٦ / ٥٨٧ و٥٨٨) .

ولما وعد يوسف بن عمر الثقفي ، الوليد بن يزيد ، بخمسين ألف ألف درهم ، على أن يسلم إليه خالداً القسري ، بعث الوليد إلى خالد : انّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف درهم ، فان كنت تضمنها وإلاّ دفعتك إليه ، فقال خالد : ما عهدتُ العرب تباع ، فدفعه إلى يوسف ، فنزع عنه ثيابه ، ودرّعه

عباءة ، وألحفه بأخرى ، وحمله في محمل بغير وطاء ، ثم دعا به فذكر أمّه ، فقال له خالد : وما ذكرك الأمّهات ، لعنك الله ، فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً ، ولما بلغ الحيرة ، واصل تعذيبه ، ووضع على صدره المضرّسة ، فقتله (الطبري ٧/ ٢٦٠ ، الأخبار الطوال ٣٤٨).

وكان عبد الله بن خازم ، قتل فتى اسمه دويلة ، أخا وكيع بن عميرة القريعي لأمّه ، فلما وقعت المعركة بين عبد الله وبكير بن وشاح ، صُرِع عبد الله في المعركة ، فنزل وكيع ، وجلس على صدره ، وصاح : يا لثارات دويلة ، يعني أخاه ، فبصق عبد الله بن خازم في وجه وكيع ، وقال له : لعنك الله ، تقتل كبش مضر بأخيك علج لا يساوي كفّاً من نوى (الطبري ٦ / ١٧٧) .

وكان قد بلغ أبا عون ، أمير مصر ، أنّ محمد بن معاوية بن بجير بن ريسان ، يشتمه ، فضربه أبو عون ، وحطّ عطاءه من المائتين إلى المائة وعشرين ، فلما ولي مصر محمد بن الأشعث (١٤١ ـ ١٤٢) وليّ محمد بن معاوية الشرط ، فكان يعلو المنبر ، فيشتم أبا عون ، ويسمّيه : النخّاس الكذّاب ، وشتمه يوماً عند محمد بن سعيد صاحب الخراج ، فقال له سالم بن سليمان الحربي القائد : أتشتمه وهو قائد أمير المؤمنين ؟ قال : وأشتمك ، فعليك وعليه لعنة الله (الولاة للكندي ١٠٩ و١١٠) .

وبعث المنصور ، إلى شيخ من بطانة هشام بن عبد الملك ، فسأله عن تدبير هشام في حروبه مع الخوارج ، فوصف له الشيخ ما دبّر ، فقال : فعل رحمه الله كذا ، وصنع رحمه الله كذا ، فقال له المنصور : قم ، عليك لعنة الله ، تطأ بساطي ، وتترحّم على عدوّي ، فقال له الرجل : إنّ نعمة عدوّك قلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي ، فقال له المنصور : يا شيخ ، أشهد أنّك نهيض حرّة ، وغراس شريف ، لله أنت ، لو لم يكن لقومك غيرك لكنت أبقيت لهم مجداً مخلّداً ، وعزّاً باقياً . (الطبري ٨/ ٧٨ و٧٩ ومروج الذهب ٢/ ٢٢٦ والمحاسن والمساوىء ١/ ٨٧) .

ومازح أبو عطاء السندي ، أبا دلامة ، فنظم شعراً في ابنة له ، قال :

فما ولدتك مريم أمّ عيسى ولا ربّاك لقمان الحكيم
ولكن قد تضمّكِ أمّ سوء إلى لبّاتها وأبٌ لئيم

فقال أبو دلامة : عليك لعنة الله . (الأغاني ١٠/٢٤٠).

وغضب المهدي على رجل من الأشعريين ، فأمر بضربه ، فضرب ، وكان أبو عبيد الله وزير المهدي ، من موالي الأشعريّين ، فتعصّب للأشعري ، وقال للمهدي : القتل احسن من هذا يا أمير المؤمنين ، فقال له المهدي : يا يهوديّ ، أخرج من عسكري ، عليك لعنة الله . (الطبري ٨/١٣٩).

وقال أبو دهمان ، لمطيع بن إياس : **عليك لعنة الله** .

وكان أبو دهمان ، صديقاً لمطيع ، وكان يظهر للناس تألّهاً ومروءةً وسمتاً حسناً ، فدعا مطيعاً إلى داره ليلة من الليالي ، ثم قطعه عنه شغل ، وجاء مطيع فلم يجده ، فنظم فيه مطيع أبياتاً منها :

من عاذري من خليلٍ موافق ملدان
مداهنٍ متوانٍ يكنى أبا دهمان
وليس يعتم إلا سكران مع سكران
يسقيه كلّ غلام كأنّه غصن بان

فلقيه أبو دهمان بعد ذلك ، وقال له : **عليك لعنة الله** ، فضحتني ، وهتفت بي ، وأذعت سرّي ، لا أكلمك أبداً (الاغاني ١٣ / ٢٩٢ و٢٩٣) .

وغضب الأمير موسى بن داود العباسي على أبي دلامة ، فقال : **ائتوني بعدوّ الله الفاجر الكذاب ، عليه لعنة الله** . والسبب في ذلك إنّه أخذ منه عشرة آلاف درهم ليتجهّز ببعضها ، ويترك الباقي لعياله ، ويسافر معه إلى الحجّ ،

فأخذ الدراهم وهرب فاختبأ في حانات الحيرة ، وخرج موسى بدونه ، حتى إذا مرّ في طريقه وشارف القادسية ، أبصره أصحابه خارجاً من الحانة ، فأخبروه ، فقال : أئتوني بعدو الله الفاجر الكذّاب ، وأمر به فقيّدوه وألقوه في بعض المحامل ، فصاح به أبو دلامة وأنشده شعراً منه :

يا أيّها الناس قولوا أجمعين معي   صلّى الإله على موسى بن داود

إنّي أعوذ بداودٍ وتربته   من أن أحجّ بكره يا ابن داود

فقال موسى : ألقوه عن المحمل عليه لعنة الله . (الملح والنوادر ٨٩) .

وغضب إبراهيم الحرّاني ، بالحجاز ، على رجل فقال له : غضب الله عليك ، **مالك لعنك الله** ، راجع تفصيل القصّة في الملح والنوادر ٤٨ ـ ٥٠ .

وشاور رجل أبا العتاهية ، فيما ينقشه على خاتمه ، فقال : أنقش عليه : **لعنة الله على الناس** . (الاغاني ٤ / ٣٧) .

وقال قاضي بغداد ، لجعفر الطبال : قم ، **عليك لعنة الله** .

وتفصيل القصّة : إنَّ إبراهيم بن المهدي ، طلب من جعفر الطبّال ، أن يحذّق إحدى جواريه الضرب بالطبل ، وله مائة دينار ، عجّل له منها خمسين . فلما حذقت ، طالب إبراهيم بتتمّة المائة ، فلم يعطه ، فشكاه إلى القاضي ، ووكّل إبراهيم عنه وكيلاً ، وأراد الوكيل أن يكسر حجّة جعفر ، فقال : أصلح الله القاضي ، سله من اين له هذا الذي يدعي ، وما سببه ؟ فقال جعفر : أصلح الله القاضي ، أنا رجل طبّال ، وقد شارطني إبراهيم على أن أحذّق جاريته ضرب الطبل ، وعجّل لي بخمسين ، ومنعني الباقي بعد أن رضي بحذقها ، فيحضر القاضي الجارية وطبلها ، وأحضر أنا وطبلي ، فإن كانت مثلي ، قضى لي عليه ، وإلاّ حذّقتها حتى يرضى القاضي .

فقال القاضي : قم ، **عليك وعليها لعنة الله** (الاغاني ١٥ / ٣٧٣ و٣٧٤) .

وغضب هارون الرشيد ، على إبراهيم بن عثمان بن نهيك ، فصاح به : **قم عليك لعنة الله** ، راجع القصّة في الفصل الخامس من هذا الباب « الرفث في الشتيمة » .

وشتم الرشيد ، الفخر الجنيدي المصري ، فقال له : **أغرب عليك لعنة الله** .

قال الأصمعي : عرض الرشيد ، خيل مصر ، فما مرّ به فرس ، إلّا وعليه سمة الفخر الجنيدي ، فقال : ويلكم من هذا الجنيدي الذي له كلّ هذا النتاج ؟ وأمر بإشخاصه . فكتب إلى عامل مصر فأشخصه . فلما أدخل عليه ، إذا عليه لحية قد أخذت لسرّته طولاً ، ولآباطه عرضاً ، وإذا هو مستعجل في مشيته ، ينظر في أعطافه . فلما رآه ، قال . أحمق ، وربّ الكعبة ، فلما دنا منه ، قال له : يا جنيدي ، من أين لك هذه الخيل ؟ قال : من رزق الله وأفضاله ، ثم قال له : ما أحسن لحيتك يا جنيدي ؟ فقال : اقبلها يا أمير المؤمنين خلعة لك ، والخيل معها ، فبك فداهما الله ، فصاح به : **أغرب عليك لعنة الله** (اخبار الحمقى ١٨٩) .

وقال الأمين ، لمخارق المغني : **لعنك الله** .

وسبب ذلك : إنّ الأمين ، خلع على مخارق ، ثلاث جباب وشي ، فلما رآه وقد ظاهر بينها ، ندم ، وتغيّر وجهه ، وأمر الطبّاخين ، بإصلاح مصليّة ، فأصلحت وأحضرت في غضارة ضخمة ، ورغيفان ، فلما وضعت بين يديه ، أمر مخارق أن يأكل معه ، فاعتذر ، فأصرّ عليه ، فلما تناول مخارق اللقمة الأولى ، صاح به الأمين : **لعنك الله** ، ما أشرهك ، نغّصتها عليّ ، وأفسدتها ، ثم رفع الغضارة ، وصبّها على مخارق ، فأتلف الجباب ،

وقال له : **قم إلى لعنة الله** . (الطبري ٨ / ٥٢١) .

وألقى أبو نواس سرّاً في حلقة أبي عبيدة ، رقاعاً ، فيها هذا البيت :

أمـر الأميـر بـأخـذ أولاد الـزنـا فتفـرّقـوا لأ تؤخـذوا فتعـاقبـوا

فقال أبو عبيدة : **من فعل هذا لعنه الله** ، فقال أبو نواس : لو علمت من فعل هذا لهجوته .

فضحـك أبو عبيـدة ، وقال : ومحتـرس من مثله وهو حـارس . (أخبار أبي نؤاس لابن منظور ١٥٥) .

وقال أبو العتاهية ، لأحد العيّارين : **أغرب لعنك الله وغضب عليك** .

وقف على أبي العتـاهيـة ، وكـان غنيّـاً بخيـلاً ، سـائـلٌ من العيّـارين الظرفاء ، وجماعة من جيرانه حوله ، فسأله ، فقال له : صنع الله لك ، فـأعاد عليه السؤال ثانياً وثالثـاً ، فكان ردّ أبي العتـاهية واحـداً ، فقال لـه السائـل : ألستَ القائل :

كـلّ حـيّ عنـد ميتتـه حـظّه من مـالـه الكـفنُ

ثم قـال : بالله عليـك ، أتريـد أن تعدّ مـالك كلّه لكفنـك ؟ قال : لا ، قال : فكم قدّرتَ لكفنك ؟ قال : خمسة دنانيـر ، قال : فهي إذن حـظّك من مـالك ، فتصـدّق عليّ بدرهم واحـد من غير حـظّك ، قال : لـو تصدّقت بـه عليك لكان من حظّي ، قال : فـواحدة أخـرى ، وهي إنّ القبور تحفـر بثلاثـة دراهم ، فأعطني درهماً ، وأقيم لك كفيلاً بأنّي أحفـر لك قبـرك به متى متَّ ، وتربح درهمين لم يكونا في حسبانك ، فإن لم احتفر ، رددتـه على ورثتك ، أوردّه كفيلي عليهم ، فخجـل أبو العتـاهية ، وقـال لـه : **أغـرب لعنـك الله ، وغضب عليك** ، ثم قال أبو العتاهية : من أجل هذا وأمثاله حرّمت الصـدقة ، فقالوا له : من حرّمها ، ومتى حرّمت ؟ (الاغاني ٤ / ١٨ و١٩) .

ولما حوصر الأمين ببغداد ، عقد مجلساً ، ونصب ستارة ، فغنّته إحدى جواريه :

كليبٌ لعمري كانَ أكثرَ ناصراً وأيسرَ جرماً منك ضرّج بالدم

فاشتدّ ذلك عليه ، وقال غنّي غير هذا ، فغنّته :

شكت فراقهم عيني فأرّقها إن التفرّق للاحباب بكّاءُ

فقال لها : **لعنك الله** ، أما تعرفين غير هذا ، فغنّت :

ما اختلف الليل والنهار وما دارت نجوم السماء في الفلك

إلاّ لنقل السلطان من مَلِكٍ قد غاب تحت الثرى إلى ملك

فأمرها بالقيام ، فقامت وذهبت . (اخبار الحمقى ٦٥) .

وغنى علّويه المغني ، المأمون ، بدمشق ، بصوتٍ من أصوات معبد .

لو كان حولي بنو أميّة لم تنطق رجال أراهم نطقوا

فغضب المأمون ، وقال : **عليك وعلى بني أميّة لعنة الله** ، ثم غنّاه بصوت لعمر الوادي :

الحين ساق إلى دمشق وما كانت دمشق لأهلنا بلدا

فاشتدّ غضب المأمون ، ورماه بقدح كان في يده ، وصاح به : **قم عنّي إلى لعنة الله** ، وحرّ سقر . (الاغاني ١١ / ٣٥٦ و٣٥٧) .

وشتم يحيى بن أكثم ، عبد الصمد بن المعذل الشاعر ، فقال له : **عليك لعنة الله** .

وسبب ذلك : إنّ عبد الصمد ، كان يهوى متيّم الهشامية ، وكانت متيّم لا تخرج إلاّ متنقّبة ، وتقدّمت يوماً إلى القاضي العنبري ، فاحتاج إلى أن

يشهد عليها ، فأمرها أن تسفر ، فقال عبد الصمد :

ولما نضت عنها القناع متيّم ... تروّح منها العنبريّ متيّما
وكان قديماً كالحَ الوجه عابساً ... فلما رأى منها السفور تبسّما
فان يصبُ قلب العنبريّ ، فقبله ... صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

فقال له يحيى : **عليك لعنة الله** ، أيّ شيء أردت منّي حتى أتاني شعرك من البصرة ؟ فقال : متيّم أقعدتك في طريق القافية (أعلام النساء ٥/٢٣) .

وأبصر أبو تمام الطائي ، ماني الموسوس ، يرمق غلاماً جميلاً ببصره ، فقال له : **لعنك الله** يا ماني ، بعد الجهاد والغزو ، تجمّش غلاماً قد بات مؤاجراً في الخمارات ؟ فقال له : ليس مثلك يخاطب ، يا أحمق (العقد الفريد ٦ / ١٧٣) .

ولما قبض الأفشين على بابك ، في السنة ٢٢٢ ، أمر عسكره فاصطفّوا صفّين ، وأمر أن لا يتركوا عربيّاً يدخل بين الصفّين ، خشية أن يقتله إنسان أو يجرحه ممن قتل أولياءه ، ثم أنزل بابك يمشي بين الصفّين في درّاعة وعمامة وخفّ ، حتى وقف بين يدي الإفشين ، ثم نزلوا به راكباً ، فلما نظر النساء والصبيان الذين في الحظيرة ، ممن كانوا في أسر بابك وأطلقوا ، إلى بابك ، لطموا على وجوههم وصاحوا ، وبكوا ، حتى ارتفعت أصواتهم ، فقال لهم الافشين : أنتم بالأمس تقولون أسرنا ، وأنتم الليلة تبكون عليه ؟ **عليكم لعنة الله** ، فقالوا : كان يحسن إلينا . (الطبري ٩ / ٥٠) .

وكان المتوكّل ، قد بسط نديمه عبادة المخنث ، المجاهر بالعهر والبغاء ، وأباح له الدخول عليه في مباذله ، فدخل عليه يوماً وهو نائم مع سوداء كان يحبّها ، فلما رآه أمرها أن تغطّي وجهها ، وبقيت رجلها ممدودة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، تنام وفي رجلك الخفّ ؟ فقال له : **قم عليك لعنة الله** (الملح والنوادر ١٤٨) .

وشتم خمارويه ، صاحب مصر والشام ، التاجر ابن الجصاص ، فقال : **لعن الله ابن الجصاص ، أفقرني في السرّ** .

وسبب ذلك : انّ ابن الجصّاص اختصّ بخمارويه ، فكان يواكله ويشاربه ، ثم سفر في تزويج ابنة خمارويه ، قطر الندى ، بالمعتضد ، وبذل في جهازها الأموال بغير حساب ، حتى أنّه لما حمل الجهاز من مصر إلى بغداد ، لحق بعض الفرش ، في الطريق مطر ، ما بين الرملة ودمشق ، فصرف في تطريته ثلاثين ألف دينار ، وأضاق خمارويه بعد هذا البذل ، إضاقة شديدة ، فقال : **لعن الله ابن الجصاص** ، أفقرني في السرّ ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج٢ ص ٣١٥ رقم القصة ٢ / ١٦٥ .

وكتب الوزير علي بن عيسى إلى أحد عمّاله ، كتاب عزله ، فقال : ولّيتك من عملي جليلاً ، فكنت حقيراً قليلاً ، مهيناً ذليلاً ، حَصِراً كليلاً ، فانصرف عليك اللعن طويلاً . (البصائر والذخائر ٢ / ١ / ٥٧) .

وفي السنة ٣٠٩ اعتقل حامد بن العباس ، الحّلاج ، في دار العامّة بدار السلطان ، فجاء أحد الموكّلين به من غلمان حامد ، وذكر إنّه دخل عليه ومعه طبق الطعام الذي يقدّم إليه في كلّ يوم ، فوجد الحّلاج قد ملأ البيت من سقفه إلى أرضه وجوانبه ، فرمى الطبق ، وعاد وهارباً ، فكذّبه حامد ، وشتمه ، وقال له : **لعنك الله** ، أغرب عنّي (تجارب الأمم ١ / ٨٠) .

وغضب محمد بن خلف النيرماني ، كاتب ابن أبي الساج ، على كاتبه الحسن بن هارون ، فقال له : **يا عاضّ (يا عاضّ بظرأمّه)** بلغني أنّك شنّعت عليّ عند الوزير ببغداد ، **والله يا كلب** لأضربنّك خمسمائة سوط ، إمض إلى **لعنة الله** (تجارب الأمم ١ / ١٥٧) .

وفي السنة ٢٨٦ تسلّم عمرو بن الليث الصفّار عهداً من الخليفة بتوليته ما وراء النهر إضافة إلى ما بيده من البلدان ، فجهّز جيشاً بقيادة محمد بن بشير ، لمحاربة إسماعيل الساماني ، فدخل موسى السجزي على محمد بن بشير ، فوجده يحلق رأسه ، فقال له : هل استأذنت إسماعيل في حلق رأسك؟ يعني أنّ رأسه لإسماعيل، فغضب محمد ، وقال له : **اغرب عنّي ، لعنك الله** ، واشتبكوا من الغد في المعركة ، فانتصر اسماعيل ، وقتل محمد (وفيات الأعيان ٦ / ٤٢٦) .

ولما عزل الوزير ابن الفرات عن وزارته الثانية ، وخلفه حامد بن العباس ، أدخل الفراشون المحسّن ، ابن الوزير ابن الفرات ، إلى حضرة حامد ، مكوّراً في كساء أسود ، فأمر حامد بالمحسّن ، فصفع ، وأخذ المحسّن يصرخ ، وحامد يقول للصافع : جوّد ، وأخذ المحسّن يصيح : الله ، الله ، قد ذهبت ـ والله ـ عيني ، وحامد يقول : **إلى لعنة الله** ، راجع التفصيل في كتاب الوزراء للصابي ٢٦٤ .

وروى أبو القاسم الصفار ، إنّه رافقه من رأس العين ، أعرابّي أراد أن يغدر به ويقتله طمعاً في ماله ، وسبقه أبو القاسم فأغلق عليه ناووساً لا يمكن أن يفتح إلّا من الخارج ، فلما أحسّ الأعرابيّ بمصيره ، صاح به : قتلتني ، والله ، فصاح به أبو القاسم : **إلى لعنة الله** ، راجع القصّة بتمامها في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصّة رقم ٥ / ١٣١ ج٥ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٣ .

وروى أبو المغيرة الشاعر ، عن شخص إنّه ضرب بسيفه نبّاشاً ، فصاح : أوه ، قتلتني **لعنك الله** ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج٣ ص ٢٣٧ رقم القصة ٣ / ١٥٢ .

وروى التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة ، في القصّة رقم ٤ / ٢٣ إنّه حضر مع أبي الفتح عبد الواحد بن هارون ، مجلس أبي الغنائم ، ابن

الـوزير المهلّبي ، لتهنئتـه بشهر رمضـان ، وأبصـرا أبـا الغنـائم ، وهـو إذ ذاك صبيّ ، قد جلس في دسته ، وقـد حفّ به رجـال الدولـة ، فورد الخبـر بوفـاة والده ، فاعتقل فوراً ، فتعلّق بدرّاعة أحد الحاشية ، وأخذ يبكي ، ويقول : يا عمّ ، الله ، الله ، فيّ ، فقال أبو الفتح : **لعن الله الدنيا** ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة ج٤ ص ٤٩ ـ ٥١ .

وقـال عضـد الـدولـة ، للقـاضي التنـوخي ، صـاحب كتـاب نشـوار المحاضرة ، وقد غضب عليه ، وعلى أبي الفضل الشيرازي : إنّا لله ، **لعنكما الله** ، ولا بـارك فيكما ، راجـع تفصيـل القصّـة في كتـاب نشـوار المحـاضـرة للتنوخي ج٤ ص ٩٨ رقم القصة ٤ / ٤٥ .

وروى التنـوخي ، في كتابـه نشوار المحـاضرة وأخبـار المـذاكـرة ، في القصة المرقمة ٥ / ٥٧ إنّ فتى قال لمربيته ، لما قصّت عليه قصّة أمّه وزوجته : حسبي حسبي ، اقطعي ، لا تقولي شيئاً ، **لعن الله تلك المرأة** ، **ولا رحمها** ، **ولعنك معها** ، راجع القصّة في كتاب النشوار ج٥ ص ١٢٢ ـ ١٢٨ .

وغضب أحد الخـدم الموكّلين بـأبواب الحـرم في قصر الخليفـة المقتدر ، على إحدى القهرمانات ، فقال لها : خذي صندوقـك ، أنت وهو ، **إلى لعنـة الله** ، ومـرّي ، راجع القصّـة مفصّلة في كتـاب الفرج بعـد الشـدة للتنـوخي ، تحقيق المؤلّف ، رقم القصة ٤٧٨ .

وغضبت قينـة على مستمعيها ، فقـالت لهم : انتم قوم سفـل ، **لعنة الله على من يعاشركم** ، راجع تفصيل القصّة في الأغاني ط بولاق ٢٠ / ٦٥ .

وشتم السلطان الشهيد نور الـدين محمود ، سـاعياً ، فقـال عنه : **لعنـه الله** .

وتفصيـل القصة : إنّ تـاجراً مـوسراً في حلب ، تـوفّي في أيّام السلطان الملك العـادل نور الـدين محمود ، فكتب بعض من بحلب ، إلى السلطان ،

يذكر لـه وفاة هـذا التاجـر ، وأنّه خلّف آلاف الـدنانيـر ، وله ولـد عمره عشـر سنين ، وحسّن له أن يرفع المال إلى الخـزانة ، إلى أن يكبـر الصغير فيـرضى بقسط منـه ، ويمسك البـاقي للخزانـة ، فكتب نور الـدين على الرقعـة : أمّـا الميت فرحمه الله ، وأمّا الولد فأنشأه الله ، وأمّا المال فثمّره الله ، وأمّـا الساعي فلعنه الله (اعلام النبلاء ٢ / ٦٨) .

وفي السنة ١١٩١ قتل الأمير يوسف بك ، من كبار المماليك بالقاهـرة ، وكان قبل قتله قد حصلت له حادثة مـع جماعـة من الأزهريين ، خـلاصتها أنّ شيخاً أزهرياً اسمه عبد الباقي ، طلق ابنة أخيه من زوجها في غياب الـزوج ، وزوّجها من شخص آخر ، فلما حضر الزوج من الفيّوم ، وعرف الأمر ، راجع الأمير يوسف بك ، وشكا إليه الحال ، فأرسل أعواناً ، قبضوا على الشيخ عبد البـاقي ، وأهانوه ، وأحضـروه ، والقيـود الحـديـد في عنقـه ، وفي رجليـه ، وحبسه ، فركب جماعة من شيوخ الأزهر إلى يوسف بك ، وخاطبوه في إطلاق الشيخ عبد البـاقي ، فاغتـاظ منهم ، وقال : من يقـول إنّ المرأة لهـا أن تطلّق زوجهَـا إذا غاب عنهـا ، وعندهـا ما تنفقـه ، وما تصـرفه ، ووكيله يعـطيها مـا تطلبه ، ثم يأتي من غيبته فيجدها مع غيره ؟ فقالوا له : هذا قول في المالكيـة معمول به ، ونحن أعـرف بالأحكـام منك ، فقـال لهم يوسف بـك : لو رأيت الشيخ الذي فسخ النكاح ، فقال الشيخ الجـداوي : أنا الـذي فسخت النكاح على قاعدة مـذهبي ، فاغتـاظ منه يـوسف بك ، وقـام على أقدامـه ، وصرخ فيه : والله ، أكسر رأسك ، فصرخ عليـه الشيخ علي الصعيـدي وسبّه ، وقـال له : لعنك الله ، ولعن اليسرجي الذي جـاء بك ، ومن بـاعك ، ومن اشتـراك ومن جعلك أميـراً ، وأخذوا الشيـخ عبـد البـاقي من الحبس ، وخـرجـوا وهم يسبّون (الجبرتي ١ / ٥١٢) .

٢ ـ قولهم : عدوّ الله

العداوة : الخصومة والمباعدة
والعدوّ : الخصم

قال عبد الله بن مسعود ، لأبي جهل بن هشام : **يا عدوّ الله** .

وتفصيل ذلك : إنّ أبا جهل بن هشام ، كان من أشدّ المؤلّبين على النبي صلوات الله عليه ، وكان يؤذي عبد الله بن مسعود بمكّة ، وسقط أبو جهل في معركة بدر جريحاً مرتّثاً ، فوقف عليه عبد الله بن مسعود ، وقال له : **يا عدوّ الله ، أخزاك الله** ، فقال له : أخبرني لمن الدبرة ؟ فقال : لله ولرسوله (الطبري ٢ / ٤٥٥) .

وشتم عروة بن مسعود ، ابن اخيه المغيرة بن شعبة ، فقال له : **يا عدوّ الله** ما غسلتُ عنّي سوأتكَ إلّا بالأمس ، يا غُدَر (الاغاني ١٦ / ٨٢) .

وكان المغيرة بن شعبة ، صحب قوماً في الجاهلية ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صلوات الله عليه : أمّا الإسلام فقد قبلنا ، وأمّا المال فإنّه مال غدر ، لا حاجة لنا فيه (الطبري ٢ / ٦٢٧) .

وشتم عمارة بن حزم ، وهو صحابي عقبي بدري ، زيد بن لصيب ، أحد المنافقين ، قال له : **يا عدوّ الله** ، اخرج من رحلي ، وسبب ذلك ، إنّهما كانا من جيش النبي في غزوة تبوك ، فندت ناقة النبي ، فقال زيد : إنّ محمداً يزعم أنّه يخبركم بخبر السماء ، وهو لا يدري أين ناقته ، وكان زيد في رحل عمارة ، وبلغ عمارة ما قال زيد ، فجاء إليه ، ووجأ عنقه ، وهو يقول : في

رحلي داهية ولا أدري ، أخرج عنّي يـا عدوّ الله (ابن الأثيـر ٢ / ٢٧٩ و٢٨٠ والطبري ٣ / ١٠٦) .

وقال المهاجر ، قائد جيش المسلمين للأشعث بن قيس : **يا عدوّ الله** .

وتفصيل ذلك : أنّه في السنة ١١ ارتدّ الأشعث بن قيس باليمن ، وجمع أقواماً معه من كندة ، وحاربه المسلمون ، فانهـزمت كندة ، واستـأمن الأشعث على نفسـه وعلى تسعـة نفـر معـه ، يؤمّنـون على أنفسهم وأهـاليهم ، وكتب بذلك كتـاباً ، ولكنّـه نسي أن يثبت اسمه في الكتـاب ، فلما أجـاز المسلمون الأشخـاص الـذين وردت أسمـاؤهم في الكتـاب ، ولم يكن الأشعث مـن بينهم ، قال له المهاجر ، قائد جيش المسلمين : يا أشعث ، **يا عدوّ الله** ، قد كنت أشتهي أن يخزيك الله ، وشدّه وثاقاً ، وهمّ يقتله ، ثم بعث به مع السبي إلى أبي بكر ، فكان المسلمون يلعنونه ، ويلعنه سبايا قومه ، ويسمونه : عرف النار ، وهو ما يسمّي به اليمانون الغادر (الطبري ٣ / ٣٣٨) .

وشتم الفاروق عمر ، شجرة بن عبد العزّى ، وقال له : **أي عدوّ الله** .

وسبب ذلك : إنّ أبا شجـرة ، أرتدّ بعـد إسلامـه ، في أيّام أبي بكـر ، وقال أبياتاً منها :

فروّيت رمحي من كتيبة خـالدٍ وإنّي لأرجـو بعدهـا أن أعمّرا

ثم إنّ أبا شجرة أسلم بعد ذلك ، وقدم المدينة في أيّام الفـاروق عمر ، وجاءه وهو يقسم الصدقة بين فقراء العرب ، فقال : يا أمير المؤمنين أعطني ، فإنّي ذو حاجة ، قال : من أنت ؟ فقال : أبو شجرة بن عبد العـزى السلمي ، فقال له عمر : **أي عدوّ الله** ، ألست الذي تقول :

فـروّيت رمحي من كتيبـة خـالـد

وأخذ يضربه بالدرة على رأسه ، ففاته عدواً (الطبري ٣ / ٢٦٧) .

ولما أعطى عثمان ، مروان بن الحكم ، وغيره من أقربائه ، من بيت المال ، اعترض أبو ذر على ذلك ، فنفاه إلى الشام ، فأخذ يعترض على أعمال معاوية هناك ، فأحضره معاوية ، وقال له : **يا عدو الله وعدوّ رسوله** ، إما إنّي لو كنت قاتلاً رجلاً من أصحاب النبي ، من غير إذن أمير المؤمنين لقتلتك ، فقال له أبو ذرّ : ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله ، **بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله** ، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر ، فحبسه معاوية ، وكتب بخبره إلى عثمان ، فأمره عثمان بأن يعيده إلى المدينة (شرح نهج البلاغة ٨ / ٢٥٨) .

وقالت أمّ المؤمنين عائشة : خذوا بيد **عدوّة الله** .

وسبب ذلك : أنّ أم أفعى العبدية ، دخلت على أمّ المؤمنين عائشة ، فقالت لها : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً صغيراً لها ؟ قالت : وجبت لها النار ، قالت : فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً ؟

قالت : **خذوا بيد عدوّة الله** (اعلام النساء ١ / ٥٨) .

ولما ضرب عبد الرحمن بن ملجم ، الإمام علياً بالسيف ، وأخذ ، وأدخل على الإمام ، فقالت له أمّ كلثوم إبنة عليّ : **يا عدوّ الله** ، قتلتَ أمير المؤمنين . فقال : لم أقتل أمير المؤمنين ، وإنّما قتلت أباك . (الأخبار الطول ٢١٤) .

وقال الإمام عليّ ، لعبد الرحمن بن ملجم ، لما ضربه بالسيف : **أي عدوّ الله** ، ألم أحسن إليك ؟ قال : بلى ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : شحذت سيفي أربعين صباحاً ، وسألت الله ، أن يقتل به شرّ خلقه ، فقال عليه السلام : ما أراك إلّا مقتولاً به ، ولا أراك إلّا من شرّ خلقه ، ثم قال لابنه الحسن : إن متّ من ضربته هذه ، فضربة بضربة ، ولا يمثّل بالرجل ،

فأنّي سمعت رسول الله يقول : إيّاكم والمثلة ، ولو بالكلب العقور . (اعلام النساء ٤ / ٢١٠) .

ولما ضرب عبد الرحمن بن ملجم ، الإمام علي بالسيف ، وانصرف الناس من صلاة الصبح ، أحدقوا بابن ملجم ، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم السباع ، ويقولون : **يا عدوّ الله** ، ماذا صنعت ، أهلكت أمّة محمد ، وقتلت خير الناس ، وإنّه لصامتٌ ما ينطق (شرح نهج البلاغة ٦ / ١١٨ و١١٩) .

وقال معاوية ، لآمنة بنت الشريد : **يا عدوّة الله** .

وسبب ذلك : أنّ عمرو بن الحمق الخزاعي ، زوج آمنة ، كان من اتباع عليّ ، ولما قتل عليّ ، وصالح الحسن معاوية ، كان من جملة شروط الصلح ، أن لا يتطلّب معاوية أحداً من أصحاب عليّ ، عن تصرّفات سابقة ، ولكن معاوية لم يف بما اشترط على نفسه ، وبعث في طلب شيعة عليّ ، وكان عمرو بن الحمق الخزاعي من جملتهم ، فراغ منه ، فأرسل إلى آمنة زوجة عمرو ، فحسبها في سجن دمشق ، وظلت سجينة سنتين ، حتى ظفر معاوية بعمرو ، وقتله ، وقطع رأسه ، وبعث بالرأس إلى آمنة ، وهي في سجنها ، وأمر الحرسي أن يطرح الرأس في حجرها ، ففعل الحرسي ذلك ، فارتاعت آمنة ، ساعة ، ثم وضعت يدها على رأسها ، وقالت : واحزناه ، نفيتموه عنّي طويلاً ، وأهديتموه إليّ قتيلاً ، فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية ، وأنا اليوم له غير ناسية ، ثم قالت للحرسي : أيّها الرسول ، ارجع إلى معاوية ، وقل له : أيتم الله ولدك ، وأوحش منك أهلك ، ولا غفر لك ذنبك ، فأخبر الحرسي معاوية بما قالت ، فأحضرها ، وقال لها : **يا عدوة الله** ، أنت صاحبة الكلام الذي بلغني ؟ (اعلام النساء ١ / ٤) .

وقال زياد بن أبيه ، لفتى من كندة : **يا عدوّ الله** .

في السنة ٥١ طلب زياد فتى من كنده اسمه صيفي بن فسيل ، فجيء به اليه ، فقال له : **يا عدوّ الله** ، ما تقول في أبي تراب ؟ فقال : ما أعرف أبا

تراب، فقال له: أما تعرف علي بن أبي طالب؟ قال: بلى قال: فذاك أبو تراب، قال : كلاّ ، ذاك أبو الحسن والحسين ، فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير هو أبو تراب ، وتقول أنت لا ، فقال : وإن كذب الأمير ، أتريد أن أكذب ، وأشهد له على باطل كما شهد ، فقال زياد عليّ بالعصا ، فأتي بها ، ثم قال له : ما قولك في علي ؟ قال : أحسن قول أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين ، فأمر به ، فضرب بالعصا حتى لزم الأرض ثم أقلعوا عنه ، وسأله : ما قولك في علي ؟ فقال : والله ، لو شرحتني بالمواسي والمدى ، ما قلت إلاّ ما سمعت منّي (الطبري ٥ / ٢٦٦) .

وشتم يزيد بن معاوية ، السيدة زينب ابنة الإمام عليّ ، فقال لها : **يا عدوّة الله** .

وسبب ذلك : أنّه لما قتل الإمام الشهيد الحسين ، في كربلاء ، وسيق بناته وجميع النساء سبايا إلى دمشق ، وأوقفن أمام يزيد ، نظر أحد الشاميّين ، من اتباع يزيد ، إلى فاطمة بنت الإمام علي ، وكانت صغيرة وضيئة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هب لي هذه، فارتعدت فاطمة ، وتعلّقت بأختها زينب، فصاحت به زينب : كذبتَ ، ولؤمتَ ، ما ذاك لك ، ولا له . فغضب يزيد ، وقال لها : كذبتِ ، انّ ذلك لي ، ولو شئت أن أفعله ، فعلته . فقالت له : كلاّ ، والله ، ما جعل الله لك ذلك ، إلاّ أن تخرج من ملّتنا ، وتدين بغير ديننا . فاستطار يزيد غضباً . وقال : إنّما خرج من الدين أبوك ، وأخوك . فقالت : بدين الله ، ودين أخي ، وأبي ، وجدّي ، اهتديت أنت ، وأبوك ، وجدّك ، فقال : **كذبت يا عدوّة الله** . فقالت : أنت أمير مسلّط ، تشتم ظالماً ، وتقهر بسلطانك ، فسكت . وعاد الشامي يطالب يزيد ، ويقول له : هب لي هذه الجارية ، فصاح به يزيد : **أغرب ، وهب الله لك حتفاً قاضياً** . (اعلام النساء ٢ / ٩٤ و٩٥) .

وشتم عـديّ بن حاتم الـطائي ، عبد الله بن كـامل أحـد قـوّاد المختـار الثقفي ، فقال له : **يا عدوّ الله**.

وسبب ذلك : أنّ حكيم بن طفيل الـطائي ، كان قـد اشترك في معـركة الـطفّ وأصـاب سلب العبـاس أخـا الحسين ، ورمى الحسين بسهم ، وكـان يقول : تعلّق سهمي بسرباله وما ضرّه ، فأمر المختـار قائـده عبدالله بن كـامل بإحضاره ، فذهب إليه وأخـذه ، وأقبل بـه ، وذهب أهله فاستغـاثوا بعـدي بن حاتم الطائي ، فكلّم عديّ عبدالله بن كامل في إطـلاقه ، فقـال له : إنَّ أمـره إلى الأمير المختار ، فمضى عديّ نحو المختار . فقال أصحاب عبدالله : إنَّـا نخـاف أن يشفّع الأميـر عديّـاً في هذا ، فـدعنا نقتله ، فقـال : شـأنكم بـه ، فنصبوه غرضـاً، ورموه بـالسهام رشقـاً واحداً ، فخـرّ ميتاً وكـأنّه قنفـذ من كثرة النبـل ، ولما فـرغ عبدالله منـه ، دخل على الأميـر المختـار ، فـوجـد عـديّ عنده ، فسأله المختار عن حكيم ، فقال : قتلته الشيعـة ، وقد غلبتني عليـه ، فلم أتمكّن من خلاصه ، فقال له عديّ : **كذبت يا عدوّ الله** ، ولكنّك علمت أنّ من هـو خيـر منـك سيشفّعني فيـه ، فبـادرت بقتله ، فغضب ابن كـامـل ، وآستوفز لعديّ يريد أن يردّ عليه ، فـوضع المختـار إصبعه على فيـه ، آمراً لـه بالسكوت ، فسكت (الطبري ٦/ ٦٠ـ ٦٢).

وحصر الخوارج ، في السنة ٦٨ مدينة إصبهان ، فكـانوا يتشـاتمون مـع المحصورين يقول كلّ واحد منهم للآخر : **يا أعداء الله** .

في السنـة ٦٨ حصر الخـوارج مدينـة اصبهان ، وفيهـا القائـد عتّاب بن ورقاء ، فكان يخـرج إليهم في كلّ يـوم يقاتلهم على بـاب المدينـة ، ويرميهم من فـوق السور، بـالنبل والنشّـاب والحجـارة، وكـان فيهم رجـل شجـاع من حضرموت ، يقال له : أبو هريرة ، فكان أبو هريـرة يحمل على الخـوارج وهو يرتجز :

كيف تـرون يا كـلاب النار   شـدّ أبي هـريـرة الهـرّار
يهـرّكم بـالليـل والنهــار   يا ابن أبي الماحوز والأشرار

فاغتاظ الخـوارج من شتمه لهم ، وكمن لـه أحدهم ، وضـربـه بالسيف على حبـل عـاتقـه ، فصـرعـه ، وآحتمله أصحـابه ، فأدخلوه وداووه ، فكـان الخوارج ينادونهم : **يا أعداء الله** ، ما فعل أبو هريـرة الهرّار ، فيجيبـونهم : **يا أعداء الله** ، ما عليـه بأس ، ولم يلبث أبـو هريـرة أن برىء ، وخـرج عليهم ، فقالوا له : **يا عدوّ الله** ، لقد رجونا أن نكون قد أزرنـاك أمّك ، فقـال لهم : يا فسّاق ما ذكركم أمّي ، فأخذوا يقولـون : إنّه ليغضب لأمّـه وهو آتهـا عاجـلاً ، فقال له أصحابه : ويحك ، إنّما يعنـون النار ، ففـطن ، وقال لهم : **يـا أعداء الله** ، مـا أعقّكم لأمّكم حين تنتفون منهـا ، إنّما تلك أمّكم ، وإليهـا مصيـركم (الطبري ٦ / ١٢٥ و١٢٦) .

وفي السنـة ٦٨ لمـا قتـل مصعب بن الـزبيـر ، المختـار الثقفي ، أخـذ أسماء بنت النعمان بن بشير الأنصاري ، امرأة المختار ، وقال لها : مـا تقولين في المختار ؟ فقالت : إنّه كان تقيّاً ، صوّاماً ، قوّاماً ، فقال لها : **يا عـدوّة الله** أنتِ ممن يـزكيه ؟ وأمـر بها فقـطعت عنقها ، وكـانت أوّل امرأة ضـرب عنقهـا صبراً . (اليعقوبي ٢ / ٢٦٤) .

ولما أعلن عبد الله بن الـزبيـر ، خـلافتـه بمكـة ، انحـاز إليـه قـوم من الخوارج ، ثم سألوه عن رأيه في عثمان ، فامتدحه ، وقال : أنا وليّ أوليـائه ، وعدوّ أعدائه ، قالوا : **فبرىء الله منك يا عـدوّ الله** ، قال : فبـرىء الله منكم **يا أعداء الله** . (الطبري ٥ / ٥٦٦) .

وتقـابـل جنـد البصـرة ، يقـودهم المهلّب ، بسـولاف ، بــالخـوارج ، فتشاتموا ، فقال لهم أصحاب المهلّب : **يـا أعداء الله** ، وقـال لهم الخوارج : **يا اخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا** .

تصافّ في السنة ٧٢ جند البصرة يقودهم المهلّب بن أبي صفرة ، والخوارج ، وكان الخوارج قد بلغهم خبر مقتل مصعب بن الزبير بدير الجاثليق وانتصار عبد الملك بن مروان ، فقالوا لجند البصرة : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : إمام هدى ، وهو وليّنا في الدنيا والآخرة ، ونحن أولياؤه أحياءً وأمواتاً ، قالوا : فما قولكم في عبد الملك بن مروان ؟ قالوا : ذاك ابن اللعين ، نحن إلى الله منه براء ، وهو عندنا أحلّ دماً منكم ، ونحن أعداؤه أحياءً وأمواتاً ، قالوا : فإنّ امامكم مصعباً قد قتله عبد الملك بن مروان ، ونراكم ستجعلون غداً عبد الملك إمامكم ، وأنتم الآن تتبرّؤن منه ، وتلعنون أباه ، قالوا : كذبتم **يا أعداء الله** ، فلما كان من الغد ثبت لهم قتل مصعب ، فبايع المهلّب الناس لعبد الملك ، فأتتهم الخوارج ، فقالوا : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : **يا أعداء الله** ، لا نخبركم ما قولنا فيه ، فقالوا ، ما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : هو إمامنا وخليفتنا ، فقالت لهم الأزارقة : **يا أعداء الله** ، أنتم بالأمس تتبرّأون منه في الدنيا والآخرة ، وهو اليوم إمامكم وخليفتكم ، وقد قتل إمامكم الذي كنتم تتولّونه ، فأيّهما المحقّ ، وأيّهما المهتدي ، وأيّهما الضالّ ، قالوا : **يا أعداء الله** ، رضينا بذاك ، فقال لهم الخوارج : **يا إخوان الشياطين ، وأولياء الظالمين ، وعبيد الدنيا** (الطبري ٦ / ١٦٨ و١٦٩ وسرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ١٠٧) .

وقال الأخطل لعبد الملك بن مروان ، وكان قد أجلس زفر بن الحارث الكلابي معه على السرير : يا أمير المؤمنين ، **أتجلس عدوّ الله** هذا معك على السرير وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

فقبض عبد الملك رجله ، وركل بها صدر زفر حتى قلبه عن السرير فقال زفر : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، والعهد الذي أعطيتني ، وكان زفر قد حارب عبد الملك ، ثم نزل إليه بالأمان وبايعه (الاغاني ٨ / ٢٩٧) .

وقال الحجاج ، لإحدى الجواري : **يا عدوّة الله** ، دفعتك إلى ابن عمّي ، فهربتِ .

وتفصيل القصة : إنّ فتى من قريش ، كانت له جارية ، وكان بها معجباً ، ثم أضاق ، فحملها إلى العراق ، واشتراها الحجّاج ، وقدم على الحجاج ، فتى من ثقيف ، فأنزله وألطفه ، ورآه يحدّ النظر إلى الجارية ، والجارية تسارقه النظر ، فأهداها إليه ، فما لبثت إلّا سواد ليلتها ، وهربت منه ، فأمر بالبحث عنها ، وجيء بها إليه ، فقال لها : **يا عدوّة الله** ، اخترتُ لك ابن عمي ، شاباً حسن الوجه ، ورأيتك تسارقينه النظر ، فهربتِ . فقالت يا سيّدي ، اسمع قصّتي ، كنت لفلان القرشي ، وجاء بي إلى الكوفة ليبعني ، فلما صرنا قريباً من الكوفة ، بتنا خارجها ، فسمع زئير الأسد ، فنهض واخترط سيفه ، وقتل الأسد ، وعاد وما برد ما به ، أما ابن عمّك هذا ، فإنّه لما أظلم الليل ، وقعت فارة من السقف على ظهره ، فضرط ، ثم وقع مغشياً عليه ، فمكثت طويلاً أقلبّه ، وأحرّكه ، وأرشّ الماء على وجهه ، وهو لا يفيق ، فخفت أن تتّهمني بقتله ، فهربتُ . فقال لها الحجاج : ويحك ، لا تعلمي بهذا أحداً ، فإنّه فضيحة . قالت : يا سيّدي ، على أن لا تردّني إليه . (البصائر والذخائر ٣ / ١ / ٣٢٢) .

وتحرّش الفرزدق ، بامرأة شريفة ، فأخبرت النوار زوجته بذلك ، فقالت لها : واعديه ، فواعدته ، وأخبرت النوار ، فحضرت ، فلما جاء الفرزدق ، وجد زوجته النوار ، فقالت له : **يا عدوّ الله ، يا فاسق** . (الاغاني ٢١ / ٣٦٠ و٣٦١) .

ولما قتل الحجاج ، عبد الله بن الزبير ، بعث إلى أمّه أسماء بنت أبي بكر الصدّيق أن تأتيه ، فأبت ، فقال : والله ، لئن لم تأتني لأبعثنّ إليها من يجرّ بقرون رأسها ، ويسحبها حتى تصل إليّ ، فأصرّت على الإباء . فأقبل

الحجاج حتى وقف عليها ، وقال لها : كيف رأيت ما فعل الله بأبنك عدوّ الله ؟ فقالت : إنّ الله قد اختاره ، بلغني يا حجّاج إنّك تتنقّصني ، إذ تسمّيني ذات النطاقين ، أو تدري ما نطاقاي ؟ أمّا الأوّل فقد شددت به سفرة رسول الله يوم غزوة بدر ، وأمّا الثاني فأوثقت به نطاق بعيره ، فقال لي : إما أنّ لك بهما نطاقان في الجنة (الامامة والسياسة ٢ /٣٥) .

ولما انتصر الحجاج بجنود الشام ، على أهل العراق ، في واقعة دير الجماجم ، جيء إليه بأعشى همدان ، فقال له : **إيه يا عدوّ الله** ، أنشدني قولك : بين الأشجْ وبين قيسٍ ، وهي أبيات مدح بها عبد الرحمن بن الأشعث ، فأنشده إيّاها ، فلما وصل إلى البيت ، في مدح عبد الرحمن :

بين الأشجّ وبين قيس باذخ　　　بخ بخ لوالده وللمولود

قال له الحجّاج : لا والله لا تبخبخ بعدها لأحد أبداً ، ثم قدّمه فضرب عنقه (الطبري ٦ / ٣٧٥ ـ ٣٧٨) .

وشكت السيدة سكينة زوجها زيد بن عمرو بن عثمان ، إلى أمير المدينة ، عمر بن عبد العزيز ، فأحال القضيّة إلى القاضي ابن حزم ، وعقد القاضي مجلس القضاء في بيته ، ودخلت سكينة ، وثنيت لها الوسادة ، وجلست تحفّ بها ولائدها ، فقال لها القاضي : يا ابنة الحسين ، إنّ الله يحبّ القصد في كل شيء ، فقالت له : وما أنكرت منّي ؟ إنّي وإيّاك لكالذي يرى الشعرة في عين صاحبه ولا يرى الخشبة في عينه ، فقال لها : أما والله لو كنتِ رجلاً لسطوتُ بكِ ، فقالت له : يا ابن فرتنى ، ألا تزال تتوعّدني ، أما والله ، لو كان أهل الحرّة أحياء لقتلوا هذا العبد اليهوديّ عند شتمه إيّاي ، أي عدوّ الله ، تشتمني ، وأبوك الخارج مع يهود صبابة بدينهم ، لما أخرجهم رسول الله إلى أريحاء ، وكان القاضي يقلق لأنّ امرأته تسمع هذه الأقوال فيه ، ثم حكم بأن سكينة إن جاءت ببيّنة وإلاّ فاليمين على زيد ، وعادوا إلى

عمر بن عبد العزيز فأخبروه الخبر ، فجعل يضحك حتى أمسك بطنه ، ثم أصلح بين سكينة وزوجها (الاغاني ١٦ / ١٥٦ و١٥٧) .

وحجّ سليمان بن عبد الملك في السنة ٩٧ ، فبعث إلى أبي حازم ، وحادثه ، وكان من جملة الأسئلة التي وجهها إليه : ماذا تقول فيما نحن فيه ؟ فقال : إنّ آباءك قهروا الناس بالسيف ، وأخذوا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضا ، حتى قتلوا عليه مقتلة عظيمة ، فقال له رجل من الجلساء : بئس ما قلت يا أبا حازم ، فقال له أبو حازم : **كذبت يا عدوّ الله** ، إنّ الله أخذ ميثاق العلماء ، ليبيّننّه للناس ، ولا يكتمونه . (وفيات الأعيان ٢ / ٤٢٢ و٤٢٣) .

وأدخل مخنّث على العريان بن الهيثم ، صاحب شرطة الكوفة ، فقال له : **يا عدوّ الله** ، أتتخنّث وأنت شيخ ؟ فقال : مكذوب عليّ ، كما كذب على الأمير أعزّه الله ، فاستوى جالساً ، وقال له : ما قيل فيّ ؟ قال : يسمّونك العريان وعندك أكثر من عشرين جبّة . (الاذكياء ١٤٦) .

وادعى رجل على آخر ، عند إياس القاضي ، إنّه أودع عنده مالاً ، وجحده الآخر ، فقال إياس للمدعي : أي شيء كان في الموضع الذي استودعته المال فيه ، فقال : شجرة ، فقال له : اذهب إليها وانظر فعلّه يتبيّن لك ما يؤدّي إلى الحصول على حقّك ، فذهب ، وبعد هنيهة ، التفت إياس إلى المدعى عليه الجاحد ، وسأله : تراه وصل إلى الشجرة ؟ فقال له : كلا ، فقال له إياس : **يا عدوّ الله إنّك لخائن** ، وألزمه بأداء ما استودع . (وفيات الاعيان ١ / ٤٦٧) .

ولما هجا الكميت اليمن ، دسّ له خالد القسري عند هشام بن عبد الملك ، من أنشده قصائد الكميت في مدح العلويين ، فأمر بحبسه ، فأخذه خالد وحبسه ، وزارته امرأته في السجن ، فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته ،

فخرج من السجن واستتر ، ولمـا طال الأمـر على السجّان ، نـادى الكميت ، فلم يجبه ، ودخل ليعـرف خبره ، فصـاحت به المـرأة : وراءك ، لا أمّ لك ، فمضى السجّان صارخـاً إلى خالـد ، فأحضرهـا ، وقـال لها : يـا عدوّة الله ، احتلت علينا ، لأمثّلنّ بك ، فاجتمع عليه بنو أسـد ، فخافهم ، وخلّى سبيلهـا (الاغاني ١٧ / ٤ و٥) .

وقال يوسف بن عمر ، لرجل ولّاه عملاً : يا عدوّ الله ، أكلت مال الله ، فقال له : فمـال من آكل منـذ خلقت إلى الساعـة ؟ والله ، لو سـألت الشيطان درهماً واحداً ما أعطانيه (وفيات الأعيان ٧/١٠٨).

وجيء إلى عتبة بن النهاس العجلي ، بامرأة من الخوارج ، فقال لهـا : يـا عـدوة الله ، مـا خـروجـك على أميـر المؤمنين ؟ ألم تسمعي قـول الله عـزّ وجلّ :

كتب القتـل والقتـال علينـا   وعلى الغانيات جرّ الذيول

فهـزّت رأسها ، وقـالت : يا عـدوّ الله ، جهلك بكتاب الله حملني على الخروج (معجم الأدباء ٦ / ٩٤) .

ولما حبس مروان الحمار، ابراهيم الإمام، أراد أصحابه أن يعرفـوا لمن يوصي بالأمر من بعده، فذهب يقطين في صورة تاجر إلى حرّان، وادّعى أنّ له مالاً على إبراهيم ، ودخل عليه السجن ، فقال له : يا عـدوّ الله ، إلى من أوصيتَ بعـدك آخذ مـالي منه ؟ ففهمهـا ابراهيم ، وقـال : ابن الحارثيّـة ، يعني أخاه السفّـاح ، فعـاد يقطـين إلى أصحـابـه ، وأعلمهم بـالأمـر ، فبـايعـوا السفّـاح (الاعلام ٩ / ٢٧٤) .

وقـالت زينب بنت سليمان بن علي العبـاسية ، لمـزنـة ، زوجـة مـروان الأموي ، آخر حكّـام بني أميّة : لا حيّـاك الله ، ولاقرّبـك ، الحمد لله الـذي

أزال نعمتك ، وأدال عزّك ، وصيّرك عبرة ونكالاً ، أتذكرين **يا عدوّة الله** حين أتاك عجائز أهل بيتي يسألنك أن تكلّمي صاحبك في إنزال إبراهيم بن محمد من خشبته ، فلقيتهنّ ذلك اللقاء ، وأخرجتهنّ ذلك الإخراج ، الحمد لله الذي أزال نعمتك ، راجع القصّة مفّصلة في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٨٩ .

وتشاتم إبراهيم الموصلي ، مع جوار لا يعرفهنّ ، فقلن له : **يا عدوّ الله** ، وقال لهن : **يا عدوّات الله** .

روى ابراهيم الموصلي ، إنّه قصد قصر الخلافة ، بعد صلاة المغرب ، ومرّ في طريقه بزنبيلٍ كبير على الأرض ، مستوثق منه : بحبال ، وأربع عرى أدم ، وقد دلّي من القصر ، فجلس في الزنبيل ، فارتفع به حتى صار في أعلى القصر ، فلما نزل ، إذا بجوار كالمها ، فضحكن ، وقلت له : **يا عدوّ الله** ، ما أدخلك إلينا ؟ فقال لهنّ : **يا عدوّات الله** ، ولم صار من أردتنّ إدخاله أولى منّي ؟ راجع تفصيل القصّة في كتاب الأغاني ٥ / ٢٤٤ ـ ٢٤٧ .

وقالت أمّ جعفر الانصارية ، للأحوص : **يا عدوّ الله** ، صدقت .

وسبب ذلك : انّ الأحوص ، كان يشبّب بأمّ جعفر الانصارية ، ويذكرها في شعره ، فلما أكثر من ذكرها ، جاءت متنقّبة ، فوقفت عليه في مجلس قومه ، وهو لا يعرفها ، فادّعت عليه ثمن غنم زعمت أنّه اشتراها منها ، فأنكر الأحوص ، وحلف أنّه لا يعرفها ، ولم يرها قبل ذلك ، ولم يشتر منها شيئاً ، وبعد أن كرّر يمينه مجتهداً ، كشفت عن وجهها ، وقالت له : **يا عدوّ الله** صدقتَ ، أنت لا تعرفني ، وأنا أمّ جعفر التي تذكرها في شعرك ، وتدّعي أنّك قلت لها ، وأنّها قالت لك ، فخجل الأحوص ، وانكسر (اعلام النساء ١ / ١٦١) .

وخرج أبو عبد الرحمن ، من المدينة ، إلى خراسان ، غازياً ، وخلّف

عند زوجته ثلاثين ألف دينار ، وكان ولده ربيعة حملاً في بطن أمّه ، وغاب عن المدينة سبعة وعشرين عاماً ، وقدم المدينة بعد ذلك وهو راكب فرساً ، وفي يده رمح ، فنزل عن فرسه ، ودفع الباب برمحه ، فخرج إليه رجل ، فقال له : **يا عدوّ الله** ، تهجم على منزلي ؟ فقال له أبو عبد الرحمن : **يا عدوّ الله** ما وجودك في منزلي ؟ وتواثبا ، وتلبّب كلّ واحد منهما صاحبه ، حتى اجتمع الجيران ، وكثر الضجيج ، فقال مالك بن أنس ، لأبي عبد الرحمن : أيّها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار ، فقال الشيخ : الدار داري ، وأن أبو عبد الرحمن ، فسمعت الزوجة ، وهي داخل الدار ، كلامه ، فخرجت ، وقالت : صدق ، هذا زوجي ، ثم قالت له : هذا الذي في الدار ولدك ربيعة ، الذي تركته حملاً في بطني ، فتعانقا ، وبكيا . (تاريخ بغداد للخطيب ٨ / ٤٢١ و٤٢٢) .

وعتب جعفر البرمكي ، على إسحاق الموصلي ، وقال له : إنّك لا تغشانا ، فقال له : إذا حضرت حجبني خادمك نافذ ، فقال له جعفر : إذا حجبك عنّي فنكه ، فكتب إليه إسحاق بعد أيّام :

جعلت فداءك من كلّ سوء ... إلى حسن رأيك أشكو أناسا
يحولون بيني وبين السلام ... فلست أسلّم إلّا اختلاسا
وأنفذت أمرك في نافذ ... فما زاده ذاك إلّا شماسا

قال إسحاق : فأحضرني ، وأحضر نافذ ، وقرأ عليه الأبيات ، وقال له : فعلتها **يا عدوّ الله** ؟ فغضب نافذ حتى كاد يبكي ، ثم لم يعد بعدها إلى التعرّض لاسحاق (معجم الأدباء ٢ / ٢١٤) .

ودخل عليّ بن الهيثم ، المعروف بجونقا ، على المأمون ، فقال له : **يا عدو الله** ، يا فاسق ، يا لصّ ، يا خبيث ، سرقت الأموال وانتهبتها ، والله لافرقنّ بين لحمك وعظمك . (معجم الأدباء ٥ / ٤٥٥) .

وتظاهر المأمون بالغضب على الأحول المحرّر ، فقال له : **يا عدوّ الله** ، تأخذ مالي ، وتشتري به غلاماً يفرّ منك .

وخلاصة القصّة ، إنّ الأحول المحرر ، كان حسن الخطّ ، وكان تابعاً لمحمد بن يزداد وزير المأمون ، وشخص مع ابن يزداد ، لما رافق المأمون إلى دمشق ، وأنّه شكا يوماً إلى أبي هارون ، خليفة ابن يزداد ، الوحدة ، والغربة ، وقلّة ذات اليد ، وسأله أن يكلّم ابن يزداد ، فكلّمه ، وكلّم المأمون ، فوصله بأربعة آلاف درهم ، فلما قبض الأحول المال ، اشترى غلاماً بمائة دينار ، واشترى سيفاً ومتاعاً ، وأسرف فيما بقي حتى لم يبق معه شيء ، فلما رأى الغلام ذلك ، أخذ ما كان في البيت وهرب ، فبقي الأحول عرياناً بأسوء حال ، وأخبر أبا هارون بالحال ، فأخذ أبو هارون طوماراً ، ونشره ، ووقّع في آخره :

فرّ الغلام فطار قلب الأحول وأنا الشفيع وأنت خير مؤمّل

ثم ختمه ، ودفعه إليه ، وأمره أن يوصله إلى ابن يزداد ، ففضّه وأضاف إليه بيتاً آخر :

لولا تعّنتُ أحمدٍ لغلامه ظلّ الغلام ربيطة في المنزل

ثم أخذ الأحول إلى المأمون ، وحدّثه بقصّته ، فتظاهر المأمون بالغضب ، وقال له : **يا عدوّ الله** ، تأخذ مالي ، فتشتري به غلاماً يفرّ منك ، فارتاع وتلجلج ، وقال : ما فعلت (معجم الأدباء ٢ / ٢٨ و٢٩) .

ومدح رجل)رجلاً عند الفضل بن الربيع ، فقال له الفضل : **يا عدوّ الله** ، ألم تذكره عندي بكلّ قبيح ؟ فقال : ذاك في السرّ ، جعلت فداك . (البصائر والذخائر ٢ / ١ / ١٨٤) .

ووقف يحيى بن معين ، على حلقة أبي البختري ، وهو يحدّث بحديث

يـرويه عن جعفـر الصادق ، انّ جبـريل نـزل على النبيّ ، وعليه قبـاء ومنطقـة مخنجـراً بخنجر ، فقـال لـه يحيى : كـذبت يـا عـدوّ الله ، (وفيـات الأعيـان ٦ / ٤٠) .

وغضب الوزير عبيد الله بن سليمان ، على أحد العمال ، فقال له : يـا لصّ ، يا عدوّ الله .

وخلاصة القصّة أنّ النهيكي العامل ، كان أثيراً عند الـوزير عبيـد الله ، فـولّاه بادوريـا ، (وهي المنطقـة التي تضم الآن كرخ بغـداد بتمامـه ، بضمنه الشيخ معروف والحارثية ، راجع أطلس بغداد للدكتـور أحمد سـوسه) ، ومن صلح لتقلّد بادوريا ، صلح لتقلّد ديـوان الخراج (مـديريـة الواردات العـامة) ومن صلح لـديوان الخـراج ، صلح للوزارة ، وذلك لأنّ المعـاملات ببـادوريا كثيـرة مختلفة ، لأنّهـا عرصـة المملكـة ، وعـاملهـا يعـامـل أولاد الخـلافـة ، والـوزراء ، والقـوّاد ، والكتـاب ، والاشـراف ، ووجـوه الـرعيـة ، فـإذا ضبط اختلاف تلك العادات ، وقام بإرضاء هذه الـطبقات ، صلح لـلأمور الكبـار ، وبالنظر للعلاقة الطيبّة بين النهيكي والوزير ، فقـد كان يقـلّ الحفل بـأصحاب ديـوان الخراج ، ولا يـردّ على رسائلهم ، فحقـدها عليـه صاحب الـديـوان ، وأحضره أمام الوزير ، فأجاب أجوبة مـدلّ ، فأغضب الـوزير ، وقـال له : يـا لصّ ، يا عدوّ الله ، راجع القصّة مفصلة في كتاب نشوار المحـاضرة للتنـوخي ج٨ ص ٢٣ ـ ٢٦ رقم القصة ٨ / ٦ .

وتخاصم رجلان في مجلس أحمـد بن طولـون ، فقال للقـاضي بكّار : احكم بينهمـا ، فنظر في القضيـة ، وتوجّـه اليمين على أحدهمـا ، فاستحلفـه فحلف ، فقـال الخصم : أيّها القـاضي ، استحلفه لي بـرأس الأميـر ، فقـال بكّار : التحليف بالله الذي هو أعظم من الأمير ، فأبى الخصم إلّا أن يستحلفه برأس الأمير ، فقال له بكّار : تحلف برأس الأمير ؟ قال : لا ، فقال له بكّار : يا عدوّ الله ، تحلف بالله خالق السموات والأرض ، وتتمنع أن تحلف بـرأس

مخلوق مثلك ؟ ، قال : فحظي الرجل بعد ذلك عند أحمد بن طولون (أخبار القضاة ١ ٥١١).

وقال الوزير أبو الحسن بن الفرات ، لعامل الاهواز : **يا عدوّ الله ، يا خائن ، يا لصّ** .

وسبب ذلك : إنّ أبا أحمد الحسن بن محمد الكرخي ، كان يتقلّد المسرقان من أعمال الأهواز ، فعملت له مؤامرة ، ولم يكن فيها باب واحد يظهر وجوبه ، وأخرج في باب المرافق ما جرت العادة بالتأوّل فيه ، ثم ظهر للوزير أنّه قد أخذ من ضيعة واحدة مرفقاً مقداره خمسمائة دينار ، فأهمل الوزير المؤامرة ، وقال للعامل : **يا عدوّ الله ، يا خائن يا لصّ** ، تأخذ من ضيعة واحدة ، ورجل واحد ، خمسمائة دينار مرفقاً ، وتقديره نصف ارتفاعه ، فكم أخذت من أهل الكورة ، فبهت العامل ، وقبّل يد الوزير مراراً ، وأعطى خطّه بأداء سبعة آلاف دينار . (الوزراء للصابي ١٨٨ و١٨٩) .

وقال الوزير أبو الحسن بن الفرات ، للتاجر أبي عبد الله ابن الجصّاص : **يا عدوّ الله** أو تستحلّ هذا ؟

وسبب ذلك : إنّ ابن الفرات لما وزّر للمقتدر ، ضايق ابن الجصّاص في معاملاته ، فجاء ابن الجصّاص إليه ليلاً ، وخلا به ، وأقسم له إنّه إن بقي على مضايقته ، فسوف يقصد الخليفة ، ويقدّم له ألفي ألف دينار ، ويطلب منه عزل ابن الفرات ، ونصب آخر غيره ، فقال له ابن الفرات : **يا عدوّ الله ، أو تستحلّ هذا ؟ فأجابه قائلاً : لستُ عدوّ الله ، بل عدوّ الله من آستحلّ منّي** ما أحوجني إلى الفكر في مثل هذا .

راجع القصّة بتفاصيلها في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج١ ص ٢٩ـ ٣٥ رقم القصة ١ / ٩ .

وغنّى رجل في المسجد الحرام ، صوتاً ، فقال لـه خدّام المسجـد : يا **عـدوّ الله** تغنّي في المسجد الحـرام ؟ ورفعوه إلى صـاحب الشرطـة ، فـرافقـه قرشي كان يسمعه في المسجد ، وقال لصاحب الشرطة : كذبوا عليه أصلحك الله ، إنّما كان يقرأ ، فقال : يا فسّاق ، تأتوني بـرجلٍ قـرأ القرآن ، تـزعمون إنّه غنّى ، وأطلقه ، فلمـا خلّي ، قال لـه القرشي : والله ، لـولا أنّك أحسنتَ وأجدتَ ، ما شهدتُ لك ، آذهب راشداً . (العقد الفريد ٦ / ١٤ و١٥) .

ووقف أعـرابيّ ، على جماعـة يأكلون ، فـدعوه ليـأكل معهم ، فصـاح غراب ، فطرده الأعرابي ، وقال له : **كذبتَ يا عدوّ الله** ، وقال للجماعـة : إنّ هـذا الـغراب يقـول : إنّكم ستقتلونني ، فاستحمقـوه ، ثم أنّهم لمـا أتمّـوا أكلهم وهبوا له ما بقي من الطعام ، فحمل السفرة على عاتقه بما فيهـا ، وكان فيها سكّين حادّة ، دخلت بين كتفيه ، وأوقذتـه ، فخرّ صـريعاً ، وهـو يقول : **صـدق الغراب لعنـه الله** ، راجع القصّـة مفصّلة في كتـاب نشـوار المحـاضـرة للتنوخي ج٢ ص ٣٢٢ و٣٢٣ ، في القصّة رقم ٢ / ١٦٩ .

وقال أهل حمص ، لامرأة عيّار بغدادي : **يا عدوّة الله** .

وخلاصة القصّـة : إنّ عياراً بغـدادياً ، تحـايل على أهـل حمص ، بأن لبس جبّـة صوف ، ولـزم المسجـد بحمص ، يصلّي ليله ونهـاره أجمـع ، ولا يكّلم أحداً ، وكان قد اتّفق مع امـرأته أن تعـدّ له في كـلّ يوم طعـاماً يقـوته ، تتـركه لـه في زاويـة الميضـأة ، فتنبّـه الحمصيـون إلى صـلاتـه ، وصيـامـه ، وسكوته ، فأخذوا يتمسّحون به ، ويأخذون التراب من موضع قدمه ، حتى إذا رسخت منـزلته عنـدهم ، جاءت امـرأته إلى المسجـد ، وصاحت ، وأمسكت به ، وادّعت عليه أنّه قتل ولدها ، ولجأ إلى حمص هاربـاً من السلطان ، فقال لهـا الحمصيون : يـا **عدوّة الله** هـذا من الأبدال ، ومن قـوّام العالم ، وعنـدها نطق الرجل ، وأقرّ بأنه قتل ابن المرأة ، وتاب ، وفرّ إلى الله هارباً من ذنوبه ،

فكلّم الحمصيون المرأة ، في قبول دية ولدها ، وجمعوا لها مائة ألف درهم ، وعروضاً أخرى ، فأخذتها ، وبارحت حمص ، وأقام الرجل بعدها أيّاماً يسيـرة ثم لحق بها ، للتفصيل راجع كتاب نشـوار المحاضرة للقاضي التنـوخي ج ٢ ص ٣٥١ـ ٣٥٥ رقم القصة ١٨٧ .

٣ ـ قولهم : اخزاه الله

الخزي : في الأصل ، أن يفعل الرجل فعلة يستحي منها وينكسر لها
وصرفت إلى الهلاك والذلّ
وقولهم : أخزاه الله ، أي كسره وأهانه وأذلّه (الفاخر ٩)

كان معاوية قد بعث بسر بن أرطاة في جندٍ ، وأمره بقتل أنصار علي ، فكان من جملة من قتل ، طفلين من ابناء عبيد الله بن العباس ، أمير اليمن لعليّ ، ودخل عبيد الله يوماً على معاوية ، فوجد بسراً ، فقال له : أيّها الشيخ ، أنت قاتل الصبيّين ؟ قال : نعم . قال : وددت والله لو أنّ الأرض أنبتتني عندك يومئذ ، فقال له بسر : فقد أنبتتك الساعة ، فقال عبيد الله : ألاسيفٌ ؟ فقال بسر : هاك سيفي ، فأهوى عبيد الله ليأخذه ، فقبض الحاضرون على يد عبيد الله ، وأقبل معاوية على بسر ، فقال له : **أخزاك الله من شيخ** ، كبرتَ ، **وذهل عقلك** ، تعمد إلى رجل موتور من بني هاشم ، فتدفع إليه سيفك . (مروج الذهب ٢ / ١٢٥) .

ولما بلغ عبيد الله بن زياد ، موت يزيد ، خطب في أهل البصرة ، وطلب منهم أن يبايعوه ، حتى يتّفق الناس على أحد ، فقام يزيد بن الحارث اليشكري ، وقال : **أخزى الله ابن سميّة** ، لا والله ولا كرامة ، فأمر به عبيد الله ، فلبّب ، وأخذ إلى السجن ، فقامت بكر بن وائل ، فحالت دون حبسه . (الإمامة والسياسة ٢ / ١٦) .

وهجا سراقة البارقي ، جريراً الشاعر ، وكان سراقة منقطعاً إلى بشر بن مروان أمير الكوفة فقال جرير :

يـا بشر حقّ لـوجهك التبشيـر هــلا غضبت لنـا وأنت أميــر
قـد كان حقـاً أن تقول لبـارق يـا آل بارق فيم سبّ جـريـر؟

فقال بشر : **أخزاك الله** ، أما وجـدتَ وكيلاً غيـري ؟ (انساب الأشـراف ٥ / ٧٠) .

ولما حصر الحجاج والجند الأمويّ ، عبد الله بن الزبير بمكّـة ، أشرف أبـو ريحانـة ، عمّ أبي دهبل الحجمي ، على أبي قبيس ، فصـاح : **أليس قد أخـزاكم الله** يا أهـل مكّة ؟ ، فقـال له ابن أبي عتيق : بلى والله ، قـد أخزانـا الله . (الاغاني ٧ / ١٤٤) .

وشبّب عمـر بن أبي ربيعـة المخـزومي بسعـدى بنت عبـد الـرحمن بن عوف ، فقالت له : **أخزاك الله يا فاسق** .

وكانت سعدى جـالسة في المسجـد الحرام ، فـرأت عمر بن أبي ربيعـة يطوف بالبيت ، فقالت له : ألا أراك يا ابن أبي ربيعة إلّا سادراً في حرم الله ، أما تخاف الله ويحك ، إلى متى هذا السفه ؟ فقال لهـا : أما سمعتِ مـا قلتُ فيك ؟ قالت : لا ، فأنشدها قوله :

قالت سعيدة والـدموع ذوارفٌ منهـا على الخدّين والجلبـاب
ليت المغيـريّ الذي لم أجـزه فيمـا أطـال تصيّـدي وطـلابي
كـانت تـردّ لنـا المنى أيّـامنــا إذ لا نلام على هوى وتصـابي
أسُعَيد ما مـاء الفرات وطيبـه مني على ظمـأ وحبّ شـراب
بـألـذّ منـك وإن نـأيت وقلّمـا تـرعى النسـاء أمـانـة الغيّـاب

فقـالت : أخزاك الله يـا فاسق ، مـا علم الله أنّي قلتُ مما قلتَ حـرفاً ، ولكنّك إنسان بهوت (الاغاني ١٧ / ١٥٨ و١٥٩) .

وشتم ابن سريج المغني ، أشعب الطماع ، فقال له : **أعـزب ، أخزاك الله**

كان ابن سريج أشهر المغنّين في عصره ، وكان قد مرض ، فنذر أن يترك الغناء ، ونسك ، ولزم المسجد الحرام ، حتى عوفي ، فلزم نذره ، وحجب عنه من كان يصاحبه على الغناء ، ورغبت إحدى عقائل قريش في سماع غنائه ، فأمرت أشعب أن يحضره ، فذهب إليه ، وتوسّل إليه أن يرافقه إلى سيّدته ، فاعتذر بنذره ، فلما أيس منه ، صرخ صرخة عظيمة فزع لها ابن سريج ، وقال له : ويلك مالك ؟ فقال له : إن لم تصر معي لأصرخنّ صرخة أخرى أجمع عليك بها أهل المدينة ، وأخبرهم بأنّي رأيتك تطلب الفاحشة من فلان ، فقال له ابن سريج : أعزب أخزاك الله ، وصار معه إلى حيث عاود الغناء ، راجع التفصيل في الاغاني ١٧ / ٤٢ ـ ٤٧ .

وشتم عبد الملك بن عمير ، الملقب بالقبطي ، قاضي الكوفة، هذيلاً الأشجعي، فقال: أخزاه الله .

وسبب ذلك : إنّ كلثم بنت سريع مولى عمرو بن حريث ، خاصمت أهلها ، إلى قاضي الكوفة عبد الملك بن عمير ، فقضى لها على أهلها : فقال فيه هذيل الأشجعي :

أتاه وليد بالشهود يقودهم | على ما ادّعى من صامت المال والخول
وجاءت اليه كلثمٌ وكلامها | شفاء من الداء المخامر والخبل
فأدلى وليد عند ذاك بحقّه | وكان وليدٌ ذا مراءٍ وذا جدل
وكان لها دلّ وعين كحيلةٌ | فأدلت بحسن الدّل منها وبالكحل
ففتّنت القبطي حتى قضى لها | بغير قضاء الله في السور الطول
فلو كان من بالقصر يعلم علمه | لما استعمل القبطي فينا على عمل
له حين يقضي للنساء تخاوصٌ | وكان وما فيه التخاوص والحول
إذ ذات دلّ كلمته لحاجةٍ | وهمّ بأن يقضي تنحنح أو سعل
وبرّق عينيه ولاك لسانه | يرى كلّ شيء ما خلا شخصها جلل

فقال عبد الملك : أخزاه الله ، والله لربما جاءتني السعلة أو النحنحة ، وأنا في المتوضأ ، فاذكر قوله ، فأردّها لذلك (البيان والتبيين ٤ / ١٤٤) .

وقال محمد الأمين ، لأبي نؤاس : أخزاك الله ، أكنت مطّلعاً علينا .

وخلاصة القصّة : إنّ الأمين كان يطوف في قصره ، فأبصر جارية من جواريه سكرى ، وعليها كساء خزّ تسحب أذياله ، فرادها ، فواعدته إلى غدٍ ، ولما تلاقيا في الغد ، قالت له : يا أمير المؤمنين ، كلام الليل يمحوه النهار ، فأعجبه ذلك ، وطالب الشعراء بنظم يشتمل على هذا الشطر ، ورجحهم أبو نؤاس ، الذي قال :

وخود اقبلت في القصر سكرى	ولكن زيّن السكر الوقار
وهزّ المشي أردافاً ثقالاً	وغصناً فيه رمّان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها	من التجميش وآنحلّ الأزار
فقلت : الوعد سيّدتي ؟ فقالت:	كلام الليل يمحوه النهار

فقال له محمد: أخزاك الله، أكنت معنا، ومطّلعاً علينا؟ فقال له: يا أمير المؤمنين ، عرفت ما في نفسك ، فأعربت عما في ضميرك (العقد الفريد (٦ / ٤٠٩ و ٤١٠) .

ولما التجأ المستعين إلى بغداد ، واستخلف المعتزّ في سامراء في السنة ٢٥١ كان محمد بن عبدالله بن طاهر، أمير بغداد، جادّاً في نصرة المستعين ، فأحفظه عبيد الله بن يحيى بن خاقان لمّا أخبره بأنّ المستعين كان قد أمر وصيفاً وبغا بقتله ، أي بقتل ابن طاهر ، فقال محمد : **أخزى الله هذا** ، لا يصلح لدين ولا دنيا ، وأنصرف عن رأيه في نصرة المستعين . (الطبري ٩ / ٣٤٢) .

وقال جعفر البرمكي ، لإبراهيم الموصلي : أخزيتنا ، أخزاك الله .

وسبب ذلك : إنّ الرشيد ، ووزيره جعفر ، اقتسما المغنّين ، فكان ابن جامع في حيز الرشيد ، وإبراهيم الموصلي ، في حيز جعفر البرمكي ، وحضر الندماء لمحنة (امتحان) المغنّين ، وغنّى ابن جامع أصواتاً ، وقال إبراهيم : إنه لا يعرفها ، وانخذل وانكسر ، فقال له جعفر : أخزيتنا ، أخزاك الله ، فلما انصرف إبراهيم إلى منزله ، دسّ إلى ابن جامع ، من أخذ منه تلك الأصوات ، وعاد فكررها وأعادها على إبراهيم ، حتى حذقها ، ولما حضر مجلس الرشيد في اليوم التالي ، قال له الرشيد : أو قد حضرت ؟ أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً ، بسبب ما لقيت من ابن جامع ؟ فقال إبراهيم : إنّي لما رأيت أمير المؤمنين نشيطاً لسماع ابن جامع ، لم أجسر على معارضته ، وإلاّ فإني أحسن هذه الأصوات كلّها ، واندفع فغنّاها أحسن غناء ، فاندفع ابن جامع ، وحلف للرشيد ، إنّ هذه الأصوات من صناعته ، وإنّه لم يظهرها لأحد ، فقال إبراهيم : إن كانت من صناعته هو ، فلا لوم عليّ ، ولا على غيري ، إن كان لا يعرفها ، وسأله الرشيد عن حقيقة الأمر فأخبره بما صنع . (الاغاني ٥ / ٢٠٦) .

٤ ـ قولهم : قاتله الله

قاتل : حارب وعادى
وقولهم قاتله الله : لعنه

قال الفاروق عمر ، لأحد جلسائه : **قاتلك الله** .

لما طعن عمر ، قيل له : يا أمير المؤمنين استخلف ، فأشار عليه أحد الجلساء بأن يستخلف ولده عبد الله ، فقال له عمر : **قاتلك الله** ، لا أرب لنا في أموركم ، إن كان هذا الأمر خيراً فقد أصبنا منه ، وإن كان شرّاً فبحسب آل عمر أن يحاسب منهم رجلٌ واحد ، ويسأل عن أمّة محمد ، وإن نجوتُ كفافاً ، لا وزر ولا أجر ، إنّي إذاً لسعيد (الطبري ٤ / ٢٢٧ و٢٢٨) .

وخطب الإمام علي عليه السلام بالكوفة ، لما تثاقل أتباعه عن النفر إلى الحرب ، فقال : قبحاً لكم وترحاً ، يا أشباه الرجال ولا رجال ، ويا حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، **قاتلكم الله** ، لقد ملأتم قلبي قيحاً ، وشحنتم صدري غيظاً ، راجع التفصيل في كتاب شرح نهج البلاغة ٢ / ٧٤ و٧٥ .

وسئل الإمام علي ، وهو على المنبر ، عن قضية ، فأجاب ، فأعجب أحد الخوارج بقوله ، وقال : **قاتله الله كافراً ما أفقهه** ، فوثب القوم ليقتلوه ، فقال الإمام : رويداً ، إنّما هو سبّ بسبّ ، أو عفو عن ذنب (شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٦٣) .

قال معاوية ، لأمّ البراء بنت صفوان : **قاتلك الله** .

وسبب ذلك : أنّ أم صفوان رثت الإمام عليّاً لما قتل ، فلما حضرت مجلس معاوية ، سألها أن تنشده ما قالت في رثاء عليّ ، فقالت : نسيته يا أمير المؤمنين ، فقال بعض جلسائه ، إنّه يحفظه ، وأنشده أبياتاً منها :

الشمس كاسفةٌ لفقد إمامنا   خير الخلائق والإمام العادل

يا خير من ركب المطيّ ومن مشى   فوق التراب لمحتفٍ أو ناعل

فقال لها معاوية : **قاتلك الله** يا ابنة صفوان ، ما تركت لقائل مقالاً . (اعلام النساء ١ / ١٠٣) .

وقال خالد بن يزيد بن معاوية ، للحجّاج الثقفي : **قاتلك الله** .

وسبب ذلك : إنّ خالد بن يزيد ، حجّ ، وخطب رملة بنت الزبير ، وكان الحجّاج على الحجاز ، فبعث إليه يلومه على خطبة رملة ، وقال له : ما كنت أراك تخطب إلى آل الزبير ، حتى تشاورني ، وكيف خطبت إلى قوم ليسوا لك بأكفاء؟ وهم الذين قارعوا أباك على الخلافة، ورموه بكلّ قبيحة ، فغضب خالد ، وقال للرسول : لولا أنّك رسول ، لقطعتك إرباً إرباً ، ولكن آرجع إلى صاحبك ، فقل له : ما كنت أظنّ أنّ الأمور بلغت بك إلى أن أشاورك في خطبة النساء ، وأما مقارعتهم أبي ، فإنّها قريش يقارع بعضها بعضاً ، وأما قولك إنّهم ليسوا بأكفاء ، **فقاتلك الله يا حجّاج** ، ما أقلّ علمك بأنساب قريش ، أيكون العوّام كفؤاً لعبد المطلب ، بتزوّجه صفية ، ويتزوّج رسول الله خديجة ، ولا تراهم أهلاً لآل أبي سفيان ؟ (اعلام النساء ١ / ٣٩٦) .

وشتم الفرزدق ، ابن أبي علقمة الأزدي ، الممرور ، فقال : **قاتله الله** .

وسبب ذلك ، انّ الفرزدق ، كان يهجو الأزد ، وسائر اليمن ، ويفخر بمضر ، فمرّ بالأزد ، فوثب عليه ابن أبي علقمة ، لينكحه ، وأعانه على ذلك

سفهاؤهم ، فجاءت مشايخ الأزد ، وصاحوا بابن أبي علقمة ، وبالسفهاء ، فنحّوهم عنه . فقال ابن ابي علقمة : ويلكم ، أطيعوني اليوم ، وأعصوني الدهر ، هذا شاعر مضر ، ولسانها ، قد شتم أعراضكم ، وهجا ساداتكم ، والله ، لا تنالون من مضر مثلها أبداً ، فحالوا بينه وبينه ، فقال الفرزدق : **قاتله الله** ، أي والله ، لقد كان أشار عليهم بالرأي (الاغاني ٢١ / ٣٦٩ و٣٧٠) .

وقال جرير ، للفرزدق : **قاتلك الله ، ما أقبح كلامك ، وأرذل لسانك** .

وسبب ذلك : إنّ جرير ، لقي الفرزدق بالكوفة ، فقال له : يا أبا فراس ، تحتمل منّي مسألة ؟ قال : أحتملها بمسألة ، قال نعم ، قال : فسل عمّا بدا لك : قال : أيّ شيء أحبّ إليك ، يتقدّمك الخير ، أو تتقدّمه ؟ قال : لا يتقدّمني ولا أتقدّمه ، بل أكون معه في قَرَن ، فقال له : هات مسألتك .

فقال : أيّ شيء أحبّ إليك ، إذا دخلت على آمرأتك ، أن تجد يدها على أير رجل ، أو أن تجد يد رجل على فرج امرأتك ؟

فقال له جرير : **فاتلك الله ، ما أقبح كلامك ، وأرذل لسانك** (العقد الفريد ٤ / ٥٢ و٥٣) .

وفي إحدى المعارك بين الحجاج بن يوسف الثقفي ، وبين رأس الخوارج شبيب ، أخرج الحجاج مولى له يعرف بأبي الورد ، وعليه تجفاف ، وأحاط به غلمان كثير ، فظن شبيب أنّه الحجاج ، وحمل عليه فقتله ، فعاد الحجاج وأخفى مكانه ، وألبس أحد مواليه هيأته وزيّه ، فظنّ شبيب أنّه الحجاج ، وحمل عليه ، وضربه بالعمود ، فقتله ، فقال لما سقط : أخ ، بالخاء ، فقال شبيب : **قاتل الله ابن أمّ الحجاج** ، اتّقى الموت بالعبيد ، ذلك أنّ العرب تقول عند الإحساس بالألم : أح بالحاء المهملة (شرح نهج البلاغة ٤ / ٢٧٠) .

وشتم أبـو العباس السفّـاح خـالـد بن صفـوان ، فقـال لـه : **قـاتلك الله وأخزاك** .

وسبب ذلك أنّ أمّ سلمة المخزومية ، كـانت تحت أحد أولاد هشـام بن عبد الملك وطلّقها ، فأبصرت أبـا العباس السفـاح ، وأعجبتها هيـأته ، وكـان وسيماً جميلاً ، فرغبت فيه ، لمـا عرفت نسبـه ، وبعثت إليه مـالاً ، دفعه إلى اهلها مهراً ، وتزوّجها ، واشترطت عليه عند العقد ، أن لا يتـزوّج عليها ، ولا يتسرّى ، فلما استخلف وفى لها بالشرط ، وفي أحد الأيّام ، خلا به خالـد بن صفوان ، وحدّثه عن النساء ، ولامه لأنّه ملّك أمـره امرأة واحـدة ، إن مرضَتْ مـرضتَ ، وإن غابَتْ غبتَ ، وحـدّثه عن أصنـاف الجواري ومحـاسنهنّ ، ثم نهض ، وترك أبا العباس يفكرّ في أمره ، ودخلت عليه أمّ سلمة ، وهو يفكّر ، فسألته عن سبب فكره ، فحدّثها بما حدّثه خالد ، فقالت له : وماذا قلت لابن الفـاعلة ؟ فقال لهـا : سبحان الله ، ينصحني وتشتمينـه ، فخـرجت من عنـده مغضبة ، وبعثت إلى خالد جماعة من أتباعها ، فأشبعـوه ضربـاً ، وظلّ خـالد طريحاً في داره ، حتى طلبه أبو العبّـاس ، فحضر ، ولمـا دخل عليـه ، أحسّ بـوجود أمّ سلمـة ، وراء الستارة ، فـطلب الخليفة من خـالد ، أن يعيـد عليـه حديثه عن النساء والجواري ، فقال له : إنّي أخبرتك بـأنّ العرب اشتقّت اسم الضرّة من الضرّ ، وإنّه ما تـزوّج أحد بـأكثر من واحـدة ، إلاّ وقع في جهـد ، فقال له : ويحك لم يكن الحديث هكذا ، قال : بلى ، وقد أخبرتـك أنّ بني مخزوم ريحانة قريش ، وأنت عنـدك ريحانـة الريـاحين ، وأنت تطمـح بعينك إلى النساء ، من حرائر وإماء ، فقـال له : ويلك أتكـذّبني ؟ فقال لـه : وأنت تـريد أن تقتلني ؟ فضحكت أمّ سلمـة من وراء الستارة ، وقـالت : صدقتَ يـا عمّ ، ولكنّ أمير المؤمنين غيّر وبدّل ، فقال لـه أبو العبّـاس : مالـك ، **قاتلك الله وأخـزاك** . (اعـلام النسـاء ٢ / ٢٣٥ ـ ٢٣٩ والمحـاسن والمسـاوىء ٢ / ٦٩ و٧٠) .

وذكرت ظبية ، مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب ، أنّ مولاتها أرسلتها في حاجة ، فمّرت برحبة القضاء ، وكان ضبيعة العبسي ، خليفة جعفر بن سليمان ، والي المدينة ، يقضي بين الناس ، فأبصرها ، فدعاها ، وكانت قد رطّلت شعرها ، وربطت في أطرافه من ألوان العهن ، فقال لها : ما هذا ؟ فقالت شيء أتملّح به ، فقال : يا حرسي ، قنّعها بالسوط قالت : فتناولتُ السوط ، وقلت : قاتلك الله ، ما أبين الفرق بينك وبين سعد بن إبراهيم ، سعد يجلد الناس في السماجة ، وأنت تجلدهم في الملاحة ، وقد قال الشاعر :

جلد العادل سعدٌ ابن سلم في السماجة
فقضى الله لسعدٍ من أمير كلّ حاجة

قالت : فضحك ، حتى ضرب بيديه ورجليه ، وقال : خلّ عنها ، قالت : فكان يسوم بي ، وكانت مولاتي تقول : لا أبيعها إلّا أن تهوى ذلك ، وأقول : أنا لا أريد بأهلي بدلاً . (الاغاني ٦ / ١٧ و١٨) .

وشتم المتوكل ، أبا العيناء ، وقال : **قاتله الله** .

وسبب ذلك ، إنّ المتوكل كان شديد العداوة للإمام علي بن أبي طالب وأولاده، وسأل يوماً أبا العيناء: هل رأيت طالبيّاً قطّ حسن الوجه؟ فقال: نعم ، رأيتُ ببغداد ، منذ ثلاثين سنة ، فتى ما رأيت أجمل منه ، ولا ألطف شمائل ، فاغتاظ المتوكّل من جوابه ، وقال له : تجده كان مؤاجراً وكنت تقود عليه ؟ فقال أبو العيناء : معاذ الله يا أمير المؤمنين ، أتراني أترك مواليّ ، وأقود على الغرباء ؟ وكان أبو العيناء من موالي بني العبّاس ، فقال له المتوكّل : اسكت يا مأبون ، فقال له : مولى القوم منهم، فقال له : أنت دعيّ في انتسابك إلى ولائنا ، فقال له : يا سيّدي ، إنّ بغائي قد صحّح دعواي في هذا الانتساب ، فقال المتوكّل : **قاتله الله** ، أردت أن اشتفي منه ، فاشتفى منّي . (الملح والنوادر ٢٣١) .

٥ ـ قولهم : قبّحه الله

القبح : ضد الحسن ، في القول ، أو الفعل ، أو الصورة .
وقبّح له وجهه : قال : قبحه الله .

وهذه اللفظة من ألفاظ الشتم ، ما زالت مستعملة في بغداد ، يتلفّظ بها العامّة والخاصّة .

كان المغيرة بن شعبة ، والأشعث بن قيس ، وجرير بن عبد الله البجلي ، في يوم من الأيّام ، متواقفين بالكناسة ، فطلع عليهم أعرابي ، فقال لهم المغيرة : دعوني أحرّكه ، فقالوا : لا تفعل ، فإنّ للأعراب جواباً يؤثر ، فقال : لا بد ، قالوا : أنت أعلم ، فقال : يا أعرابي ، أتعرف المغيرة بن شعبة ؟ قال : أعرفه، أعور زنّاء ، فوجم ، ثم تجلّد ، وقال : أتعرف الأشعث بن قيس ؟ قال : ذاك رجل لا يعرى قومه ، قال : كيف ذاك ؟ قال : لأنّهم حاكة ، قال : فهل تعرف جرير بن عبد الله البجلي ؟ قال : كيف لا أعرف رجلاً لولاه ما عرفت عشيرته ، فقالوا : **قبّحك الله** ، فإنّك شرّ جليس (شرح نهج البلاغة ١٢ / ٢٣٩) .

ولما أحضرت جثّة مصعب بن الزبير ، أمام عبد الملك بن مروان ، تكلّمت جارية له ، كانت تذبّ عنه بكلمة ، فقال لها : أغربي ، **قبّحك الله** ، راجع القصّة في أنساب الاشراف ٥ / ٣٤٥ و٣٤٦ .

ومدح ابن قيس الرقيّات ، بشر بن مروان ، عامل الكوفة لعبد الملك ، فقال :

يـا بشر يـا ابن الجعفـريّـة مـا خلق الآلــه يـديــك للبخــل
جــاءت بــه عجــز مقـابـلة مــا هنّ من جـرم ولا عكــل

فقـال له بشـر : احتكم ، قـال : آعـطني عشـرين ألف درهم ، قـال : **قبّحـك الله** ، لك عشـرون ، وعشرون ، وعشـرون ، وعشرون ، وعشـرون ، فأعطاه مائة ألف درهم (انساب الاشراف ٥ / ١٧٥) .

وقال عبد الله بن جعفر ، لشاب لجأ إليه من مكة : **مالك قبّحك الله** .

وسبب ذلك : إنّ عبد الله بن جعفر ، اشترى جارية من مولّدات مكّة ، كان يتعشّقها غلام من أهل مكّة ، فلما حملها إلى المدينـة ، تبعها عـاشقها ، ونزل في جوار عبد الله بن جعفر ، وأخذ يحضر مجلسه ، ويراسل الجاريـة ، حتى اجتمعا في اصطبل دوابّ عبد الله ، وأحسّ بهمـا السائس ، فـأخذه إلى عبد الله ، فقال له : **مالك قبحك الله** ، أبعد تحرّمك بنا ، تصنـع مثل هـذا ؟ فشكا الغلام اليه حاله ، وأنّه كان محبّاً للجـارية ، وأنّهـا تحبّه كـذلك ، فـدعا عبد الله بالجارية ، وسـألها ، فصـدقته ، فقـال له : خـذها فهي لـك ، راجع القصّة مفصلة في كتاب الفرج بعد الشدة ج ٤ ص **٣٤٣** رقم القصة **٤٧٣** .

وقال آبن أبي عتيق ، لكثير عزّة : قبّحك الله .

وخـلاصة القصّـة : إنّ كثير الشـاعر ، كـان عند آبن أبي عتيق ، وجـاء الحزين الكناني الشاعر ، وكـان قد ضـرب على كلّ رجـل من قريش درهمين في كلّ شهر ، فجاء ليأخـذ درهميه ، فلمـا رأى كثيراً ، قـال لابن أبي عتيق : ائـذن لي أن أهجوه ببيت شعـرٍ، فقال لـه : لا لعمـري لا آذن لـك أن تهجـو جليسي ، فقال له كثير : ائذنٍ له ، ما عسى أن يقول فيّ في بيت ، فأذن له ، فقال يهجو كثيراً :

قصيـر القميص فاحشٌ عنـد بيتـه يعضّ القـراد بـاسته وهـو قـائم

فحمي كثيــر ، ووثب اليـه ، فلكــزه ، فسقط ، وخلص ابن أبي عتيق بينهما ، وقال لكثير : قبّحك الله ، اتأذن له وتسفه عليه ، فقال كثير : ما كنت أظن أنّه يبلغ هذا كلّه في بيت واحد (الاغاني ٩ / ١١) .

وقالت سعدى بنت أزهر لعبد الملك السلولي : **قبحك الله وخيّبك** .

وسبب ذلـك : إنّ عبـد الملك بن عبـد العـزيـز السلولي ، كـان يهـوى سعدى بنت أزهر ، ولاقاها راحلة نحو مكّة ، حاجّة ، فأخذ بخـطام بعيرهـا ، وقال :

قـل للّتي بكـرت تـريـد رحيــلا ... للحـجّ إذ وجـدت إليــه سبيــلا
مـــا تصنعـين بحّجـة أو عمـرة ... لا تـقبــلان وقــد قـتلتِ قـتيــلا
أحيي قتيلك ثم حجّي وآنـسكـي ... فيكـون حجّك طـاهـراً مقبــولا

فقالت له : أرسل الخطام ، **خيّبك الله وقبّحك** (اعلام النساء ٢ / ١٨٨ و١٨٩) .

وقال رجل من بني سعد ، لنوح بن جرير الشاعر : **قبحك الله وقبح أباك** أمـا أبوك فـأفنى عمـره في مـديـح عبـد ثقيف ، يـريـد الحجّـاج ، وأمـا أنت فامتدحت قثم بن العباس ، فلم تهتد لمناقبه ومنـاقب آبائـه ، حتى امتدحتـه ، بقصرٍ بناه (الاغاني ٨ / ٢٨٥) .

وغضب عمر بن عبد العزيز على رجل من بني أميّة ، كان له أخـوال في بني مـرّة ، فقـال لـه : قبّـح الله شبهـاً غلب عليـك من بني مـرّة ، فبلغ ذلـك عقيل بن علفة المرّي ، فأقبل اليه ، فقال له ، قبل أن يبتدأه بالسلام : بلغني يـا أمير المؤمنين ، إنّـك غضبت على رجل من بني عمّـك له أخـوال في بني مرّة ، فقلت له : قبّح الله شبهاً غلب عليك من بني مرّة ، وأنا أقول : قبّح الله ألأم الطرفين ، ثم انصرف ، فقـال عمر بن عبـد العزيـز : من رأى أعجب من

هذا الشيخ الـذي أقبل من البـادية ليست لـه حاجـة إلاّ شتمنا ، ثم انصـرف ؟ (الاغاني ١٢ / ٢٦١ والعقد الفريد ٢ / ١٩١) .

ومدح الشاعر ابن عبدل (ت ١٠٠) ، عمـر بن هبيرة ، أميـر العـراق ، وطلب منه أربعـة آلاف درهم ، وكـان ابن هبيـرة بخيـلاً ، فقـال لـه : نحن مناصفوكها ، فقال له : أتخاف عليّ التخمة ؟ فقال : أكره أن أعوّد الناس هذه العادة ، قال : فـأعطني جميعهـا سرّاً ، وآمنعني جميعهـا ظاهـراً ، حتى تعوّد الناس المنع ، وإلاّ فـالضرر واقـع لـو عـوّدتهـم نصف ما يـطلبون ، وامـرأتي طالق إن أخذت أقلّ من أربعة آلاف درهم ، فقال : أعطوه إيّاها ، **قبّحه الله** ، فإنّه حلاّف مهين (وفيات الاعيان ٢ / ٢٠٣) .

ولما تقابل يزيد بن المهلّب يقود مـائة وعشـرين ألفاً من أصحـابه ، مـع مسلمة بن عبد الملك ، في العقـر ، بقرب كـربلاء ، أحـرق مسلمة الجسـور التي عقـدها يـزيد بن المهلّب ، فلمـا رأى أصحاب يـزيد الـدخان قـد علا ، انهزموا ، فقيل ليزيد : قد انهزم الناس ، فقال : مم انهـزموا ؟ فقيـل له : إنّ مسلمة أحرق الجسور ، فلمـا عـلا دخـانهـا انهـزمـوا ، فقـال : **قبحهم الله** ، بقّ دخّن عليـه فـطار (شـرح نهـج البـلاغـة ٣ / ٢٥٢) .

وقال بلال بن أبي بـردة ، وهو أميـر البصرة ، لحـاجبه : مـاذا قال لـك حمزة ، **قبّحه الله** .

وتفصيـل القصّة : إنّ حمـزة بن بيض الحنفي الشـاعـر ، كـان صـديق بلال بن أبي بردة ، وكان بلال يكثر من المزاح معه ، وجاء حمـزة إليه يـوماً ، فقـال للحاجب : استـأذن لحمـزة بن بيض الحنفي ، فـدخـل الحـاجب ، ثم خـرج ، وقال : يقـول الأمير : حمـزة بن بيض ابن من ؟ يعّـرض بقـول أحـد الشعراء هاجى حمزة ، فقال فيه :

أنت ابن بيضٍ لعمـري لست أنكـره   لقـد صـدقتَ ولكن من أبـو بيض ؟

فحمي حمزة ، وقال للحاجب ، قل له : حمزة بن بيض إبن الذي جئت إليه ، إلى سبار الحمام ، وأنت أمرد ، تسأله أن يهب لك طائراً ، فأدخلك السبار ، وناكك ، وأعطاك طائراً ، فشتمه الحاجب ، فقال له حمزة : ما أنت وذا ؟ بعثك برسالة ، فأبلغه الجواب ، فدخل الحاجب وهو مغضب ، فلما رآه بلال ، ضحك ، وقال : ما قال لك ، **قبّحه الله** ، فقال الحاجب : ما كنت لأخبر الأمير بما قال ، فقال : يا هذا ، أنت رسول ، فأدّ الجواب ، فأبى ، فأقسم عليه ، فأخبره بقوله ، فضحك بلال حتى فحص برجليه ، وقال : قل له ، قد عرفنا العلامة ، فادخل . (فوات الوفيات ١ / ٣٩٦ والاغاني ١٦ / ٢٠٢) .

وقال خالد القسري ، أمير العراقين ، لأعرابي : **قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به** .

وسبب ذلك : انّ خالد ، خطب ، فقال : يا أهل البادية ، ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجفى أخلاقكم ، لا تشهدون جمعة ، ولا تجالسون عالماً .

فقام إليه رجل دميم ، فقال : أمّا ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وغلظ طعامنا ، وجفاء أخلاقنا ، فهو كذلك ، ولكنّكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي شرّ من كلّ ما ذكرت ، فقال له خالد : وما هي ؟ قال : تنقبون الدور ، وتنبشون القبور ، وتنكحون الذكور ، فقال : **قبّحك الله ، وقبّح ما جئت به** (العقد الفريد ٤ / ٥٠ و٥١) .

وقال محمد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة ، لعبد الله بن مصعب الزبيري : **قبّحك الله ماجناً** .

وسبب ذلك ، رواه عبد الله بن مصعب ، قال : أتاني أبو السائب المخزومي ، ليلة ، بعدما رقد السامر ، فأشرفتُ عليه ، فقال : سهرتُ ،

وذكـرت أخـاً لي أستمتـع بـه ، فلم أجــد سـواك ، فلو مضينــا إلى العقيق ، فتناشدنا وتحدّثنا ، فمضينا ، فأنشدته بيتين للعرجى :

بــاتــا بــأنعمِ لـيلة حتى بــدا   صبــح تلوّح كــالأغــرّ الأشقــر
فتــلازمـا عنــد الفـراق صبــابـةً   أخذ الغريم بفضل ثوب المعسـر

فقال أبو السائب : أعده عليّ ، فأعدته ، فقال : أحسنَ واللهِ ، امـرأتي طالق ان نطقتُ بحـرف غيره حتى أرجـع إلى بيتي ، قال : فلقينـا عبد الله بن حسن بن حسن ، فلمـا صرنـا إليه ، وقف بنـا ، وهو منصـرف من مالـه يريـد المدينة ، فسلّم ، ثم قال : كيف أنت يا أبا السائب ؟ فقال :

فتــلازمـا عنــد الفـراق صبــابـةً   أخذ الغريم بفضل ثوب المعسـر

فـالتفت إليّ ، وقـال : متى أنكـرت صـاحبـك ؟ فقلت : منـذ الليلة ، فقـال : إنّا للّه ، أيّ كهـل أصيبت به قـريش ، ثم مضينـا ، فلقينـا محمـد بن عمران التيمي ، قاضي المدينة ، يـريد مـالاً له ، على بغلة لـه ، ومعه غـلام لـه ، على عنقه مخـلاة فيها قيـد البغلة ، فسلّم ، ثم قال : كيف أنت يـا أبـا السائب ، فقال :

فتــلازمـا عنــد الفـراق صبــابـة   أخذ الغريم بفضل ثوب المعسـر

فـالتفت إليّ ، فقال : متى أنكـرت صاحبـك ؟ قلت : آنفاً ، فلمـا أراد المضيّ قلت : أفتدعه هكـذا ، والله ما آمن أن يتهـوّر في بعض آبار العقيق ، قـال : صدقت ، يـا غلام ، قيـد البغلة ، فأخـذ القيد فـوضعـه في رجـل أبي السائب ، وهو ينشد البيت ، ويشير بيده إليّ ، يريد أن أفهم عنه قصّتـه ، ثم نزل الشيخ ، وقال لغلامه : احمله على بغلتي وألحقه بأهله ، فلما كان بحيث علمت أنّه قد فاته ، أخبرته بخبره ، فقال : **قبحك الله ماجنـاً** ، فضحت شيخاً من قريش ، وغررتني (الاغاني ١ / ٣٩٧ و٣٩٨) .

وكان القاضي العربي النبيل أحمد بن أبي دؤاد عليه رحمة الله ، يعدّ الغناء منقصة ، وينكره إنكاراً شديداً ، فأخبره المعتصم ، أنّ صديقه القائد أبا دلف يغنّي ، فقال : لا أحسبه يفعل ذلك مع ما أعرفه عنه من علوّ همة وارتفاع قدر ، فأحضر المعتصم أبا دلف ، وأجلس القاضي في موضع آخر ، وطلب من أبي دلف أن يغنّي ، فغنّى ، وأطال ، فخرج عليه القاضي والكراهية ظاهرة في وجهه ، وقال له : بعد السنّ ، والشهرة ، يبلغ بك الحال إلى ما أرى ، فتشوّر أبو دلف ، وقال : إنّهم أكرهوني على ذلك ، فقال له : هبهم أكرهوك على الغناء ، أأكرهوك على الإحسان والإصابة .

وقالت عنان ، جارية الناطفي ، لأبي نؤاس : **قبّحك الله** .

وسبب ذلك : أنّ أبا نؤاس كان يهوى عنان ، ويمازحها فقالت له مرة : كيف علمك بالعروض وتقطيع الشعر ؟ قال : جيّد ، قالت : قطّع هذا البيت :

أكلت الخردل الشاميّ　　في قصعة خبّاز

فلما ذهب بقطّعه ، ضحكت به وأضحكت ، فأمسك عنها ، وأخذ في ضروب من الأحاديث ثم قال لها : وأنت كيف علمك بالعروض ؟ قالت : حسن يا حسن ، فقال لها : قطّعي هذا البيت :

حولوا عنّا كنيستكم　　يابني حمّالة الحطب

فلما ذهبت تقطّعه ، ضحك أبو نؤاس ، فقالت له : قبّحك الله ، ما برحت حتى أخذت بثأرك (العقد الفريد ٦/ ٥٩ و ٦٠) .

وغضب الأمين على جارية من جواريه غنّته بأبيات تشاءم منها ، فقال لها : اسكتي **قبّحك الله** .

وذلك إنّ الأمين ، جلس وهو محاصر في بغداد يستمع الغناء ، فغنّته إحدى جواريه بقول الشاعر :

كليب ـ لعمري ـ كان أكثر ناصراً وأيسر جرماً منك ضرّج بالدم

فقال لها الأمين : **اسكتي قبّحك الله** ، راجع تفصيل القصّة في مروج الذهب ٢ / ٣١٠.

وسمع رجل حكم الوادي يغنّي ، فقال له : أحسنت ، فقال له : **قبحك الله** ، تراني مع المغنّين منذ ستّين سنة ، وتقول لي أحسنت ؟

أقول : أبو يحيى الحكم بن ميمون ، كان أبوه حلّاقاً يحلق رأس الوليد بن عبد الملك ، فاشتراه وأعتقه ، وكان حكم جمّالاً ينقل الزيت من وادي القرى إلى المدينة ، وكان ينقر الدفّ ويغنّي ، وعمّر طويلاً ، غنّى الوليد بن عبد الملك ، وغنّى الرشيد ، ومات في خلافته ، ترجمته في الاغاني ٦ / ٢٨٠ .

ولما فرّ مروان الجعدي ، آخر الحكام الأمويّين ، إلى مصر ، شتمه عبد الله بن علي ، قائد الجيش العباسي ، فقال : **قبّح الله مروان**، جزع من الموت ففرّ (الطبري ٧ / ٤٨٧) .

ولما حمل رأس مروان بن محمد الجعدي ، آخر الحكام الامويين ، إلى أبي العباس السفاح ، وهو بالكوفة ، قعد له مجلساً عاماً ، وجاءوا بالرأس ، فوضع بين يديه ، فقال لمن حضره : أمنكم أحد يعرف هذا الرأس ، فقام سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة ، فأكب عليه ، وتأمّله طويلاً ، ثم قال : هذا رأس أبي عبد الملك ، خليفتنا بالأمس ، رحمه الله ، وعاد إلى مجلسه ، فوثب أبو العباس حتى خرج من المجلس ، وانصرف ابن جعدة ، فلامه بنوه ، وقالوا له : عرضتنا ونفسك للبوار ، فقال لهم : اسكتوا

قبّحكم الله ، أشرتم عليّ بالأمس بحرّان ، بالتخلّف عن مروان ، ففعلت فعل غير ذي الوفاء ، وما كان ليغسل عارتلك الفعلة إلاّ هذه ، راجع القصّة مفصّلة في المحاسن والمساوىء ١ / ٨٦ .

وقال الخليل بن سهل للاصمعي : يا أبا سعيد ، أعلمتَ أنّ رمح رستم كان طوله سبعين ذراعاً من حديد في غلظ الراقود (الراقود ، فارسية : الدنّ الكبير) . فقال الأصمعي : ها هنا أعرابي له معرفة ، فاذهب بنا إليه نحدّثه بهذا ، فذهبا اليه ، وحدّثه الخليل بالحديث ، فقال الأعرابي : قد سمعنا بهذا ، وقد بلغنا أنّ رستم هذا واسفنديار ، أتيا لقمان بن عاد بالبادية ، فوجداه نائماً ورأسه في حجر أمّه ، فقالت لهما : ما شأنكما ؟ فقالا : بلغنا شدّة هذا الرجل ، فأتيناه ، فانتبه فزعاً من كلامهما ، ونفخهما ، فألقاهما إلى إصبهان ، فقبراهما اليوم بها ، فقال له الخليل : قبّحك الله ما أكذبك ، فقال : يا ابن أخي ، ما بيننا شيء إلاّ وهو دون الراقود (المحاسن والمساوىء ٢ / ٧٠ والمحاسن والأضداد ٢٤) .

وقال المهدي العباسي ، لابن جامع المغنّي : **قبحك الله** ، رجل من قريش يغنّي ؟ وطرده (الاغاني ٦ / ٣٠٣) .

أقول : عجب المهدي ، لما عرف أنّ ابن جامع عربي من قريش ، وهو يغنّي ، لأنّ الغناء في ذلك العهد ، وما بعده من العهود ، لم يكن من الحرف المحترمة ، وكان المهدي قد بلغه أنّ إبراهيم الموصلي وابن جامع ، يأتيان ولده موسى (الهادي) فأمر بهما فأحضرا ، وضرب الموصلي ضرباً مبرّحاً ، ولما أراد أن يضرب ابن جامع ، استعطفه ، وقال له : ارحم أمّي ، فرقّ له ، وقال : **قبّحك الله** ، رجل من قريش يغنّي ، وطرده ، وظلّ الغناء من بعد المهدي ، عملاً لا يسبغ على صاحبه الاحترام ، وقد وضع من إبراهيم بن المهدي ، واخته عليّة بنت المهدي ، اشتهارهما بالغناء ، ولما

بويع بالخلافة قال دعبل الخزاعي يسخر به :

أنّى يكون وليس ذاك بكائن ... يرث الخلافة فاسق عن فاسق
إن بات إبراهيم مضطلعاً بها ... فلتصلحن من بعده لمخارق

ومخارق ، مغنّ محترف من الموالي ، كان صبي جزّار ، وقال أبو فراس الحمداني يعيّر بني العباس بإبراهيم وعليّة :

بنو عليّ أسارى في ديارهم ... والأمر تملكه النسوان والخدم
منكم عليّة أم منهم وكان لكم ... شيخ المغنّين إبراهيم أم لهم

ومما سخر به دعبل ، من إبراهيم لما تولّى الخلافة ، زعمه أنّ إبراهيم سوف يغنّي لقوّاده أصواتاً بدلاً من أرزاقهم ، فقال :

يا معشر الأجناد لا تيأسوا ... من رحمة الله ولا تقنطوا
فسوف تسقون حنينيّة ... يلتذّها الأمرد والأشمط
والمعبديات لقوّادكم ... لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أجناده ... خليفة مصحفه البربط

يقول : إنّ إبراهيم ما دام قرآنه البربط (آلة طرب) فسوف يرزق جنوده بالحنينيّات (أغنيات حنين) والمعبديات (أغنيات معبد) .

وغنّى إسحاق الموصلي الأمين ابيتين من الشعر ، هما :

إذا ما زاد علّني ثم علّني ... ثلاث زجاجات لهنّ هدير
خرجت أجرّ الذيل زهواً كأنّني ... عليك أمير المؤمنين أمير

فقال له الأمين : بل على أبيك ، **قبّح الله فعلك** (الاغاني ٢٠ / ٣٢٤) .

وبلغ المأمون ، أنّ دعبل الخزاعي هجاه ، فقال : اسمعوني ما قال ، فأنشدوه قوله :

أيسومني المأمون خطّة جاهلٍ | أو ما رأى بالأمس رأس محمد
إنّي من القوم الذين سيوفهم | قتلت أخاك وشرّفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله | واستنقذوك من الحضيض الأوهد

فما زاد المأمون على أن قال : **قبّحه الله** ، متى كنت خامل الذكر ، وفي حجر الخلافة ربيت ، وبدرّها غذيت . (الفرج بعد الشدة ، القصة رقم ١٣٨) .

وغضب المأمون على أولاد علي بن صالح صاحب المصلّى ، فقال لهم : يا سفهاء ، **قبحكم الله** ، راجع القصّة في الهفوات النادرة ٢٨٣ ـ ٢٩٢ .

وذكر أحمد بن حمدون النديم ، إنه تبسّط ذات ليلة ، في مجلس الواثق ، تبسّطاً لم يرضه الواثق ، فأمر بأن يجمع له جاريه وأرزاقه وجرايته وصلاته ، وأن يقطع بها إقطاعاً في الأهواز ، وأن يخرج إليها ، واحتاج في الأهواز إلى حجّام ، فأحضر له حجّام أهوازي ، فلما قعد للحجامة ، أرشده إلى كيفيّتها ، وأن يشرط في الجانب الأيسر أربع عشرة شرطة ، وفي الأيمن إثنتى عشرة ، لأن الدم في الجانب الأيسر أقل منه في الأيمن ، لأنّ الكبد في الأيمن ، والحرارة هناك أوفر ، والدم أغزر ، وإنّه إذا زاد في شرط الأيسر اعتدل خروج الدم من الجانبين ، ففعل ، ولما انتهى من عمله أمر غلامه فأعطاه ديناراً ، فردّه ، فأعطاه دينارين ، فردّهما ، فقال له : **قبّحك الله** ، أنت حجّام سواد ، تحجم بنصف درهم ، فلماذا تستقلّ ما دفع إليك ؟ فقال : وحقّك ما رددتها استقلالاً ، ولكن نحن أهل صناعة واحدة ، وأنت أحذق منّي . وما كان الله ليراني آخذ من أهل صناعتي أجرة أبداً ، فأخجلني ، فلما

كان العام القابل ، خرجت لمثل ما خرجت إليه في العام الماضي ، وطلبتُ حجّاماً ، فجاءوني بذلك الحجّام ، فحجمني أحسن حجامة ، فلما فرغ استحسنت تصرّفه ، وأثنيتُ عليه ، فقال لي : إنّي لم أكن أحسن هذا من قبل ، ولكن حجّام الخليفة اجتاز بنا في العام الماضي ، فتعلّمت هذا منه . (معجم الأدباء ١ / ٣٧٠ و٣٧١) .

وكان الجاحظ ، منقطعاً إلى الوزير محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكبه المتوكل ، اعتقل الجاحظ ، وأحضر أمام القاضي أحمد بن ابي دؤاد ، مقيّداً ، في جبّة صوف ، فشتمه القاضي ، وقال له : اغرب ، **قبحك الله** ، ثم عفا عنه ، راجع تفصيل القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ١٢٧ ج١ ص ٣٦١.

وقال علي بن يحيى المنجّم ، لإبراهيم بن العباس الصولي : **قبّحك الله** .

وتفصيل القصّة : إنّ المتوكل ، بعث إلى إبراهيم بن العباس ، يأمره بأن يكتب صفة القدور الإبراهيمية (لون من ألوان الطعام ، ابتكره إبراهيم ، ونسب اليه) ، فكتب الصفة ، وكتب في آخرها ، في ذكر الأبازير (التوابل) ، ووزن دانق ، ونسي أن يكتب من أي شيء ، فلما وصلت الصفة إلى المتوكل ، ووجدها ناقصة ، قال لعلي بن يحيى : اذهب إلى إبراهيم ، وقل له : وزن دانق من أيش ؟ من بظر أمّك ؟ فذهب عليّ إلى إبراهيم ، وأدّى الرسالة ، فقال له إبراهيم : قل له ، وزن دانق من بظر أمي وأمّ عليّ ، فقال له علي : **قبّحك الله** ، وأنا أيش ذنبي ؟ فقال له : قد أدّيتَ الرسالة ، وهذا جوابها (الاغاني ١٠ / ٥٣) .

وقال أبو الشيص لامرأة : **قبّحك الله** .

كان أبو جعفر محمد بن زرين ، ابن عمّ دعبل الخزاعي الشاعر ، وقد

غلب عليه اللقب ، وكان يلقب بأبي الشيص ، ويغضب إذا نودي به ، وأصيب ببصره ، فلاقته امرأة ، فقالت له : يا أبا الشيص ، عميتَ بعدي ، فقال لها : **قبّحك الله** ، دعوتني باللّقب ، وعيّرتني بالضرر (الاغاني ١٦ / ٤٠١) .

ولما استقامت الخلافة للمنتصر في السنة ٢٤٨ طالب أخويه المعتزّ والمؤيّد بأن يخلعا أنفسهما من ولاية العهد ، وأسلمهما للأتراك ، فأخذوا المعتزّ بعنف ، فقال لهم المؤيّد : ما هذا يا كلاب ، قد ضريتم على دمائنا ، أغربوا قبّحكم الله (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٩) .

ولما قتل صالح بن وصيف المعتز ، اختفت أمّه قبيحة ، ثم ظهرت ، وأرضت صالح بأن أعطته مالاً عظيماً ، من ذلك ألف ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار ، وسفط فيه مكوك زمرّذ ، وسفط فيه لؤلؤ حبّ كبار ، وكيلجة ياقوت أحمر ، وغير ذلك ، فقوّمت الأسفاط بألفي ألف دينار ، فلما رأى ابن وصيف ذلك ، قال : **قبّحها الله** ، عرّضت ابنها للقتل من أجل خمسين ألف دينا ، وعندها هذا ، وأخذ الجميع ، ونفاها إلى مكّة ، فبقيت هناك إلى أن ولي المعتمد ، فردّها إلى سامراء (النجوم الزاهرة ٣ / ٢٢ وتاريخ الخلفاء ٣٦٠) .

وكان أبو خليفة ، القاضي بالبصرة ، يرى رأي الخوارج ، ويصطفي شعر عمران بن حطّان الخارجي ، واطّلع عليه أبو علي الإيذجي ، فحدّث بذلك المفجّع الشاعر ، فنظم فيه بيتين ، هما :

أبو خليفة مطويٌّ على دخن ... للهاشميّين في سرّ وإعلان
ما زلت أعرف ما يخفي وأنكره ... حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

واطّلع أبو خليفة على ذلك ، فقال : إنّ الايذجيّ ، **قبحه الله ، وترحه** ، شاط بدمي ، إقرأ تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة ، للقاضي التنوخي ، رقم القصة ٣ / ١٧٩ ج ٣ ص ٢٨٩-٢٩١ .

وشتم ابن الزنق المصري النخاس ، ابن اخته ، فقال له : **قبحك الله** ، سرقت معروف القائد وتركته يقارع شجوه بمحنته .

وتفصيل ذلك : أنّه كان بدار العنقود ، بمصر ، شيخ يتنخّس في الدواب ، يعرف بابن الزنق ، ولما علت سنّه ، عجز عن التصرّف ، وحلّ محلّه في عمله ابن اخت له ، فخفّ على قلب القاسم بن شعبة ، أحد قوّاد أحمد بن طولون ، وكان أبوه شعبة من أكابر أصحاب أحمد ، ومات في طاعته ، فانصرف ابن اخت ابن الزنق من عند القائد القاسم ، وقد خلع عليه دراعة خزّ من تحتها جبّة ملحم ، فسأله عنها خاله ، فأخبره بأنّها خلعة من القائد القاسم بن شعبة ، فقال له : يا بنيّ ، إن كنت تصبر على التدلّي معه في محنه ، كما تتدلّى في نعمه ، وإلا فاعتزله ولا تفضحنا بالقعود عنه في نوائبه ، فقال : أرجو أن يصونه الله من نائبة تلحقه أو مكروه يقع به ، ثم اتّصل بأحمد بن طولون عن القاسم شيء أنكره ، فحبسه في داره (أي دار القاسم) ووكّل به ، واختفى النخاس في دار خاله ، فسأله عن سبب ملازمته المنزل ، فادّعى أنّه مريض ، ثم اتّصل الخبر بالشيخ ، فدخل إلى ابن اخته ، وقال له : قبّحك الله ، سرقت معروف هذا القائد ، وخليته يقارع شجوه بمحنته ، ثم ركب حماراً ، وقصد دار القاسم بن شعبة ، وعليها جماعة من الموكّلين وأصحاب الأخبار ، فوقف على الباب ، وقال : كيف حال القائد أبي محمد أيّده الله ؟ فقالوا : إمض يا شيخ ، فقال : ما أمضي حتى أبلي عذراً ، هذا رجل قد لزمتني له عارفة ، وهذا أوان قضائها ، فرفع خبره إلى أحمد ، فأحضره وسأله عن علاقته بالقائد القاسم بن شعبة ، فقال : إنّه أولاني جميلاً في أحد أقاربي ، فانتصبت الساعة لما يحتاج إليه ، وما أحقّ الأمير أن يفضلني بحسن المكافأة عن طاعة والده له ، فقد كان مشهوراً بها ، فقال له أحمد : لقد أذكرتني أيّها الشيخ بحقّ قاسم ، وأحضر القاسم وخلع عليه وأطلقه (المكافأة ٣٢ ـ ٣٤) .

وقال الشاعر ابن أبي حصينة ، لابن الزويدة المعرّي : **قبحك الله ، هذا هجوثان .**

وتفصيل القصة : انّ الشاعر ابن أبي حصينة ، كان خصيصاً بالأمير تاج الدولة بن مرداس صاحب حلب ، وطلب منه أن ينصبه أميراً ، فأنجز له ذلك ، وتسلّم سجلّ الإمارة من بين يدي الخليفة ، في السنة ٤٥١ ، وصادف أنّ فتى من آهل المعرّة من رعاع الناس ، يلقب بالزقّوم ، أعطي رزق جندي ، فقال ابن الزويدة المعرّي :

أهل المعرّة تحت أقبح خطّه ... وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفهم تأمير ابن حصينة ... حتى تجنّد بعده الزقّوم
يا قوم قد سئمت لذاك نفوسنا ... يا قوم، أين الترك، أين الروم؟

فشاعت الأبيات ، وسمعها ابن أبي حصينة ، فقصد ابن الزويدة المعرّي ، ليعاتبه ، ولما دخل عليه ، قال ابن الزويدة له : الآن ـ والله ـ كان عندي الزقّوم ، وقال لي : مابي من الهجو ما بي إلاّ أنّك قرنتني بابن أبي حصينة ، فقال له ابن أبي حصينة : **قبّحك الله ، هذا هجو ثانٍ** . (معجم الادباء ٤ /٦٨ و٦٩) .

ولما ولي جلال الدين الزينبي، الوزارة، دخل عليه ابن الفضل الشاعر ، ودعا له وأظهر الفرح والسرور ، ورقص ، فقال الوزير لأحد أصحابه : **قبّح الله هذا الشيخ** ، فإنّه يشير برقصه إلى المثل العامي القائل : أرقص للقرد في زمانه (وفيات الأعيان ٦ / ٥٨) .

وانعقدت معاهدة بين نصر الدولة ابن مروان الكردي ، صاحب ميافارقين ، وبين معتمد الدولة قرواش بن المقلّد العقيلي ، صاحب الموصل ، وبعث ابن مروان رسله ، إلى قرواش ، لتحليفه ، فلما حلف ،

قال المنازي الشاعر ، أحد رسل ابن مروان :

كلّفوني اليمين فارتعت منها   كي يغرّوا بذلك الإرتياع
ثم أرسلتها كمنحدر السيل   تهادى من المكان اليفاع

(يشير إلى أنّ قرواش لا يتقيّد باليمين) ، فغضب قرواش ، وقال له : يا ويلك ، قبّحك الله ، وقبّح ابن مروان ، ما هذا الكلام ؟ وبدا الشرّ في وجهه ، فاعتذر له المنازي حتى رضي . (الهفوات النادرة ٦ و٧) .

وحدث أنّ أحد المغنّين ، حضر عند شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش بن بدران ، أمير بني عقيل ، فجرى ذكر عميد الملك أبي نصر الكندري ، وزير طغرل بك ، فذكر المغنّي محاسنه ، وكرمه ، وعطاياه ، ثم غنّاه على أثر ذلك بالبيت :

قواصد كافور توارك غيره   ومن قصد البحر استقلّ السواقيا

فغضب مسلم ، وقال للمغنّي : قبحك الله ، ما هذه المعاشرة (الهفوات النادرة ٧ و٨) .

٦ ـ قولهم : غضب الله عليه

الغضب : نقيض الرضا .
وغضب الله : انكاره على من عصاه .
وإذا غضب الرجل من شيء ، قيل : غضب منه .
فإذا غضب لآخر حيّ ، قيل : غضب له .
فإذا غضب لآخر ميت : قيل : غضب به .

وقال دريد بن الصمة ، يرثي أخاه :

فإن تعقب الأيّام والدهر فاْعلموا بني قارب أنّا غضابٌ بمعبد

وقال عبد الله بن عمر ، لابن أبي عتيق : مالك ، **غضب الله عليك** .

وسبب ذلك : إنّ ابن أبي عتيق ، حفيد أبي بكر الصدّيق ، كان سيّداً من سادات قريش ، وكان غزلاً ، مرحاً ، هجته زوجته عاتكة بنت عبد الرحمن المخزومية ، فقالت :

ذهب الآله بما تعيش به وقمرت عيشك أيّما قمر
أنفقت مالك غير محتشمٍ في وصل زانية وفي الخمر

فأخذ ابن أبي عتيق ، البيتين ، في رقعة ، وخرج ، فإذا هو بابن عمر ، فقال له : يا أبا عبد الرحمن ، انظر في هذه الرقعة ، وأشر عليّ برأيك فيها ، فلما قرأها عبد الله ، استرجع .

فقال له : ماذا ترى فيمن هجاني بهذا الشعر ؟

قال : أرى أن تعفو وتصفح .

قال : والله ، يا أبا عبد الرحمن ، لئن لقيت قائل هذا الشعر لأنيكنّـه .

فأخذت ابن عمر أفكل ورعدة ، وآربدّ لونه ، وقال : **مالك** ، **غضب الله عليك** .

فقال : ما هو إلاّ ما قلت لك ، وآفترقا .

فلما كان بعد أيام لقيه في الطريق ، فـأعرض عنـه ابن عمر ، فـدنا ابن أبي عتيق منـه ، وقال لـه : يا أبـا عبد الـرحمن ، لقد لقيت الـذي هجـاني ، ونكتــه .

فصعق ابن عمر ، فلما رأى ما حلّ به، دنا منه ، وقال له في أذنه : إنًّها امرأتي (مروج الذهب ٢/٩٤ و٩٥).

٧ ـ قولهم : أسخن الله عينه

قولهم اسخن الله عينه
أي جعلها تبكي بدموع حارة من الحزن
(الفاخر لأبي طالب بن عاصم ٧) .

شرب الأقيشر في حانة خمّار، في بيوت الخمّارين بالحيرة ، حتى أنفد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غلقت ، فلم يبق عليه شيء ، وانغمس في تبن إلى جانب البيت إلى حلقه مستدفئاً به ، فمرّ به رجل ينشد ضالّة ، فقال: اللّهم آردد عليه ، وآحفظ علينا ، فقال له الخمار : **سخنت عينك** ، أيّ شيء يحفظ عليك ربّك ؟ فقال : هذا التبن لأ تأخذه فأموت من البرد . (الاغاني ١١ / ٢٦٦ و٢٦٧) .

وقال الشاعر محمد بن حازم : لم يبق عليّ شيء من اللذات إلاّ بيع السنانير ، فقال له صاحبه : **أسخن الله عينك** ، أيش لك في بيع السنانير ، من اللذّة ؟ قال : تجيئني العجوز الرعناء تخاصمني ، وتقول : هذا سنوري ، سرق مني ، فأقول لها : كذبت ، ثم تشتمني وأشتمها ، وتخاصمني وأخاصمها . (الديارات ٢٧٩ والاغاني ١٤ / ١٠١) .

وشتم اسحاق الموصلي ، أبا صدقة المغنّي ، فقال له : **سخنت عينك** .

وسبب ذلك : إنّ أبا صدقة مسكين المغنّي ، كان من اسأل خلق الله ،

وأعظمهم إلحاحاً ، وحدث مرّة ، أن سأل اسحاق الموصلي ، فوهب له صينيّة من الفضّة ، ثم قام أبو صدقة ليبول ، فأبدلها اسحاق بصينيّة رصاص ، وأخذها أبو صدقة ، وانصرف ، وعاد في اليوم الثاني فلام إسحاق وقال له : نعم الخلافة خلفت أباك ، وتجاهل اسحاق الأمر ، وسأله عن سبب لومه ، فقال له : تبيّن أنّ الصينيّة من الرصاص ، فقال له اسحاق : سخنت عينك ، سخرت بك امرأتك ، وأنا من أين لي صينيّة رصاص ؟ فتشكّك أبو صدقة ساعة ، ثم قال : أظنّ الأمر كذلك ، وقام ، وقال : اذهب إلى امرأتي ، فأصبّ عليها السياط حتى تردّ الصينيّة ، فلما رأى اسحاق ذلك اعترف له بما صنع ، واعطاه وزن الصينيّة دراهم (الاغاني ١٩ /٢٩٨) .

وقال ابو سفيان بن العلاء ، لسلمة بن عياش : **يا سخين العين** .

وسبب ذلك : إنّ سلمة بن عيّاش ، وأبا سفيان بن العلاء ، اجتمعا عند محمد بن سليمان العباسي ، وكانت جارية محمد ، واسمها بربر ، تغنّيهم ، وتسقيهم ، فوقعت في قلب سلمة ، فقال :

إلى الله أشكو ما ألاقي من القلى ... لأهلي ، وما لاقيت من حبّ بربر

فقال محمد ، لسلمة : خذها ، فهي لك ، فاستحيا سلمة ، وأبى ، وقال : لا أريدها ، أعتق ما أملك إن أخذتها .

فقال أبو سفيان لسلمة : **يا سخين العين** ، إعتق ما تملك ، وخذها ، فهي خير من كلّ ما تملك (الأغاني ٢٠ / ٢٩٦ و٢٩٧) .

وقال دعبل الخزاعي ، لقاضي الدينور : **سخنت عينك** .

وسبب ذلك : إنّ دعبل ، قدم الدينور ، فجرى بينه وبين فتى زبيريّ (من أولاد الزبير بن العوّام) كلام وعربدة على النبيذ ، فاستعدى الزبيري عمرو بن حميد القاضي ، وقال له : إنّ دعبل سبّ صفيّة بنت عبد المطّلب

(عمّة النبي وأمّ الزبير) وجمع عليه الغوغاء ، فهرب دعبل ، وختم القاضي على باب داره ، فوجّه دعبل إلى القاضي برقعة ، قال له فيها : ما رأيت قطّ أجهل منك ، إلاّ من ولاّك ، تقضي في العربدة على النبيذ ، وتحكم على خصم غائب ، ويقبل عقلك أنّي ـ وأنا رافضي ـ أشتم صفية بنت عبد المطلب ، سخنت عينك ، أفمن دين الرافضة ، شتم صفية ؟ (الاغاني ٢٠ / ١٨٣) .

وشيّع أبو العلاء المنقري ، جنازة أحمد بن يوسف الكاتب ، فظلّ يبكي ، وكان مكتحلاً ، فسال كحله على وجهه ، فنظرت إليه امرأة ، وقالت له : سخنت عينك كأنّك ـ والله ـ مطبخ يكف ، أيش هذه السماجة ؟ فأضحكت أهل الجنازة (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٦٤٧) .

وقالت جارية أبي الصالحات ، لأبي هارون : سخنت عينك .

وسبب ذلك : أنه اجتمع عند أبي الصالحات ، جمع من أصحابه ، فيهم محمد بن الحارث المغنّي ، وأخوه أبو هارون ، فشربوا ، وطربوا ، وغنّتهم جارية أبي الصالحات ، فأجادت وكان أكثرهم طرباً ، أبو هارون ، فقال لأخيه ، أريد أن أقول لك شيئاً في السرّ .

فقال : قله علانية .

قال : لا يصلح .

قال : والله ما بيني وبينك شيء أبالي أن تقوله جهراً ، فقله .

فقال : أشتهي ـ علم الله ـ أن تسأل أبا الصالحات ، أن ينيكني ، فعسى صوتي أن يتفتّح ، ويطيب غنائي .

فضحك أبو الصالحات ، وغطّت الجارية وجهها ، وقالت : سخنت عينك ، فانّ حديثك يشبه وجهك . (الاغاني ١٢ / ٥٢ و٥٣) .

وكان البرقعيدي المغنّي ، جالساً في مجلس ، فأنشد أحد الحاضرين :

وليـل كـوجـه البـرقعيـدي ظلمـة　　وبــرد أغـانيــه وطـول قــرونــه

فصـاح به البـرقعيـدي : هـا أنـا قـاعـد ، يـا سخين العين ، فـاستحيـا المنشد ، وضحك الحاضرون (الهفوات النادرة ٥٧) .

أقول : هذا البيت من جملة أبيات فيها ذكر لحاشية الأمير معتمد الدولـة قرواش بن المقلّد العقيلي صاحب الموصل ، وفيهـا ما يسمّى في علم البـديع بالاستطراد ، والأبيات هي :

وليـلٍ كوجـه البـرقعيـديّ ظلمـة　　وبــرد أغـانيــه وطــول قــرونــه
سـريت ونـومي فيـه نـوم مشــرّد　　كعقـل سليمـان بن فهــد ودينــه
على أولق فيـه اضـطراب كـأنّـه　　أبـو جـابــر في طيشـه وجنــونـه
إلى أن بـدا ضوء الصبـاح كـأنّـه　　سنـا وجـه قـرواش وضـوء جبينـه

٨ ـ قولهم : أبكي الله عينه

لما مات زياد ، رثاه مسكين الدارمي ، فقال له الفرزدق :

أمسكني أبكي الله عينـك إنّـما ... جـرى في ضلال دمعها وتحـدّرا
بكيت على علج بميسـان كـافـرٍ ... ككسـرى على عدّانـه أو كقيصرا
أقـول لـه لـمـا أتـاني نـعيّـه ... بـه لا بـظبي بـالصـريمـة أعفـرا

(الاغاني ٢٠ / ٢٠٦)

ولما قتل الإمام الشهيد الحسين بن علي ، في معركة الطفّ بكربـلاء ، عاد عمر بن سعد مع جيشه إلى الكوفة وحمل معه بنات الحسين وأخـواته ومن كـان معه من الصبيـان وعليّ بن الحسين وهو مـريض فقدم بهم على ابن زيـاد فنصب ابن زيـاد مجلسـاً ووضـع رأس الحسين بين يديـه ، وأخذ ينكت ثناياه بقضيب في يده ، فلما رآه زيد بن أرقم قال لـه : آعلُ بهـذا القضيب عن هذه الثنـايا ، فـوالله الذي لا إلّـه غيـره ، لقـد رأيت شفتي رسـول الله على هـاتين الشفتين يقبّلهمـا ، ثم انفضـخ الشيـخ يبكي ، فقـال لـه ابن زيـاد : أبكى الله عينيـك ، فوالله ، لـولا أنّك شيـخ قد خـرفتَ وذهب عقلك لضربت عنقـك ، فنهض وخرج (الطبري ٥ / ٤٥٥ والاخبار الطوال ٢٦٠) .

٩ - قولهم : قطع الله يده

لما أزمع أبو جعفر المنصور قتل أبي مسلم في السنة ١٣٧ ، دعاه ، ولامه ، وشتمه ، وقال له : يا ابن الخبيثة ، لقد ارتقيت - لا أمّ لك - مرتقى صعباً ، قتلني الله إن لم أقتلك ، ثم صفق باحدى يديه على الأخرى ، فخرج اليه قوم كان قد أعدّهم ، فخبطوه بسيوفهم ، والمنصور يصيح : اضربوا ، قطع الله أيديكم ، فصاح أبو مسلم : استبقني يا أمير المؤمنين لعدوّك ، فقال له : لا أبقاني الله إذن ، وأيّ عدوّ أعدى لي منك (الطبري ٧ / ٤٩٢ ووفيات الأعيان ٣ / ١٥٣ و١٥٤) .

وكان القاضي أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب ، قاضياً بواسط ، ثم ولي قضاء مصر ، سنة ٢٩٣ ، وكان لا يؤمّر أحداً من ولاة مصر ، فكان إذا أرسل إلى تكين أمير مصر في حاجة ، يقول : كيف أبو منصور ؟ وإذا ذكر هلال بن بدر ، قال : هلال بن بدر ، وكان الأمراء يركبون إليه ، وهو آخر قاضٍ ركب إليه الأمراء بمصر ، وآحتيج إلى تنظيم محضر في مجلس تكين أمير مصر ، فأمر القاضي الكاتب ، فبدأ المحضر بقوله : حضر مجلس الأمير أبي منصور تكين من شهد فيه . . . فلمح القاضي الكتابة ، فصاح بالكاتب : قطع الله يدك ، أكتب : حضر تكين مولى أمير المؤمنين ، مجلس القاضي علي بن الحسين ، فقال تكين : صدق القاضي ، المجلس له حيث حلّ (القضاة ٥٣٠ و٥٣١) .

وفي السنة ٦٧٤ نزل التتار على البيرة ، وكانوا ثلاثين ألف فارس ، ونصبوا على القلعة منجنيقاً ، وكان راميه مسلماً ، فنصب أهل القلعة عليه منجنيقاً ، ورموا به على مجانيق التتار ، فجاء عالياً عليه ، فقال رامي التتار : قطع الله من يدك ذراعاً ليستريح منك أهل البيرة لقلّة معرفتك ، ففطن لإشارته ، وقطع من رجل المنجنيق ذراعاً ، ورمى به ، فأصاب منجنيق التتار ، وكسره ، وخرج أهل البيرة ، فقتلوا خلقاً من التتار ، وأحرقوا المناجيق (شذرات الذهب ٥ / ٣٤٢) .

١٠ - قولهم : قطع الله لسانه

مدح طريف بن سوادة ، عمرو بن هداب ، وكان أبرصاً، فقال فيه :

أبــرص فيّــاضُ الـيــديــن أكـلفُ

فصاح به أصحاب عمرو : مـالك ، **قـطع الله لسانـك** ، فقال عمـرو : مه ، البرص من مفاخر العرب . (الحيوان ٦/١٦٤) .

وقال الخليفة عثمان بن عفان ، لأبي زبيـد الطائي : **اسكت ، قـطع الله لسانك** .

أقول : أبو زبيد الطائي شـاعر معمّـر مخضرم ، أدرك الاسـلام ، ومات على نصرانيته ، وكان عثمان يقرّبه ويدني مجلسه ، فدخل عليه يوماً ، وأنشده قصيدة يصف فيها الأسد ، فقال له عثمان : تالله تفتأ تـذكر الأسـد ، والله إنّي لأحسبـك جبانـاً ، فقـال : كـلّا يـا أميـر المؤمنين ، ولكنّي رأيـت منـه منـظراً وشهدت مشهداً لا يبرح ذكره يتجدّد في قلبي ، فقال لـه عثمان : وأين ذلـك ؟ فقال : خرجت في صيابة من أشراف العرب وفتيانهم ، نريـد الحارث بن أبي شمـر الغسّـاني ، فآخروّط بنـا السيـر ، في حمـارّة القيظ ، حتى إذا نضبت الأفـواه ، وذبلت الشفاه ، وأذكت الجـوزاء المعـزاء ، وذاب الصيهـد ، وصـرّ الجندب ، وضاف العصفور الضبّ في وكره ، وجاوره في جحره ، بدا لنا وادٍ

كثير الدغل ، دائم الغلل ، صحراؤه مغنّة ، وأطياره مرنّة ، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات ، وأصبنا من فضلات المزاود، وأتبعناها الماء البارد ، وبينما نحن كذلك إذ صرّ أقصى الخيل أذنيه ، وفحص الأرض بيديه ، فوالله ما لبث أن جال ، ثم حمحم فبال ، ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعت الخيل ، وتكعكعت الإبل ، وتقهقرت البغال ، فمن نافرٍ بشكاله ، وشاردٍ بعقاله ، فعلمنا أنّه السبع ، وأقبل أبو الحارث من أجمته ، يتضالع في مشيته ، كأنّه مجنون ، أو في وجارٍ مسجون ، لطرفه وميض ، ولأرساغه قضيض، ولصدره خطيط ، ولبلعومه غطيط ، كأنّما يخبط هشيماً ، أو يطأ رميماً له هامة كالمجنّ ، وخدّ كالمسنّ ، وعينان سجراوان ، كأنّهما سراجان يتّقدان ، وقصرة ربلة ، ولهزمة رهلة ، وكتد معبط ، وزند مفرط ، وساعد مجدول ، وعضد مفتول ، وكفّ شثن البراثن ، الى مخالب كالمحاجن ، فضرب بيديه فأرهج ، وكشر فأفرج ، عن أنياب كالمعاول ، مصقولة غير مفلولة ، وفم أشدق ، كالغار الأخرق ، ثم تمطّى بيديه ، وحفز بوركيه ، حتى صار ظلّه مثليه ، ثم أقعى فاقشعرّ ، ثم أقبل فاكفهرّ ، ثم تجهّم فازبأرّ ، فصاح به عثمان : اسكت ، قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين (معجم الأدباء ٤/ ١١٠) .

ولما خرج الرشيد الى خراسان ، ثقل في علّته بطوس ، واحضر له اثنان من أصحاب الثائر رافع بن الليث ، فاستنطقهما ، فتنصّل أحدهما ، وهو اخو رافع ، وأقسم له إنّه بريء ، فغضب منه صاحبه ، وقال له : قطع الله لسانك ، أنا والله ما زلت أدعو الله بالشهادة ، فلما رزقتها على يدي شرّ خلقه ، أخذت في الاعتذار ، فآغتاظ الرشيد ، وأمر بجزّارين ، قطعوهما عضواً عضواً . راجع تفصيل القصّة في كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي . تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٥٨ وفي هذا الكتاب ، في الباب السادس عشر (القتل بصنوف العذاب) الفصل الحادي عشر (القتل بتقطيع الأوصال) .

وقـالت عاتكـة بنت شهدة ، لابن جـامـع المغني : اسكت ، قـطع الله لسانك .

وكـانت شهدة أمّ عـاتكة نـائحة ، أمّـا عاتكـة فكانت من احـذق النسـاء بالغناء ، وكانت تحضر مجالس الغناء عند الرشيد ، فكان ابن جامع يلوذ منهـا بالترجيع الكثير ، فتقـول له : أين يـذهب بك ، هلمّ إلى معـظم الغناء ودعني من جنونك ، وأفرطت يوماً في الرّد على ابن جامع بحضرة الرشيـد ، فسارّهـا ابن جـامع ، قـائـلاً لهـا : أي أمّ العباس ، أنـا يشهـد الله ، أحب أن تحتكّ شعرتي بشعرتك ، فقالت له : اسكت ، قطع الله لسانك ، ولم تعاود بعد ذلك أذيّته (الاغاني ١٨ / ٣٤٣) .

١١ ـ قولهم : فض الله فاه

وصاح رهط من أهل العراق ، على عبد الرحمن بن خنيس : **فض الله فاك** .

وسبب ذلك : أنّ جلساء سعيد بن العاص ، أمير العراقيين بالكوفة ، تذاكروا جود طلحة بن عبيد الله ، فقال سعيد : إنّ من له مثل النشاشج (ضيعة لطلحة) لحقيق أن يكون جواداً ، ووالله ، لو أنّ لي مثله لأعاشكم الله عيشاً رغيداً ، فقال عبد الرحمن بن خنيس ، وكان حدثاً : والله ، وددت لو أنّ هذا الملطاط لك ـ يعني أراضي كانت لآل كسرى على جانب الفرات الذي يلي الكوفة ـ فقالوا له : **فضّ الله فاك** ، تتمنّى له سوادنا ، وثاروا إليه وإلى أبيه خنيس ، فضربوهما حتى غشي عليها (الطبري ٤ / ٣١٨) .

وقالت أروى بنت الحارث ، لمعاوية بن أبي سفيان : أتذكر عليّاً ، **فضّ الله فاك** .

وخلاصة القصة : إنّ أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، دخلت على معاوية بن أبي سفيان بالموسم (أي وقت الحجّ بمكّة) ، وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها ، قال : مرحباً بك يا عمّة ، قالت : كيف أنت يا ابن أخي ، لقد كفرت بعدي بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسمّيت بغير اسمك، وأخذت غير حقّك ، فخاشنها عمرو بن العاص ، فقرعته بجواب

مفحم ، ثم تلاه مروان ، فصعقته بجواب مسكت ، فقال لها معاوية : يا عمة ، إقصدي قصد حاجتك ، فقالت : تأمر لي بألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار ، قال : ما تصنعين يا عمّة بألفي دينار ؟ قالت : اشتري بها عيناً خرخارة ، في أرض خوّارة ، تكون لولد الحارث بن عبد المطلب ، قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أزوّج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم ، قال : نعم الموضع وضعتها ، فما تصنعين بألفي دينار ؟ قالت : أستعين بها على عسر المدينة وزيارة بيت الله الحرام ، قال : نعم الموضع وضعتها ، هي لك وكرامة ، ثم قال : أما والله ، لو كان عليّ ما أمر لك بها ، قالت : صدقت ، إنّ علياً أدّى الامانة ، وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيّعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقّه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها ، فلم تأخذ بها ، ودعانا عليّ إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا ، فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها ، وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به ، وإنما سألتك من حقّنا ، أتذكر علياً فضّ الله فاك وأجهد بلاك ، راجع القصة مفصلة في كتاب بلاغات النساء ص ٣٢ ـ ٣٥ .

وبلغ قتيبة بن مسلم ، بعد أن فتح سمرقند ، أنّ ملوك الشاش وفرغانة وخاقان ، اتّفقوا وبعثوا قوماً من آهل النجدة ليبيّتوا قتيبة وجيشه ، وبلغه خبرهم ، فوجّه إليهم نخبة من آهل النجدة لصدّهم ، ووقع الصدام بينهم ليلاً ، وأبصر أحدهم ، قتيبة في ساحة المعركة ، جاء إليها ليلاً متخفّياً ، فالتفت إليه وقال له : كيف ترى بأبي أنت وأمي ، فقال له : اسكت دقّ الله فاك (الطبري ٦ / ٤٧٧) .

وأنشد بشار بن برد ، مروان بن أبي حفصة ، قصيدة من شعره ، فلما بلغ إلى البيت :

وإذا قلت لها جودي لنا   خرجت بالصمت عن لا أو نعم

قال له مروان : يا أبا معاذ ، هلا قلت : خرسَتْ بدل خرجَتْ ، فقال له : فضّ الله فاك ، أتطيّر على من أحبّ بالخرس ؟ (الملح والنوادر ٢٨٧) .

ولما عزم الأمين ، على خلع المأمون من ولاية العهد ، شاور عبد الله بن خازم ، فقال له : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ، لا تكن أوّل الخلفاء نقض عهده ، واستخفّ بيمينه. فقال له الأمين : أسكت ، أسكت الله فاك . (مروج الذهب ٢ / ٣٠٨) .

١٢ ـ الشتائم على النفي أي المسبوقة بلا

في يوم من أيّام صفّين ، تضارب الناس بالسيوف حتى صارت كالمناجل ، وتطاعنوا بالرماح حتى تقصّفت ، ثم جثوا على الركب فتحاثوا بالتراب ، يحثو بعضهم التراب في وجه بعض ، ثم تراموا بالصخر والحجارة ، ثم تعانقوا وتكادموا بالافواه ، ثم تحاجزوا ، فكان الرجل من أهل العراق يمرّ على أهل الشام ، فيقول : كيف آخذ إلى رايات بني فلان ؟ فيقولون : ها هنا ، **لاهداك الله** ، ويمر الرجل من أهل الشام ، على أهل العراق ، فيقول : كيف آخذ إلى راية بني فلان ؟ فيقولون : ها هنا ، **لا حفظك الله ولا عافاك** . (شرح نهج البلاغة ٥ / ٢٤١) .

وقال أبو موسى الأشعري ، لعمرو بن العاص : مالك ، **لا وفقك الله** .

وتفصيل ذلك : أنّه لما وقع الاتفاق بين أهل العراق وأهل الشام ، على التحكيم ، وجعلوا القرآن حكماً ، واختار أهل العراق أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس ، واختار أهل الشام عمرو بن العاص ، وكتبوا بذلك صكاً واجتمع الحكمان في دومة الجندل ، وتذاكرا في الأمر ثم اتفقا على أن يعلنا خلع عليّ ومعاوية ، وجعل اختيار الخلف شورى بين المسلمين ، فلما تقدّما لاعلان القرار ، تقدّم أبو موسى ، فأعلنه ، وخلع علياً ومعاوية ، وأعلن أنّ للمسلمين أن يولّوا من أحبّوا ، فأعقبه عمرو بن العاص ، وقال : إنّ هذا قال ما سمعتم ، وإنّه خلع صاحبه ، ألا وانّي خلعت صاحبه كما خلعه ، وأثبتّ

صاحبي معاوية ، فقال له أبو موسى : مالك ، **لا وفّقك الله** ، غدرت وفجرت ، إنما مثلك كمثل الكلب ، إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، فقال له عمرو : انّ مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، وآنسل أبو موسى فركب راحلته ، وهرب، فلحق بمكة ، وقال : لقد حذرني ابن عباس غدر عمرو ولكنّي اطمأننت إليه ، ولم أظنّ إنّه يؤثر شيئاً على نصيحة المسلمين ، راجع التفاصيل في الأخبار الطوال ١٩٠ ـ ٢٠١ .

اقول : لما كان الشيء بالشيء يذكر ، فقد أثبت صاحب شرح نهج البلاغة ١٠ / ٥٦ و٥٧ نادرتين تتعلقان بالتحكيم ، قال : بعث عبد الملك بن مروان روح بن زنباع ، وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام ، وحذّرهما من كيده ، وخصّ بالتحذير روحاً ، فقال روح : يا أمير المؤمنين ، إنّ أبا هذا ـ يريد بلالاً ـ كان المخدوع يوم دومة الجندل ، لا أبي ، فعلام تخوّفني الخداع والكيد ، فضحك عبد الملك ، وغضب بلال ، وقال أبو عبيدة ، حكم بلال بن أبي بردة ، وهو على قضاء البصرة ، بالتفريق بين امرأة وزوجها ، فقال الرجل : يا آل أبي موسى ، إنّما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين . وجاء في العقد الفريد ٤ / ٤٣ ان الحجاج بن حنتمة ، سأل أحد القصّاص ، يهزأ به ، ما اسم بقرة بني اسرائيل ؟ فقال : إسمها حنتمة ، فقال له احد الاشعريين من أحفاد أبي موسى : في أيّ كتاب وجدت ذلك ؟ فقال : في كتاب عمرو بن العاص .

وقال قتيبة ، أمير خراسان ، لاخيه عبد الله بن مسلم : **لا يبعد الله غيرك** .

لما فتح قتيبة بن مسلم ، سمرقند ، أفضى إلى أثاث لم ير مثله ، وإلى آلات لم يسمع بمثلها ، فأراد أن يري الناس عظيم ما فتح الله عليهم ، ويعرّفهم أقدار القوم الذين ظهروا عليهم ، فأمر بدار ففرشت ، وفي صحنها قدور أشتات يرتقى إليها بالسلالم ، فأقبل الحضين بن المنذر بن الحارث بن

وعلة الرقاشي ، والناس جلوس على مراتبهم ، والحضين شيخ كبير ، فلما رآه عبـد الله بن مسلم ، قال لأخيـه قتيبة : ائـذن لي في كلامـه ، فقـال لـه : لا تـرده ، فإنّـه خبيث الجواب ، فـأبى عبد الله إلا أن يـأذن له ، وكـان عبد الله يضعّف ، وكان قد تسوّر حائـطاً إلى امرأة قبـل ذلك ، فـأقبل على الحضين ، وقال له : أمن الباب دخلت يا أبـا ساسـان ؟ قال : أجـل ، ضعف عمّك عن تسوّر الحيطان ، قال : أرأيت هذه القدور ؟ قال : هي أعظم من أن لا ترى ، قال : ما أحسب أنّ بكر بن وائل رأى مثلها ، قال : أجـل ، ولا عيلان ، ولـو كان رآها لسمّي شبعان ، ولم يسمّ عيلان ، فقـال له عبـد الله : أتعرف الـذي يقول :

عـزلنـا وأمّـرنـا وبكـر بن وائـلٍ | تجـرّ خصـاهـا تبتغي من تحـالف

قال : أعرفه ، وأعرف الذي يقول :

وخيبـة مـن يخيـب عـلى غنـيّ | وبـاهلة بن يـعصـر والـربـاب

فقال له : أتعرف الذي يقول :

كـأنّ فقـاح الأزد حـول ابن مسمـع | وقـد عـرقت أفـواه بكـر بن وائـل

قال : نعم وأعرف الذي يقول :

قـوم قـتيـبـة أمّهـم وأبـوهـم | لـولا قتيبـة أصبحـوا في مجهـل

قال : أما الشعر فأراك ترويه ، فهل تقرأ من القرآن شيئاً ؟

قال : أقرأ منه الكثير : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾ .

فغضب عبد الله ، وقال : والله ، لقد بلغني أنّ امرأة الحضين ، حملت إليه ، وهي حبلى من غيره .

قـال : فما تحـرّك الشيخ عن هيـأته الأولى ، ثم قـال على رسله : ومـا

يكـون ؟ تلد غلامـاً على فراشي ، فيقـال : فلان بن الحضين ، كمـا يقـال : عبد الله بن مسلم .

فأقبل قتيبة على أخيه عبد الله ، فقال له : لا يبعد الله غيرك .

والحضين هذا من بكر بن وائل ، وهو صـاحب لواء الإمـام عليّ بن أبي طـالب بصفّين على ربيعـة كلّهـا ، وفيـه قـال الإمـام علي : (العقـد الفـريـد ٤ / ٣٧ - ٣٩) .

لمن رايـة سـوداء يخفق ظلّهـا إذا قيـل قـدّمهـا حضين تقـدّمـاً
يقـدّمها في الصفّ حتى يـزيرهـا حياض المنايا تقطر الموت والدما

وتـلاقى جـريـر والأخـطل عنـد عبـد الملك بن مـروان ، فقـال جـريـر للأخطل : **لا حيّاك الله يا ابن النصرانية .**

دخـل جريـر على عبد الملك بن مـروان ، والأخطل عنـده ، وجريـر لا يعرفه ، فقـال الأخطل لجـرير : أنـا الذي منعت نـومك ، وهضمت قـومك ، فقال جرير لعبد الملك : من هـذا يا أميـر المؤمنين ؟ فضحك ، وقـال : هذا الأخطل ، فردّ جـرير بصـره إليه ، وقـال : **لا حيّاك الله يـا ابن النصرانيـة** ، اما منعك نومي فلو نمت عنك لكان خيراً لك ، واما تهضّمك قـومي ، فكيف لك بذلك وأنت ممن ضربت عليهم الذلّـة والمسكنة ، ائـذن لي يا أميـر المؤمنين في ابن النصـرانية ، فقـال عبد الملك : لا يكـون ذلـك بين يـديّ (الاغـاني ٨ / ٧٢) .

وقـالت الشقراء بنت عـوانة الـطائيـة ، زوجـة عبـد الملك بن مـروان ، لروح بن زنباع : **لا حيّاك الله ، ولا وصل رحمك .**

وسبب ذلـك : إنّ عبد الملك تـزوّج الشقراء الـطائية ، فـأعجب بهـا ، وغلبت عليـه فغارت زوجتـه عاتكـة بنت يزيـد ، وكلّمت روح بن زنبـاع ، أن

يسقطها من عينه ، فذمّها عنده ، ونقل عبد الملك إلى الشقراء ، ما قاله روح فيها ، فلم تصدّق ، فأحضرها في مجلس ، من وراء ستارة ، وجاء روح فأعاد عليه ما قاله من قبل في ذمّها ، فغضبت ورفعت الستر ، وقالت له : **لا حيّاك الله ، ولا وصل رحمك** ، راجع القصّة في المحاسن والمساوىء ٢ / ٦٧ - ٦٩ .

وقال المنصور ، ليزيد بن أبي أسيد : **قم لا أقام الله رجليك** .

وسبب ذلك : أن المنصور العبّاسي ، خلا يوماً بيزيد بن أبي أسيد ، وسأله : ماذا ترى في قتل أبي مسلم الخراساني ؟ فقال : أرى أن تقتله ، وتتقرّب إلى الله بدمه ، فوالله ، لا يصفو ملكك ، ولا تهنأ بعيش ما بقي .

فنفر منه المنصور نفرة ، ظنّ يزيد أنّه سوف يأتي عليه ، وقال له : **قطع الله لسانك، وأشمت بك عدوّك** ، أتشير عليّ بقتل أنصر الناس لنا ، وأثقلهم على عدوّنا ، أما والله ، لولا حفظي لما سلف منك ، وأن أعدّها هفوة من هفواتك ، لضربت عنقك ، **قم لا أقام الله رجليك** .

فقام يزيد ، وقد أظلم بصره ، وتمنّى أن تسيخ به الأرض .

فلما كان بعد قتل أبي مسلم ، قال المنصور : يا يزيد ، تذكر يوم شاورتك ؟ فقال له: نعم ، قال : والله ، كان رأيك الصواب ، ولكنّي خشيت أن يظهر ، فتفسد مكيدتي (الاذكياء ٣٨ و٣٩) .

وشتم الهادي العباسي ، عبد الله بن مالك صاحب الشرطة ، فقال له : **لا سلّم الله عليك** .

وسبب ذلك : إنّ عبدالله بن مالك، كان صاحب شرطة المهدي، وكان المهدي يبعث إليه بندماء الهادي ، ومغنّيه ، ويأمره بضربهم ، وكان الهادي يكاتبه في الرفق بهم ، فلا يلتفت إلى ذلك ، فلما ولي الهادي

الخلافة ، أيقن عبد الله بالتلف ، ودخل إلى الهادي ، وسلّم ، فقال له : **لا سلّم الله عليك** ، وذكّره بما كان يكاتبه في أمر التخفيف عن ندمائه ، فلا يلتفت إليه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، تأذن لي في آستيفاء الحجّة ؟ قال : قل ، قال : ناشدتك الله ، أيسرّك أنّك ولّيتني ما ولاّني أبوك ، فأمرتني بأمر ، فبعث إليّ بعض بنيك بأمر يخالف أمرك ، فاتّبعت أمره وعصيت أمرك ؟ قال : لا ، قال : فكذلك أنا لك ، وكذلك كنت لأبيك ، فرضي عنه ، وخلع عليه ، وأبقاه على ما كان يتولاّه (الطبري ٨ / ٢١٦) .

وشتمت زينب بنت سليمان بن علي العباسي ، مزنة ، امرأة مروان بن محمد الجعدي، آخر الحكّام الأمويين، فقالت لها: **لا حيّاك الله، ولا قرّبك، يا عدوّة الله** .

للتفصيل ، راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف رقم القصة ٣٨٩ ج٤ ص ٧٥ ـ ٨٢.

وكان إسحاق بن معاذ بن مجاهد بن خير ، شاعراً ، وحضر إلى قاضي مصر المفضل بن فضالة ، في قضية ، في السنة ١٦٨ ، وقدم إليه قصّة لينظر فيها ، فأخطأ وقدّم إليه ورقة فيها هجوه ، وفيها :

خف الله وآسمع من مقالي مفضّل فإنّك عن فصل القضاء ستسأل
وقد قال أقوام عجبت لقولهم : أقاضٍ له شَعْرٌ طويلٌ مرجّل

فنظر المفضّل في الرقعة ، ثم رمى بها إليه ، وقال له : **قم لا حيّاك الله** . (القضاة للكندي ٣٧٩ و٣٨٠) .

ولما ثار الحسين بن علي صاحب فخّ بالمدينة في السنة ١٦٩ ، آذى أصحابه الناس ، فلما خرج إلى مكة ، التفت إلى أهل المدينة ، فقال لهم : **لا أخلف الله عليكم بخير** ، فقال الناس وأهل السوق : **وأنت فلا أخلف الله عليك بخير ، ولا ردّك** ، (الطبري ٨ / ١٩٥) .

وكان أبو نواس بالبصرة ، يتعشق جنان ، جـارية امـرأة من ثقيف ، تقيم في حكمـان ، وكان أبـو عثمان قـريب الثقفيّة سيّـدة جنان ، فكـان أبو نـواس يخرج في كلّ يوم يسأل القادمين من حكمان عن جنان ، وأبصر يـوماً الـطبيب ماسرجويه ، فخجل أن يسألـه عن جنان ، فسـأله عن أبي عثمـان ، فنظر إليـه ماسرجويه ، وقال له : جنـان صالحـة ، فقال أبـو نواس : (تـاريخ الحكمـاء ٣٢٥) .

أســأل الــواردين من حـكمــان ... كـيـف خـلّفـتـم أبــا عـثـمــان

فيقــولــون لي جنــان كـمــا سـ ... ـرّك في حالها فسل عن جنان

مــا لهم لا يـبــارك الله فيـهـم ... كيف لم يغن عنـدهم كتمـاني

ولمـا قبض على إبراهيم بن المهـدي ، وهو بـزيّ امـرأة ، أدخـل على المأمون ، وهو بذلـك الزيّ ، فسلّم على المـأمون بـالخلافـة ، فقال لـه : لا سلّم الله عليك ، ولا كلأك ، ولا حفظك ، ولا رعاك .

للتفصيـل ، راجع كتـاب الفرج بعـد الشدة للقـاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٥٢ ج٣ ص٣٤٢ـ ٣٤٤ .

أقـول : إبـراهيم هـذا ، من أعـظم النـاس جحـوداً للنعمــة ، وإنكـاراً للجميل ، فإنّه ادّعى الخلافة ، وحارب المـأمون ، فلمـا انتصر عليـه ، وظفر به ، حقن دمه وعفا عنه ، وكـان حقن دمه بسعي من الحسن بن سهـل ، فإنّـه أوعـز لابنته بـوران ، لمّا تـزوّجها المـأمـون ، وطلب منهـا أن تسـألـه حـاجـة يقضيها ، طلبت منه العفو عن إبراهيم ، فعفا عنه ، ولكنّ هذا الإحسان ، من المأمون ، ومن الحسن ، لم يـلاق في إبراهيم تلك النفس الـطيّبة التي تحفظ الجميـل ، إذ أنّه كـرّر أكثر من مـرّة . قائـلاً : إنّ المأمـون لم يستبقني محبّـة بي ، ولا صلة لـرحمي ، ولا رباء للمعـروف عنـدي ، ولكنّـه سمـع من هـذا

الحلق ، ما لم يسمع من غيره ، وبلغ المأمون قوله هذا ، فقال ، هذا أكفر الناس لنعمة (الاغاني ١٠ / ١٠٣ و١٢٩ و١٣٠) . وقال أبو العيناء : سمعت إبراهيم بن المهدي ، يقول ، وذكر عفو المأمون عنه ، فقال : والله ، ما عفا عنّي تقرّباً إلى الله ، ولا صلة للرحم ، ولكن قامت له سوق في العفو ، فكره أن تكسد بقتلي ، قال أبو العيناء ، فذكرت هذا الحديث لأبي يعقوب سليمان بن جعفر ، فقال : ما أكفره ، أمّا المأمون ، فقد فاز بحظّها ، كفر من كفر ، وشكر من شكر (البصائر والذخائر م ٣ ق ١ ص ٦٢) .

ودخل الحسن بن سهل على المأمون ، وهو يشرب ، فقال له : بحياتي ، وبحقّي عليك يا أبا محمد ، إلاّ شربت معي قدحاً ، وصبّ له من نبيذه قدحاً ، فأخذه بيده ، وقال : من تحبّ أن يغنّيك ؟ فأومأ إلى إبراهيم بن المهدي ، فقال له المأمون : يا عمّ غنّه ، فغنّاه :

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت

يعرّض به لما كان لحقه من السوداء والاختلاط ، فغضب المأمون ، حتى ظنّ إبراهيم أنّه سيوقع به ، ثم قال له : أبيت إلاّ كفراً ، يا أكفر خلق الله لنعمة ؟ والله ما حقن دمك غيره ، ولقد أردتُ قتلك ، فقال لي : إن عفوتَ عنه ، فعلتَ فعلاً لم يسبقك إليه أحد ، فعفوتُ ـ والله ـ عنك لقوله ، أفحقّه أن تعرّض به ، ولا تدع كيدك ولا دغلك ، أو أنفت من إيمائه إليك بالغناء ؟

فوثب إبراهيم قائماً ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أذهب حيث ظننت ، ولستُ بعائد ، فأعرض عنه . (الاغاني ١٠ / ١٣٢) .

وذكر صاحب وفيات الأعيان ١ / ٤١ أنّ إبراهيم بن المهدي ، كان يقلّب خاتماً في يده، في مجلس المعتصم، فسأله عنه العباس بن المأمون، فقال له: هذا خاتم رهنته في أيّام أبيك فما فككته إلاّ في أيّام أمير المؤمنين ، فقال له العباس : والله ، لئن لم تشكر أبي على حقن دمك ، مع

عظيم جرمك ، لا تشكر أمير المؤمنين على فكّ خاتمك .

وكان إبراهيم شديد السواد ، ورث سواده عن أمّه السوداء ، واسمها شكلة ، وكان يعيّر بها ، وقدوهم أبو الفرج رحمه الله في كتاب الاغاني (١٠ / ٩٥) إذ ذكر أنّ شكلة أمّ إبراهيم هي ابنة شاه إفرند ، من أصحاب المازيار ، قتل الأب مع المازيار بطبرستان ، وسبيت ابنته شكلة فحملت إلى المنصور ، وهذا سهو من أبي الفرج رحمه ، فإن ابنة شاه أفرند التي سبيت في طبرستان ، أخذها العباس بن محمد العباسي ، وهي أمّ ولده إبراهيم بن العباس ، وقد أوضح ذلك صاحب العيون والحدائق ٣ / ٢٢٩ .

ولم يشتهر إبراهيم بغير الغناء ، في الوقت الذي كان فيه الغناء مقصوراً على طبقة معيّنة من الناس ، حتى أنّ المهديّ العباسيّ ، تعجّب لما عرف أنّ إسماعيل بن جامع المغنّي ، من قريش ، فقال له : قبّحك الله ، رجل من قريش يغنّي ؟ (الاغاني ٦ / ٣٠٣) ، ولذلك فقد كان بنو العباس يعيّرون بإبراهيم ، قال أبو فراس : (ديوان ابي فراس ٢٥٥ و٢٥٦) .

بنو عليّ رعايا في ديارهم ... والأمر تملكه النسوان والخدم
منكم عليّة أم منهم وكان لكم ... شيخ المغنّين إبراهيم أم لهم

وذكروا أنّ إبراهيم أهدى للمعتصم نبقاً ، وبعث مع النبق رقعة كتب فيها شطراً ، هو : تفايلت أن تبقى فأهديتك النبقا (يريد تفاءلت) ،! وحدث أن لصقت الفاء بالياء ، فأصبحت الكلمة تفيّلت .

فكتب إليه المعتصم : ما تفيّلت يا عم ، ولكن تبقّرت .

وكان إبراهيم شديد الإنحراف عن عليّ بن أبي طالب ، فحدّث المأمون أنّه رأى علياً في النوم ، ومشيا حتى وصلا قنطرة ، فذهب عليّ يتقدّمه ليعبرها ، فأمسك به إبراهيم ، وقال له : أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحقّ به منك ، قال إبراهيم : فما رأيت له في الجواب بلاغة كما

يوصف عنه ، فإنه ما زادني على أن قال : سلاماً ، سلاماً ، فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلغ جواب ، قال : وكيف ؟ قال : عرّفك أنّك جاهل ، لا يجاوب مثلك ، قال عزّ وجلّ : وإذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا : سلاماً . (الاغاني ١٠ / ١٢٦) .

ولما اعتلّ إبراهيم في السنة ٢٢٤ أوصى وصيّة ، شهد بها جماعة من بني العباس ، وأوصى لولد أبي بكر وعمر وعثمان وطلحة ، وسائر ولد العشرة ، ولأولاد الأنصار ، ولم يوص لولد عليّ عليه السلام بشيء ، فقال الواثق : قبّح الله فعله ، ترك أهله ، وخالف رسول الله ﷺ ، في قوله : أدانيك ، أدانيك ، والله ، لا أمضاها أمير المؤمنين على هذه الصفة ، فلما توفي ، أمر المعتصم أن يجعل لولد علي عليه السلام في الوصيّة ، كما لولد العبّاس ، وأمضاها على ذلك (الأوراق للصولي أشعار أولاد الخلفاء ٤٨ و٤٩) .

ولما أعلن إبراهيم خلافته ، تناوله الشعراء بألسنتهم ، فقال فيه دعبل :

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله	فهفا إليه كلّ أحمق مائق
إن بات إبراهيم مضطلعاً بها	فلتصلحن من بعده لمخارق

ولما عجز إبراهيم عن تدارك أرزاق جنده ، قيل على سبيل السخرية به ، إنّه سوف يغنّي للجند أصواتاً بدل الرزق ، قال الشاعر : (تاريخ بغداد ١٤٢/٦).

يا معشر الأجناد لا تيأسوا	من رحمة الله ولا تقنطوا
فسوف تسقون حنينيّة	يلتذّها الأمرد والأشمط
والمعبديّات لقوّادكم	لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق أجناده	خليفة مصحفه البربط

الحنينيّة : أصوات من غناء حنين ، والمعبديات : غناء معبد ، والبربط : آلة موسيقية .

ولما استكثر المعتصم ، وهو ببغداد من الاتراك ، فأخذوا يؤذون أهل بغداد ، وتأذّت بهم العامّة ، فذكر أنه ركب المعتصم في يوم عيد ، منصرفاً من المصلّى ، فلما صار في مربعة الخرسي ، قام إليه شيخ ، فقال له : يا أبا إسحاق ، فابتدره الجند ليضربوه ، فكفّهم المعتصم عنه ، وقال له : مالك ؟ فقال له : لا جزاك الله عن الجوار خيراً ، جئت بهؤلاء العلوج ، فأسكنتهم بين أظهرنا ، فأيتمت بهم صبياننا ، وأرملت نسواننا ، وقتلت رجالنا ، فدفع ذلك المعصتم إلى بناء مدينة سامراء ، والانتقال إليها . (الطبري ٩ /١٨) .

وقال رجل من بني كلاب ، لفتى استلّ فرسه : لا جزاك الله من طارق خيراً ، طلّقت زوجتي ، وأخذت قعدتي ، وقتلت عبدي ، راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣ / ١٦٨ وفي كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٦٣ .

وذكر ابن بطّة العكبري ، إنّه قدم من عكبرا إلى بغداد ليقرأ على أبي بكر بن مجاهد، فتقدّم إليه ، وقال له : أنا غريب ، وينبغي أن تقدّمني على غيري ، فقال لي : من أيّ بلد أنت ؟ قلت : من عكبرا ، فقال : لا ردّ الله غربتك ، تغدّيت مع أمّك ، وجئت إليّ .

أقول : عكبرا من ضواحي بغداد ، تبعد عنها عشرة فراسخ (نشوار المحاضرة ، رقم القصة ٦ / ٩٣) .

وروى أبو بكر الباغندي ، إنّه طرق على عبد الله بن أيّوب المخرمي (ت ٢٦٥) بابه ، وقال له : البشرى ، خرج توقيع السلطان بتقليدك القضاء في بغداد أو سرّ من رأى ، فأطبق الباب في وجهه ، وقال له : بشرك الله

بالنار . (نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ٤ / ٥٤) .

وتـزوّج علي بن الحسين العلوي ، رقية بنت عمـرو العثمانيـة ، وكانت تحت المهديّ ، فغضب موسى الهادي ، وأحضره ، فقال له : أعياك النساء ، إلّا امرأة المؤمنين ؟ فقال له : ما حرّم الله على خلقه إلّا نساء جدّي ﷺ أمّا غيرهنّ ، فلا ، ولا كرامة ، فشجّه بمخصرة في يده ، وأمر به فضرب خمسمائة سوط (الطبري ٨/٢١٩) .

وفي السنة ٢٩٥ توفّي إسماعيل بن أحمد الساماني ، أمير خـراسان ومـا وراء النهر ، وكان حليماً ، سمع يوماً مؤدّب ولده أحمد ، يشتم أحمد بقوله : لا بارك الله فيك ، ولا فيمن ولدك ، فدخل اليه ، وقال له : يا هذا ، نحن لم نذنب إليك ذنباً ، فهل ترى أن تعفينا من السبّ ، وتخصّ به المذنب ، فارتاع المؤدب ، فخـرج إسماعيـل وأمر لـه بصـلة ، يسكّن بها روعـه . (ابن الأثير ٨ / ٥) .

ولما بويع ابن المعتز بالخلافة ، خلافة يوم وليلة ، دخـل عليه يحيى بن علي المنجّم ، فسلّم عليـه بـالخـلافـة ، فقـال لـه : لا سلّم الله عليـك ، يـا كلب ، راجـع القصّة مفصلة في كتـاب الفرج بعـد الشدة للقـاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٤٠٢ .

وقال أبو الحسن البتّي لشكـح المنجّم : لا بشرّك الله بخيـر ، ولا حيّاك ولا بيّاك .

والسبب في ذلك : أن أبا الحسن ، كـانت له عنـد الوزيـر مؤيّد الملك حاجة ، ومـرّ في طريقـه على شكح المنجّم ، وكـان أعمى ، فأصـرّ أصحابـه على سؤال المنجّم عما إذا كانت هذه الحاجـة سـوف يقضيها الوزيـر أم لا ، وسألوه ، فقـال : حاجـة أبي الحسن لا تنقضي ، فغضب أبو الحسن ، وقـال له : لا بشّرك الله بخير ، ولا حيّاك ولا بياك ، ثم نهض ، إلى ديوان الوزير ،

فلم يقض الحاجة ، وخرّق الرقعة (تاريخ الحكماء ٢١١ و٢١٢) .

وعاد رجل مريضاً ، فسأله عن علّته ، فقال : وجع الركبتين ، فقال : لقد قال جرير بيتاً ذهب عنّي صدره ، وبقي عجزه ، وهو قوله :

وليس لداء الركبتين طبيب

فقال المريض : لا بشّرك الله بخير ، ليتك ذكرت صدره ، ونسيت عجزه (اخبار الحمقى ١٦٣) .

١٣ ـ شتائم مختلفة

وفي يوم الطف ، سنة ٦١ خرج زهير بن القين من أنصار الحسين ، فكلّم أهل الكوفة ، فصاح به شمر ذي الجوشن : اسكت ، اسكت الله نأمتك ، فقال له زهير : يا ابن البوّال على عقبيه ، إنّما أنت بهيمة . (الطبري ٥ / ٤٢٦) .

ونشزت على الأعمش امرأته، فكلّم أحد أصحابه، واسمه أبو ليلى وطلب منه أن يدخل عليها ويصلحها ، فدخل عليها ، وقال لها : يا امرأة ، إنّ الله قد أحسن قسمك ، هذا شيخنا ، وسيّدنا ، وعنه نأخذ ديننا وحلالنا وحرامنا ، لا يغرّك منه عموشة عينيه ، ولا خموشة ساقية ، ولا رعشة يديه ، فغضب الأعمش ، وقال له : قم ، أعمى الله قلبك ، فقد أخبرتها بطائفة من عيوبي لم تكن من قبل تعرفها (وفيات الأعيان ٢ / ٤٠١ واخبار الحمقى ١٤٦) .

وفي معركة العقر ، لما قتل يزيد بن المهلب ، وأخواه حبيب ، ومحمد ، كان أخوهما المفضل بن المهلب يحارب في جهة أخرى ، فأتاه أخوه عبد الملك ، وخاف أن يخبره بقتل أخوته فيستقتل ، فقال له : إنّ الأمير قد آنحدر إلى واسط ، فانحدر المفضل عندئذ ، ولما علم بقتل إخوته ، حلف ألّا يكلم أخاه عبد الملك أبداً ، وكانت عين المفضل قد أصيبت في حرب الخوارج ، فقال : فضحني عبد الملك ، فضحه الله ، ما عذري إذا

رآني الناس ، فقالوا : شيخ أعور مهزوم ، الا صدقني فقاتلت حتى أقتل . (شرح نهج البلاغة ٣ / ٢٥٣) .

وفي معركة الطفّ ، نادى شمر بن ذي الجوشن ، عليّ بالنار حتى أحرق هذا البيت على أهله ، فصاح النساء وخرجن من الفسطاط ، فصاح به الحسين : يا ابن ذي الجوشن ، تدعو بالنار لتحرق بيتي على أهلي ، **حرّقك الله بالنار** . (الطبري ٥ / ٤٣٨) .

ولما خرج بهلول بن بشر في السنة ١١٩ ، ببست بعث إليه خالد القسري ، جيشاً من جند الشام ، فطعن بهلول قائد جيش الشام طعنة أنفذها ، فصاح القائد : قتلتني ، **قتلك الله** ، فقال بهلول : **إلى النار أبعدك الله** (الطبري ٧ / ١٣١) .

وخطب أبو حمزة الخارجي ، في أهل المدينة ، فقال لهم : **أبعدكم الله وأسحقكم** .

كان أبو حمزة الخارجي قد ظهر بمكة في السنة ١٢٩ في سبعمائة من أصحابه ، وهادنه عامل مكة عبد الواحد بن سليمان ، فلما انقضى الحجّ ، جنّد عبد الواحد جيشاً من أهل المدينة لحرب أصحاب أبي حمزة ، فلا قوه بقديد ، فقاتلهم أبو حمزة ، وانتصر عليهم ، وقتل منهم سبعمائة ، واستولى على المدينة ، وصعد المنبر ، فقال : يا أهل المدينة ، سألناكم عن ولاتكم هؤلاء ، فأسأتم ـ لعمر الله ـ فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظنّ ؟ فقلتم لنا : نعم ، وسألناكم : هل يستحلّون المال الحرام والفرج الحرام ؟ فقلتم لنا : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلاّ تنحّوا عنّا وعنكم ، فقلتم : لا يفعلون ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم فإن نظهر ، نحن وأنتم ، نأتِ بمن يقيم فينا كتاب الله وسنّة نبيّه محمد ﷺ ، فقلتم : لا نقوى على قتالهم ، فقلنا لكم : فخلّوا بيننا وبينهم ، فإن نظفر

نعدل في أحكامكم ، ونحملكم على سنّة نبيّكم ﷺ ، ونقسم فيئكم فيكم ، فأبيتم ، وقاتلتمونا دونهم ، فقاتلناكم ، فقتلناكم ، فأبعدكم الله ، وأسحقكم . (الطبري ٧ / ٣٧٤ ـ ٣٩٥) .

ولما بايع الرشيد لأولاده ، بولاية العهد ، واستحلف الأمين في الكعبة ، لأخيه المأمون ، ردّه جعفر البرمكي إلى الكعبة ، واستحلفه ثلاث مرات ، قال له : فإن غدرت بأخيك ، خذلك الله ، حتى فعل ذلك ثلاثاً ، في كل مرّة يحلف له فيها ، وكان هذا من جملة الأسباب التي اضطغنت من اجلها زبيدة أمّ جعفر على البرامكة ، وكانت أحد من حرّض الرشيد على استئصالهم (مروج الذهب ٢ / ٢٧٩) .

ولما قتل القائد يزيد بن مزيد الشيباني ، الوليد بن طريف الشيباني الخارجي ، في المعركة ، لبست ليلى أخت الوليد ، الدرع والجوشن ، وحملت على الجيش ، فعرفها يزيد ، وقال : دعوها ، ثم خرج إليها ، فضرب بالرمح ، قطاة فرسها ، وقال لها : اغربي ، غرب الله عليك ، فقد فضحت العشيرة ، فاستحيت ، وانصرفت (الاغاني ١٢ / ٩٥ و٩٦) .

ووقع الوزير علي بن عيسى ، وزير المقتدر ، إلى عامل من عماله ، كتاباً بعزله ، قال فيه : قد كثرت منك الشكيّة ، وعظمت فيك البليّة ، بفساد طويّتك ، ورداءة نيّتك ، وليس مثلك من رتّب لمعالي الأمور ، ولا من يعتمد في صلاح الثغور ، وقد وقفت من خبرك على الجلّ منه ، وعرفت حقيقة ما تناهي إليّ عنه ، فانصرف خسيس القدر ، بتّ الله منك العمر (البصائر والذخائر ٢ / ١ / ٥٧) .

وشتمت امرأة زوجها ، فقالت له : سوّد الله وجهك ، وبيّض جسمك ، دعت عليه بالبرص (بلاغات النساء ٩٤) .

وغضبت مغنّية بواسط ، على صاحبها المتخلّف ، فقالت له : **قطع الله ظهرك** .

ذكر ذلك أبو أحمد الحارثي ، قال : كان عندنا بواسط ، رجل متخلّف موسر ، اسمه أبو محمد بن أبي أيوب ، وكان يعاشرنا بمغنية يهواها ، وكان مما يقترحه عليها من غنائها ، صوت أوّله .

إنَّ الخليط أجدّ منتقله ولو شكِ بينٍ حمّلت إبله

فاقترحه عليها يوماً ، وقال لها : غنّي لي :

إنّي خريت فجئت انتقله

فقالت له : قطع الله ظهرك ، أنا أغنّي شيئاً من ذلك ؟ واقترح عليها مرة أن تغنّي صوتاً لها ، أوّله :

خليليّ هيّا نصطبح بسواءِ ونروي قلوب همّهنّ صوادِ

فقال لها : غنّي يا ستّي :

خليليّ هيا نصطبح بسماد

فقالت له : إذا عزمت على هذا فوحدك ، راجع القصة مفصّلة في نشوار المحاضرة ج١ ص ١٠١ و١٠٢ .



الفصل الثاني

شتائم غير موجعة

أشدّ كلمة شتم سمعت من الحسن ، انّه كانت بينه وبين عمرو بن عثمان خصومة في أرض ، فعرض الحسن أمراً لم يرضه عمرو ، فقال الحسن : فليس له عندنا إلّا ما يرغم أنفه ، قال : وهذه أشدّ كلمة شتم سمعت من الحسن (تاريخ الخلفاء ١٩٠) .

ولما قتل المنصور محمداً (النفس الزكيّة) ، وأخاه ابراهيم ، قال لجلسائه : والله ، ما رأيت رجلاً أنصح من الحجّاج لبني مروان ، فقام المسيّب بن زهير الضبّي، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سبقنا الحجّاج بأمر تخلّفنا عنه ، والله ، ما خلق الله على جديد الأرض خلقاً أعزّ علينا من نبيّنا ﷺ، وقد أمرتنا بقتل اولاده فأطعناك وفعلنا ذلك ، فهل نصحناك أم لا ؟ فقال له المنصور : اجلس ، لاجلست (مروج الذهب ٢/٢٣٦) .

وجاء أشعب الطامع ، الى أبي بكر بن يحيى ، من آل الزبير ، فشكا إليه حاله ، فأمر له بصاع من تمر ، ورأى أشعب في حال رثّة ، فقال له : ويحك يا أشعب ، أنت في سنّك ، وشهرتك ، تجيء في هذه الحال الرثّة ، فلا تعطى ، إذهب فأدخل الحمّام ، وأخضب لحيتك ، وأعطاه ثياب صوف يلبسها ، ففعل ذلك ، وحسنت هيأته ، فذهب إلى هشام بن الوليد ، فسأله ، فأعطاه عشرين ديناراً ، فطفق أشعب كلّما جلس في حلقة ، قال : أبو بكر بن يحيى جزاه الله عنّي خيراً ، أعرف الناس كيف تكون المسألة ، ويقصّ عليهم

كيف نصحه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فقال له : يا عدوّ نفسه ، فضحتني في الناس ، أهذا جزائي منك (الاغاني ١٩/١٤٣) .

وقال المأمون لرجل تعرّض له بالشام : أعزب ، فعل الله بك .

وسبب ذلك : إنّ رجلاً تعرّض بالشام للمأمون ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنظر لعرب الشام ، كما نظرت لعجم خراسان ، قال له ذلك مراراً ، فقال له المأمون : لقد أكثرت عليّ ، والله ، ما أنزلتُ قيساً عن ظهور خيولها إلّا وأنا أرى أنّه لم يبق في بيت مالي درهم واحد (يعني فتنة ابن شبث العامري) وأما اليمن ، فوالله ما أحببتها ولا أحبّتني قط (يريدانّ اليمانية هواهم مع بني أميّة) ، واما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني حتى تكون من أشياعه ، وأما ربيعة فساخطة على ربّها منذ أن بعث الله نبيّه من مضر ، ولم يخرج منها اثنان ، إلّا خرج أحدهما شارياً ، أعزب ، فعل الله بك (ابن الأثير ٦/ ٤٣٢ و٤٣٣) .

وسأل المعتصم وزيره أحمد بن عمّار البصري ، عن الكلأ ، فقال : لا أدري ، فقال المعتصم : خليفة أمّي ووزير عامّي (شذرات الذهب ٢/٧٨) .

وقال المعتصم ، لإسحاق الموصلي النديم : يا صفيق الوجه .

وسبب ذلك : إنّ المعتصم ، ذكر في مجلسه أحد أصحابه ، وكان غائباً فقال : تعالوا ، نقول ما يصنع في هذا الوقت ، وقال كلّ واحد شيئاً ، حتى وصلت النوبة إلى إسحاق الموصلي ، وقال له المعتصم ، فقال : أقول فأصيب ، قال : أتعلم الغيب ؟ قال : لا ، ولكنّي أفهم ما يصنع ، وأقدر على معرفته ، قال : فإن لم تصب ؟ قلت : وإن أصبت قال : لك حكمك ، قلت : وإن لم أصب فلك دمي ، قال : وجب ، قلت : وجب ، فقال : قل ، قلت : هو الآن يتنفّس ، قال : وإن كان ميتاً ؟ قلت : تحفظ الساعة

التي تكلّمت فيها ، فإن مات قبلها فقد قمرتني ، قال : قد أنصفت ، قلت : فالحكم ؟ قال : احكم ما شئت ، قلت : حكمي رضاك يا أمير المؤمنين ، قال : فإنّ رضاي لك ، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم . أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين بذلك ، قال : فإنّها مائتا ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أحوجني إلى ذلك ، قال : فإنّها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك ، فقال : يا صفيق الوجه ما نزيد على هذا (معجم الأدباء ٢ /٢٠٧ /٢٠٨).

ولما اعتقل المتوكّل ، سليمان بن وهب ، أسلمه إلى إسحاق بن إبراهيم الطاهري ، ثم عتب عليه بعد أيّام أنّه لم يسىء معاملته ، ولم يحصل منه على مال ، فأحضره إسحاق وقال له : يا فاعل ، يا صانع ، تعرّضني لاستبطاء أمير المؤمنين ، والله لأفرّقنّ بين لحمك وعظمك ، ولأجعلنّ بطن الأرض أحبّ إليك من ظهرها ، راجع تفصيل القصة ، وكيف تخلّص من شدّته ، في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، رقم القصة ٧٣ .

وكان الخليفة القائم بأمر الله ، نظيف اللسان ، وكان أشدّ ما يقول عند غضبه ، أن يقول لمن غضب عليه : يا عامي .

وذكر أبو الفضل محمد بن علي الوكيل، قال: دخلت يوماً إلى المخزن (وزارة الداخلية) فلم يبق أحد ، إلاّ وأعطاني قصّة ، فامتلأت أكمامي بالرقاع ، فلما رأيت كثرتها ، قلت : لو كان هذا الخليفة أخي أو ابن عمي ، لضجر من كثرة هذه الرقاع ، فألقيتها في البركة ، وكان الخليفة يراني ، وأنا لا أعلم ، فلما وقفت بين يديه ، أمر الخدم فرفعوا الرقاع من الماء ، وشرّوها في الشمس ، وحملت الى الخليفة، فوقّع فيها بأجمعها ، ثم قال لي : يا عامي ، ما حملك على هذا الفعل ؟ (المنتظم ٨ /٥٩) .

وكـان الملك الصالـح نجم الـدين بن أيـوب ، ملك مصـر (ت ٦٤٧) نظيف اللسان أيضاً ، لم تسمع منه كلمة قبيحـة قط ، فكان أكثـر ما يقـول اذا شتم : **يا متخلّف** . (النجوم الزاهرة ٦/٣٣١) .

١ ـ قولهم أفّ وتفّ

الآفّ : وسخ الأذن
والتفّ : وسخ الاظفار
شتم يستعمل في كلّ ما يتأذّى منه الانسان

كانت سلمى بنت أبي حفصة ، تحت المثنّى بن حارثة الشيبـاني ، فلما قتل ، تزوّجها سعد بن أبي وقاص ، فلما كانت ليلة أرماث ، اشتـدّ القتال بين العرب والفرس ، فلمـا رأت شدّة البـأس ، صاحت : وامثنّيـاه ، ولا مثنّى لي اليوم ، فلطمها سعد ، فقالت له : أفٍّ لك ، أجبناً وغيرة (الاغاني ١٩/٥)

وجـرى بين الحسن وبين مـروان كـلام ، فـأغلظ لـه مـروان ، والحسن ساكت ، ثم امتخط مروان بشماله ، فقال له الحسن : ويحك ، أما علمت أنّ اليمين للوجـه ، وأنّ الشمال للفـرج ، أفٍّ لـك ، فسكت مـروان . (تـاريـخ الخلفاء ١٩٠).

٢ ـ قولهم : بفيه الكثكث

الكثكث ، والأثلب : فتات الحجارة والتراب
كلمة تقال : لمن يطلب طلباً ، فيرد ردّاً عنيفاً

دخـل الأشعث بن قيس ، على الإمام علي بن أبي طـالب ، فوجـد بين يديه صبيّة تدرج ، فقـال : من هذه يـا أمير المؤمنين ؟ قـال : هذه زينب بنت أمير المؤمنين .

قال : زوّجنيها يا أمير المؤمنين .

قـال : أغرب ، **بفيـك الكثكث** ، **ولك الأثلب** ، أغـرّك ابن أبي قحافة حين زوّجك أمّ فروة ؟ إنّها لم تكن من الفواطم ، ولا العواتك من سليم .

فقـال : قـد زوّجتم من هـو أخمـل منّي حسبـاً ، وأوضـع منّي نسبـاً ، المقداد بن عمرو ، وإن شئت فالمقداد بن الأسود .

قال عليّ : ذاك رسول الله ﷺ فعله ، وهو أعلم بما فعـل ، ولئن عدت إلى مثلها لأسوأنّك (العقد الفريد ٦/١٣٦) .

ولمـا أعلن ابن الزبيـر خلافتـه بمكّة ، أبى عبـد الله بن عبـاس ، وبنـو هاشم ، أن يبايعوه ، فكتب يزيد بن معاويـة الى عبد الله بن عبـاس ، يحضّه على ابن الزبير ، فأجابه ابن عباس ، بكتاب منه قال له فيه : **بفيك الكثكث** ، أنسيت قتلك حسينـاً وفتيـان بني عبـد المـطلب ، ولا شيء أعجب من طلبـك ودّي ونصـري ، وسيفـك يقـطر من دمي . (أنســاب الاشــراف ٤/٢/١٨ و١٩) .

وغضب أبـو البيان المؤدّب ، على مؤدّب القـاضي التنوخي ، صـاحب نشوار المحاضرة ، وكان التنوخي صبيّاً في مكتبه ، فقال أبـو البيان للمؤدّب ، يا أبا جعفر ، التراب والجندل بفيك وعلى رأسـك ، والويـل والويـح محيطان بك ، حفّت بك اللعنة والخيبة ، راجع القصة في كتاب نشوار المحاضرة ج ٣ ص ١٤٨ رقم القصة ١٠٠ .

قوله : التراب والجندل بفيك وعلى رأسك ، دعاءٌ عليه بالموت .

٣ ـ قولهم : لا أمّ له ولا أب له

لا أمّ لك ، ولا أبا لك : كلمتان تقال للشتم

واعتبرهما صاحب لسان العرب ، من ألفاظ الشتم الشديدة ، وقال : لا أمّ لك ، تعني : ليس لك أمّ حرّة ، وهي سبّ صريح ، لأنّ بني الإماء عند العرب ، لا يلحقون ببني الحرائر ، وعلى تفسير آخر ، أنّ لا أمّ لك ، تعني أنّه لقيط ، لا تعرف له أمّ .

وقال : إنّ كلمة لا أبا لك ، لا تترك من الشتيمة شيئاً .

إلّا أنّ الذي يظهر لي من استعمال هاتين الكلمتين ، أنّهما ليست من الشتائم الموجعة عند العرب .

والاصل في لفظة : لا أبا لك ، الشتيمة ، وقد تستعمل للاستعظام ، فيقولون في الرجل يقرّظونه : لا أبا له ، وقال الحسن البصري ، وهو يذكر علياً عليه السلام ، ويصف كونه على الحقّ في جميع أموره ، حتى قال : فلما شارف الظفر ، وافق على التحكيم ، ومالك والتحكيم والحقّ في يديك لا أبا لك .

وقال أبو العباس المبرّد في الكامل : إنّ لا أبا لك ، كلمة فيها جفاء وخشونة ، كانت الأعراب تستعملها فيمن يستعظمون أمره ، وأنشد سليمان بن عبد الملك قول بعض الأعراب :

ربّ العباد ما لنا وما لكا   قد كنت تسقينا فما بدا لكا

أنــزل علينــا الـغيـث لا أبــا لـــك

فقـال : أشهد أنّـه لا أب له ولا صـاحبة ولا ولـد (شرح نهـج البـلاغـة ١٣٣/ و١٣٤) .

قال الفاروق عمر ، لمولاه أسلم : **لا أم لك** .

وتفصيل ذلك : إنّ عمر خرج ليلاً مع مـولاه أسلم ، فأبصر ناراً ، فـدنا منهـا ، واذا قِدْرٌ منصـوبة على النـار ، فسأل امـرأة كانت بجـانب القـدر ، مـا ـالكم ؟ قـالت : قصـر بنـا البـرد والليـل ، قـال : فمـا بـال هؤلاء الصبيـة بتضاغون ؟ قـالت : الجـوع ، قـال : وأيّ شيء في هذه القـدر ؟ قالت : مـاءٌ سكتهم به حتى يناموا ، الله بيننا وبين عمر ، فقال لها : أي رحمك الله ، مـا بدري عمر بكم ؟ ، قالت : يتولّى أمرنا ويغفل عنّا ، فعـاد عمر يصحبـه أسلم إلى دار الـدقيق، فأخـرج عِدْلاً فيـه كبّة شحم ، وقـال لأسلم : احمله عليّ ، فقال له أسلم : أنا أحمله عنك ، فصاح بـه : **لا أمّ لك** ، أتحمل عنّي وزري يوم القيامة ، ثم حمله وانطلق عائداً الى المـرأة ، وأعانهـا في صنع الـدقيق ، وجعل ينفخ النار تحت القدر ، وكان الدخان يتخلّل لحيته ، حتى نضج ما في القدر ، وأكل الصبيان حتى شبعوا ، ورآهم يصطرعون ويضحكون ، ثم نامـوا وهدأوا ، فقام عمر ، وقال لأسلم : إنّ الجوع أسهرهم وأبكاهم ، فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيتُ منهم (الطبري ٤/٢٠٥ و٢٠٦) .

وصف أبـو زبيـد الـطائي، الأسـد ، وصفـاً دقيقـاً ، في مجلس الخليفـة عثمـــان ، فصـــاح بـــه عثمـــان : **أكفف ، لا أمّ لـــك** ، فلقـــد أرعبت قلوب المسلمين ، ولقد وصفته حتى كأنّي أنظر إليه ، يريد أن يواثبني ، أنـظر وصفه لـلأسد في كتـاب المحاسن والاضـداد للجاحظ ٥٧ و٥٨ ، وفي هـذا الكتاب في الفصل الأول من الباب الأول « الشتيمة مع ذكر الله تعالى » .

وقال معاوية بن أبي سفيان ، لجارية بن قدامة السعدي : لا أمّ لك .

وتفصيل القصّة إنّ جارية بن قدامة السعدي ، وكان من أكابر أنصار الامام علي بن أبي طالب ، وفد على معاوية بن أبي سفيان ، بعد مقتل عليّ ، فقال له معاوية : أنت الساعي مع علي بن أبي طالب ، والموقد النار في شعلك ، تجوس في القرى تسفك الدماء ، فقال جارية : يا معاوية ، دع عنك علياً ، فما أبغضنا علياً منذ أحببناه ، ولا غششناه منذ صحبناه ، فقال له معاوية : ويحك يا جارية ، ما كان أهونك على أهلك إذ سمّوك جارية ، فقال : أنت يا معاوية كنت أهون على أهلك إذ سمّوك معاوية ، فقال له معاوية : لا أمّ لك ، فقال : لي أمّ ولدتني ، إنّ قوائم السيوف التي لقيناك بها بصفّين لفي أيدينا ، فقال : إنّك لتهدّدني ، قال : إنّك لم تملكنا قسرة ، ولم تفتحنا عنوة ، ولكن أعطيتنا عهوداً ومواثيق ، فإن وفيت لنا وفينا ، وأن ترغب الى غير ذلك ، فقد تركنا وراءنا رجالاً مداداً ، وأذرعاً شداداً ، وأسنّة حداداً ، فإن بسطت إلينا فتراً من غدر ، زلفنا اليك بباع من ختر ، فقال معاوية : لا أكثر الله في الناس أمثالك (تاريخ الخلفاء ٢٠٠) .

وكان نصير ، والدموسى بن نصير فاتح الاندلس ، على حرس معاوية بن أبي سفيان ، ومنزلته عنده مكينة ، فلما خرج معاوية ، لقتال عليّ ، لم يخرج معه .

فقال له معاوية : ما يمنعك من الخروج معي ، ولي عندك يد لم تكافئني عليها ؟

فقال : لا يمكنني أن أشكرك بكفر من هو أولى بشكري .

قال : ومن هو ؟

قال : الله عزّ وجل .

قال : وكيف لا أمّ لك ؟

قال : لا أعلمك ، فأغضّ ، وأمضّ . (وفيات الاعيان ٥/٣١٩) .

أقول : يريد أنّ معاونة معاوية ، ضدّ الامام عليّ ، تعتبر معونة للباطل على الحقّ ، وذلك لا يرضي الله عزّ وجلّ .

وغضب عبد الله بن عمر ، على رجل حاول أن يتنقّص الخليفة عثمان ، فقال له : **أخرج لا أم لك** ، راجع التفصيل في كتاب البصائر والذخائر (٢/٢/٥٢٣ ـ ٥٢٥) .

وكان عروة بن الزبير ، عند عبد الملك بن مروان يحدّثه ، وعنده الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فقال عروة ، في بعض حديثه : قال أبو بكر ، يعني أخاه عبد الله بن الزبير ، فقال الحجّاج : أعند أمير المؤمنين تكني ذلك الفاسق ، **لا أمّ لك** ؟ فقال عروة : ألي تقول لا أمّ لك ، وأنا ابن عجائز الجنّة خديجة ، وصفيّة ، وأسماء ، وعائشة ، بل **لا أمّ لك أنت** ، يا ابن المستفرمة بعجم زبيب الطائف . (الامتاع والمؤانسة ٣/١٨٢) .

وعطش الأخطل في مجلس عبد الملك ، وقال : يا أمير المؤمنين أريد خمراً . فقال له عبد الملك : ويلك ، أعهدتني أسقي الخمر ، **لا أمّ لك** ؟ (الهفوات النادرة ٣٠ و٣١) .

وكان الحجّاج بن يوسف الثقفي ، قد منع أن يدخل أحد مدينة واسط ، إلاّ بإذن منه ، ودخلها جرير الشاعر ، بلا إذنه ، فأحضره ، وأمر به فرمي في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ، ثم قال له : هيه ، ما أقدمك علينا بغير إذننا **لا أمّ لك** ؟ (الاغاني ٨/٧٥ و٧٦) .

وقال الزهري لهشام بن عبد الملك : لا أبا لك .

وتفصيل ذلك : إنّ سليمان بن يسار دخل على هشام بن عبد الملك ، فقال له : يا سليمان ، من الذي تولّى كبره منهم ؟ (يريد به حديث الإفك) ، فقال له : هو ابن سلول (يريد به عبد الله بن أبيّ) ، فقال له : كذبت ، بل هو عليّ (يريد به علي بن أبي طالب) ، ثم دخل الزهري ، فقال له هشام :

يا ابن شهاب ، من الذي تولّى كبره منهم ؟ فقال : هـو ابن أبيّ (يريـد به ابن سلول) ، فقال له : كذبت ، بل هو عليّ ، فقال له الزهري : أنا أكذب لا أبا لـك ؟ والله ، لو نـادى منادٍ في السمـاء إنّ الله قد أحـلّ الكذب ، لمـا كذبت (الوافي بالوفيات ٥/٢٦) .

وقــال هشـام بن عبــد الملك ، لـلإمــام زيــد بن علي بن الحسين : اسكت ، **لا أمّ لك** ، انت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت آبن أمة ؟

وتفصيـل القصّة : إنّ هشـام بن عبد الملك ، كـان أحـول خشنـاً فـظاً غليظاً (مروج الـذهب ٢/١٦١) ، قال لـه الامام زيـد : ليس أحد يكبـر عن تقوى الله ، ولا يصغر دون تقوى الله ، فقال له هشام : اسكت ، **لا أم لـك** ، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة ، فقال : إنّ الامهـات لا يقعدن بالرجال عن الغايات ، وقـد كانت أمّ إسمـاعيل أمـة ، فبعث الله من نسلها نبيّاً ، وجعله للعرب أباً ، وأخرج من صلبه خير البشر محمـداً ، وكانت كلمة هشام ، سبباً في خروج زيد عليه ، إذ بـادر لما خـرج منه الى الكـوفة ، وجمع جمـوعـه ، وحارب حتى قتل (مروج الذهب ٢/١٦٢) .

ورأى رجل ، معاوية ، في يوم صفين ، وقد قربت له دابته ليفـرّ ، فقال له : لو كانت هند بنت عتبة مكانك ما هربَتْ ، واختارت أن تموت كريمة ، أو تعيش حميـدة ، فقال لـه : اخفض صـوتـك **لا أمّ لـك** (البصـائـر والذخائـر ٢/٢/٧٩٨) .

وغضب الفرزدق ، على شاب من الأنصـار ، فقال لـه : من أنت **لا أمّ لك** ؟

وتفصيل القصة : إنّ شاباً أنصـارياً ، قصـد الفرزدق ، وفـاخره بحسّـان شاعر الأنصار ، وتلا على الفرزدق قصيدة من قصائد حسّان ، وقال للفرزدق : أؤجّلك سنة ، فإن قلت مثله ، فـأنت أشعر العـرب ، فقال لـه الفرزدق : من

آنت لا أمّ لك ؟ فأخبره بنسبه . فنظم الفرزدق قصيدته الفائيّة .

عـزفت بـأعشـاش ومـا كنت تعـزف

فلما سمعها الانصاري ، قام كئيبـاً ، ولما تـوارى طلع عليه جمـاعة من الأنصار ، فسلّوا سخيمته ، وترضّوه (الاغاني ٢١ / ٣٧١ ـ ٣٧٣) .

وقال نوح بن جرير ، لأبيه : أنت أشعر أم الأخطل ؟ فنهره أبـوه ، وقال له : بئس ما قلت ، وما أنت وذاك **لا أمّ لك** ، فقال له نـوح : وما أنـا وغيره ؟ فقال جرير : لقد أعنت عليه بكفر وكبر سنّ ، وما رأيتـه إلاّ خشيت أن يبتلعني (الاغاني ٨/٢٩٩) .

وفي آخـر مـواجهـة بين أبي مسلم والمنصـور ، في السنـة ١٣٧ عـاتب المنصور أبا مسلم ولامه على بعض تصرفاته ، فقـال له أبـو مسلم : ليس هذا يقال لي بعد بلائي ، وما كان منّي ، فقال له : يا ابن الخبيثة ، إنّما عملت ما عملت بريحنا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً لقد آرتقيت ، **لا أمّ لـك** ، مرتقى صعباً . (الطبري ٧/٤٩١) .

وذكر كاتب ابراهيم بن عبد الله بن الحسن العلوي قتيل بـاخمـرى ، إنّ شيخـاً من بني عبد القيس ، لـطم فتى من فتيانهم ، وقـال له : لا أمّ لـك ، محنـة كمحنة الخـوارج ، وقد أثبتنـا القصّة بتفصيلهـا في هـذا الكتـاب ، في البـاب الثالث : الضـرب ، الفصل الثـالث : اللطم ، وراجـع كـذلـك كتـاب البخلاء للجاحظ ص ١٩٧ و١٩٨ .

وقال المهدي ، لعمارة بن حمزة : من أرقّ النـاس شعراً ؟ قـال : والبة بن الحباب ، قال : صدقت ، قال : فما منعك من منادمته يـا أمير المؤمنين ؟ قال : قوله :

قلت لسـاقينـا عـلى خلـوة ... أدنِ كـذا راسك مـن راسي

ونم على صـدرك لي سـاعـة ... إنّي امـرؤ أنكـح جـلاّسي

أفترى أن أنادمه **لا أمّ لك** ؟ (البصائر والذخائر ١ / ١٨٤) .

وتقدّم وكيل مؤنسة (قهرمانة الخيزران) إلى شريك القاضي ، مع خصم له ، فجعل يستطيل على خصمه إدلالاً بموضعه من مؤنسة ، فقال له شريك : كفّ لا أمّ لك ، فقال : تقول لي هذا وأنا وكيل مؤنسة ؟ فقال شريك : يا غلام اصفعه ، فصفعه عشر صفعات ، راجع البحث في كتاب البصائر والذخائر للتوحيدي ٣/١/٢١٤ .

وكتب الرشيد الى خزيمة بن خازم ، لما ولّاه ارمينية ، فوضع فيهم السيف : لا أمّ لك ، تقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له (العقد الفريد ٤/٢١٤) .

ولما قتل محمد الامين ، دخل إلى السيدة زبيدة أمّه ، بعض خدمها ، وقال لها : ما يجلسك وقد قتل أمير المؤمنين ؟ فقالت : ويلك ، ماذا أصنع ؟ ، قال : تخرجين ، فتطلبين بثأره ، كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان ، فقالت : اخسأ لا أمّ لك ، ما للنساء وطلب الثأر ومنازلة الرجال ؟ ثم أمرت بثيابها فسوّدت ، ولبست مسحاً من شعر (مروج الذهب ٢/٣٢٧) .

وشتم علي بن عيسى بن ماهان ، أمير خراسان للرشيد ، كلاً من الحسين بن مصعب وهشام بن فرخسرو ، فقال لكلّ واحد منهما : **لا أمّ لك** .

أقول : علي بن عيسى بن ماهان ، من كبار القادة العباسيين ، ومن أشدّ أعداء البرامكة ، ولّاه الرشيد خراسان خلفاً للفضل بن يحيى البرمكي ، فظلم وجار واعتدى ، ونهب وصادر ، وأهدى للرشيد هدايا ملأت عينه ، وقال ليحيى بن خالد البرمكي : أين كانت هذه الأموال في أيّام الفضل ابنك ؟ فقال : كانت في بيوت أصحابها ، وهو من الأجوبة الجامعة بين الإيجاز والإعجاز ، وبلغ عليّ بن عيسى أنّ هشام بن فرخسرو ، والحسين بن مصعب (والد طاهر بن الحسين) يشيعان خبر عزله ، فأحضرهما ، ولما سلّما عليه ،

قال للحسين : **لا سلّم الله عليك يا ملحد يا آبن الملحد**، والله، انّي لأعرف ما أنت عليه من عداوتك للإسلام وطعنك في الدين ، وما أنتظر بقتلك إلّا إذن الخليفة فيه ، فقد أباح الله دمك ، وأرجو أن يسفكه الله على يدي عن قريب ، الستَ المرجف بي في منزل هذا (وأشار الى هشام) بعدما ثملتَ من الخمر وزعمت أنّه قد جاءتك كتب من مدينة السلام بعزلي ، أخرج إلى سخط الله ، لعنك الله ، فقال الحسين : أعيذ بالله الأمير أن يقبل فيّ قول واشٍ ، أو سعاية باغٍ ، فقال له علي : **كذبت لا أمّ لك** ، وقال لهشام بن فرخسرو : صارت دارك دار الندوة، يجتمع فيها إليك السفهاء، وتطعن على الولاة ، سفك الله دمي إلن لم أسفك دمك ، فقال هشام : جعلت فداء الأمير ، أنا والله مظلوم ، والله ما أدع في تقريظ الأمير جهداً ، وفي وصفه قولاً إلا خصصته به ، وقلته فيه ، فإن كنت إذا قلتُ خيراً نقل شرّاً فماحيلتي ، فقال له : **كذبت لا أمّ لك** ، لأنّي أعلم بماتنطوي عليه جوارحك من أهلك وولدك (الطبري ٨/٣٢٥) .

وفي موقعة البويب ، في السنة ١٣ ، صفّ المثنّى جند المسلمين ، لحرب الفرس ، فأبصر رجلًا يستوفز ويستنتل من الصفّ ، فقال : فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممن فرّ من الزحف يوم الجسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح ، وقال : **لا أبا لك** ، الزم موقفك ، فإذا أتاك قرنك ، فأغنه عن صاحبك ، ولا تستقتل (الطبري ٣/٤٦١ ، ٤٦٢) .

وقال الخليفة الفاروق عمر ، لأبي سفيان : **أسكت لا أبا لك** .

وسبب ذلك : إنّ الخليفة عمر ، ضرب رجلًا بالدرّة ، فنادى : يا لقصيّ ، فقال له أبو سفيان : يا ابن أخي ، لو قبل اليوم تنادي قصّياً ، لأتتك منها الغطاريف .

فقال عمر : **أسكت ، لا أبا لك** ، فقال أبو سفيان : ها ، ووضع سبّابته على فيه (العقد الفريد ١/٥٠) .

وقال عمرو بن العاص لعائشة : وددتُ أنّكِ قُتلتِ يوم الجمل .

قالت : ولم ، **لا أبا لك** ؟

قال : كنت تموتين بأجلك ، وتدخلين الجنة ، ونجعل قتلك أكبر التشنيع على علي بن أبي طالب (شرح نهج البلاغة ٦/٣٢٢) .

وفي وقعة مرج راهط ، صاح عبد الملك ، بوالده مروان بن الحكم : صه ، **لا أبا لك** .

وسبب ذلك : إنّ وقعة مرج راهط ، كانت بين القيسيّة ، وقد بايعوا بالخلافة عبد الله بن الزبير ، واليمانيّة ، وقد بايعوا مروان بن الحكم ، فخاض مروان المعركة ، وهو يترنّم بهذا البيت :

وما ضرّهم غير حَيْن النفوس ... أيّ أميري قريش غلب

يعني : إنّ هؤلاء القيسيّة ، واليمانية ، حمقى ، فإنّهم يقتتلون ، ويقتلون أنفسهم ، ليكون واحداً من قريش أميراً عليهم ، ولذلك أسكته ابنه .

وهذا البيت ، قالته أمّ مفجوعة ، قتل أولادها في إحدى معارك صفين ، فقالت تندبهم :

أيا عين بكّي بدمع سَرَبْ ... على فتية من خيار العَرَبْ
وما ضرّهم غير حين النفوس ... أيّ أميري قريش غَلَبْ

ووعظ عمرو بن عبيد المنصور ، فأبكاه ، فقال له سليمان بن مالك رفقاً بأمير المؤمنين ، فقال له عمرو : بمثلك ضاع الأمر وانتشر **لا أبا لك** . (شرح مقامات الحريري ١/٣٣٣) .

٤ ـ قولهم : لا كرامة

لا كرامة : لفظة من ألفاظ الشتم
والكرامة في اللغة : العزازة
وقوله : لا كرامة لك ، أي لا عزازة ، ولا احترام لك

لما بلغ عبيد الله بن زياد ، موت يزيد بن معاوية ، خطب في أهل البصرة ، وطلب منهم أن يبايعوه ، فقام يزيد بن الحارث اليشكري ، وقال : لا والله ، ولا كرامة ، أخزى الله آبن سميّة . (الامامة والسياسة ٢/١٦) .

ووفد الحجاج بن يوسف الثقفي على عبد الملك بن مروان ، ومع الحجاج ، عمارة بن تميم اللخمي ، فلما قام الخطباء بين يدي عبد الملك ، وأثنوا على الحجاج ، وقف عمارة ، وقال : يا أمير المؤمنين لا رضي الله عن الحجاج ، ولا حفظه ، ولا عافاه ، فهو ـ والله ـ السيّء التدبير ، الذي أفسد عليك أهل العراق ، وألّب عليك الناس ، وما أتيت إلّا من قلّة عقله ، وضعف رأيه ، وقلّة بصره بالسياسة ، ولك ـ والله ـ أمثالها ، إن لم تعزله ، فقال له الحجّاج : مه يا عمارة ، فقال عمارة : لا مه ولا كرامة ، انظر القصّة مفصلة في كتاب المحاسن والمساوىء ١/١٠٠ و١٠١) .

ويروى أنّ سليمان بن عبد الملك ، خرج في حياة أبيه ، لمتنزّه ، فبسط له في صحراء ، وتغدّى مع أصحابه ، فلما حان انصرافه ، تشاغل غلمانه بالترحال ، وجاء أعرابيّ ، فوجد منهم غفلة ، فأخذ دوّاج سليمان ، فرمى به على عاتقه ، وسليمان ينظر إليه فبصر به بعض حشمه فصاح به : ألق ما عليك ، فقال الأعرابي : لا لعمري ، لا ألقيه ، **ولا كرامة** ، هذا كسوة

الأمير وخلعته ، فضحك سليمان ، وقال : صدق ، أنا كسوته ، فاتركوه (التاج للجاحظ ١٠٣ و١٠٤).

وتزوّج علي بن الحسين العلوي ، رقية بنت عمرو العثمانية ، وكانت تحت المهديّ ، فغضب موسى الهادي ، وأحضره ، فقال له : أعياك النساء ، إلاّ امرأة أمير المؤمنين؟ فقال له : ما حرّم الله على خلقه إلاّ نساء جدّي ﷺ أمّا غيرهنّ ، **فلا ولا كرامة** ، فشجّه بمخصرة في يده ، وأمر به فضرب خمسمائة سوط (الطبري ٨/٢١٩).

وقال الرشيد لمسلم بن الوليد : **لا كرامة لك** .

وسبب ذلك إنّ مسلم بن الوليد كان يمدح يزيد بن مزيد الشيباني ، وكان يزيد يبرّه ويعني به ، وأغضبه مرّة ، وخشي أن يهجوه ، فأخبر الرشيد ، فدعا الرشيد مسلماً ، وقال له : أتبيعني عرض يزيد ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : برغيف ، فغضب الرشيد ، وقال له : قد كان رأيي أن أشتريه منك بمال جسيم ، ولست أفعل ، **ولا كرامة لك** ، وأنا بريء من أبي ، ووالله ، إن بلغني أنّك هجوته ، لانزعنّ لسانك من بين فكّيك (فوات الوفيات ٤/١٤١) .

وروى صاحب كتاب الفرج بعد الشدّة ، في القصة ٣٧٨ قصة أبي جعفر بن شيرزاد ، لما أراد بجكم القبض عليه ، فتحصّن في داره ، وكان لها أربعة عشر باباً ، إلى أربعة عشر شارعاً ، وسكّة ، وزقاقاً نافذاً ، ومنها عدّة أبواب لا يعرف جيرانها أنّها تفضي إلى داره ، وكان يحرسه في الدار ثلثمائة من غلمانه المقاتلة بالسلاح الكامل ، فحضر إليه محمد بن ينال الترجمان حاكم بغداد من قبل بجكم ، ومعه أبو بكر النقيب، وأصرّا عليه بالنهوض والسفر الى بجكم ، فاعتذر بأنه مريض ، فألحّ عليه ابن ينال وتشدّد ، فغضب أبو جعفر ، وقال : لا أخرج **ولا كرامة لك** ، فاجهد جهدك ، راجع هذه القصّة البالغة الطرافة ، في كتاب الفرج بعد الشدّة

للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف . في القصة رقم ٣٧٨ .

وقالت غانية بغدادية ، لرجل بغدادي مستور : **لا كرامة ولا عزازة** .

وتفصيل ذلك : إنّ ابن سهلان ، ولي العراق لبني بويه في السنة ٤٠٩ ووصل إلى بغداد ، والفتنة فيها قائمة على قدم وساق ، فأنزل رجاله من الديلم في أطراف الكرخ (محلّة الشيعة) وباب البصرة (محلة السنّة) ليحول دون الإحتكاك بينهم، فتجاهر رجال الديلم بالفحْشاء والفساد ، حتى أنّ رجلاً من المستورين خرج في رمضان وهو صائم ، فلما رأى ما هم عليه من الفساد ، أراد أن يعود إلى داره ، فأمسكوا به ، وأكرهوه على الدخول معهم الى دار نزلوها ، وألزموه بأن يشرب الخمر ، فامتنع فصبّوها في فيه قهراً ، ثم أحضروا غانية ـ وقالوا له قم إلى هذه الفتاة فافعل بها ، فامتنع ، فألزموه ، وأدخلوه معها إلى بيت في الدار ، فأعطاها دراهم ، وقال لها : هذا أوّل يوم من أيّام رمضان ، والمعصية فيه تتضاعف ، فخذي هذا الدينار ، وأخبريهم بأنّي قد فعلت ، فقالت : **لا كرامة ولا عزازة لك** ، أنت تصون دينك عن الزنا، وأنا أريد أن أصون كرامتي عن الكذب في هذا الشهر المبارك ، فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد (ابن الأثير ٣٠٧/٩) .

٥ ـ قولهم : سوءةً له

السوءة ، في الأصل : الفرج والعورة
وقد جاء في القرآن الكريم : بدت لهما سوءاتهما ، أي العورة
ثم نقل التعبير إلى كل ما يستحيا منه
وتقال بالنصب ، لأنها شتم للمخاطب ، ودعاء عليه

جيء إلى المنصور ، بخارجيّ خرج عليه ، فأسر ، فصاح به المنصور : **يا ابن الفاعلة** ، مثلك يهزم الجيوش ؟ فقال له الخارجي : ويلك ، **سوءة لك** ، بيني وبينك أمس السيف والقتل ، واليوم القذف والسبّ ، ما كان يؤمنك أن أردّ عليك ، وقد يئست من الحياة ، فلا تستقيلها أبداً ، فاستحيا منه المنصور ، وأطلقه . (الطبري ٨/٦٨) .

وخطب المهدي يوماً ، فقام إليه رجل ، فقال له : آتّق الله ، فأخذ ، فحمل ، فجعلوا يتلقّونه بنعال سيوفهم ، حتى أدخلوه على المهدي ، فقال له : يا آبن الفاعلة ، تقول لي وأنا على المنبر ، اتّق الله ؟ فقال له : سوأة لك ، لو كان هذا من غيرك كنتُ المستعدي بك عليه ، قال : ما أراك إلاّ نبطيّاً ، قال : ذاك أوكد للحجّة عليك ، أن يكون نبطيّ يأمرك بتقوى الله (الطبري ٨/١٨١) .

ووجّهت ريطة بنت أبي العباس السفّاح ، زوجة المهدي ، إلى أبي العباس عبد الله بن مالك الخزاعي في شراء رقيق للعتق ، وأمرت جاريتها عتبة ، وكانت لها ثم صارت إلى الخيزران بعدها ، أن تحضر ذلك ، فإنّها لجالسة إذ جاء أبو العتاهية ، وكان يتعشّق عتبة في زيّ متنكّر ، فقال لعتبة : جعلتُ فداك ، أنا شيخ ضعيف كبير ، لا أقوى على الخدمة ، فإن رأيتِ

أعزّك الله ـ أن تأمري بشرائي وعتقي ، فعلتِ مأجورةً ، فأقبلت على عبد الله ، فقالت : إنّي لأرى هيأة جميلة وضعفاً ظاهراً ، ولساناً فصيحاً ، ورجلًا بليغاً ، فآشتره ، وآعتقه ، فقال : نعم ، فقال أبو العتاهية : أتأذنين لي أصلحك الله في تقبيل يدك ، شكراً لك على جميل فعلك ، وما أوليتني ، فأذنت له ، فقبّل يدها وانصرف .

فضحك عبد الله بن مالك وقال : أتدرين من هذا ؟

قالت : لا .

قال : هذا أبو العتاهية ، وإنّما احتال عليك حتى قبّل يدك .

فسترت وجهها خجلًا ، وقالت : سوأة لك ، يا أبا العباس ، مثلك يعبث ، إنّما اغتررنا بكلامك .

وقامت ، فلم تعد إليه . (مروج الذهب ٢/٢٥٢ و٢٥٣) .

وذكر يزيد بن مزيد الشيباني ، إنّ الرشيد أرسل إليه ، فجاء لابساً سلاحه ، فلما رآه ضحك ، وقال له : من الذي يقول فيك :

تراه في الأمن في درع مضاعفةٍ لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
لله من هاشم في أرضه جبلٌ وأنت وآبنك ركنا ذلك الجبل

فقال : لا أدري ، فقال له الرشيد : سوأة لك ، تمدح بمثل هذا الشعر ولا تعرف قائله . (وفيات الاعيان ٦/٣٣٢ و٣٣٣) .

وقدم هارون الرشيد الكوفة ، فكتب قوماً من القرّاء ، أمر لكلّ واحد منهم بألفي دينار ، وكان ممن كتب داود الطائي ، فأخذ إليه الدراهم ابن السمّاك ، وحماد بن أبي حنيفة ، فلما دخلا عليه نثرا الدراهم بين يديه ، إغراء له بأن يأخذها ، فقال لهما : سوءة لكما ، إنّما يفعل هذا بالصبيان ، وأبى أن يقبلها (وفيات الأعيان ٢/٢٦١) .

وقال إبراهيم بن العباس ، لعلي بن الجهم : **سوءة عليك ، سوءة لك ، ما أوقحك** .

وسبب ذلك ، إنّ علي بن الجهم ، كان وقحاً صلب الوجه ، فادّعى لنفسه بيتين كان إبراهيم بن العباس ، قد نظمهما في محمد بن عبد الملك الزيّات ، فقال له إبراهيم : هذان البيتان لي ، قلتهما في محمد بن عبد الملك ، فقال له : علي بن الجهم بقحة : ألم أنهك أن تنتحل شعري ؟ فغضب إبراهيم ، وجعل يقول له بيده : **سوءة لك ، سوءة عليك ، ما أوقحك** وهو لا ينكر ولا يخجل (الاغاني ١٠/ ٢٢٠ و٢٢١) .

٦ ـ قولهم : ثكلته أمّه

الثكل : الفقدان
وقولهم : ثكلته أمّه ، دعاء عليه بالموت

وفي وقعة الجمل ، لما عقر ، مال الهودج بعائشة ، فقال عليّ لمحمد بن أبي بكر : تقدم إلى أختك ، فدنا محمد ، فادخل يده في الهودج ، فنالت يده ثياب عائشة ، فقالت : إنّا لله ، **من أنت ثكلتك أمّك ؟** فقال : أنا أخوك محمد . (الاخبار الطوال ١٥١) .

لما أسر مسلم بن عقيل ، وجيء الى عبيد الله بن زياد ، كان مسلم قد أصابته ضربة قطعت شفته العليا ، وأشرع السيف في السفلى ، ونصلت لها ثنيّتاه ، وكان شديد العطش ، فلما انتهى إلى باب القصر ، إذا قلّة باردة موضوعة على الباب ، فطلب مسلم أن يشرب من الماء ، فقال له مسلم بن عمرو الباهلي : أتراها ما أبردها ، لا والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم في نار جهنم ، فقال له مسلم : **ويحك ، لأمّك الثكل** ، ما أجفاك ، وما أفظّك ، وأقسى قلبك وأغلظك ، ثم جلس متساندا إلى الحائط . (الطبري ٥/٣٧٣ ـ ٣٧٦) .

وفي معركة الطفّ ، لما بقي الحسين وحده ، بعد قتل أصحابه ، تحامى المحاربون قتله ، فصاح بهم شمر بن ذي الجوشن : **ويحكم** ماذا تنتظرون بالرجل ، اقتلوه **ثكلتكم أمّهاتكم** ، (الطبري ٥/٤٥٣) .

ولما أقبل الحسين إلى العراق . وبلغه مقتل مسلم بن عقيل ، أراد أن

يتنكّب الطريق إلى العراق ، فحال الحرّ بن يزيد الرياحي بينه وبين ذلك ، فقال الحسين للحر : **ثكلتك أمّك** ، ما تريد (الطبري ٥/٤٠٢) .

ولما أراد الحجاج قتل ابن القريّة ، قال له : **ثكلتك أمّك يا ابن** القريّة ، ثم قتله . (وفيات الأعيان ١/٢٥٣) .

وطلب الحجّاج الثقفي ، يوسف بن عبد الله بن عثمان ، ليقتله ، فاستأمن يوسف لدى عبد الملك بن مروان ، فكتب له أماناً ، وحضر بعد ذلك إلى مجلس الحجّاج ، فقال له : **ثكلتك أمّك**. (الفرج بعد الشدة القصة رقم ١٤٦) .

وتزوّج الحارث بن السليل الاسدي ، بالرباب ابنة علقمة بن حفصة الطائي ، وكان الحارث شيخاً ، فأبصرت زوجته فتية يعتلجون ويصطرعون ، فتنفّست الصعداء ، وبكت ، فقال لها : ما يبكيك ، **ثكلتك أمّك** . (بلاغات النساء ٩٥) .

ودخل الحسن البصري ، على عبد الله بن الاهتم ، يعوده في مرضه ، فرآه يصعّد بصره في صندوق في بيته ، ويصوّبه ، ثم التفت إلى الحسن ، فقال له : يا أبا سعيد ، ما تقول في مائة ألف ، في هذا الصندوق ، لم أؤدّ منها زكاة ، ولم أصل بها رحماً ، فقال له : ثكلتك أمّك ، ولمن كنت تجمعها ؟ (العقد الفريد ٣/٢١٢) .

ولما ورد الخبر بخروج محمد بن عبد الله (النفس الزكية) بالمدينة ، تسلّم الربيع الخريطة وجاء بها الى المنصور ، وكان نائماً ، فصاح الربيع بحماد (حماد دنقش) ، افتح الباب ، فقال : الساعة هجع أمير المؤمنين ، فقال له الربيع : **افتح ثكلتك أمّك** ، فسمع المنصور كلامه ، وفتح له الباب (مروج الذهب ٢/٢٣٥) .

وولّى المنصور رجلاً أعربياً ، حضرموت ، فكتب إليه صاحب البريد ،

إنه يكثر من الخروج للصيد ، فعزله ، وكتب إليه : **ثكلتك أمّك** ، وعدمتك عشيرتك ، إنّما استكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحش . (الطبري ٨/٦٨) .

وطلب المهدي العباسي ، سفيان الثوري (ت ١٦١) ، ليولّيه القضاء ، ففرّ منه إلى البصرة ، وصار إلى بستان ، أجيراً يحفظ ثمارها ، ومرّ به بعض العشّارين ، فسأله من أين هو ؟ قال : من الكوفة ، فقال له : أخبرني رطب البصرة أحلى أم رطب الكوفة ؟ فقال له : لم أذق رطب البصرة ، فقال له : ما أكذبك من شيخ ، الكلاب والبرّ والفاجر، يأكلون الرطب، وأنت تزعم أنّك لم تذقه ، وعاد العشّار إلى العامل فأخبره بما قال سفيان ، وهو لا يعرفه يعجّبه منه ، فقال له العامل : **ثكلتك أمّك** ، أدركه إن كنت صادقاً ، فإنّه سفيان الثوري ، لنتقرّب به إلى أمير المؤمنين ، فرجع ، فما قدر عليه . (يعني إنّه استتر منه) . (وفيات الاعيان ٢/٣٨٨) .

٧ ـ قولهم : يا عاجز

وقال محمد بن بشير ، قاضي قرطبة ، لمن عاتبه في حكم أصدره : يا عاجز .

وتفصيل القصة : إنّ الأمير سعيد بن عبد الرحمن ، عمّ الحكم الأموي ، صاحب الأندلس ، كانت له دعوى عند ابن بشير قاضي قرطبة ، وكانت في يده وثيقة فيها شهادات شهود قد ماتوا ، ولم يكن فيها من الأحياء إلّا الأمير الحكم وشاهد آخر ، وكلّفه القاضي بإقامة البينة ، فراجع الأمير الحكم ، وأخبره بالقصة ، وأراه الوثيقة وفيها شهادته ، فقال له الحكم : يا عمّ ، إنّا لسنا من أهل الشهادات ، وقد التبسنا من هذه الدنيا بما لا تجهله ، ونخشى أن توقفنا مع القاضي موقف مخزاة كنا نفديه بملكنا ، فقال له عمّه : سبحان الله ، وما عسى أن يقول قاضيك في شهادتك ، وأنت ولّيته ، وهو حسنة من حسناتك ، وقد لزمك في الديانة أن تشهد لي بما تعلم ، ولا تكتم ما أخذ الله عليك ، فقال الحكم : بلى ، إنّ ذلك لمن حقك كما تقول ، ولكنّك تدخل علينا به داخلة ، فإن أعفيتنا منه فهو أحبّ إلينا ، وعلينا خلف ما انتقصك ، وإن آضطررتنا لم يمكنّا عقوقك، فألحّ عليه ، فأرسل الحكم إلى فقيهين ، وخطّ شهادته بيده أمامهما ، وطلب منهما أن يؤدّياها إلى القاضي ، فجاءه الفقيهان وهو في مجلس القضاء ، وأدّيا إليه شهادة الأمير الحكم ، فقال القاضي لهما : قد سمعت منكما ، فقوما راشدين ، وجاء وكيل الأمير سعيد

مدلاً ، واثقاً ، وطلب الحكم بموجب ما شهد الأمير ، فأخذ القاضي كتاب الشهادة ، ونظر فيه ، ثم قال للوكيل : هذه شهادة لا تعمل عندي ، فجئني بشاهد عدل ، فدهش الوكيل ، ومضى إلى الامير سعيد ، فأعلمه ، فركب من فوره إلى الحكم ، وقال له : ذهب سلطاننا ، وأزيل بهاؤنا ، يجترىء هذا القاضي على ردّ شهادتك ، فقال له الحكم : يا عمّ ، القاضي رجل صالح ، فأحسن الله جزاءه ، ولما عوتب القاضي فيما أتاه من ردّ شهادة الأمير ، قال لمن عاتبه : يا عاجز ، أما تعلم أنّه لا بد من الإعذار في الشهادات ، فمن كان يجترىء على الدفع في شهادة الأمير ، ولو لم أعذر لبخست المشهود عليه حقّه (نفح الطيب ٢/١٤٦ ـ ١٤٨) .

أقول : كان القاضي محمد بن بشير المعافري (ت ١٩٨) يقعد للقضاء ، وهو في زي الحداثة ، من الجمّة المفرقة ، والرداء المعصفر ، وظهور الكحل في عينيه ، وأثر الحناء في يديه ، فإن رام أحد من دينه شيئاً وجده أبعد من الثريا ، وجاء في أحد الأيام رجل يسأل عن القاضي ، فدلّ عليه ، فلما رآه توقّف ، وقال : أنا رجل غريب ، وأراكم تستهزئون بي ، أنا أسألكم عن القاضي ، وتدلّوني على زامر ، فقالوا له : هو القاضي ، فلما تقدّم إليه ، ورأى ما عنده ، عجب ، وكان يتحدّث بقصّته معه .

٨ ـ قولهم : يا هذا

قالت فتاة بصرية ، لشاب حجازي : يا هذا ، أردت أن تجعلني كشاة عكرمة .

قال موسى السلاماني ، وكان أيسر تاجر بالبصرة : بينا أنا جالس ، إذ دخل عليّ غلام لي ، فقال : هذا رجل من أهل أمّك يستأذن عليك ، وكانت أمّه مولاة لعبد الرحمن بن عوف ، فقلت : ائذن له ، فدخل شاب حلو الوجه ، يعرف من هيأته أنّه قرشي ، فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله ﷺ ، قلت : في الرحب والقرب ، ثم قلت : يا غلام ، برّه ، وأكرمه ، وألطفه ، وأدخله الحمّام ، وآكسه قميصاً رقيقاً ، ومبطّناً قوهياً ، ورداء عمرياً ، وحذونا له نعلين حضرميّين ، فلما نظر الشاب في عطفيه ، أعجبته نفسه ، فقال : يا هذا ابغني أشرف أيمّ بالبصرة ، أو أشرف بكر بها ، قلت : يا ابن أخي ، معك مال ؟ قال : أنا مال كما أنا ، قلت : يا ابن أخي كفّ عن هذا ، قال : انظر ما أقول لك ، قلت : فإنّ أشرف أيمّ بالبصرة هند بنت أبي صفرة ، وأشرف بكر بالبصرة الملاءة بنت زرارة بن أوفى الحرشي ، قاضي البصرة ، قال : انطلق بنا إليه ، فانطلقنا إلى المسجد ، فتقدّم ، فجلس إلى القاضي ، فقال له : من أنت يا ابن أخي ؟ قال : عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف خال رسول الله ﷺ ، قال : مرحباً ، ما حاجتك ؟ قال : جئت خاطباً ، قال : ومن ذكرت ؟ قال : الملاءة ابنتك ، قال : يا ابن أخي ، ما بنا عنك رغبة ، ولكنّها امرأة لا يفتات على أمرها ، فاخطبها إلى

نفسها ، فقام إليّ ، فقلت : ما صنعت ؟ قال : كذا وكذا ، قلت : ارجع بنا ولا تخطبها ، قال : اذهب بنا إليها ، فدخلنا دار زرارة ، فإذا دار فيها مقاصير ، فاستأذنا على أمّها ، فلقيتنا بمثل كلام الشيخ ، ثم قالت : ها هي تلك في تلك الحجرة ، قلت له : لا تأتها ، قال : أليست بكراً ؟ قلت : بلى ، قال : ادخل بنا إليها ، فاستأذنّا ، فأذنت لنا ، فوجدناها جالسة وعليها ثوب قوهيّ ، رقيق معصفر ، تحته سراويل يرى منه بياض جسدها ، ومرط قد جمعته على فخذيها ، ومصحف على كرسي بين يديها ، فأشرجت المصحف ، ثم نحّته ، فسلّمنا ، فردّت ، ثم رحّبت بنا ، ثم قالت : من أنت ؟ قال : أنا عبد المجيد بن سهل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري ، خال رسول الله ﷺ ، ومدّ بها صوته ، قالت : يا هذا إنّما يمدّ الصوت للساسانيّين ، قال موسى فدخل بعضي في بعض قالت : ما حاجتك؟ قال: خاطباً ، قالت : ومن ذكرت ؟ قال : ذكرتك : قالت : مرحباً بك يا أخا أهل الحجاز ، ما الذي بيدك ؟ قال : لنا سهمان بخيبر ، أعطاناهما رسول الله ﷺ ، ومدّ بها صوته ، وعين بمصر ، وعين باليمامة ، ومال باليمن ، قالت : يا هذا ، كلّ هذا عنّا غائب ، ولكن ما الذي يحصل بأيدينا منك ، فإنّي أظنك تريد أن تجعلني كشاة عكرمة ، أتدري من عكرمة ؟ قال : لا ، قالت : عكرمة بن ربعي ، فإنّه نشأ بالسواد ، ثم انتقل إلى البصرة وقد تغذّى باللبن ، فقال لزوجته : اشتري لنا شاة نحلبها ، وتصنعين لنا من لبنها شراباً وكامخاً ، ففعلت ، وكانت عندهم الشاة إلى ان استحرمت ، فقالت : يا جارية ، خذي بأذن الشاة ، وانطلقي بها إلى التيّاس ، فأنزي عليها ، ففعلت ، فقال التيّاس ، آخذ منك على النزوة درهماً ، فانصرفت إلى سيّدتها ، فأعلمتها ، فقالت : إنّما رأينا من يرحم ويعطي ، وأما من يرحم ويأخذ فلم نره ، ولكن ، يا أخا أهل المدينة ، أردت أن تجعلني كشاة عكرمة ، فلما خرجنا قلت له : ما كان أغناك عن هذا . قال : ما كنت أظنّ أنّ امرأة تجترىء على مثل هذا الكلام (العقد الفريد ٦/٩٦ ـ ٩٨) .

٩ ـ قولهم : يا هناه

يا هناه : لفظة نداء ، فيها شيء من الاستهانة

وما زالت هذه اللفظة مستعملة في العراق ، لعين الغرض ، إلّا أنّها قد حذفت منها الهاء الأخيرة ، فالبغدادي ينادي : يا هنا .

وقال الشاعر :

وقد رابني قولها يا هناه ويحكَ ألحقْتَ شرّاً بشرّ

قال عمرو بن العاص : ما رأيت معاوية قطّ متكّئاً على يساره ، واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، كاسراً إحدى عينيه ، يقول للذي يكلّمه : يا هناه ، إلّا رحمتُ الذي يكلمه . (البيان والتبيين ٢ / ٢٢١) .

وقال هلال بن عليم الحنظلي لسعيد الحرشي أمير خراسان : **يا هناه** .

وسبب ذلك : إنّ سعيد الحرشي ولي خراسان ليزيد بن عبد الملك : فغزا في السنة ١٠٤ ونزل القصر (قصر الريح) على فرسخين من الدبوسية ، وأمر الناس بالرحيل قبل أن يجتمع إليه جنده ، فقال له هلال : **يا هناه** ، إنّك وزيراً خيراً منك أميراً ، الأرض حرب ، شاغرة برجلها ، ولم يجتمع لك جندك ، وقد أمرت بالرحيل ، قال : فكيف لي ؟ قال : تأمرهم بالنزول ، ففعل (الطبري ٧/٧) .

وكلّم يزيد بن عمر بن هبيرة ، القائد الأموي ، وكان آخر أمير للأمويين على العراق ، المنصور العباسي ، والمنصور يومئذ أمير ، فقال له : يا هناه ،

ويا أيّها المرء ، ثم رجع فقال : أيّها الأمير ، إنّ عهدي بكلام الناس بمثـل ما خاطبتك به حديث ، فسبقني لساني إلى ما لم أرد (الطبري ٧/٤٥٥ ووفيـات الاعيان ٦/٣١٦) .

وخـطب حضـريّ بـدويّـة ، فـأبتـه ، وقـالت لعمّهـا ، تـزوّجني غـلامـاً حضريّاً ، يقول لي : يا هنه يا بنت الهنه (بلاغات النساء ٥٧) .



الفصل الثـالث

المعايرة

المعايرة : نسبة المشتوم إلى ما يعيب .

ويشتمل البحث في هذا الفصل ، على الأقسام التالية :

القسم الأول : المعايرة بالعاهة

القسم الثاني ـ المعايرة بالصناعة

القسم الثالث ـ المعايرة بالنحلة

القسم الرابع ـ المعايرة بالنسبة

القسم الخامس ـ المعايرة بالابوين

أ ـ المعايرة بالأب

ب ـ المعايرة بالأم

القسم السادس ـ المعايرة بالصفات السيئة

أ ـ المعايرة بالصفات الخلقية

ب ـ المعايرة بالصفات العارضة .



القسم الأول

المعايرة بالعاهة

العاهة في الإنسان : الفساد في أحد أعضائه ، كالعمى ، والعور ، والعرج .
وقد درج العرب على أن لا يعيّروا أحداً بعاهة أصابته ، لأنّهم ينظرون إلى الأصل والملكات ، ولا ينظرون إلى الصفات العارضة .

وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص ، أعور ، أصيبت عينه في فتح جلولاء ، وكان يلقب بالمرقال ، لأنّه كان يرقل في مشيته إذا دخل المعركة ، وكان في أيّام صفّين ، يحمل الراية وهو يرتجز :

أعـور يبغي نفسه محـلّا قد عالج الحياة حتى ملّا
يتلّهم بذي الكعوب تلّا لا بد أن يفلّ أو يفلّا

ثم بدأوا من بعد ذلك ، يعيّرون بالعاهات .

والبغداديون يكنون عن الأعور بقولهم : كريم العين ، وإذا أرادوا السخرية ، قالوا : صفحة چول ، أوتك گلوب (راجع كتابنا في الكنايات العامية البغدادية) فإذا أضاف إلى عوره خلّة سوء ، قالوا عنه : أعور نجس ، وإذا كان أعور شريراً كنوا عنه بقولهم : شمر ، يريدون إنّه في عوره وسوء خلقه كالشمر بن ذي الجوشن ، أحد قتلة الحسين عليه السلام في وقعة الطفّ بكربلاء ، والمتعارف عند البغداديين جميعاً أنّ الشمر كان أعور ، هذا

على أنّي لم أجد فيما لـديّ من مراجـع ما يؤيـد عور شمـر وإنّما كـان مصابـاً بالبرص .

ولما بويع عثمان بالخلافة ، جاء المغيرة بن شعبة ، فبايعه ، وقـال له : لو بايعِ عبد الـرحمن (بن عوف) غيـرك ما رضينـا ، فقال لـه عبد الـرحمن : كـذبتَ يا أعـور ، لو بـايعتُ غيره لبـايعتـه ، ولقلتَ هـذه المقـالـة (الطبـري ٤/ ٢٣٤ ، ٢٣٩) .

وفي السنة ٣٦ عزل الإمـام علي ، قيس بن سعد ، عـامله على مصر ، بمحمد بن أبي بكر، فانزعج سعيد من عـزله، ورحـل من مصر إلى المـدينة، فجاء إليه حسّان بن ثابت ، وكان عثمانياً ، فقال له في شماتة : نزعك عليّ ، وقـد قتلتَ عثمـان ، فبقي عليـك الإثم ، ولم يحسن لـك الشكـر ، فقـال لـه قيس : يـا أعمى القلب والبصـر ، والله لـولا أن ألقي بين رهـطي ورهــطك حرباً ، لضربت عنقك ، أخرج عني (البطري ٤ / ٥٥٥)

وقـالت أمّ المؤمنين عائشـة ، لأبي سعيد بن عقيـل بن أبي طالب : يـا أحـول، يا خبيث ، وسبب ذلـك : أنّ أبا سعيـد بن عقيـل، تكلّم في مجلس معاوية ، فنال من الزبير ، بمحضر من ولده عبد الله ، وبلغ ذلك أمّ المؤمنين عائشة ، فلما مرّ أبو سعيد بفنائها ، صاحت به : يـا أحول ، يـا خبيث ، أنت القـائل لابن أختي كـذا وكذا ؟ فـالتفت أبو سعيـد فلم ير أحـداً ، فقال : إنّ الشيطان يراك من حيث لا تـراه ، فضحكت عائشـة ، وقالت : لله أبوك ، مـا أخبث لسانك (اعلام النساء ٣ / ٩٩) .

وقـال معاويـة، لأبي هوذة بن شمـاس الباهلي : لقـد هممت أن أحمـل جمعـاً من باهلة ، في سفينـة ، ثم أغرقهم ، فقـال أبو هـوذة : إذاً لا تـرضى بـاهلة بعدّتهم من بني أميّـة ، قال : اسكت **أيّهـا الغـراب الأبقـع** ، وكـان بـه برص ، فقال أبـو هوذة : إنّ الغـراب ربما درج إلى الرخمة حتى ينقـر دماغهـا

ويقلع عينيها ، فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ ، قال : مه ، ونهض معاوية ، ثم وجّهه بعد ذلك في سريّة ، فقتل ، فقال معاوية ليزيد : هذا أخفى وأصوب (الحيوان ٣ / ٤٢٧ و ٤٢٨)

وعيّر الاحنف بن قيس . لأنه قال للحباب بن المنذر : **إسكت يا آدر** ، وكان الحباب آدر ، وعدّ ذلك من سقطات الاحنف (سرح العيون ٥٧)

وشتم الوليد بن يزيد ، عمّه هشام بن عبد الملك ، فقال عنه : **الأحول المشؤوم**، وكان هشام ينبز بالأحول، لحول في عينه (الطبري ١٤٦/٧، ٢١٢ ، ٢٥٣)

وجاء رجل نصراني ، إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وآدّعى على هشام ، أنّه غصب ضيعة له ، فقال عمر لهشام : قم مع خصمك ، وجلسا جميعاً بين يديه ، فجعل هشام ينتهر خصمه ، فقال له عمر : **يا أحول** ، عندي تنتهره ، إن عدتَ عاقبتك ، راجع تفصيل القصّة في العيون والحدائق ٣ / ٦٠

وفي السنة ١٢٨ حارب الحارث بن سريج ، نصر بن سيّار أمير خراسان ، وفي إحدى المعارك ، قابل عصمة بن عبد الله الأسدي ، صالح بن القعقاع الأزدي ، فقال له عصمة : **تقدّم يا مزوني** ، فقال له صالح : اثبت ياخصي (الطبري ٧ / ٣٣٦)

أقول : المزوني : كلمة يعيّر بها الأزد ، والنسبة إلى المزون ، قرية من قرى عمان يسكنها اليهود والملاّحون ، ليس بها غيرهم ، ويراد بالمزوني : الملاّح ، وهي نسبة يعيّر بها الأزد ، قال الكميت :

فأمّا الأزد أزد أبي سعيد ... فأكره أن أسمّيها المزونا

وقال زيد بن مرة اليشكري ، يهجو أزدياً :

تبـدّلت المنابـر من قـريش   مـزونيّاً بصفحتـه الصليب

وأمّا قول صـالح لعصمـة : يا خصي ، فـلأنّه كـان عقيماً ، ولعلّه كـان سناطاً لا شعر في وجهه ، فيكون مشبهاً للخصي ، وقد لقبَّ قيس بن سعد بن عبادة ، بالخصي ، لأنه كان سناطاً أيضاً .

وقـال شداد الحـارثي : لقيت أسود بـالباديـة ، فقلت له : لمن أنت يـا أسود ؟ ، فقال : لسيّد الحيّ يا أصلع ، قلت : ما أغضبك من الحقّ ؟ قال : الحقّ أغضبـك ،قلت : أولست بأسـود ؟ ، قال : أو لست بـأصلع ؟ (البيـان والتبيين ٢ / ٧٧ والعقد الفريد ٤ / ٤١)

وفي السنـة ١٢٩ كانت العصبيـة قـد اشتـدّت بين المضـريّـة واليمـانيّـة بخـراسان ، وكـان نصر عـامل خـراسان ، زعيم المضـريّة ، وجـديع بن علي الكرماني ، زعيم اليمانيّة ، وكان جديع أعور ، وحاول بعض الرؤساء من أهل خـراسان أن يصلح بينهما، ليتّفقـا على أبي مسلم الخراسـاني الذي كـان قـد ظهر وأعلن الدولة العباسيّة ، فكان الكرماني يعارض في مصالحة نصر ، فقال له أحدهم : يا أعور مـا أخلقك أن تكـون الأعور الـذي بلغنا أن يكـون هلاك مضر على يديه (البطري ٧ / ٣٦٥)

ويظهر من أبيات لابن بسّام ، أنّ المعتضد كان آدر ، إذ قال فيه :

تـرك النـاس بحيـره   وتـخلّى فـي البـحيـرة
قاعداً يضرب بـالطبـ   ـل على بـطن دريـره

ودريرة هذه حظيّة المعتضد (معجم الأدباء ٥ / ٣٢٠ والوزراء ٢٠٣)

وابن بسام هذا ، آية في لطف الإشارة ، والأناقة في التعبير ، مع الهجو اللاذع ، ومن شتائمه البديعة ، قوله يهجو أحد الفتيان :

يا ابن الدهاليز ويا نشو السكك ويا ابن « عجّل لا يجي زوجي يرك »

ويذكّرني قول ابن بسّام هذا ، بشتيمة سمعت أبا ناظم جعفر بن محمد الجلبي رحمه الله ، يشتم بها شخصاً ، وكان في موضع تقيّة ، فقال عنه : إنّه ابن عشاير ، وظاهر الكلمة المديح ، ولكنّ باطنها الذمّ ، لأنّه عنى بقوله أنّه ابن عشائر ، أنّه كثير الآباء .

وكان ابن بسام ، شديد الوطأة على القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، ينتهز كلّ فرصة ليهجوه ، فلما مات أبو محمد ، أخو القاسم ، قال ابن بسّام يعزّي أباه عبيد الله بن سليمان ، ويهجو القاسم ، دون أن يذكر اسمه : [معجم الأباء ٥ / ٣٢٢]

قل لأبي القاسم المرجّى قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابنٌ وكان زيناً وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كفقد هذا فلست تخلو من المصائب

ويظهر من قول الشاعر ابن عنين ، أنّ السلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله كان أعرج ، وأنّ عماد الدين الأصبهاني كاتبه ، كان ضعيف البصر ، كما إنّ وزيره القاضي الفاضل كان أحدب ، قال ابن عنين : [ديوان ابن عنين ٢١٠ و ٢١١]

سلطاننا أعرج وكاتبه ذو عمش والوزير منحَدب

وروى لنا ابن بطوطة إنّ الحرافيش بمصر ، اجتمعوا وشتموا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١) لما حبس الأمير طشط ، قال : إنّ من جملة الأمراء الذين كانوا بالقاهرة ، لما زارها في السنة ٧٢٦ الأمير طشط ، وكان محسناً للأيتام من كسوة ونفقة ، وأجرة لمن يعلّمهم القرآن ، وله إحسان على الحرافيش ، وهم طائفة كبيرة ، أهل صلابة وجوه وزعارة ، وقد سجنه الملك الناصر محمد بن قلاوون ، مرّة ، فاجتمع آلاف

من الحـرافيش ، ووقفـوا بـأسفـل القلعـة ، ونـادوا بلســان واحـد : يـا أعـرج النحس ، أخرجه ، وكان الملك الناصـر أعرج ، فـأخرجـه (مهذب رحلة آبن بطوطة ١ / ٣٣)

القسم الثاني

المعايرة بالصناعة

كان الأشراف من قريش، في الجاهلية، لكلّ منهم صناعة، وقد ذكر الثعالبي في لطائف المعارف ، وابن قتيبة في المعارف ، وابن رسته في الأعلاق النفسية ، أسماء بعض هؤلاء الأشراف ، وصناعاتهم ، فقد كان أبو طالب يبيع العطر ، وأبو بكر وعثمان ، وطلحة ، وعبد الرحمن بن عوف ، يبيعون البزّ ، وكان الزبير ، وعمرو بن العاص ، وعامر بن كريز جّزارين ، وكان أبو سفيان زيّاتاً ، والعاص بن وائل بيطاراً .

وروي عن الخليفة عمر ، أنّه قال : لو خيّرت بين الصناعات ، لاخترت أن أكون عطاراً (بائع عطر) ، فإن فاتني ربحه ، لم يفتني ريحه .

وكان يزيد بن المهلّب ، لما ولي خراسان ، اتّخذ بستاناً في داره بمرو ، فلما ولي قتيبة خراسان ، جعل البستان لإبله ، فقال له مرزبان مرو : كان هذا بستاناً ليزيد ، وقد جعلته لإبلك ، فقال له قتيبة : لأنّ أبي كان اشتربان (صاحب إبل) ، وأبا يزيد كان بستان بان (بستانياً) .

ولما جاء الإسلام ، واشتغل العرب بالفتوحات ، قلّ انصرافهم إلى الصناعات ، ولكنّهم لم ينقطعوا عنها انقطاعاً تاماً ، إلاّ أنّهم اعتبروا بعض الصناعات ، من الصناعات الدنيئة ، كالحجامة ، والحياكة .

وأهديت لزياد بن أبيه ، فيلة ، وكان ينفق عليها في كلّ يوم عشرة

دراهم ، فتقدّم رجل من أهل ميسان ، اسمه معدان ، وقال : ادفعوها إليّ ، وأتحمّل أنا مؤونتها ، وأعطيكم في كلّ يوم عشرة دراهم ، فدفعوها إليه ، فاحترف عرضها على الناس ، وأثرى ، وآبتنى قصراً ، ونسب إلى حرفته ، فصار إسمه : معدان الفيل ، ونشأ له ولد اسمه عنبسة، تأدّب ، وفصح ، وظرف ، وأعان جريراً على الفرزدق ، فهجاه الفرزدق ، وعيّره بحرفة أبيه ، فقال :

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي عليّ القصائدا

فسار الشعر في البصرة ، وسئل عنه عنبسة ، فغيّر فيه كلمة الفيل ، وأنشده .

لقد كان في معدان واللؤم زاجر

فقال له أبو عيينة بن المهلب : وأبيك ، إنّ شيئاً فررت منه إلى اللؤم لعظيم (معجم الادباء ٦ / ٩١ و٩٢) .

وكانت الحجامة من المهن المحتقرة عند العرب ، ويروي أنّ الفرزدق الشاعر ، دخل على بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان بلال يتحدّث بمآثر جدّه أبي موسى ، وأراد الفرزدق أن يفحمه ، فقال : من مآثر أبي موسى إنّه حجم النبي صلوات الله عليه ، يشير إلى أنّه كان حجّاماً ، فقال بلال : إنّه حجمه تبرّكاً ، ولم يحجم أحداً غيره ، لا قبله ولا بعده ، فقال الفرزدق : أيّها الأمير ، جدّك أتقى له من أن يجرّب برأس نبيّه ، يشير إلى أنّه حجّام محترف ، فأفحم بلال ولم يحر جواباً (وفيات الاعيان ٣ / ١١)

ووصفوا بعض الصناعات ، بأنّها تنقص من عقل صاحبها ، وعيّروا بها ، كتأديب الصبيان مثلاً ، فإنّ اتّهام المؤدّب بالخفّة ، أو بنقص العقل ، دفع بالجاحظ إلى تأليف كتاب في هذا الموضوع .

وقد حفظت ، وأنا صبيّ ، بيتين من الشعر ، كانا شائعين في بغداد

على ألسنة جميع الناس ، عامتّهم وخاصّتهم ، ولا أعرف لمن هما :

إنّ الرقاعة جمّعت في ستّة　　في حائك ومنجم وسكافي
ومعلّم الأولاد يفتي بينهم　　وكذاك في الحلاّق والنّداف

قد أدركت الزّراع في العراق ، وهم لا يرضون بزرع حاصل غير الحنطة والشعير والأرز ، لا يبغون بغيرها بدلاً ، ويعتبرون زراعة غير هذه الأصناف عاراً ، وكانوا يعيبون (الكرّادة) ، أي أصحاب الكرود المحيطة ببغداد ، من شماليها وجنوبيها ، لأنّهم يزرعون الخضر ، ويعيّرونهم بأغنية ، كنت أسمعها وأنا صبيّ ، مطلعها : **كرّادي ، كرّادي ، يا بو باذنجانة** .

وقد تعب المرحوم الملك فيصل الأوّل ، مع الزرّاع في العراق ، من أجل أن يقنعهم بزرع القطن ، وكانت له سوق رائجة في العالم ، وكانت مصر قد ازدهرت من وراء زرع القطن ، وبذل الملك فيصل رحمه الله ، جهده في ذلك ، فأطاعه البعض ، وتهرّب البعض الآخر وهم الأكثر .

وكما كان الزرّاع يحتقرون من يزرع الخضر ، كذلك كانوا يحتقرون التاجر الصغير الذي يفتح دكاناً في قريتهم ، لبيع ما يحتاجه المزارع ، من أشياء . من خيوط ، وابر ، وقماش ، وورق ، وأقلام ، إلى غير ذلك ، ويسمّونه : **البقال** ، وكان أمثال هذا التاجر ، يثرون ، ويتموّلون ، من وراء التعامل مع المزارعين ، ولكنهم يبقون في نظر المزارع ، بقّالين ، فلا ترتفع أقدارهم ، مهما زادت ثرواتهم .

واتذكّر ، أنّ نزاعاً نشب في الأربعينات ، بين أهالي قلعة سكر ، وأهالي الكرّادي ، بلدتين على نهر الغرّاف ، في منطقة إدارية واحدة ، وكانت قلعة سكر ، فيها مقر الحاكم الإداري (القائمقام)، والمحكمة ، وكنت حاكماً (قاضياً) فيها في السنة ١٩٣٤ فكان لها الفضل على الكرّادي ، وأراد أهل الكرّادي نقل المحكمة ، والحاكم الإداري إليهم ، ونشبت بينهم معركة ظهر

أثرها في البرقيات التي كانوا يبرقونها إلى السلطات في بغداد ، وكان أشدّ ما يعيّر به أهل الكرّادي ، خصومهم أهالي قلعة سكر ، أنّهم كانوا يسّمونهم : **ببقّالي قلعة سكر** ، معتبرين هذه النسبة من أشنع ألوان الشتيمة .

وخطب الإمام علي ، على منبر الكوفة ، فقام الأشعث بن قيس ، وقال له : هذه عليك لا لك ، فغضب الإمام ، وقال له : وما علمك بما عليّ مما لي ، منافق بن كافر ، حائك بن حائك (شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٥)

وفي السنة ١٠٢ بعد معركة العقر التي قتل فيها يزيد بن المهلّب ، طلب الورد بن عبد الله بن حبيب السعدي الأمان ، فأحضره مسلمة ، وشتمه ، وقال له : صاحب خلاف ، وشقاق ، ونفار ونفاق ، في كلّ فتنة ، مرّة مع **حائك كندة** (يريد ابن الأشعث) ومرّة مع ملّاح الأزد (يريد ابن المهلب) ، ما كنت بأهل أن تؤمّن (الطبري ٦ / ٦١٠) .

أقول : إنّ تعيير الأزد ، بأنّهم ملّاحون ، حصل في أكثر من موضع واحد ، وزمان واحد ، فإنّ مسلمة بن عبد الملك ، لما انتصر على يزيد بن المهلّب ، في معركة العقر ، وقتل يزيد في المعركة ، صلب مسلمة جثّته ، وعلّق مع الجثّة خنزيراً ، وسمكة ، وزقّ خمر (الغيث المسجم ٢ / ١٨٢) ، يريد بالسمكة ، أنّ يزيد من الأزد ، فهو ملّاح ، وبزقّ الخمر ، أنّه سكّير ، وبالخنزير مجرد الشتم .

وكذلك الحال لما حارب نصر بن سيار ، أمير خراسان ، جديع بن علي الكرماني ، وقتل جديع في المعركة ، فأخذه نصر وصلبه ، وصلب إلى جانبه سمكة ، يشير إلى أنّ جديع ، أزدي ، فهو ملّاح (الطبري ٧ / ٣٧٠)

وتسابّ خالد القسري، وهو في حبس يوسف بن عمر، مع يوسف، لما أحضره من الحبس فقال له : **يا ابن الكاهن** ، يعيّره بأنّ جدّه (شق) الكاهن المعروف في الجاهلية ، فقال له خالد: أتعيّرني بشرفي يا **ابن الخمّار** ، وكان

أبو يوسف وجدّه بالطائف أصحاب حانة (الأخبار الطوال ٣٤٤)

وشتم أبو الهيثم بن ثوابة ، أبا العيناء ، فقال له : ما أنت والد خول بيننا **يا مكدّي** ، راجع القصة في البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٥٥٧

وفي السنة ٣٨٤ نشبت في السوس بالأهواز ، معركة بين جيش صمصام الدولة ، وجيش بهاء الدولة ، وانكسر جيش صمصام الدولة ، ووقف سعادة (أحد قواد صمصام الدولة) ، ممسكاً بعنان فرس صمصام الدولة ، متحيّراً ، لا يدري ما يصنع ، فقال له يا رغ (أحد القواد الأتراك في جيش بهاء الدولة) ، بالفارسيّة : ما وقوفك **يا حجّام** ؟ خذ صاحبك وانصرف (ذيل تجارب الأمم ٢٥٦)

أقول : أراد يا رغ بقوله هذا ، الإبقاء على حياة صمصام الدولة وقائده ، جرياً على عادة القوّاد القدماء ، فإنّهم كانوا عند انتصارهم يتغاضون عن استئصال الخصم ، ويعتبرون ذلك من آيين الفروسية .

القسم لثالث

المعايرة بالنحلة

المعايرة بالنحلة تعني اتهام المشتوم بانتحـاله غيـر الإسلام ، كـأن يقال له : باطني ، أو ملحـد ، أو قرمـطي ، أو زنديق ، أو منـافق ، أو يهودي ، أو كافر .

الكفر : في الأصل ، الستر والتغطية
والكفر بنعم الله : جحودها .
والكفر بالدين : انكاره ، وهو ضدّ الإيمان ، الذي هو التصديق.
والملحدون : فرقة من الدهريّة ، والإلحاد الكفر .

والباطنية : فرقة من المسلمين ، لزمهم هذا اللقب ، لحكمهم بأنّ لكلّ ظـاهر بـاطناً ، ولكـلّ تنزيـل تأويـلاً . للتفصيـل راجـع كتـاب الملل والنحـل للشهرستاني ٢ / ٢٦ ـ ٣٦ .

والقرامطة : فرقة من المسلمين ، ذات نحلة بـاطنية ، عـرفت في السنة ٢٧٨ بدأها رجل يلقّب بقرمط ، قدم إلى سواد الكوفة يدعو إلى إمـام من أهل بيت الـرسول صلوات الله عليـه ، واتّبعه قـوم ، فسمّوا القـرامـطة ، وانتشـرت دعوته ، واستـولى أتباعـه على القطيف ، ثم اتسعت رقعـة حكمهم ، فشملت بـادية السمـاوة وباديـة كلب ، وفتحوا البصـرة ، والكوفـة ، وقـاربـوا بغـداد ، وحصروا دمشق وحلب ، وفتحوا طبريّة والأردن ، وهـاجموا الحجـاز ، وفتحوا مكّة ، وقتلوا الحجّاج في الحرم قتلاً ذريعاً ، وقلعوا الحجر الأسود ، وأخـذوه إلى عاصمتهم هجر، واجتاحوا قوافل الحجّـاج أكثر من مرّة ، وذبحوهم وسبـوا

النســاء ، راجع أخبــارهم في الطبــري ج ـ ١٠ وتجارب الأمم ج ـ ١ والمنتظم ج ـ ٦ .

وكانت كلمة قرمطي ، وكلمة باطني ، من كلمات الشتم التي توجّـه إلى من يراد شتمه .

وتسابّ معاويـة بن أبي سفيان ، وقيس بن سعـد بن عبادة الانصـاري ، وكـان قيس عامـلاً لعليّ على مصر ، فقـال معـاويـة لقيس : انّـك يهـودي بن يهـوديّ ، فـأجـابـه قيس : أنت وثن بن وثن ، دخلت في الإسـلام كـرهــاً ، وخرجت منه طـوعاً ، ونحن أنصـار الدين الـذي منه خـرجت ، وأعداء الـدين الذي فيه دخلت (مروج الذهب ٢ / ١٣)

وكان مروان الجعدي ، قد عثر على كتاب من إبراهيم الإمام ، إلى أبي مسلم ، فأحضر إبراهيم ، وسأله ، فأنكر كلّ شيء ، فكشف له عن الكتاب ، وقـال له : يـا منافق أليس هـذا كتـابـك إلى أبي مسلم ، ثم أودعـه السجن . (مروج الذهب ٢ / ١٩٢)

وغضب المهدي العباسي ، على رجل من الأشعريين ، فضربه، ثم قال له : يا يهودي (الطبري ٨ / ١٣٩)

وشتم علي بن عيسى بن ماهان ، أمير خراسان ، الحسين بن مصعب ، فقال له : يا ملحد يا ابن الملحد . (الطبري ٨ / ٣٢٥)

وفي السنة ٢٠٠ أغلظ يحيي بن عامر بن إسماعيل ، للمأمون ، فقال له يا أمير الكافرين، فأمر به فقتل بين يديه . (الطبري ٨ / ٥٤٥)

ونازع محمد بن الفضل ، بعض قرابتـه في ميراث ، فقـال له : يـا ابن الزنديق . فقال له : إن كان أبي كما تقـول ، فلا يحّـل لك أن تنـازعني في الميراث ، إذ كان لا يرث دين ديناً ، يعني أنّ اختلاف الدين يمنـع الميراث ،

فما دام زعم أنّ المتوفّى زنديق ، فإنّ المدعي الشاتم ليس له أن يدّعى في ميراثه . (العقد الفريد ٤ / ٢٦)

وذكر أبو علي التنوخي ، صاحب كتاب نشوار المحاضرة ، في القصّة ٤/٥ : إنّ القاضي أبا بكر بن قريعة ، لما قلّده قضاء الأهواز ، خلافة له ، كتب إلى خليفته على القضاء قبل التنوخي ، وهو ابن سركر الشاهد ، كتاباً عنوانه : **إلى المخالف الشاقّ ، السيء الأخلاق ، الظاهر النفاق** ، محمد بن اسحاق .

وكان نصر الحاجب ، أحد خصوم الوزير ابن الفرات ، وحضر مناظرة الوزير حامد بن العباس لابن الفرات ، فقال نصر لابن الفرات بعجمته : **تكلّمي يا قرمطية** (الوزراء للصابي ١٠٦)

وناظر ابن الفرات، وزير المقتدر، علي بن عيسى بن الجراح، الوزير ، بعد عزل حامد بن العباس عن الوزارة ، واتّهمه باعانة القرامطة ، وقال له : **يا قرمطي**

فقال له علي بن عيسى : أيّها الوزير ، أنا قرمطي ، أنا قرمطي ؟ يعرّض به ، لأنّ أهل بغداد ، كانوا يلقّبون ابن الفرات ، إذا غضبوا عليه ، بالقرمطي

ولمّا قبض على ابن الفرات ، من بعد ذلك ، بأمر الخليفة ، وأحدد في الطيّار رجمه العامّة ، وصاحوا : قد قبض على **القرمطي الكبير** ، راجع التفصيل في القصّة ٤ / ١٠ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، وفي معجم الأدباء ١ / ٨٥ وتجارب الامم ١ / ١٢١ والمنتظم ٦ / ١٨٩ .

وذكر أبو بكر الصولي ، في كتابه الأوراق ، أنّ أبا عبد الله ، حفيد المنتصر ، تآمر على الراضي ، وحاول قتله ، ليحّل محلّه ، فاعتقله الراضي ، وأحضره معصوب العينين ، فلما أقيم بين يديه ، قال : ما لنا ، **نحن**

قرامطة ؟ ، فقال له الراضي : **يا ابن الفاعلة** ، لو كنت محتاجاً لعذرتك ، ثم أمر به فنحّي ، وقتله في ليلته ، راجع الحاشية في تجارب الامم ١ / ٣٩٠ و ٣٩١ .

ولما تقابل جند السلطان بركياروق ، وجند السلطان محمد ، جرى بينهما سباب ، وكان أكثر ما يسبّ عسكر محمد ، عسكر بركياروق ، **قولهم لهم** : **يا باطنية** (ابن الأثير ١٠ / ٣٠٩) .

وفي السنة ٥٢١ لما هاجم السلطان محمود السلجوقي ، دار الخليفة ببغداد ، كان أهل الجانب الغربي يسبّون السلطان ، ويقولون له : **يا باطني** ، لم تقدر على غزو الروم ، فجئت تغزو الخليفة والمسلمين (المنتظم ١٠/٣).

ولما أوقع القاسم بن عبيد الله ، وزير المكتفي ، بقوم من الكتّاب ، منهم محمد بن غالب الأصبهاني صاحب ديوان الرسائل . ومحمد بن بشار ، وابن منارة الكاتب ، فأحدرهم إلى البصرة ، وأمر بهم فأغرقوا في الطريق ، وكان ابن منارة نصرانياً، قال ابن بسّام يخاطب القاسم : [مروج الذهب ٢ /٥٢٨].

عذرناك في قتلك المسلمين　　　وقلنا عداوة أهل الملل

فهذا المناريّ ما ذنبه　　　ودينكما واحد لم يزل

أقول : آل وهب من أعمال واسط ، وكانوا نصارى ، ثم أسلموا (الفخري ٢٤٧) ، وإلى أصله النصرانيّ يشير ابن بسّام في البيت الأخير .

ولم ينج القاسم ، من ابن بسّام ، حتى بعد موته ، فإنّه لما مات ، نظم فيه أبياتاً يتّضح من خاتمتها، أنّ الرجل توفّي بمرض الزحير (الدوسنطاريا) ، إذ قال فيه : [ابن الأثير ٧ / ٥٣٤]

ولم يزل يسلح من دبره　　　حتى خري النفس فيما خري

القسم الرابع

المعايرة بالنسب

وكانت كلمة : **يا نبطي** ، من ألفاظ الشتيمة (معجم الأدباء ٥ / ٤٥٧)

والنبط : قوم من غير العرب ، كانوا ينزلون بين العراقين ، وكانت هذه الكلمة تطلق على أخلاط الناس وعوامّهم ، وتعتبر - إذا قيلت للعربي - كلمة شتم .

وتسابّ حيّان النبطي مع سورة بن الحرّ، فقال له سورة: يا نبطي، فقال له حيّان : أنبط الله وجهك (ابن الأثير ٥ / ٩٧)

أقول : أبو الهياج حيّان مولى مصقلة بن هبيرة الشيباني ، لم يكن نبطياً بل كان من خراسان، وانما لقّب بالنبطي للكنة كانت فيه، ولما تسابّ وسورة حقدها سورة عليه ، وقال لسعيد خدينة أمير خراسان : إنّ هذا العبد أعدى الناس للعرب ، وهو الذي أفسد خراسان على قتيبة ، وهو واثب بك ، مفسد عليك خراسان ، ثم يتحصّن في قلعة من القلاع ، فقال له سعيد : لا يسمعن هذا منك أحد ، ثم دعا في مجلسه بلبن ، وقد سحق الذهب وألقي في اللبن الذي شربه حيّان ، ثم ركض سعيد والناس معه أربعة فراسخ ، فعاش حيّان أربعة أيام ومات (ابن الأثير ٥ / ١٥ ، ٩٧)

وتناظر محمد بن أبي العبّاس الطوسي وعلي بن الهيثم المعروف بجونقا ، بحضور المأمون ، فقال محمد لعلي : **يا نبطي** ، فقال المأمون :

الشتم عيٌّ ، والبذاءة لؤم (معجم الأدباء ٥ / ٤٥٧)

وتفصيل ذلك إنّه في السنة ٢٠٥ كان المأمون قد عقد مجالس للمناظرة في العقائد ، وفي أحد هذه المجالس ، تكّلم محمد بن أبي العباس فنصر الإماميّة ، وتكلّم علي بن الهيثم فنصر الزيديّة ، وجرى الكلام بينهما إلى أن قال محمد لعلي : **يا نبطيّ** ، ما أنت والكلام ! وكان المأمون متكئاً فجلس ، وقال : الشتم عيّ ، والبذاءة لؤم ، إنّا قد أبحنا الكلام ، وأظهرنا المقالات ، فمن قال الحقّ حمدناه ، ومن جهل ذلك وقفناه ، ومن جهل الأمرين حكمنا فيه بما يجب (الطبري ٨ / ٥٧٧) .

وقال المأمون ، للفضل بن مروان : يا نبطي .

وتفصيل القصّة : إنّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي وصف للمأمون عريباً ، فأمر بشرائها ، فاشتريت له بمائة ألف درهم ، وأمر لإسحاق بمائة ألف درهم أخرى ، فأثبت إبراهيم بن رياح ، كاتب المأمون ، في الديوان ، أنّ المائة ألف الأولى خرجت في ثمن جوهرة ، والمائة ألف الثانية ، صرفت لصائغها ودلّالها ، ورأى الفضل بن مروان الفقرتين ، فاتّهم إبراهيم ، وغلّظ القصّة ، ورفعها إلى المأمون ، فدعاه ، وسأله ، فأخبره بحقيقة الحال ، وأنّ المال خرج في ثمن عريب وجائزة إسحاق ،وأنّه رأى أنّ ما أثبته في الديوان أصوب من أن يكتب أنّه خرج في شراء مغنّية وصلة مغنٍّ ، فضحك المأمون ، وصوّب فعل إبراهيم، وقال للفضل بن مروان: يا نبطي، لا تعترض على كاتبي هذا في شيء (الأغاني ٢١ / ٦٧ و ٦٨) .

وطالب المعتصم ، وزيره الفضل بن مروان ، بمال ، فتلكأ في حمله ، فقال لابنه الواثق : هذا النبطي ، ابن النبطية ، أخذ مالي جملة ، وهوذا يتصدّق به عليّ تفاريق ، ثم قبض عليه بعد أيّام ، وأخذ منه أربعين ألف

ألف درهم، راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، تحقيق المؤلف ج٨ ص ٤٨ رقم القصة ١٥

وشتم ابراهيم بن المهدي، اسحاق الموصلي ، فقال : **الجرمقاني** .

والجرامقة : قوم من العجم ، من الموصل ، وسبب ذلك : إنّ اسحاق الموصلي ، بعث إلى إبراهيم بن المهدي ، من عاب عليه صوتاً غنّاه ، فلما كلّم ابراهيم في ذلك ، قال إبراهيم : ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام **الجرمقاني ابن الزانية** (يريد إسحاق) (الأغاني ٥ / ٢٨٦) .

وجرى بين شهرام المروزي ، وأبي مسلم الخراساني ، كلام ، فقال له شهرام : **يا لقيط** ، (وكان أبو مسلم يتّهم بأنّه لقيط) ، فصمت أبو مسلم ، وأحسّ شهرام بخطئه ، وندم ، وأخذ يخضع ، ويعتذر ، ويتنصّل ، فقال له أبو مسلم : لسان سبق ، ووهم أخطأ ، وما جرّأك غيري بطول احتمالي ، فإن كنتَ متعمّداً ، فقد شاركتك في الذنب ، وإن كنت مغلوباً ، فالعذر سبقك ، وقد غفرنا لك على كلّ حال (المحاسن والمساوىء ٢ / ٦٠) .

ابن البرتكيش ، ابن الموسقوفي

وقد أدركت الناس ببغداد ، ومن اشدّ كلمات الشتم عندهم ، أن تقول للمشتوم : **ابن البرتكيشي** .

والبرتكيشي ، والبورتكيزي ، تعني البرتغالي ، والسبب في ذلك ، ما صنعه البرتغال ، بالعرب والمسلمين ، لما فتحوا طريقهم إلى الهند .

ثم نشأت من بعد ذلك كلمة شتم أخرى ، هي : **ابن الموسقوفي** ، أي الروسي ، باعتبار نسبته إلى موسكو ، عاصمة الروس .

وسبب هذه الشتيمة ، إنّ جنود الروس ، في الحرب العامة الأولى(١٩١٤ ـ ١٩١٨) دخلوا إيران ، من الشمال ونفذوا منها إلى شمال العراق ، وإلى وسطه ، وارتكبوا فيهما من الفظائع ، من قتل وسلب وانتهاك حرمات ، ما يقشعرّ له البدن ، فأصبحت النسبة إليهم من ذلك الحين ، من أشّد ألوان الشتم ، وعندما كنت حاكماً في الموصل في السنة ١٩٣٦ ، أحضرت لي عجوز ، قالوا إنّها من المقيمات في المنزول (دار القحاب) وإنّها كانت تترصّد للفجور ، فعجبت من عجوز تترصّد للفجور ، وسألتها ، فأنكرت التهمة ، فسألتها عن سبب وجودها في هذه الدار ، وعن سبب بقائها فيها إلى الآن ، فبكت ، وقالت : إنّي لما دخلت إلى هذه الدار ، لم أكن كما أنا الآن ، وإنّما كنت صبيّة حلوة ، وكنت في . . . . . . بين أبويّ

وإخوتي ، فهاجم البلدة جنود الموسقوف (الروس) ، وأمسكوا بي مع فتيات من أهل البلدة ، أمّا أهلي فقد فرّ من فرّ ، وقتل من حان أجله ، وفضحنا الجنود ، حتى إذا غادروا البلدة ، تركونا ، فلم نطق البقاء في بلدة افتضحنا فيها ، فإنّنا كنا على ثقة بأن مصيرنا القتل ، ففررنا إلى الموصل ، ووصلنا إليها جائعات ، بائسات ، مظلومات ، لا نحسن العربية ، فاضطررنا إلى دخول هذه الدار ، أمّا لماذا لم أبارح هذا الموضع ، فمن الذي يرضى بأن يؤويني بعد أن يعلم أنّني خرجت من هذه الدار ، ثم عادت إلى البكاء ، فأفعمت قلبي بحديثها حزناً ، وأبطلت عنها الدعوى ، وأوصيت رجال الشرط أن لا يتعرّضوا لهؤلاء البائسات في مستقبل الأيّام ، إذ يكفيهن ما هنّ فيه من بؤس وشقاء .

القسم الخامس

المعايرة بالأبوين

أ ـ المعايرة بالأب

شتم معاوية بن أبي سفيان ، مروان بن الحكم ، فقال له : **يا ابن الوزغ** .

وسبب ذلك: إنّ معاوية، لما استلحق زياداً، كره ذلك بنو أميّة، وكان مروان من الحكم ، عامل معاوية على الحجاز ، ممن أعلن ذلك ، فعزله معاوية ، وجرى بينهما كلام شديد ، فقال له معاوية : **يا ابن الوزغ** ، يشير بذلك إلى الحكم بن أبي العاص ، أبي مروان ، وكان يؤذي النبي صلوات الله عليه ، ويغمز عليه من ورائه بإصبعه ، ويمشي من خلفه ويتخلّج كأنّه يحاكيه ، والتفت النبيّ ، فرآه ، فقال له : كن كذلك ، اللهم آجعل به وزغاً ، فآستمرّ يرجف ويرتعش .

وكان مروان بن الحكم على المدينة لمعاوية ، فعزله بسعيد بن العاص ، فدخل مروان على معاوية، وقال له : ما ألفيتك إلا عاقّاً قاطعاً ، فغضب معاوية ، وقال له : يا ابن الوزغ (شرح نهج البلاغة ٦ / ١٥٤ و ١٥٥)

وكتب محمد بن أبي بكر الصديق ، إلى معاوية بن أبي سفيان ، قبل معركة صفّين : من محمد بن أبي بكر ، **إلى الغاوي** معاوية بن صخر ، ومن جملة ما ورد فيه قوله : **أنت اللعين بن اللعين** ، لم تزل أنت وأبوك تبغيان

لدين الله الغوائل، وتجمعان على ذلك الجموع ، وتبذلان فيه المال، وتحالفان في ذلـك القبائـل ، على هذا مـات أبوك ، وعلى ذلـك خلفتـه (شـرح نهـج البلاغة ٣ / ١٨٨ و ١٨٩)

وبعث معـاوية بن أبي سفيـان بسر بن ارطـاة ، وأوصاه أن يـأخذ طـريق المـدينـة ومكــة حتى ينتهي إلى اليمن ، وان يقتـل شيعــة علي ، فلمـا وافى المدينة ، صعد المنبر ، وشتم الأنصار فقال : **يا معشر اليهـود ، وأبناء اليهـود** (شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠) .

وتسابّ معاوية بن أبي سفيان، وقيس بن سعد بن عبادة، أمير مصر للإمام علي فإنّ قيساً لما ولي مصر للإمام علي ، كاتبه معاوية ، يـدعوه إلى الـدخول في طاعته ، فكتب إليه قيس يقول : العجب من اغترارك بي ، وطمعك فيّ ، تـأمرني بـالدخـول في طاعتـك ، وأنت أبعد النـاس من هذا الأمـر ، وأقـولهم للزور ، وأضلّهم سبيلاً ، وأبعدهم من الله عـزّ وجلّ ورسـولـه صلى الله عليـه وسلم وسيلة ، ولد ضالّ مضلّين ، طاغوت من طواغيت إبليس .

فلمـا أيس منه معـاوية ، كتب إليـه : أما بعـد ، فانمـا أنت **يهـودي بن يهودي** ، إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك واستبدل بك ، وإن ظفر أبغضها إليك ، قتلك ونكلّ بك ، وقد كان أبوك وتر قوسه ، ورمي غير غرضه ، فـأكثر الحزّ وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، ثم مات طريداً بحوران ، والسلام .

فكتب إليـه قيس بن سعد : أمـا بعد ، **فـإنك وثن بن وثن** ،دخلت في الإسـلام كـرهـاً ، وخـرجت منـه طــوعـاً ، ولـم تـزل حـربـاً لله ورســولــه، وحـزبــاً من أحـزاب المشـركين ، وعـدواً لله ونبيّــه وللمـؤمنين مـن عبـاده ، لم يقدم إيمانك ، ولم يحدث نفـاقك ، وقـد كان أبي رحمـه الله وتر قـوسه ، ورمي غرضه ، فشغب عليه من لم يبلغ كعبه ، ولم يشقّ غباره ، ونحن بحمد

الله أنصار هذا الدين الذي خرجت منه ، وأعداء الدين الذي دخلت فيه ، والسلام (البيان والتبيين ٢/٨٧ وشرح نهج البلاغة ١٦/٤٣).

أقول : قيس بن سعد بن عبادة ، الأنصاري ، الخزرجي ، المدني ، صحابي ، أحد دهاة العرب ، من ذوي النجدة والرأي والمكيدة في الحرب ، وأحد الاجواد المشهورين ، كان سيّد قومه غير مدافع ، وكان صاحب راية الانصار مع النبي صلوات الله عليه ، وصحب الإمام عليّاً في خلافته ، واستعمله على مصر في السنة ٣٦ ثم عزله بمحمد بن أبي بكر ، فعاد إلى علي ، وكان على مقدمته في حرب صفين ، ثم كان مع الحسن بن علي ، حتى صالح معاوية ، فأرسل معاوية إلى قيس ، ليبايعه فلما دخل عليه قال : إنّي حلفت ألاّ ألقى معاوية إلاّ وبيني وبينه السيف والرمح ، فأمر معاوية بسيف ورمح ، فوضعا بينه وبينه ، ليبرّ يمينه ، فلما استقر بقيس المجلس ، أقبل على الحسن ، وقال له : أفي حلّ أنا من بيعتك ؟ قال : نعم ، فألقي له كرسي أمام سرير معاوية ، وقال له معاوية : أتبايع يا قيس ؟ قال : نعم ، ووضع يده على فخذه ، ولم يمدّها إلى معاوية ، فقام معاوية من سريره ، وأكبّ على قيس حتى مسح يده على يده ، وما رفع إليه قيس يده (شرح نهج البلاغة ١٦ / ٤٨)

وفي موقعة الطف ، التي قتل فيها الإمام الحسين عليه السلام ، صاح شمر بن ذي الجوشن ، بزهير بن القين ، من أنصار الحسين : اسكت ، اسكت الله نأمتك ، فقال له زهير : **يا ابن البوّال على عقبيه** ، إنّما أنت بهيمة (الطبري ٥ / ٤٢٦)

وتهدّد محمد بن إبراهيم بن طلحة ، أهل الكوفة ، فوثب إليه المسيّب بن نجبة ، فقطع عليه منطقه ، وقال له : **يا ابن الناكثين** (بالتثنية) يعيره بأنّ أباه وجدّه نكثا بيعة الإمام علي بن أبي طالب ، وحارباه في وقعة الجمل ، وقتلا في المعركة

أقول : في السنة ٦٤ لما أراد التوابون الخروج بالكوفة للطلب بثأر الحسين الإمام الشهيد ، خطب عبد الله بن يزيد الأنصاري أمير الكوفة لابن الزبير ، فقال : بلغني أنّ طائفة من أهل هذا المصر ، يريدون أن يخرجوا علينا ، مطالبين بدم الحسين بن علي ، فوالله ، ما أنا قتلت الحسين ، ولا أنا ممن قاتله ، ولقد أصبت بمقتله رحمة الله عليه ، وهذا ابن زياد قاتل الحسين ، وقاتل خياركم وأماثلكم ، وهو أعدى خلق الله لكم ، ولي عليكم هو وأبوه سبع سنين ، لا يقلعان عن قتل أهل العفاف والدين ، وهو قد توجّه إليكم ، فالاستعداد لحربه أرشد من ان تجعلوا بأسكم بينكم ، ويسفك بعضكم دماء بعض ، فقام إبراهيم بن محمد بن طلحة ، عامل الخراج ، وقال : أيّها الناس ، لا تغرّنكم مقالة هذا المداهن الموادع ، والله لئن بلغنا أنّ قوماً يريدون الخروج علينا ، لنأخذنّ الوالد بولده ، والمولود بوالده والحميم بالحميم ، والعريف بمن في عرافته ، فوثب إليه المسيّب بن نجبة ، وقال له : يا ابن الناكثين، أنت تتهددنا بسيفك ، أنت والله أذلّ من ذلك ، إنّا لا نلومك على بغضنا ، وقد قتلنا أباك وجدّك ، وإنّي - والله - لأرجو ألاّ يخرجك الله من بين ظهراني أهل هذا المصر ، حتى يثلّثوا بك جدّك وأباك .

وشتم مسلم بن عقبة المرّي ، خلفه الحصين بن نمير ، فقال له : يا ابن بردعة الحمار ، وذلك إنّه لما حصلت موقعة الحرّة ، واستباح فيها جيش يزيد بن معاوية ، مدينة رسول الله ، قتلاً ، وسبياً ونهباً ، وانتهاك أعراض وحرمات ، كان مسلم بن عقبة المري قائد الحملة مريضاً ، فلما انتهى من قتل أهل المدينة وأستباحتها ، قصد مكة ، ليصنع بها ما صنع بأهل المدينة ، فأدركه الموت ، فأحضر أحد قواده الحصين بن نمير ، وقال له : يا ابن بردعة الحمار ، أما والله ، لو كان الأمر إليّ ما ولّيتك هذا الجند ، ولكنّ أمير المؤمنين يزيد ولاّك بعدي ، ثم قال : اللهم إنّي لم أعمل عملاً قط ، بعد شهادة أن لا اله الا الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، أحب إليّ من قتلي

أهل المدينة ، ولا أرجى عندي في الآخرة (الطبري ٥ / ٤٩٦)

وفي السنة ٧٥ شتم عبد الله بن الجارود البصري ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، لما أرسل إليه رسولاً يطلب حضوره فقال : **لا ، ولا كرامة لابن أبي رغال** (ابن الأثير ٤ / ٣٨٢)

أقول : أبو رغال من أجداد الحجاج ، كان دليل الحبشة لما قدموا لهدم الكعبة ، فعيّر به قومه ، ولما مرّ النبي صلوات الله عليه بقبره رجمه ، فاصبح رجم قبره سنّة .

وشتم العريان بن الهيثم النخعي ، صاحب شرطة خالد القسري ، أمير العراقين ، أبا النجم الراجز ، فقال له : **ملعون بن ملعون** (الاغاني ١٠ / ١٥٤ و ١٥٥ والبصائر والذخائر ٤ / ٢٤٧ ـ ٢٤٩)

وخلاصة القصة : أنّ الجنيد بن عبد الرحمن المرّي ، عامل السند ، بعث إلى خالد القسري أمير العراقين ، بسبي من الهند بيض ، فجعل يهب منه لوجوه الناس ، حتى بقيت منهنّ جارية جميلة ، وعليها ثياب أرضها ، فوطتان ، فقال لأبي النجم : هل عندك فيها شيء حاضر ، وتأخذها الساعة ، قال : نعم أصلحك الله ، فقال صاحب الشرطة ، العريان بن الهيثم النخعي : كذب ، والله ما يقدر على ذلك ، فقال أبو النجم :

علقت خوداً من بنات الزطّ   ذات جهاز مضغط ملطّ
رابي المجسّ جيّد المحطّ   كأنّما قطّ على مقطّ

كهامة الشيخ اليماني الثطّ

وأومأ بيده إلى هامة العريان ، فضحك خالد ، وقال للعريان : كيف ترى ؟ هل احتاج إلى أن يروّي فيها يا عريان ؟ فقال : لا والله ، ولكنّه ملعون بن ملعون .

وفي السنة ١٢٦ خالف جديع بن علي الكرماني الأزدي ، على نصر بن سيار ، أمير خراسان ، وجمع الرجال واتّخذ السلاح ، وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة ، وأكثر وأقل ، فيصلّي خارجاً من المقصورة ، فأرسل إليه نصر ، مسلم بن أحوز يكلّمه فقال له الكرماني : لولا أنّك في منزلي لقتلتك ، فارجع إلى **ابن الأقطع** (يريد نصراً) (الطبري ٧ / ٢٩١)

أقول : كان نصر بن سيار إذا عيّر ، قيل له ابن الاقطع ، لأنّ أباه سيّار بن رافع ، كان مع مصعب بن الزبير ، فسرق عيبة ، فقطع عبد الرحمن بن سمرة يده ، فكان يقال له : الاقطع (المعارف ٤٠٩)

وفي السنة ١٤٤ شتم أهل المدينة ، عاملهم رياح بن عثمان المرّي ، وقالوا له : **يا ابن المحدود** ، وسبب ذلك ، أنّ المنصور العباسي ، ولّى في السنة ١٤٤ على المدينة رياح بن عثمان المرّي ، وناط به طلب محمد وإبراهيم ولدي عبد الله بن الحسن ، فشدّد في طلبهما ، وجهر بشتمهما ، وشتم أهل المدينة ، وذكرهما يوماً وهو على المنبر ، فسمّاهما الفاسقين ، الخالعين ، الحاربين ، ثم ذكر أمّهما فأفحش ، فسبّح الناس ، وأعظموا ما قال ، فأقبل عليهم ، وقال : ألصق الله بوجوهكم الذلّ والهوان ، أما والله لأكتبنّ إلى خليفتكم ، فلأعلمنّه غشّكم ، وقلّة نصحكم ، فقال الناس : **لا نسمع منك ، يا ابن المحدود** ، وبادروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان ، وأغلق عليه الباب (الطبري ٧ / ٥٣٧)

أقول : انما شتموه بقولهم له : ابن المحدود ، لأنّ أباه عثمان بن رياح المرّي ، كان عاملاً للوليد بن عبد الملك على المدينة ، ولّاه عليها باشارة من الحجّاج بن يوسف الثقفي ، فظلم وجار ، وسار في أهل المدينة بسيرة الحجّاج ، فلما ولي سليمان بن عبد الملك ، عزله ، وأمر خلفه بأن يجلده حدّين ، فجلده (الطبري ٥ / ٤٨٥ ، ٥٠٥ ، ٥٧٥)

ولما جيء بابي السرايا ، أسيراً إلى الحسن بن سهل ، قائد جيش المأمون ، قال له : من أنت ؟ قال : السريّ بن المنصور ، فقال له : لا ، **بل أنت النذل بن النذل ، المخذول بن المخذول** (مقاتل الطالبيين)

أقول : راجع كيفية مقتل أبي السرايا في السنة ٢٠٠ في هذا الكتاب في الباب الحادي عشر (القتل) في الفصل الأول (القتل بالسيف) في القسم الأوّل (القتل صبراً) .

وسمع المتوكّل قول عمارة في أهل بغداد :

ومن يشتري مني ملوك المخرّم   أبع حسناً وابني هشام بدرهم
وأعطي رجاءً بعد ذاك زيادة   وأمنح ديناراً بغير تندّم
فان طلبوا منّي الزيادة زدتهم   أبا دلف والمستطيل آبن أكثم

فقال المتوكل : **ويلي علي ابن البوال على عقبيه** (المحاسن والأضداد ٤٣) .

أقول : المخرّم منطقة من مناطق بغداد ، سميّت باسم المخرّم بن يزيد ، وتسمى الآن : العلوازية ، وفيها المستشفى الكبير ببغداد ، وكان اسمه لما انشىء المستشفى الملكي ، ثم سمّي المستشفى التعليمي ، حيث يتعلّم طلاب الكلية الطبيّة ، ثم سمي الآن مدينة الطب ، وما زال قسم من البغداديين يسمّونه مستشفى المجيدية ، لأنّ المستشفى أنشىء على بستان كانت في العهد العثماني تسمّى بستان المجيدية ، باسم السلطان عبد المجيد العثماني ، والد السلطان عبد الحميد ، والذين ذكروا في هذا الشعر ، كلّهم من رجال دولة المأمون ، أراد بالحسن الحسن بن سهل وأراد بابني هشام علي بن هشام وأحمد بن هشام ، وأراد برجاء رجاء بن أبي الضحاك ، وبدينار ، دينار بن عبد الله القائد ، وأراد بأبي دلف القاسم بن عيسى العجلي القائد المشهور ، وبالمستطيل بن أكثم ، يحيى بن أكثم قاضي القضاة في أيّام

المأمون ، ثم في أيّام المتوكّل ، راجع معجم البلدان ٤ / ٤٤١ و ٤٤٢

وفي السنة ٢٥٥ حضر القائد صالح بن وصيف، أمام المعتزّ العباسي، فطالب بارزاق الجند، فراجعه أحمد بن اسرائيل ، وقال له : **يا عاصي يا ابن العاصي** (الطبري ٩ / ٣٩٧ و ٣٩٨)

ب ـ المعايرة بالأمّ

في معركة أحد ، هجم حمزة ، عمّ النبي صلوات الله عليه ، على سباع بن عبد الله بن عبد العزى ، وقال له ، **هلم إليّ يا ابن مقطّعة البظور** ، وكانت أمّه ختّانة بمكة (الاغاني ١٥ / ١٩٤ والبصائر والذخائر ٣ / ٢ / ٦٤٠)

وفي السنة ١٢ تقابل في إلّيس على الفرات ، بالعراق ، جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد ، وجيش الفرس ، وطلب خالد المبارزة ، فبرز له مالك بن قيس من جزرة ، فصاح به خالد : **يا ابن الخبيثة** ، ما جرّءك عليّ من بينهم ؟ ثم ضربه فقتله (الطبري ٣ / ٣٥٨)

وفي مجلس عثمان بن عفان ، تكلّم أبو ذر ، فقال : ينبغي لمؤدّي الزكاة ، ألّا يقتصر عليها ، حتى يحسن إلى الجيران والاخوان ، ويصل القرابات ، فقال كعب الأحبار: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه ، فرفع أبو ذر محجنه ، فضربه ، فشجّه وقال له : **يا ابن اليهودية** ، ما أنت وما ها هنا (الطبري ٤ / ٢٨٤)

وقال عثمان يوماً : أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال ، فإذا أيسر قضى ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك ، فقال له أبو ذر : **يا ابن اليهودية** ، أتعلّمنا ديننا (انساب الاشراف ٥ / ٥٢)

ولما حصر الثائرون عثمان ، خرج اليهم عبد الله بن سلام ، فوعظهم ، وعظّم حرمة المدينة ، وقال لهم : ما قتل خليفة قط ، إلّا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً ، فقالوا : **كذبت يا ابن اليهودية ، يا يهودي** (انساب الاشراف ٥ / ٧٥)

أقول : أبو يوسف عبد الله بن سلام بن الحارث ، اسرائيلي من نسل يوسف الصديق ، أسلم عند قدوم النبيّ المدينة ، وفيه نزلت الآية : وشهد شاهد من بني اسرائيل ، توفيّ في السنة ٤٣ (الاعلام ٤ / ٢٢٣)

وغضب عثمان على عمّار بن ياسر ، فضربه حتى غشي عليه ، وكان عمّار حليفاً لبني مخزوم ، فغضب له هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي أخو خالد بن الوليد ، وقال لعثمان : ضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف ، أما والله ، لئن مات لاقتلنّ به رجلاً من بني أميّة عظيم الشأن ، فقال له عثمان : **وانّك لها هنا يا ابن القسرية** (شرح نهج البلاغة ٣ / ٤٩)

وغضب عمرو بن العاص ، من شريح بن هانىء الحارثي ، فقال له : إنّ مثلي لا يكلّم مثلك ، فقال له : بأيّ أبويك ترغب عن كلامي ، **بأبيك الوشيظ ، أم بأمك النابغة** (شرح نهج البلاغة ٢ / ٢٥٤)

وخطب عثمان بن عفان مرة ، فاعترض عليه عمرو بن العاص ، فقال له عثمان : **وإنّك لها هنا يا ابن النابغة، قملت جبّتك منذ نزعتك عن مصر** (شرح نهج البلاغة ٢ / ١٤٣)

ولما استولى معاوية بن أبي سفيان على مصر ، وقتل محمد بن أبي بكر الصديق ، عامل علي عليها ، بعث عبد الله بن الحضرمي إلى البصرة ، ليثير أهلها على علي، فقدم ابن الحضرمي البصرة ونزل في بني تميم، وخطبهم، وحضّهم على خلع عليّ وطاعة معاوية، فقام إليه الضحّاك بن عبد الله الهلالي، وقال له: قبح الله ما جئتنا به، وما دعوتنا إليه، فقام عبد الله بن

خازم السلمي ، فقال للضحاك : اسكت ، فلستَ بأهل لأن تتكلّم في أمر العامّة، فقال له الضحاك : يا ابن السوداء، إنّ الله لا يعزّ من نصرت، وتشاتما (شرح نهج البلاغة ٤ / ٣٨) .

وفي معركة الطفّ ، أهوى بحر بن كعب ، من بني تيم الله ، إلى الحسين بالسيف ، فصاح به غلام من أهل الحسين : يا ابن الخبيثة ، أتقتل عمّي ، فضرب بحر الغلام بالسيف ، فقطع يده (الطبري ٥ / ٤٥١)

وكتب معاوية بن أبي سفيان ، إلى زياد ابن أبيه ، يتهدّده ، بعد وفاة الإمام علي ، وكان زياد بفارس ، فقام خطيباً ، فقال : العجب من آبن آكلة الأكباد ، وكهف النفاق ، ورئيس الأحزاب ، كتب إليّ يتهددني (الاخبار الطوال ٢١٩ والطبري ٥ / ١٧٠)

أقول : سبب تلقيب معاوية بهذا اللقب ، ما صنعته أمّه هند بنت عتبة بقتلى المسلمين في موقعة أحد ، من المثلة ، فإنّ هنداً وصواحبها من مشركات قريش ، وقعن بعد انتهاء معركة أحد ، على قتلي المسلمين ، فمثلّن بهم ، واتّخذن من آذان الرجال وآنافهم خدماً (خلاخيل) وقلائد ، وبقرت هند بطن حمزة ، واستخرجت كبده فلاكتها ثم لفظتها (ابن الأثير ٢ / ١٥٩) فصار عملها هذا ، مما يعير به معاوية ، إذ سمّي : ابن آكلة الأكباد (مروج الذهب ٢ / ٨٩) وقد أوردنا التفصيل في الباب الثالث عشر (المثلة) من هذا الكتاب .

وفي السنة ٤٢ خرج زياد من فارس يريد معاوية ، فلقيه عبد الله بن خازم في أرجان ، ومعه فوارس ، فأخذ بعنان زياد ، وقال له : انزل يا زياد ، فصاح به المنجاب بن راشد ، وكان مرافقاً لزياد : تنّح يا ابن السوداء ، والا علقت يدك بالعنان (الطبري ٥ / ١٧٨)

أقول : كان عبد الله بن خازم من رجالات العرب ، وكانت أمّه سوداء ، وقد ولي خراسان في السنة ٤٣ .

ولما جيء برأس الحسين عليه السلام ، ووضع في الطست ، بين يدي يزيد بن معاوية ، بكى عبد الرحمن بن الحكم ، وقال :

ألا آبلغ أميـر المؤمنين ولا تكن ... كموتر أقواس وليس بذي نبل
لهامٌ بجنب الطّف أدنى قرابة ... من ابن زياد الوغد ذي الحسب الرذل

فصاح به يزيد : **اسكت يا ابن الحمقاء** ، ما أنت وهذا (الاغاني ١٣ / ٢٦٣ و ٢٦٤)

وشتمت أروي بنت الحارث بن عبد المطلب ، عمرو بن العاص ، فقالت له : **يا ابن النابغة** (اعلام النساء ٣٣)

أقول : أرادت بالنابغة أمّ عمرو بن العاص ، وكان يعيّر بها ، وروي صاحب أنساب الاشراف ٥ / ١٢٩ ، أنّ عمرو بن العاص ، شتم مروان بن الحكم ، فقال له : **يا ابن الزرقاء** ، فقال له مروان : ان كانت زرقاء ، فقد أنجبت ، وأدّت الشبه ، إذ لم تؤدّه النابغة ، أراد بالنابغة ، أمّ عمرو بن العاص .

وكان مروان بن الحكم وأولاده يعيّرون بالزرقاء ، من امهّات مروان ، وأمّ مروان اسمها آمنة ، وأمّها صفية ، أو الصعبة بنت أبي طلحة العبدري ، وأمّها مارية بنت موهب الكندية ، وهي الزرقاء التي يعيّرون بها (أنساب الاشراف ٥ / ١٢٦)

أقول : كان العرب يعيّرون بالزرقة ، لأنّ العيون الزرقاء تشير إلى عرق رومي .

وغضب عبد الرحمن بن أبي بكر ، من مروان ، وهو على المدينة ، فقال له : **يا ابن الزرقاء** (العقد الفريد ٤ / ٣٧١)

ولما مات معاوية ، كان على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ،

فكتب إليه يزيد ، أن يطالب الحسين بالبيعة له ، فأحضره ، وطالبه ، فاستمهله، فقال مروان للوليد : لا يخرج من عندك حتى يبايع ، أو تضرب عنقه ، فقال له الحسين ، **يا ابن الزرقاء** ، كذبتَ ولؤمتَ . (الطبري ٥ / ٣٤٠ وأنساب الاشراف ٤ / ٢ / ١٥)

ولما هلك يزيد بن معاوية ، طلب عبيد الله بن زياد من أهل البصرة أن يبايعوه وبعث إلى أهل الكوفة اثنين يسألانهم البيعة لابن زياد ، فلما اجتمع الناس ، وتكلّما في أمر بيعة ابن زياد ، حصبهما الناس ، وقالوا : **أنحن نبايع ابن مرجانة** ؟ لا ولا كرامة (انساب الاشراف ٤ / ٢ / ٩٧)

ولما حصر المختار بن أبي عبيد الثقفي بالكوفة ، في السنة ٦٧ ابتدر له قوم من شباب أهل الكوفة والبصرة أغمار ، فأخذوا يصيحون به : **يا ابن دومة** ، **يا ابن دومة** ، فأشرف عليهم المختار ، فقال : أما والله ، لو أنّ الذي يعيّرني بدومة ، كان من القريتين عظيماً ، ما عيّرني بها (الطبري ٦ / ١٠٦) .

وتزوج مروان بن الحكم ، أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ، ليحطّ منه ، وشتمه يوماً فقال له : **يا ابن الرطبة** ، فرجع خالد إلى أمّه فأخبرها ، فقالت له : سوف أكفيكه، فلما نام مروان عندها ، غطّت وجهه بوسادة حتى قتلته (الطبري ٥ / ٦١١ وأنساب الاشراف ٥ / ١٤٥ والاخبار الطوال ٢٨٥ والمحاسن والأضداد ١٣١ والاغاني ١٧ / ٣٤٥)

ولما حاصر الشاميّون عبد الله بن الزبير ، بمكة ، في الحصار الأوّل ، في عهد يزيد بن معاوية ، والحصار الثاني في عهد عبد الملك بن مروان ، كانوا يسبّون ابن الزبير بقولهم : **يا ابن ذات النطاقين** ، فقال عبد الله : [أنساب الاشراف ٤ / ٢ / ٥٤]

وعيّرها الواشون أنّي أحبّها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

أقول : إنّ لقب ذات النطاقين ، من ألقاب التشريف ، لقّب به النبي

صلوات الله عليه ، أمّ عبد الله بن الزبير ، وهي السيّدة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، لأنّها صنعت للنبيّ طعاماً حين هاجر إلى المدينة ، فلم تجد ما تشدّه به ، فشقّت نطاقها ، وشدّت به الطعام ، فقال لها : أبدلك الله به نطاقين في الجنة ، فلقّبت منذئذ بذات النطاقين (الاعلام ١ / ٢٩٨)

وتحّرك أهل البصرة ، في السنة ٧١ ، على مصعب ابن الزبير ، وكان إذ ذاك بالكوفة ، فورد البصرة وأحضر قوماً من رؤسائهم ، فسبّهم ، فقال لعبيد الله بن أبي بكرة : يا ابن مسروح ، **إنّما أنت ابن كلبة تعاورها الكلاب**، فجاءت بأحمر وأسود وأصفر، من كلّ كلب ما يشبهه، وإنّما كان أبوك عبداً نزل إلى رسول الله صلوات الله عليه من حصن الطائف ، ثم أقمتم البيّنة تدّعون أنّ أبا سفيان زنى بأمّكم، ثم دعا بحمران بن أبان، مولى عثمان ابن عفان ، فقال له: **يا ابن اليهوديّة، إنّما أنت علج نبطيّ** سُبيتَ من عين التمر ، ثم قال للحكم بن المنذر بن الجارود : **يا ابن الخبيث**، وكذلك لشيخ بن النعمان . (الطبري ٦ / ١٥٤ و ١٥٥) .

وشتمت السيّدة سكينة بنت الحسين الشهيد ، قاضي المدينة ابن حزم ، فقالت له : **يا ابن فرتنى** ، وهي إحدى جدّاته .

وكانت فرتنى تغنّي بهجاء النبي صلوات الله عليه وأصحابه ، فكانت ممن أهدر دمه يوم الفتح ، ثم أسلمت ، وكانت السيّدة سكينة قد خاصمت زوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وشكته إلى أمير المدينة عمر بن عبد العزيز فأحالها على القاضي ابن حزم ، فلما أرادت الدخول عليه ،قال : أدخلوها وحدها ، فأبت إلاّ أن تدخل مع ولائدها ، ودخلن معها ، فقال لها القاضي : يا ابنة الحسين إنّ الله يحب القصد في كل شيء ، فقالت له : وما أنكرت منيّ ، إنّي ـ والله ـ وإيّاك • كالذي يرى الشعرة

في عين صاحبه ، ولا يرى العمود في عينه ، فقال لها : أما والله ، لو كنت رجلًا لسطوتُ بِكِ ، فقالت له : يا ابن فرتنى ، لا تزال تتوعّدني ، وشتمته وقالت : لو كان أصحابي أحياء ، لكفوا ـ والله ـ هذا العبد اليهودي ، عند شتمه إيّاي ، أي عدوّ الله ، أتشتمني وأبوك الخارج مع يهود ، **يا ابن فرتنى** .
(اعلام النساء ٢ / ٢٢٠)

وشتم جرير الأخطل ، في مجلس عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا ابن النصرانية .

وخلاصة القصّة : إنّ الأخطل كان يعين الفرزدق في المناوأة مع جرير ، ودخل جرير على عبد الملك ، فأبصر الأخطل ينظر إليه شزراً ، فقال له : من أنت ؟ فقال له : أنا الذي منعتُ نومك ، وهضمت قومك ، فلما عرف انّه الأخطل ، قال له : لا حيّاك الله يا آبن النصرانية ، ثم أقبل على عبد الملك ، فقال : ائذن لي يا أمير المؤمنين في ابن النصرانية ، فقال له عبد الملك : لا يجوز أن يكون ذلك بحضرتي (الاغاني في ٨ / ٦٢ و٦٣)

ودخل الأخطل التغلبي الشاعر ، على عبد الملك بن مروان ، وأنشده قصيدته التي يقول فيها :

ألا سائل الجحّاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من تميم وعامر

يعيّره بالسكوت عمن قتل من قيس ، قتلتهم تغلب ، في يوم من أيّامها على قيس ، فغضب الجحّاف ، وقال للاخطل :

بلى ، سوف نبكيهم بكل مهنّد ونبكي عميراً بالرماح الشواجر

ثم قال للاخطل : **لقد ظننت يا ابن النصرانية** ، انّك لم تكن لتجترىء عليّ ، حتى لو رأيتني لك مأسوراً ، وأوعده ، فما زال الأخطل من موضعه حتى حمّ (الهفوات النادرة ٨٥)

وخرج الجحّاف ، فجمع جميعاً من أصحابه ، وأغـاربهم على تغلب ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، فدخل الأخطل على عبد الملك ، وقال :

لقـد أوقع الجحّـاف بالبشـر وقعة إلى الله منهـا المشتكي والمعـوّل
فـان لم تداركهـا قريش بعـد لهـا يكن عن قـريش مستراد ومـزحـل

فغضب عبد الملك ، وقال له : إلى أين يا ابن النصرانية ؟ ، قال : إلى النـار ، راجـع تفصيـل القصـة في ابن الأثيـر ٤ / ٣٠٩ ـ ٣٢٢ وفي الأغـاني ١٢ / ١٩٨ ـ ٢٠٨

وفي السنة ٧٥ قصد الحجاج البصرة ، وجنّـد الناس لحـرب الخوارج ، وقـال: إنّ الزيـادة التي زادكم ابن الزبيـر في أعطيـاتكم، زيادة فـاسق منافق، ولست أجيزها ، فقام إليه عبـد الله بن الجارود ، وقـال له : إنّ أميـر المؤمنين عبد الملك قد أجاز هذه الزيادة وأنفذها ، فقال له الحجّـاج: مـا أنت وهـذا، لتحسننّ حمـل رأسك ، أولأ سلبنّك إيّـاه ، فقـام مصقلة بن كـرب العبـدي ، وقال : ليس للرعية أن تردّ على راعيها ، فسمعاً وطاعـة لأمر الأميـر فيما أحببنا وكرهنا ، فقال له ابن الجارود : ما أنت وهذا يا ابن الجـرمقانيـة ؟ ومتى كان مثلك يتكلّم وينطق في مثل هذا (ابن الأثير ٤ / ٣٨١)

أقول : الجرامقة : أنباط الشام ، وقوم بـالموصـل أصلهم من العجم ، واحدهم : جرمقاني

وفي السنـة ٦٩ لمّا تصـالح عبـد الملك بن مروان وعمـرو بن سعيد بن العـاص الملقّب بالأشـدق ، أرسل عبـد الملك فدعـا عَمْـراً ، فقـال لـه أحـد جلسائه : أرى أن لا تأتيه ، فانّي أخاف عليـك ، فقال لـه عمرو : والله ، لـو كنت نائماً ما تخوّفت أن ينبهني ابن الزرقاء (الطبري ٦ / ١٤٢) .

وكان عبد الملك بن مروان قد عاهد عمـرو بن سعيد بن العـاص، على أنّ له ولاية عهده، ثم غدر به، فقتله، فلما أضجعه؛ وبرك عليه ليذبحـه، قال

له عمرو: أغدراً يا ابن الزرقاء؟ (الطبري ٦ / ١٤٠ - ١٤٥ ومروج الذهب ٢ / ٨٠) .

وأغارت فزارة ، في أيّام عبد الملك بن مروان ، على كلب ، وكان قائدهم حلحلة بن قيس بن الأشيم بن سيار ، فقتلت منهم مائة وثمانين ، فكتب عبد الملك ، بحمل حلحلة إليه ، فلما وقف بن يديه ، قال له : ما تنتظر بنا يا ابن الزرقاء ، (انساب الأشراف ٥ / ٣١٠ - ٣١١)

ولما تحرّك عبد الله بن الجارود ، على الحجاج بن يوسف الثقفي ، أرسل اليه رسولاً ، فهدّده الرسول ، فقال له ابن ابي الجارود : يا ابن الخبيثة ، لولا أنّك رسول لقتلتك ، وأمر به فوجىء في عنقه وأخرج (ابن الأثير ٤ / ٣٨٤)

ولما مات عبد الملك بن مروان، سجّاه ابنه الوليد، فأنشد هشام بن عبد الملك وكان أصغر ولده :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنّه بنيان قوم تهدّما

فلطمه الوليد على فمه ، وقال له : اسكت يا ابن الأشجعيه ، فأنّك أحول أكشف ، تنطق بلسان شيطان ، ألا قلت : [الهفوات النادرة ١٣١] .

إذا مقرم منّا ذرا حدّ نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم

وفي السنة ٧٧ اتّهم أميّة ، عامل خراسان ، بكيراً بن وشاح السعدي ، بالتآمر عليه ، فسلّمه إلى بحير بن ورقاء الصريمي ، وكان عدوّاً لبكير ، وأمره بقتله ، فقال له بكير : إنّك تفرّق أمر بني سعد إن قتلتني ، فدع هذا القرشيّ يلي منيّ ما يريد ، فقال بحير : لا والله يا ابن الأصبهانية ، لا يصلح بنو سعد ما دمنا حيّين ، فقال له : فشأنك يا ابن المحلوقة ، فقتله (الطبري ٦ / ٣١٧)

أقول : قوله يا ابن المحلوقة ، اتّهام لأمّه بالزنا ، لأنّ الزانية كانت تشهر وهي محلوقة .

ولما قتل بحير بكيراً ، تعاقد سبعة عشر رجلاً من بني سعد على الطلب بدم بكير وأقبل أحدهم وهو فتى اسمه الشمردل ، فنظر إلى بحير واقفاً ، فشدّ عليه فطعنه ، فصرعه ، فصاح الناس : خارجي ، وركض ، فعثر به فرسه ، فندر عنه ، فقتل ، وسلم بحير من الطعنة ، فقدم آخر من بني سعد ، وجاورقرابة لبحير ، وأخبرهم أنّ له ميراثاً في خراسان ، وطلب منهم أن يكتبوا إلى بحير ، ليعينه على حقّه ، فكتبوا إليه ، فقدم مرو ، واتّخذ خنجراً ، أحماه وغمسه في لبن أتان مراراً ، ثم لقي بحيراً بالكتاب ، فأمر له بحير بنفقة ، وأنزله معه فأقام عنده شهراً حتى أطمأنّ إليه ، ثم وثب عليه فطعنه بخنجره طعنة مات منها في غده ، وقتل قاتله (الطبري ٦ / ٣٣١ - ٣٣٣)

وتخاصم زيد بن علي بن الحسين ، وعبد الله بن الحسن بن الحسن ، إلى عامل المدينة ، في ولاية وقوف عليّ ، فقال عبد الله لزيد : **يا ابن الهندكيّة** ، وكانت أمّ زيد سنديّة (الطبري ٧ / ١٦٤)

ولما أراد الوليد أن يبايع لعبد العزيز ولده ، بعد أخيه سليمان ، أمر أحد الشعراء فارتجز ، وسليمان يسمع :

إنّ ولي العهد لابن أمّه ... ثم ابنه وليّ عهد عمّه
قد رضي الناس به فسمّه ... فهو يضم الملك في مضمّه

يا ليتها قد خرجت من فمه

فالتفت إليه سليمان ، وقال : **يا ابن الخبيثة** ، من رضي بهذا ؟ (العقد الفريد ٤ / ٤٢٣)

ولما ولّى عمر بن عبد العزيز، عدي بن ارطاة، على العراق، دفع إليه كتاباً بعزل يزيد بن المهلّب عن خراسان ، واعتقاله ، فاعتقله ، ثم حمله إلى الشام

مع موسى بن الوجيه الحميري ، وكان موسى يحقد على يزيد أنّه ضربه وأرغمه على تطليق امرأته ، فكان موسى يشتمه في طريقه ، ويقول له : **يا ابن المروزيّة** ، ويزيد يشتمه ، ويقول له يا دعيّ (العيون والحدائق ٣ / ٤٩)

وشتم عمر بن هبيرة أمير العراق ، عامله على خراسان سعيد الحرشي ، فقال له : **يا ابن نسعة** (ونسعة اسم أمّه) ، فقال له : **يا ابن بسرة** (اسم أمّ ابن هبيرة وهي بسرة بنت حسّان ، عدوية من عدي الرباب) ، فبلغ ذلك معقل بن عروة فدخل على سعيد السجن ، وقال له : يا ابن نسعة أمّك اشتريت بثمانين عنزاً جرباء، فكانت مع الرعاء يترادفها الرجال، مطيّة الصادر والوارد، تجعلها نداً لبنت الحارث بن عمرو بن حرجة ؟ (الطبري ٧ / ١٧)

ووقع بين الحارث بن أبي ربيعة الملقب بالقباع ، وبين يحيى بن الحكم ، كلام ، فقال له يحيى : **يا ابن السوداء** ، **يا ابن آكلة حمام مكة** ، وكانت أمّ الحارث حبشيّة نصرانية ، أكلت حمامة من حمام مكة ، فكان ابنها يعيّر بذلك ، وماتت وهي نصرانية ، فشهدها ولده ومعه قوم من أصحاب النبي صلوات الله عليه (أنساب الأشراف ٥ / ٢٧٥ و ٢٧٧)

وتنازع يزيد بن المهلب ، وأخوه المفضل ، فقال له المفضل : حسدتني ، فقال له يزيد : **يا ابن بهلة** ، أنا أحسدك ؟ وبهلة هنديّة هي أمّ المفضل وعبد الملك ابني المهلب (الطبري ٦ / ٣٩٥ ، ٤٤٩)

وغضب هشام بن عبد الملك ، على ولده سعيد ، فقال له : **يا ابن الخبيثة** .

وسبب ذلك : إنّ هشاماً ، كان قد ولّى ولده سعيداً على حمص ، وكان يرمي بالشراب والنساء ، فبعثوا الى والده برقعة فيها :

أبلغ إليك أمير المؤمنين فقد ... أمددتنا بأمير ليس عنّينا
طوراً يخالف عَمْراً في حليلته ... وعند ساحته يسقى الطلا دينا

فبعث هشام إلى ولده سعيد ، فأشخصه ، فلما قدم ، علاه بالخيزرانة ،

وقال له : يا ابن الخبيثة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ؟ والله لا تلي لي عملاً حتى تموت (العقد الفريد ٤ / ٤٤٨)

وكان خالد بن عبد الله القسري ، أمير العراقين ، اذا شتم ، قيل له : ابن النصرانية (الأغاني ٢٢ / ٢٥ و الطبري ٧ / ١٣٧ و ١٥١ و ١٦٣ و ٢٣٣)

أقول : كانت أمّ خالد ، نصرانية ، وقد اتّخذ خصومه من نصرانيّة أمّه ، حجّة توصّلوا بها إلى شتمه ، وقد أعان خالد على نفسه ، بأمرين ، الأوّل : أنّه رخّص ببناء كنيسة للنصارى ، والثاني : انّه أمر بهدم المآذن في المساجد ، لما سمع قول أحد الشعراء :

ليتني في المؤذّنين نهاراً — إنّهم يبصرون من في السطوح
فيشيرون أو يشار اليهم — حبّذا كلّ ذات قدّ مليح

فقال فيه الفرزدق :

ألا قطع الرحمن ظهر مطيّة — أتتنا تهادى من دمشق بخالد
وكيف يؤمّ المسلمين وأمّه — تدين بأنّ الله ليس بواحد
بني بيعةً فيها النصارى لأمّه — ويهدم من كفر منار المساجد

وكان خالد القسري ، والياً للوليد على المدينة ، وأقرّه سليمان ، وحدث ان حال خالد دون تنفيذ حكم أصدره قاضي المدينة ، فشكاه إلى سليمان ، فكتب سليمان إلى خالد يأمره بإنفاذ حكم القاضي ، فلما أوصل إليه ابن القاضي الكتاب ، لم يفتحه ، وأمر بابن القاضي فضرب مائة سوط ، فبعث القاضي ولده المضروب إلى سليمان فأمر سليمان بقطع يد خالد ، فما زال به يزيد بن المهلّب ، حتى كتب سليمان بأن ينظر إذا كان قد ضرب ابن القاضي بعد قراءة الكتاب فتقطع يده ، وإن كان ضربه قبل قراءة الكتاب ، فيضرب مائة سوط ، وتبين انّه ضرب قبل قراءة الكتاب ، فبطح وضرب مائة سوط ، فجزع خالد من الضرب ، فجعل يرفع يديه ، فقال له الفرزدق : ضمّ

إليك يديك يا آبن النصرانية ، فضم خالد يديه ، وقال : ليهنأ الفرزدق ، وقال الفرزدق : [العقد الفريد ٤ / ٤٢٨ و ٤٢٩] .

لعمري لقد صبّت على متن خالد شآبيب لم يصببن من صبب القطر
فلولا يـزيـد بن المهلّب حلّقت بكفك فتخاء الجناح إلى الوكـر

وشتم جـريـر ، الأخـطل التغلبي ، فقـال لـه : **لا حيـاك الله يـا ابن النصرانية** (الأغاني ٨ / ٦٢ و ٧٢) .

وكـان خـالـد القسـري ، يشتم هشـام بن عبـد الملك ، فيسميـه : ابن الحمقاء (الأغاني ٢٢ / ٢٢)

أقول : كانت أمّ هشام قرشيّة مخزوميّة ، وكانت حمقـاء ، فكانت تثني الوسائد ، وتركبها ، وتزجرها ، كأنها دابّة ، وتشتري الكندر (اللبان ، ويسمّى في بغداد : العلك) وتمضغه ، وتصنع منه تماثيل ، وتسمي كـلّ تمثال بـاسم جارية ، ثم تنادي على كلّ واحدة باسمها (الطبري ٧ / ٢٥)

وكان أبو شاكر مسلمـة بن هشام بن عبـد الملك ، يحقد على خـالد بن عبد الله القسري ، أمير العراقين ، وذلـك لأنّ هشامـاً كان يـرشّح ولـده مسلمة للخلافة ، فقال خالد : أنا كافر بكلّ خليفة يكنى أبا شاكر ، فبلغت كلمته أبـا شـاكر ، فحقـدها عليـه ، فلما مـات أسد أميـر خراسـان ، أخو خـالد ، كتب مسلمة بن هشام إلى خالد :

أراح من خـالـد فـأهلكـه ربٌّ أراح العبـاد من أسـد
أمـا أبـوه فكـان مؤتشباً عبـداً لئيمـاً لأعبـدٍ قفـد
وأمّـه هـمّهـا وبـغيـتـهـا هم الإمـاء العواهـر الشرد
كـافـرة بـالنبي مؤمـنـة بقسّهـا والصليب والعمـد

فلما قرأ خالد الكتاب ، قال : يا عباد الله ، من رأى كهـذه تعزيـة رجل عن أخيه (ابن الأثير ٥ / ٢١٧ و ٢١٨)

وسبَّ كثير ، الفرزدق ، فقال له : **يا ابن الجعراء** .

وسبب ذلك : ان الفرزدق ، أردف كثير خلفه ، وهما في طريقهما إلى الأحوص ، بالمدينة ، فتنافرا ، فقال الفرزدق : إنّما قريش من ولد فهر بن مالك ، فقال له كثير : ما علمك **يا ابن الجعراء** بقريش .

والجعراء ، هي دغّة ، امرأة من تميم ، كانت حمقاء ، جاءها الطلق ، فألقت ولدها في الخلاء ، وجاءت تسأل جارتها : أيفتح الجعر فاه ؟ فقالت لها : نعم يا حمقاء ، ويدعو أباه ، فعيّر بنو تميم بها ، فكان يقال لهم : **بنو الجعراء** . (الأغاني ٢١ / ١٠٣ ـ ١٠٥)

وشتم المغيرة بن حبناء ، زياد الاعجم ، فقال له : **يا ابن العجماء** .

وسبب ذلك : إنّ زياد الاعجم ، في مجلس المهلّب ، عيّر المغيرة ، بالبرص ، فقال له المغيرة : إنّ عتاق الخيل لا تشينها الأوضاح ، ولا تعيّر بالحجول والغرر ، فهل تغني ، **يا ابن العجماء** غنائي ، أو تقوم مقامي ؟ ثم نشب الهجاء بينها . (الأغاني ١٣ / ٩١)

وتسابّ أبو موسى بن قيس المازني ، وأبو فراس المجنون ، وكان أبو فراس يعدو من الصباح إلى المساء ، فقال له أبو موسى : أنت تعدو من الصباح إلى الرواح ألا يوجعك بدنك ، إذا جاء الليل ؟ فقال :

إذا الليل ألبسني ثوبه ... ثقلت فيؤنسني المضجع

فقال له أبو موسى : **يا أحمق** أسألك عن حالك ، فتنشدني الشعر ؟ قال : قد أجبتك **يا ابن الزطّيّة** ، فقال أبو موسى : ألي تقول هذا ، وأنا سيّد من سادات الأنصار ؟ فقال : (البصائر والذخائر ٣ / ٢ / ٥٥٠)

وإنّ بقومٍ سوّدوك لحاجة ... إلى سيّدٍ ، لو يظفرون بسيّد

وكـان الفرزدق يشتم جـريراً في منـاقضـاتـه ، ويسمّيـه : ابن المـراغـة (الاغاني ٨/١٢ و ٢١ / ٣٥٥) .

أقـول : هذه الشتيمـة ، شتم بها الأخـطل جـريـراً ، وتبعـه الفـرزدق ، والمراغة الأتـان التي لا تمتنع عن الفحـول ، راجع وفيـات الاعيان ٧ / ٣٢٥ ولسان العرب ، مادة : مرغ .

ولحقت هذه الشتيمة ، بحفيد جريـر ، وهو الشـاعر عمـارة بن عقيل بن بـلال بن جريـر ، وهو شـاعر فصيـح ، سكن باديـة البصرة ، ومـدح الخلفـاء العباسيين ، وهجاه فروة بن حميصة ، فقال فيه[الاغـاني ط بولاق ٢٠ / ١٨٤ و١٨٧]

وابن المراغة جاحر من خـوفنا   بالوسم منزلة الـذليل الصـاغر

ولصقت هذه الشتيمة بجـرير ، حتى أنّ عبـد الملك ، أمر الأخـطل في مجلسـه، أن يركب جريـراً ، فألقى الأخطل ثوبـه، وقـال لجرير : جبّ يا ابن المراغة (التاج ١٣٢ و١٣٣)

وسأل الفرزديق ، الراوية ابن الكلبي : أتروي شيئاً من شعري ؟ فقال : لا ، لكنى أروي لجرير مائة قصيـدة ، فقال لـه : أتروي لابن المـراغة ، ولا تروي لي ؟ (وفيات الأعيان ٤ / ٣١٠)

ولما قال جرير ، يهجوا الأخطل :

إنّ الـذي حـرم المكـارم تغلبـاً   جعـل النبـوّة والخـلافـة فينـا
مضرُ أبي وأبـو الملوك فهل لكم   يـا خـزر تغلب من أبٍ كـأبينـا
هـذا ابن عمّي في دمشق خليفة   لـو شئت قـادكم إليّ قـطينـا

فلمـا بلغ الشعر عبـد الملك بن مروان ، قـال : ما زاد ابن المـراغـة ، على أن جعلني شرطياً له (شرح المقامات الحريرية للشريشي ٢ / ٢٥٠)

وشتم أعرابيّ ، ولده ، فقال له : اسكت **يا ابن الأمة** ، فقال له : والله إنّها لأعذر منك ، لأنها لم ترض إلاّ حرّاً (البصائر والذخائر ٣ / ٢ / ٥٧٩) .

واجتمع عمر بن ابي ربيعة ، والأحوص ، والنصيب ، بكثير عزة ، فعاب كثير على كلّ واحد من الثلاثة ، بعض ما قالوه ، فغضب الأحوص ، وقال له : **يا ابن آستها** (يعني إنّه مولود من الاست)، ثم قال له النصيب : **يا زبّ الذباب** ، (يعني أنّه تافه ، لأنّه إذا كان الذباب تافهاً ، فيكون بعض أجزائه أشدّ تفاهة) (الأغاني ١٢ / ١١٥ - ١١٨)

وشتم الفرزدق ، زياداً الأعجم ، فقال له : **يا أقلف** (غير مختون) فقال له : **يا ابن النّمامة** (يعني أنّ أمّ الفرزدق عرفت بقلفته فنمّت عليه) (البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٧٦٦)

وغضب معبد المغنّي ، من ابن عائشة المغنّي ، فقال له : أحسنت **يا ابن عاهرة الدار** (الأغاني ١ / ٥٦)

وسمع مخنّث رجلاً يقول : دعا أبي أربعة أنفس ، أنفق عليهم أربعمائة درهم فقال له : **يا ابن البغيضة** ، لعلّه دعا لهم بمغنّيتين وزامر ، والافقي أيش أنفق عليهم أربعمائة درهم (البصائر والذخائر ٣ / ٢ / ٥٣١)

وكان مما يشتم به الأعجمي : **ابن حمراء العجان** (الأغاني ٢/٢٦٥ الحاشية).

أقول : يراد بهذه الكلمة ، اما لأنّ الأعجميّات، تغلب عليهن الشقرة ، أو لأنّ الأمة يتواتر عليها اللامسون .

وشتم هشام بن عبد الملك ، خالداً القسري ، فقال له : **يا ابن المجرّشة** .

وسبب ذلك : إنّ رجلاً من قريش ، دخل على خالد ، فأستخفّ به ، وعضهه بلسانه ، وبلغ ذلك هشام ، فكتب اليه : هلّا ، **يا ابن مجرّشة** قومك ، أعظمت رجلهم (القرشي) عليك داخلاً ، ووسّعت مجلسه إذ رأيته عليك مقبلاً ، وتجافيت له عن صدور فراشك مكرماً (الطبري ٧ / ١٤٣ و ١٤٤)

وغضب يوسف بن عمر ، على خادمه حديج ، فقال له : **يا ابن الخبيثة** .

وكان يوسف بن عمر ، أمير العراقين لهشام بن عبد الملك ، وكان مذموماً في عمله ، وكان يلقب : أحمق ثقيف ، قال لكاتبه ، وقد احتبس عن الديوان ، ما حبسك ؟ قال : اشتكيت ضرسي ، قال : تشتكي ضرسك ، وتقعد عن الديوان ، ودعا بالحجّام ، وأمره أن يقلع ضرسين من أضراسه .

ودعا يوسف بن عمر ، بجوار له ثلاث ، فقال لواحدة منهنّ : إنّي أريد أن أشخص ، أفاخلّفك ، أم آخذك معي ؟ فقالت : صحبة الأمير أحبّ إليّ ، ولكنّي أحسب أنّ مقامي وتخلّفي أخفّ على قلبه ، فقال : أحببت التخلّف للفجور ، يا حديج ، اضربها فضربها ، ثم دعا بالثانية ، وقد رأت ما لقيت صاحبتها ، فسألها السؤال عينه ، فقالت : لست أعدل بصحبة الأمير شيئاً ، بل تخرجني معك ، فقال لها : رغبت في النكاح ، يا حديج اضربها ، فضربها ، ثم دعا بالثالثة ، وقد رأت ما لقيت المتقدّمتان ، فلما سألها قالت : الأمير أعلم ، لينظر أخفّ الأمرين عليه ، فيفعله ، فقال لها : هل فرغت من كلّ عمل ، فلم يبق لي إلّا أن اختار لك ، يا حديج أوجعها ، فضربها ، فلما ولّت وبعدت ، قالت : الخير كلّه في فراقك ، فلم يفهم يوسف قولها ، وقال يا حديج ما تقول هذه ؟ فأخبره بما قالت ، فقال له : **يا ابن الخبيثة** من أمرك أن تعلمني ؟ ثم أمر غلاماً بأن يضرب حديج ، فضربه (المحاسن والأضداد ٣٤)

ولما ظهر زيد بن علي بالكوفة في السنة ١٢٢ خرج اليه عبيد الله بن العباس الكندي في أهل الشام ، والتقوا على باب عمر بن سعد ، فلما أراد عبيد الله الحملة ، كعّ صاحب لوائه ، فقال له : **احمل يا آبن الخبيثة** . (الطبري ٧ / ١٨٤).

ولما أراد المنصور العباسي ، قتل أبي مسلم الخراساني ، أحضره ، وقرّعه بأمور بدرت منه ، فقال له أبو مسلم : لا يقال هذا لي بعد بلائي ، وما كان منّي ، فقال له المنصور : **يا ابن الخبيثة** . والله ، لو كانت أمة مكانك لأجزأت، انما عملت ما عملت في دولتنا وبريحنا، ثم صفق بيديه، فخرج الذين أعدّهم لقتله، وضربه عثمان بن نهيك بالسيف، وأخذه الحرس بسيوفهم، وهو يقول : العفو ، العفو ، فقال له المنصور : العفو والسيوف قد اعتورتك يا **ابن اللخناء** (ابن الأثير ٥ / ٤٧٦)

وقال أبو دلامة لطبيب نصراني : يا آبن الكافرة .

وتمام القصة : إنّ أبا دلامة دخل على إسحاق الأزرق يعوده ، فوجد الطبيب يصف له دواءً ، فقال له يا آبن الكافرة ، أتصف له دواءً غير ناجع ، ثم قال : اسمع أيّها الأمير منّي ، وأنشده : [الأغاني ١٠ / ٢٧٠] .

نحّ عنك الطبيب واسمع لنصحي ... إنّني ناصح من النصّاح
غادِ هذا الكباب كلّ صباح ... من متون الفتيّة السحّاح
وإذا ما عطشت فآشرب ثلاثاً ... من عتيق في الشمّ كالتفاح

وشتم أبو دلامة ، ولده دلامة ، فقال : عمل بي هذا ، **ابن الخبيثة** ، ما لم يعمل ولد بأبيه .

وسبب ذلك : إنّ الخيزران ، وهبت لأبي دلامة جارية جميلة ، فأبصرتها أمّ دلامة ، فأغرت ولدها دلامة ، أن يلمّ بها ، ففعل ما أرادت ، ولما جاء أبو دلامة إلى المنزل ، وتقدّم إلى الجارية ، طردته ، وأعلمته أنّ ولده قد ألمّ بها ، فخرج إلى ولده ، ولطمه ، ولبّبه ، وأخذه إلى المهدي ،

فشكا إليه ما صنع ، وقال : إنّ هذا ابن الخبيثة ، قد عمل بي ، ما لم يعمل ولد بأبيه ، وقصّ عليه ما فعله ، فقال دلامة للمهدي : يا سيّدي ، إنّ هذا الرجل، يلمّ بأميّ منذ أربعين سنة، ما غضبتُ، وأنا ألممت بجاريته مرة واحدة ، فغضب كلّ هذا الغضب ، فضحك المهدي ، ووهب أبا دلامة ، جارية أخرى غيرها (الأغاني ١٠ / ٢٦٢ ـ ٢٦٤)

وكان الرشيد عقد هدنة مع ملكة الروم (ريني) فلما ولي نقفور ملك الروم ، نقض الهدنة في السنة ١٨٧ وكتب إلى الرشيد كتاباً فيه استخفاف ، قال فيه : من نقفور ملك الروم ، إلى هارون ملك العرب ، أمّا بعد فإنّ الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخّ ، وأقامت نفسها مقام البيدق ، فحملت إليك من أموالها أحمالاً ، وذلك ضعف النساء وحمقهنّ ، فإذا قرأت كتابي فآردد ما حصل قبلك من أموالهاوإلاّ فالسيف بيننا وبينك ، فلما وصل الكتاب إلى الرشيد ، اشتدّ به الغضب ، وكتب إليه بخطّه على ظهر كتابه : من هارون أمير المؤمنين ، إلى نقفور كلب الروم ، قرأت كتابك يا ابن الكافرة ، والجواب ما تراه لا ما تسمعه (الطبري ٨ / ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٨ وتاريخ الخلفاء ٢٨٨)

وشتم محمد الزفّ المغنّي ، إبراهيم الموصلي ، أمام خصمه ابن جامع ، فقال له : الحمد لله الذي أخزى ابن الجرمقانية على يديك . (الأغاني ٥ / ٢٠٧)

أقول : أسلفنا أنّ الجرامقة ، قوم من العجم ، صاروا إلى الموصل في صدر الإسلام .

ووصف أحمد بن أبي خالد الأحول ، أبا عبّاد ، للمأمون ، فقال : هو أحدّ من سيف سعيد بن العاص ، وأنزق من مجنون البكرات ، فأراد المأمون أن يمتحنه ، فدخل عليه ، وعرض ما لديه ، ثم خرج ، فلما صار بالباب ،

قـال : ردّوه ، فعاد ، وكلّمـه في أشياء ، فلمـا خرج وصـار بـالبـاب ، قـال : ردّوه ، فعـاد ، وكلّمه في أشيـاء أخرى ، فلمـا صار بـالباب ، عـاد ، فقـال : ردّوه ، فلما جاءه الرسول ، صاح بالغـلام ، ورفع الـدواة في وجهه : السـاعة والله ، أضـرب بها وجهـك القبيح ، يـا ابن الخبيثة ، كـان ينبغي أن تقول لـه ذهب إلى النار ، فلما رجع ، وكلّمه المأمون ، قـال له : نعم ، ولكن والله لا أرجع بعدها أبداً ، وضحك المأمون حتى أمسك بطنه ، وقال : انطلق راشـداً (الملح والنوادر ٢٩٧ والمحاسن والمساوىء ٢ / ١٣٤)

القسم السادس

المعايرة بالصفات السيئة

وتشمل ألفاظ الشتيمة التي تدخل في هذا البحث ، الألفاظ التي تنسب صفة من الصفات السيّئة للمشتوم .

ويقسم هذا البحث إلى قسمين :

ا ـ : الألفاظ التي تتعلّق بالمعايرة بالصفات الخلقيّة ، وذلك بأن ينسب إلى المشتوم صفة سوء طبعي فيه ، كأن يقال له : يا بليد ، يا غبي ، يا أحمق ، يا مجنون .

ب ـ : الألفاظ التي تتعلّق بالمعايرة بالصفات العارضة ، التي تطرأ على الإنسان ، كأن يقال له : يا لئيم ، يا كاذب ، يا عيّار .

أ ـ المعايرة بالصفات الخلقية

١ ـ قولهم : يا بغيض

البغض : ضد المحبّة .

والبغيض : الممقوت .

وكان البغداديون ، في العهد العباسي ، يطلقون كلمة : **البغيض** ، على المسرف في التقشّف والتزمّت والوقار ، بحيث يصبح ثقيلاً .

وغنّت بدعة ، جارية عريب المأمونية ، القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي ، بيتين من الشعر قالت انّهما من نظم القاضي أبي خازم ، فتعجّب من صدورهما عن أبي خازم المعروف « بشدة تقشّفه ، وبغضه ، وورعه ، وتقبضّه » راجع القصّة في نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ـ ١ ص ٨٩ و ٩٠ رقم القصة ١ / ٣٨

وكان أبو بكر ابن الجواليقي يأخذ لسانه بالإعراب ، ويكثر الاستعارات فيه إلى حدّ البغض ، فأخذ في ذلك يوماً ، فقال له أستاذه الإمام أبو جعفر الطبري : أنت بغيض ، فلقّب منذئذ ببغيض الطبري (معجم الأدباء ٦ / ٤٦١)

وروي أنّ صوفياً في مجلس ، تحدّث عن نفسه ، فقال : انّه قضى يوم أمس صائماً ، « وانّه أفطر على زيتونة ونصف ، علم الله ، أو زيتونة وثلث » ، فقال له شيخه : إنّ من الورع ما يبغضه الله تعالى ، وورعك هذا منه .

ضرب سعد بن إبراهيم ، أبا زيد فنداً مولى عائشة ، ضرباً مبرحاً ، فغضبت عائشة وكانت خالة إبراهيم ، وحلفت أن لا تكلّمه أو يرضى عنه فند ، فذهبت إليه ليترضّاه ، فقال له فند : **أشهد أنّك مقيت سمج مبغّض** ، وقد رضيت عنك لتقوم عنّي وتريحني من وجهك (الأغاني ١٧ / ٢٧٧)

وقال الحكم بن عبدل الأسدي ، لصاحب العسس : **يا بغيض** .

كان الحكم بن عبدل الأسدي ، أعرج ، أحدب ، وكان من أطيب الناس وأملحهم ، فلقيه صاحب العسس ، ليلة ، وهو سكران ، محمول في محفّة ، فقال له : من أنت ؟ فقال له : **يا بغيض** ، أنت أعرف بي من أن تسألني من أنا ، فاذهب إلى شغلك ، فانّك تعلم أنّ اللصوص لا يخرجون بالليل للسرقة محمولين في محفّة ، فضحك صاحب العسس وانصرف . (الاغاني ٢ / ٤٢٢)

وقال الحسن بن مخلد ، لخادمه نافذ : **يا بغيض** .

وسبب ذلك : إنّ نافذاً ، باكر سيّده الحسن بن مخلد ، وأخبره بنفاد النفقة ، فقال له :**يا بغيض** ، تخاطبني هذه الساعة ، أين كنت عن خطابي البارحة ؟ .

راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ٨ / ١١ ج ٨ ص ٣٥ - ٣٧ .

وغضب إسحاق بن إبراهيم الموصلي ، على أحد الحاضرين في المجلس ، فنهض ليخرج ، وقال : لا أجلس حتى تخرجوا هذا **البغيض** .

وسبب ذلك ، أنّ الرجل أخذ يعربد على إسحاق ، ويخرق به ، ولم يعرفه ، فأخبرهم بنفسه ، فقاموا إليه وتعلّقوا به ، فقال لهم : لا أجلس حتى تخرجوا هذا **البغيض** ، فأخرجوه ، راجع القصة مفصّلة في كتاب الفرج بعد

الشدة للتنوخي ج ـ ٤ ص ٣٧٢ ـ ٣٧٦ رقم القصة ٤٧٩

وغضب الوزير جعفر البرمكي على أبي صدقة المغنّي ، فقال له : **اسكت يا بغيض** .

وكان أبو صدقة المغنّي، واسمه مسكين، كثير الطلب، شديد الطمع، عظيم الإلحاح ، وكان الرشيد يعبث به عبثاً شديداً . وغنّى أبو صدقة مرّة في مجلس الوزير جعفر البرمكي ، صوتاً ، فقال له جعفر : أحسنت ، فما استتمّ كلامه ، حتى بادر أبو صدقة فقال : إنّي بنيت داراً ، وما أعددت لها فرشاً ، فتغافل عنه جعفر فعاود السؤال ، وعاود جعفر التغافل ، فقال له أبو صدقة ، سألتك بالله ، وبحقّ أبيك ، إلاّ أجبتني ولو بشتم ، فقال له جعفر : أنت بغيض ، **أسكت يا بغيض** ، وآكفف عن الإلحاح ، ثم وعده أن يفرشها له ، فسكت ، حتى إذا كان في مجلس الخليفة ، طالب بالفرش الذي وعده به ، فقال له جعفر : اختر ، إن شئت فرشتها لك بالبواري ، وان شئت بالحصر البردي ، فضجّ واضطرب ، ثم وصله الرشيد بألف دينار وجعفر بخمسمائة ، راجع القصة مفصلة في الأغاني ١٩ / ٢٩٦ ـ ٢٩٨

وقال المأمون لإسحاق الموصلي : **يا بغيض** .

وسبب ذلك : إنّ إسحاق صنع صوتاً في البيتين :

سقياً لأرض إذا ما نمت نبهني ... بعد الهدوّ بها قرع النواقيس
كأنّ سوسنها في كلّ شارقة ... على الميادين أذناب الطواويس

ثم باع الصوت لعليّة بنت المهدي ، فعوضته عنه بأربعين ألف درهم وأربعين تختاً من الثياب ، ثم أنّه غنّاه للمأمون ، وحدّثه بقصّته ، فقال له المأمون: **يا بغيض** فما كان في هذا من النفاسة ، حتى شهرته ، مع ما قد أخذته من العوض ، فخجل إسحاق ، ولم يغنّه من بعد ذلك .

(الأغاني ١٠ / ١٦٨ ـ ١٧٠)

ودعي أبو بكر الجعابي إلى وليمة ، فاقترح إحضار أحد المغنّين ، ولكنّه وعد ولم يحضر ، فغنّاهم بدلاً منه ، شيخ القراء أبو بكر بن مجاهد ، فعجب أبو بكر الجعابي منه ، وقال له ، يا أستاذ متى تعلّمت هذا ؟ فقال : يا بارد ، تعلمته لبغيض مثلك ، لا يحضر الدعوة إلّا بمغنّ . راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج٥ ص ٢٣٣ - ٢٣٦ رقم القصة ٥ / ١١٩

أقول : إنّ كل من عايشته من مشاهير القراء كانوا يحسنون الغناء إحساناً تامّاً ، فمنهم من يتحرّج فلا يغنّي ، ومنهم من لا يرى بالغناء بأساً .

وقال ابن اليتيم : كنت أماشي أبا جعفر بن النحاس ، فوقفنا على بائع تمر ، فقال له أبو جعفر : كيف تبيعني ؟ قال : ثلاثة ونص بدرهم ، فقال له : قل ثلاثة ونصف بدرهم ، قال : ثلاثة ونصف بدرهم (وفتح نون نصف) ، فقال له : قل ثلاثة ونصف ، بكسر النون ، فضجر ، وقال : ونصف ، إفرغ ، فنحن في بيع وشراء ، لسنا في نحو ، قال : فاجعله أربعة بدرهم ، قال : أفعل يا بغيض ، فوزن له بدرهم ، فقال له أبو جعفر : أدر الصنجة من الكفّة إلى الكفّة ، فقال : أنا أعرف ابن النحّاس ، فهو أحمقكم ، قال ابن اليتيم : فقلت له : أبيت أن تنصرف إلّا مصفوعاً . (الملح والنوادر ١١٣ و ١١٤).

وكان محمد بن صدقة الأطرابلسي ، من اطرابلس الغرب ، عالماً باللغة ، شاعراً ، وكان يتقعّر في كلامه جداً ، دخل يوماً على أبي الأغلب بن أبي العباس ، فتكلّم ، وأغرب حتى جاوز الحد ، فقال له أبو الأغلب : أكان أبوك يتكلم بمثل هذا الكلام ؟ فقال : نعم ، اعز الله الأمير ، وأمّيه ، يريد وأمّي أيضاً ، فقال الأمير : وما ينكر أنّ الله يخرج بغيضاً من بغيضين (الوافي بالوفيات ٣ / ١٦١)

٢ ـ قولهم : يا بارد

البارد : ضد الحار

وقد ترد بمعنى الضعيف ، تقول : هذه صحبة باردة ، أي ضعيفة .

وكان بشار بن برد ، الشاعر الأكمه ، جالساً في دار المهدي ، فسأله سائل : ما عندك يا أبا معاذ في قوله تعالى : وأوحى ربّك إلى النحل أن اتّخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلي من كلّ الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس . . . الآية (٦٨ و ٦٩ ك النحل ١٦) فقال بشار : هذه النحل التي تعرفها الناس ، فقال له : هيهات ، يا أبا معاذ ، النحل بنو هاشم ، وقوله تعالى : يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، يعني العلم ، فقال له بشار : أراني الله شرابك وطعامك وشفاءك مما يخرج من بطون بني هاشم ، فغضب الرجل ، وشتم بشاراً ، وبلغ الخبر المهدي ، فدعاهما ، ولما علم القصّة ، ضحك حتى أمسك على بطنه ، وقال للرجل : جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم ، فإنك **بارد غثّ** . (وفيات الأعيان ٤ / ٤٢٣)

وألحّ الصبيان ، على خالد الكاتب ، يصيحون به لما وسوس : **يا خالد يابارد** ، وألحّت عليه من بينهم جارية ، فقال لها : **مرّي ، يا منتنة الكس** .

أقول : خالد بن يزيد الكاتب ، بغدادي ، كان من كتاب الجيش ، نادم علي بن هشام ، ولما قتل ، أتّصل بالفضل بن مروان ، فأوصله إلى المعتصم ،

وخاصم أبا تمام فهجاه وأقذع في هجائه ، فأجابه أبو تمام بأبيات آخرها :

شعرك هذا كلّه مفرط　　　في برده يا خالد البارد

فحفظ الصبيان البيت ، فكانوا يصيحون به : **يا خالد** ، **يا بارد** ، حتى وسوس ، ومن لطيف شعره وهو موسوس :

أما ترثي لمكتئب　　　يحبّك لحمه ودمه
يغار على قميصك حيـ　　　ـنَ تلبسه ويتّهمه

راجع ترجمته في الأغاني ٢١ / ٢٧٤ ـ ٢٨٧

وشتم أسد بن جهور ، أحد كبار العمال العباسيين ، ابن أخته ، فقال له : **يا غثّ يا بارد** .

أقول : كان أسد بن جهور من كبار العمال في الدولة العباسية ، وكان في السنة ٢٩٩ عاملاً على الكوفة (نشوار المحاضرة ج ـ ٢ ص ٢٨٣) وكان بخيلاً على الطعام ، فإذا حضرت مائدته ، دعا ندماءه اليها ، ومن أكل منهم ، عجّل عقوبته ، فكانوا يتحامون الأكل على مائدته ، وكانوا إذا شيلت المائدة ، مسحوا أيديهم في لحاهم ، يرونه أن ليس في أيديهم ما يزهمها ، وكان ابن اخته جسوراً عليه ، فمدّ يده إلى دجاجة هنديّة ، فأمسك أسد بيده وقال له : يا غثّ ، **يا بارد** ، يا قبيح العشرة ، يا قليل الأدب ، في الدنيا أحد يستحسن إفساد مثل هذه ؟ فقال له ابن اخته : يا لئيم ، يا بخيل ، يا سيء الاختيار ، فلأيّ شيء تصلح الدجاجة إلّا للأكل ، راجع القصّة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة ج ـ ٢ ص ١٨٦ ـ ١٨٧ رقم القصة ٢ / ٩٢ ، ومما يؤثر عن أسد بن جهور ، أنّه كان كثير السهو والنسيان ، وقد أورد له القاضي التنوخي في نشواره قصصاً لطيفة في هذا الموضوع ، منها أنّه كان ذات يوم في دار الوزارة ، في مجلس ضمّ بعض القضاة ، وطلب الوزير أسداً ، فقام على عجل ، وتناول قلنسوة القاضي فلبسها ودخل على الوزير (نشوار

المحاضرة ج١ ص ٢٦٣) ومنها أنّ الوزير كان يكلّمه في أحد الأيام ، وهو يقول له : سمعاً لأمر القاضي أعزّه الله ، وكان إلى جانبه أبو العباس بن الفرات ، صاحب ديوان الخراج ، فغمزه ، وقال له : قل ، الوزير ، فقال لابن الفرات : نعم أعزّ الله القاضي ، فضحك ابن الفرات ، وقال له : لستُ القاضي ، فارجع إلى صاحبك فقصّه (نشوار المحاضرة ج ـ ٢ / ٢٨١) وجفّت دواته ذات يوم ، فطلب ماء للدواة ، فجاء الغلام بكوز ماء ، فشربه ، ثم صاح ، بالغلام ثانياً : ويلك ، هات ماء للدواة ، فجاءه به ثانية ، فشربه ، ثم صاح ثالثاً : ويلكم كم أطلب ماءً للدواة ولا يجيئني ، فجاءه الغلام بكوز ثالث ، وتناوله ليشربه ، فقال له الغلام : يا سيّدي تصبّ في الدواة أوّلاً ، فقال : نعم ، نعم ، وصبّه في الدواة (نشوار المحاضرة ج ـ ٢ ص ٢٨٢) وهجا عليّ بن بسام ، أسد بن جهور هجاءاً خصّه وعمّ سائر الكتاب فقال : [مروج الذهب ٢ / ٥٤٦]

تعس الزمان فقد أتى بعجاب ومحا رسوم الظرف والآداب
وأتى بأقوام لو انبسطت يدي فيهم رددتهم إلى الكتّاب
أو ما ترى أسد بن جهور قد غدا متشبهاً بأجلّة الكتّاب

وأعطى أبو العباس البغدادي ، لصديق له ، حفنة من يده ، قال انّه مخلّط خراسان ، فلما وصل إلى داره ، إذا هو لوز من ذهب ، وسكّر من فضة ، وفستق وبندق عنبر ، وزبيب ندّ ، فأعاده إليه ، فقال له : يا بارد ، أيش هذا حتى تردّه ، راجع الخبر في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ج ـ ١ ص ١٩٧ و١٩٨ رقم القصة ١ / ١٠٧ .

أقول : المخلّط ، مجموعة من الفواكة المجفّفة ، والنقل ، كالتين والفستق واللوز ، والبندق والحمص والزبيب ، وما شاكل ذلك ، تخلط وتؤكل ، وتسمّى لذلك « المخلّط » وعندما كنت في بغداد ، كان المخلّط يباع في سوق الشورجه ، وبائعو المخلّط يعرفون كيف يجمعون أصنافه ،

بحيث إذا طلب منهم ، جمعوه ووزنوا المقدار المطلوب دون حاجة إلى أن يعيّن لهم المشتري أنواعه ، ويروج سوق المخلّط في بغداد ، وفي غيرها من المدن التي يحتفل فيها بعيد النيروز ، قبل حلول العيد بأيّام ، ويسمّونه في بغداد « دورة السنة » ويستعدّون لإستقبال هذا العيد ، بإعداد صواني تحتوي على ألوان الخضر والبقول الطرية، وعلى الفواكه المجفّفة ، والنقل ، وأصناف الحلوى ، وعلى السويق المتّخذ من جريش الشعير مخلوطاً بدبس التمر ، ويحرص المحتفلون على أن تكون الصينية ، وقت دورة السنة ، حاوية جميع أنواع المخلّط والحلوى والبقول والفواكه ، احتفالاً بالربيع ، ولهم في كل سنة خبر عمّا « دارت عليه السنة » ويتناقلون أنّ السنة دارت على قرد ، أو على أرنب ، أو على حيّة ، ويتفاءلون أو يتشاءمون ، تبعاً لذلك ، أمّا مخلّط خراسان ، على التخصيص ، فالظاهر أنّه لا يخرج عما وصفت به المخلّط ، وربما كان أكثر أصنافاً ، وقد جاء في شفاء الغليل ص ٦٥ : قال الخوارزمي : ما هو إلا سفينة نوح ، وجامع سفيان ، ومخلّط خراسان ، والمعروف ان سفينة نوح قد وضع فيها من كل زوجين اثنين ، وسفيان ، هو سفيان الثوري ، وجامع سفيان ، هو كتابه الجامع في الفقه ، يضرب به المثل ، ويستنتج من ذلك ان مخلّط خراسان يحتوي على أصناف كثيرة من الفواكه والحلوى والنقل، وجاء في الامتاع والمؤانسة للتوحيدي ٢/١٧٩ و ١٨٠ انّ أبا طاهر المقنعي ، قال : عجّل لنا يا غلام ما أدرك من عند الطباخ ، من الدجاج ، والفراخ ، والبوارد ، والجوذابات ، وتزايين المائدة ، وصل ذلك بشراء قيراط جبن وزيتون من عند كبل البقال في الكرخ، وقطائف حبش، وفالوذج عمر ، ومخلّط خراسان من عند ابن زنبور .

وسأل حامد بن العباس، وزير المقتدر، أبا الحسن علي بن عيسى، في ديوان الوزارة ، عن دواء الخمار ، وكان قد علق به ، فأعرض عليّ بن عيسى عن كلامه ، وقال له ، ما أنا وهذه المسألة ، فخجل حامد منه ،

والتفت إلى قاضي القضاة أبي عمر الأزدي ، فسأله عن ذلك ، فتنحنح أبو عمر لإصلاح صوته ، ثم قال : قال الله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : استعينوا على كلّ صنعة بصالح أهلها ، والأعشى ، وهو المشهور بهذه الصناعة في الجاهلية ، قال :

وكأسٍ شربتُ على لذّة   وأخرى تداويتُ منها بها

ثم تلاه أبو نواس في الإسلام ، فقال :

دع عنك لومي فإنّ اللوم إغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

فأسفر حينئذ وجه حامد ، وقال لعلّي بن عيسى : ما ضرّك يا بارد ، أن تجيب ببعض ما أجاب به مولانا قاضي القضاة ، وقد استظهر في جواب المسألة ، بقول الله تعالى أوّلاً ، ثم بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثانياً ، وأدّى المعنى ، وخرج من العهدة (ثمرات الأوراق للحموي ص ٤)

٣ - قولهم : يا مدبر

المدبر : المبتلى بالإدبار ، وهو ضدّ الإقبال

قال الشاعر :

ولا تساعد أبداً مدبراً وكن مع الله على المدبر

وهذه الكلمة ، لا تستعمل الآن في بغداد .

بعث رجل غلامه إلى قرية ، فتسلّم عشرة رؤس من الغنم ، وتصرّف في الطريق بواحد منها ، وأحضر تسعة ، فسأله سيّده عن العاشر ، فقال : إنّها عشرة ، فأحضر له سيّده عشرة رجال ، وأمر كلّ واحد أن يأخذ واحداً من الغنم فأخذ منهم تسعة وبقي العاشر ، فقال له السيّد : ألا ترى أنّ هذا ما معه شيء ، فقال له : هذا مدبر ، لماذا لم يسبقهم ويأخذ واحداً في الأوّل . (أخبار الحمقى ١٦١) .

وتآمر اثنان من العيّارين ببغداد ، على مغفّل يقود حماراً ، فخلع أحدهما الرسن من راس الحمار ، ووضعه في عنقه ، وذهب صاحبه بالحمار ، ولما عرف أنّ صاحبه قد غاب عن العين ، وقف ولم يتحرّك ، فالتفت المغفّل إليه ، وقال له : ما هذا ؟ قال : أنا حمارك ، وقد كنت آدمياً وعققت أمّي ، فدعت عليّ ، فصرت حماراً ، وقد رضيت عنّي الآن فعدت إلى آدميّتي ، فصدّقه المغفّل ، واعتذر إليه ، وأطلقه ، وفي اليوم التالي ذهب

ليشتري حماراً غيره ، فوجد حماره في السوق فتقدّم إليه ، وسارّه في أذنه ، وقال له : يا مدبر ، عدت إلى عقوق أمّك (أخبار الحمقى ١٩٣) .

٤ - قولهم : يا مائق

الموق : الحمق في غباوة (لسان العرب : حمق)

والمائق : الأحمق الغبيّ

بعث أحد كتاب الديلم ، إلى صاحبته ، رسالة ، قال فيها : إني بك **مائق** ، يريد : وامق .

وكتب مروان الحمار ، إلى عبد الله بن علي العباسي ، يوصيه بحرمه .

فكتب إليه عبد الله : يا مائق ، الحقّ لنا في دمك ، والحق علينا في حرمك (المحاسن والمساوىء ٢ / ١١٣)

٥ ـ قولهم : يا أنوك

***والنوك** : العجز والجهل (الفاخر ٥٤)*

ثم صرف إلى الحمق .

***والأنوك** : الأحمق*

قال الشاعر ، يهجو شيبة بن الوليد :

عش بجدّ ، ولا يضرّك نوك   إنّما عيش من ترى بالجدود

عش بجدّ ، وكن هبنّقة القيسيّ   نوكاً أو شيبة بن الوليد

ولما قتل المنصور ، أبا مسلم الخراساني ، أدرجه في بساط ، ودخل عليه عيسى بن موسى ، فقال له يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ قال : قد كان ههنا آنفا ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين قد عرفتَ طاعته ونصيحته ، ورأي إبراهيم الإمام فيه ، فقال له : **يا أنوك خلق الله** ، ما أعلم في الأرض عدّواً أعدى لنا منه ، وهل كان لكم ملك أو سلطان ، أو أمر أو نهي ، مع أبي مسلم ؟ (الطبري ٧ / ٤٩٢ و مرجع الذهب ٢ / ٢٣١)

ولما حجّ المنصور ، دخل عليه سفيان الثوري ، ووعظه ، فقال له أبو عبيد الله الكاتب : أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا ؟ فقال له سفيان : آسكت ، فانّما أهلك فرعون هامان ، فلما خرج سفيان ، قال أبو عبيد الله للمنصور : ألا تأمر بقتل هذا الرجل ؟ فقال أبو جعفر : **آسكت يا أنوك** ، فوالله ما بقي على وجه الأرض أحد يستحيا منه غير هذا (الإمامة والسياسة ٢ / ١٤٣و ١٤٤)

٦ ـ قولهم : يا مشؤوم

المشؤوم : المبتلى بالشؤم وهو ضدّ اليمن
والبغداديون يقولون : ميشوم .

جاء أشعب إلى بيته ، فقالت له امرأته : يا مشؤوم ، بعث عبد الله بن عمرو بن عثمان يطلبك ، ولو ذهبت إليه لحباك ، راجع القصة مفصلة في نشوار المحاضرة للتنوخي تحقيق المؤلف ج ـ ٦ ص ٣٧ ـ ٣٩ رقم القصة ٢٠ .

وجلس الواثق العباسي ، على دكّان (دكّة) في دجلة ، يصيد السمك ، وإلى جانبه الطبيب يوحنا بن ماسويه فلم يصطد شيئاً ، فقال ليوحنا : يامشؤوم قم من عن يميني ، فقال له يوحنا : يا أمير المؤمنين ، لا تتكلم بمحال ، يوحنا بن ماسويه ، الخوزي ، وأمّه رسالة الصقلبية ، المبتاعة بثمانمائة درهم ، أقبلت به السعادة ، حتى صار نديم الخلفاء وسميرهم وعشيرهم ، من المحال أن يكون مشؤوماً ، ولكن المشؤوم من ولده أربعة خلفاء ، ثم ساق الله إليه الخلافة ، فترك خلافته ، وقصوره ، وقعد في دكة مقدار عشرين ذراعاً في وسط الدجلة لا يأمن من عصف الرياح ، ثم تشبّه بأفقر قوم في الدنيا وشرّهم ، وهم صيادو السمك (تاريخ الحكماء ٣٨٧و ٣٨٨)

وكتب وزير المتوكّل ، إلى عامل الأهواز ، فشتمه ، قائلاً : يا ميشوم ، تسرّعت وقتلت نفسك ، راجع التفصيل في نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٢ ص ١٥ رقم القصة ٢ / ٢ .

وذكـر صاحب كتـاب نشوار المحـاضرة ، القـاضي التنـوخي ، أنّ أحـد المورّثين افتقر ، وأضاع جميع ما عنده من ماله ، فلقيه أحد أصحابه ، وهـو على تلك الحـال ، فقال لـه : يا ميشوم ، ما هـذا ؟ راجع القصّـة في كتـاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ١ / ٩٣ ج ١ ص ١٧٨ - ١٨٣ .

وروي فتى من أولاد الجنـد ، أنّ فتـاة غـرتّـه ، وأخـذتـه إلى دارهـا ، وشـاغلته حتى جـاء صاحبهـا ، فأدخلتـه إلى حجرة وأغلقتهـا عليـه ، وقـالت لصاحبها : قم ، فـآفرغ من هـذا الميشوم ، راجـع القصّة بتمـامها في كتـاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ٥ / ١٣٣ ج ٥ ص ٢٥٩ - ٢٦٤ .

وجـرى في مجلس الأمير سيف الـدولة ، بحلب ، حـديث رجـل يلقّب بـالناصـري من أهل حلب ، فـرّ منه إلى مصـر ، فقـال سيف الـدولـة : هـذا المشؤوم بلغ إلى مصر ؟ راجع القصـة مفصلّة في كتاب الفـرج بعد الشـدة ، للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٨٦ ج ٤ ص ٦٣ - ٦٨ .

وكان ببغداد شخص يقال له ابن بشـران ، وكان كثيـر الأراجيف ، فمنع من ذلك ، فقعد على الطريق ينجّم (ينظر في النجوم) فقال فيه الشاعـر نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي (ت ٦٢٦) : [وفيات الأعيان ٧ / ٤٠]

إنّ آبن بشـران ولست ألـومـه ... من خيفة السلطان صار منجّما
طبع المشوم على الفضول فلم يطق ... في الأرض إرجافاً فأرجف في السما

٧ ـ يا رقيع

الرقيع : الأحمق، والعامة الآن ببغداد، يقولون: سقيع، بالسين، ومن أمثالهم: كل طويل سقيع ، ويريدون بالسقيع ، الذي تتسم أقواله وأفعاله ، بالحمق والرعونة .
ويعبّرون عن الحصيف ، بقولهم : مطبوخ ، أي ناضج .
ويقولون عن الحصيف : قاعد ورا طبق ، أي أنّه مارس أعمالاً ، وخالط الناس .

وقال الحسن بن مخلد ، صاحب دوادين الأزمة ، والتوقيع ، وبيت المال ، عن أبي بكر أحمد بن صالح بن شيرزاد : أخي أبو بكر ـ والله ـ رقيع .

وسبب ذلك : إنّ الحسن بن مخلد ، كان من آجرأ الناس على أموال السلطان ، وشكا إليه خادمه نافذ ، نفاد النفقة ، فدخل إلى الخليفة ، ثم خرج، وأرسل خادمه برقعة إلى صاحب بيت المال، فأدّوا إليه ثلاثين ألف دينار، ومضى على ذلك أيام وأراد أبو بكر أحمد بن صالح بن شيرزاد صاحب ديوان التوقيع ، تنظيم ديوان الختمة ، فأرسل إلى الحسن يقول : إنّي حاسبت صاحب بيت المال عما صرف في هذا الشهر ولم يبق إلا ثلاثون ألف دينار ، ذكر صاحب بيت المال انّك خرجت إليه من عند الخليفة فأمرته بحملها إلى خادمك نافذ ، ولست أدري في أيّة جهة صرفت ، ولا في أي باب أثبتها ، ولا الحجّة فيها ، فأجاب الحسن ، من غير توقّف : أخي أبو بكر ـ والله ـ رقيع ، أسأل أنا الخليفة ، في أيّ شيء صرف ما أمر بأن يحمل إلى حضرته ؟ يجب أن يكتب في الختمة : وما حمل إلى حضرة أمير المؤمنين في يوم كذا ثلاثون ألف دينار ، فقام الكاتب خجلاً ، ومرّ ذلك في الحساب ، ولم ينتبه إليه أحد ،

راجع القصة مفصلة في كتـاب نشوار المحـاضرة للقـاضي التنوخي ج ـ ٨ رقم القصة ١١ ص ٣٥ـ ٣٧ .

وغضب المكتفي على التاجر ابن الحصاص ، فقال له وزيره العباس بن الحسن، هذا رجل رقيع عامي ، وسبب ذلك أنّ المكتفي أحضر آبن الجصاص، وطلب منه عقداً من فاخر الجوهر على أن يكون ثمنه ثلاثين ألف دينار، فعرض عليه ابن الجصاص عقداً فيه ستّون حبّة ، ثمنه ستون ألف دينار ، فأعجب بـه المكتفي ، وقـال : انّه لم يـر مثله قط ، فقـال لـه ابن الجصـاص : ومن أين عنـدك مثل هـذا يا أبـا مشكاحـل ؟ فغضب المكتفي ، وهمّ به ، فهـدّاه وزير العبـاس بن الحسن ، وقال لـه : يا مـولانا ، هـذا رقيع عـامي ، والعـامي إذا افتخر على آخر ، سمّاه أبا مشكاحل ، راجـع القصّة مفصّلة في كتـاب نشوار المحاضرة ج ٢ ص ٣١٦ و ٣١٧ رقم القصّة ١٦٦ .

أقـول : أبو عبـد الله الحسين بن الجصاص الجـوهـري ، كـان ذا ثـروة عظيمة ، وجاه عريض ، وهو الذي سعى في زواج قـطر الندى بنت خمـارويه بالمعتضد ، ورافق مـوكبها من مصـر إلى بغداد ، ولبيـان مقدار ثـروته ، ذكـر الصـابي في كتاب الـوزراء (ص ٢٤٥) أنّ الوزيـر ابن الفـرات أخـذ من ابن الجصـاص في محنته عشـرة آلاف ألف دينار ، وكـان ابن المعتـز ، لمـا أعلن خلافته ، وفسد أمره ، لجأ إلى ابن الجصاص ، وأخذ من داره ، فاتّخذ رجال الدولة ذلـك سبباً لمصـادرة ابن الجصاص وحبسـه ، فصودر ، وحبس ، ولمـا أطلق بقي له مال وافر ، وجاه عريض ، راجع أخبار ابن الجصاص في كتـاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، وقد ذكر التنوخي في نشواره ، انّه اجتمع في بغداد بأبي علي ، ابن أبي عبد الله الجصاص ، وسأله عن الحكايات التي تنسب إلى أبيـه ، مثل قوله خلف إمـام قـد قـرأ : غيـر المغضـوب عليهم ولا الضالين ، فقال : إي لعمري ، بدلاً من آمين ، ومثل قوله للوزير الخـاقاني : أسهرني البارحة كلاب في الحـارة على بابي ، كـلّ كلب مثلي ومثل الـوزير ،

وقوله له ، وقد أراد تقبيل رأسه ، فقال له : انّ فيه دهناً فلا تفعل ، فقـال له : لو كان فـي رأس الوزير خرا لقبّلته ، ومثل قولـه : قمت البارحـة في الظلمـة إلى الخلاء ، فما زلت أتلحّظ المقعدة ، حتى وقعت عليها ، ومثل قوله ، وقد وصف مصحفـاً بالعتق : هـو كسـرويّ ، فقـال لـه ابن الجصـاص : أمّـا أمـر المقعـدة ، واي لعمري ، ومـا كان من هـذا الجنس فكذب ، ومـا كـانت فيه سـلامة تخـرجه إلى هـذا ، وما كـان إلاّ من آدهى الناس ، ولكنّـه كان يـطلق بحضرة الوزراء قريباً مما حكي عنه ، لأنّه كان يحب أن يصوّر عندهم بصـورة الأبله ، ليأمنه الـوزراء لكثرة خلواتـه بالخلفـاء ، ثم حدّثـه بحديث يـدلّ على دهائه ، راجع كتاب نشوار المحاضرة ج ـ ١ ص ٢٩ ـ ٣٥ رقم القصة ٩ .

ولما قدم أبـو الحسن النحوي اللغـوي الشاعـر المعروف بشميم الحلّى (ت ٦٠١) ، الموصل ، أراد نقيب المـوصل زيـارته ، فقيـل له إنّ شميم لا يعبأ بأحد ولا يقوم في مجلسه لزائر أبداً ، فأبى إلاّ زيارته ، فلما زاره لم يقم له ولم يحتفل به ، فعاتبه أحد صحابـه على ذلك ، فـأخرج كسـرة خبز يـابسة ، وقال له : يا رقيع ، من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة لأيّ معنى يذلّ للناس مع غناه عنهم وآحتياجهم إليه ؟ (معجم الأدباء ٥ / ١٣٥ و ١٣٦) .

٨ ـ قولهم : يا أحمق

الحمق ، والحماقة : فساد العقل .

قال الشاعر :

لكـــلِّ داءٍ دواء يستـــطبّ بـــه   إلاّ الحماقة أعيت من يداويها

وقال المتنبي :

قالوا لنا مات إسحاق فقلت لهم   هذا الدواء الذي يشفي من الحمق

وقال آخر :

جانب الأحمقَ واحذر بطشه   إنّما الأحمقُ كالثوب الخَلَقْ

كلّمـــا رقعتـــه من جـــانب   جاذبته الريح يوماً فآنخرق

ومرّ عقيل بن أبي طالب ، على أخيه عليّ عليه السلام ، وكان مع عقيل تيس فقال له عليّ يمازحه : إنّ أحدنا نحن الثـلاثة أحمق ، فقـال له عقيـل : أما أنا وتيسي فلا (الامتاع والمؤانسة ٣ / ١٨٤)

خـــطب أميـر المؤمنين علي بن أبي طـــالب ، على الحسن ابنـــه ، أمّ عمران بنت سعيد بن قيس الهمداني ، فقال سعيد : فوقي أمير ذو إمرة ـ يعني أمّها ـ فقال: قم فـآمرهـا، فخرج من عنـده، فلقي آلأشعث بن قيس، فأخبـره بالخبر ، فقال له الأشعث : ما تريـد إلى الحسن ، يفخر عليهـا ولا ينصفها ، ويسيء اليهـا ، فيقول : أنـا ابن رسول الله ، وابن أميـر المؤمنين ، ولكن هل لـك في ابن عمّها ، فهي لـه وهو لهـا ، قال : ومن ذلـك ؟ قال : محمـد بن

الأشعث ، ولـدي ، قال : قـد زوجّته ، فـدخـل الأشعث على أميـر المؤمنين علي ، فقال : يا أميـر المؤمنين ، خطبت على الحسن ، ابنـة سعيد ؟ قـال : نعم ، قـال : فهل لـك في أشرف منهـا بيتاً ، وأكـرم منهـا حسبـاً ، وأتّم منهـا جمالاً ، وأكثر مـالاً ، قال : ومن هي ؟ قـال : جعدة بنت الأشعث ، ابنتي ، قال : قد قاولنا رجلاً ، قال : ليس إلى ذلك الذي قاولته سبيل ، قال : إنّه قد فارقني ليؤامر أمّها ، فقال : قد زوجّها من محمـد بن الأشعث ، قال : متى ؟ قال : الساعة بالباب .

قال : فتزوّج الحسن جعدة .

فلما لقي سعيد ، الأشعث ، قال : يا أعور ، خدعتني .

قال : أنت أحمق خبيث ، حيث تستشيرني في ابن رسـول الله ، ألستَ أحمق (الأذكياء ٣٤)

وكان إياس بن مضارب العجليّ على شرطة الكوفة ، فرأى إبراهيم بن الأشتر يكثر من زيارة المختار بن أبي عبيد الثقفي ، فمنعه من الركـوب ، وقال لـه : لا تبرحن منزلك ، وإلاّ ضربت عنقك ، وعاود إبراهيم الركوب في جماعة من أصحـابه وجعـل طـريقـه على إيـاس ، فـأراد إيـاس أن يعتقله وأن يحمله إلى الأمير ، فقال له إبراهيم : لا أبا لغيرك ، خلّ سبيلنا ، فقال : كلا ، والله ، لا أفعل ، وكان مع إياس رجـل من همدان يقـال له : أبـو قطن ، وكـان صديقـاً لإبراهيم ، فقال له إبراهيم : يا أبا قطن ادن منّي ، فدنا منه ، فأخذ رمـح أبي قطن ، وطعن به إياساً في ثغـرة نحره وقـال له : أنت أحمق (الأخبـار الطوال ٢٩٠ و ٢٩١ والطبري ٦ / ١٩ و ٢٠)

وقال مروان بن الحكم لحبيش بن دلجـة : إنّي أظنّك أحمق ، فقـال له حبيش : أحمق ما يكون الشيخ إذا عمل بظنّه (العقد الفريد ٤ / ٣٣)

وتسـابّ خـالـد القسـري ، ويـوسف بن عمـر ، وكـان خـالـد في حبس

يوسف ، قال له يوسف : **يا ابن الكاهن** ، يعني شقّ بن صعب الكاهن ، فقال له خالد : **إنّك لأحمق** ، تعيّرني بشرفي ، ولكنّك **آبن السبّاء** ، إنّما كان أبـوك **سبّاء خمر**، أي يبيع الخمر (الطبري ٧ / ٢٥٤) .

وسمع أبـو جعفـر المنصـور ، أبيـات عبـد الله بن مصعب ، في مـدح بصبص المغنّية :

أرائـح أنـت أبـا جـعـفـرٍ	من قبل أن تسمع من بصبصا
هيهـات أن تسمـع منهـا إذا	جَاوَزَتِ العيس بنا آلأعـوصـا
أحـلف بـالله يـمـينـاً ومـن	يحلف بـالله فـقـد أخلصـا
لـو انّهـا تـدعـو إلى بيعـةٍ	بـايعتهـا ثم شققتُ العصـا

فغضب أبـو جعفر ، ودعـا به ، فقـال : أما إنّكم يـا آل الزبيـر قديماً ما قـادتكم النساء ، وشققتم معهنّ العصـا ، حتى صرت أنتآخـر **الحمقى** تبايـع المغنّيات، فدونكم يا آل الزبير هذا المرتع الوخيم . (الأغاني ١٥/٢٨ و ٢٩)

أقول : يعيّره بخروج الزبير جدّه ، علي الإمام علي بن أبي طالب .

وقـال المنصور ، للطلحي : **أنت أحمق** ، وسبب ذلـك ، إنّ المنصـور سأل الربيع : كيف تعرف الـريح ؟ قـال : أنظر إلى خـاتمي ، فإن كـان سلساً فشمال وإلاّ فهي جنوب ، وقال للطلحي : كيف تعرفهـا أنت ؟ قال : أضـرب بيدي إلى خصيتيّ ، فإن كـانتا قـد تقلّصتا فـالريـح شمال ، وإن تـدلّتا ، فهي جنوب ، فقال له المنصور : **أنت أحمق** . (البصائر والذخائر ١ / ١٧)

وكان خالد بن صفوان بخيلاً ، سأله سائل ، فأعـطاه درهماً فآستقـلّه ، فقال له : يـا أحمق ، الدرهم عشـر العشرة ، والعشـرة عشر المـائة ، والمـائة عشـر الألف ، والألف عشر العشـرة الآف ، أما تـرى كيف أرتفع الـدرهم إلى دية مسلم ؟ (البخلاء ١٥٠ و ١٥١)

ولما انفق المهدي العباسي ، جميع ما في بيوت الأموال ، دخل إليه أبو حارثة الهندي ، خازن البيوت ، ومعه المفاتيح ، وقال له ، إذا كنت قد أنفقت جميع الأموال فما معنى بقاء هذه المفاتيح معي ؟ فتركه ثلاثة أيّام ، ثم قال له : ما أخّرك عنّا ؟ قال : ورود الأموال ، فقال له : يا أحمق ، توهّمت أنّ الأموال لا تأتينا (مروج الذهب ٢ / ٢٤٨ ووفيات الأعيان ٧ / ٢٢)

وأهدى العباس بن محمد العبّاسي ، إلى الرشيد برنية غالية ، وأطال في الثناء عليها ، فأخذها ابن أبي مريم المدني ، مضحك الرشيد ، وبدّدها على أطرافه ومغابنه ، ثم قال للعباس : والله ، أنت شيخ أحمق ، راجع تفصيل القصّة في الطبري ٨ / ٣٤٩ و ٣٥٠

وقال القاضي حفص بن غياث ، قاضي الرشيد على الشرقية ، لمرزبان المجوسي ، وكيل أمّ جعفر : أنت أحمق .

وخلاصة القصة : إنّ خراسانياً باع إبلاً بثلاثين ألف درهم ، لمرزبان المجوسي ، وكيل أمّ جعفر ، فمطله ثمنها ، وحبسه ذلك عن السفر فشكا أمره إلى القاضي حفص بن غياث ، قاضي الشرقية ، (وهي التي تسمى الآن المنطقة ، سميّت الشرقية ، لأنّها تقع شرقي مدينة المنصور) ، فأحضره ، وسأله ، فاعترف بالدين ، فألزمه بالأداء ، فقال مرزبان : هذا المال على السيّدة (يعني السيّدة زبيدة أمّ جعفر ، زوج الرشيد) ، فقال القاضي : أنت أحمق ، تقرّ ، ثم تقول هو على السيّدة ، خذوا بيده إلى الحبس ، ولما بلغ أمّ جعفر حبس وكيلها غضبت ، وأمرت السنديّ بن شاهك ، أن يخرجه من الحبس ، وكانت القضاة تحبس الغرماء في محبس الشرط ، فأخرجه السنديّ ، وبلغ القاضي الخبر ، فقال : أحبس أنا ، ويخرج السنديّ ، وامتنع عن الجلوس في مجلس الحكم ، إلاّ أن يعاد

المجوسيّ إلى الحبس، فجاء السنديّ إلى أمّ جعفر، وقال لها: الله، الله، فيّ ، أخاف أن يقول لي أمير المؤمنين ، بأمر من أخرجت المجوسيّ من الحبس ؟ ردّيه إلى الحبس ، وأنا أكلّم القاضي في أمره ، وردّ مرزبان إلى الحبس ، وكلّمت السيدة الرشيد ، وقالت له ، إنّ حفصاً حبس وكيلي ، واستخفّ به ، فمره لا ينظر في الحكم ، وأن يتولىّ أبو يوسف القاضي النظر في قضيته ، فكتب للقاضي بذلك ، وبلغ حفصاً الخبر ، فأسجل الحكم على المجوسيّ بالزامه بالمال ، وورد كتاب الخليفة مع خادم ، قال للقاضي : هذا كتاب أمير المؤمنين ، فقال له ، مكانك ، نحن في شيء حتى نفرغ منه ، فقال له الخادم : كتاب أمير المؤمنين ، فصاح به حفص : أنظر ما يقال لك ، ولما انتهى حفص من السجل ، أخذ الكتاب من الخادم ، وقرأه ، وقال : اقرأ السلام على أمير المؤمنين ، وقل له ، إنّ كتابه ورد وقد أنفذت الحكم ، فقال له الخادم : قد عرفتُ ما صنعتَ ، أبيت أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين ، حتى تفرغ مما تريد ، والله لأخبرنّ أمير المؤمنين بما فعلت ، فقال له حفص : قل له ما أحببت ، وجاء الخادم ، وأخبر الخليفة ، فضحك ، وقال للحاجب : ابعث إلى حفص بثلاثين ألف درهم ، فاشتدّ غيظ أمّ جعفر مما حصل ، وألزمت الخليفة أن يعزل حفصاً ، فعزله عن الشرقية ، وولاه قضاء الكوفة (وفيات الأعيان ٢ / ١٩٩ و ٢٠٠)

وأنشد محمد بن حازم الباهلي ، حماد بن يحيى ، بيتين من نظمه :

صل خمرة بخمار وصل خماراً بخمر

وخذ نصيبك من ذا وذا إلى حيث تدري

فقال له : إلى أين ويحك ؟ فقال : إلى النار يا أحمق . (شرح مقامات الحريري ١ / ٣٤٩ و ٣٥٠)

وكلّم أحمد بن يوسف ، الأمير عبد الله بن طاهر ، في حاجة له يخاطب بها المأمون ، فوعده ، ثم عاد إليه ، فقال له : كنت سألتك أن تكلّم أمير المؤمنين في كذا ، وقد سألت مؤنس ـ يعني جارية كان المأمون يتحظّاها ـ أن تخاطب أمير المؤمنين فيها ، وما بالأمير حاجة إلى الخطاب في ذلك ، فلما خرج ، قال : أرأيتم أحمق من هذا ؟ يسأل مثلي أن أخاطب الخليفة في أمر ، ثم يجيء ويعّرفني أنّه قد سأل جارية فيما سألني ، وأنّه قد استغنى بها عنّي . (الهفوات النادرة ٢٥٤ و ٢٥٥)

ولما اختلف أحمد بن طولون ، والأمير الموفق (أبي أحمد) صاحب دولة المعتمد العباسي ، أمر القاضي محمد بن عثمان بن إبراهيم بن زرعة الثقفي بخلعه ، فوقف بأزاء منبر دمشق ، وقال : قد خلعتُ أبا أحمق ، كما خلعتُ خاتمي من اصبعي . (النجوم الزاهرة ٣ / ١٨٣)

وكان عبيد الله بن سليمان وأبوه ، يعملان مع الأمير الموفّق (أبي أحمد) ، ولهما جهبذ اسمه ليث ، أحالا عليه بمبلغ من المال ، فتأخّر عن الأداء ، فقال له راشد ، صاحب صاحب جيش الموفّق : آحمل ولو من مالك ، فهذا مهمّ للأمير أبي أحمد ، فقال ليث : وأيش لأبي أحمق عندي ؟ فاغتاظ منه راشد، وروي القصّة للموفّق، فبطش بليث وبعبيد الله بن سليمان وبوالده سليمان بن وهب ، راح التفصيل في نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٨ ص ٩٨ ـ ١٠٠ رقم القصّة ٤٤

وخدم أبو يعقوب الرازي (ت ٣٠٤) ذا النون المصري سنة ، ثم طالبه بأنّ يعلّمه اسم الله الأعظم ، فسكت عنه وأومأ إليه أنّه يخبره ، وبعد ستة أشهر أخرج من بيته طبقاً ومكبّة مشدودين في منديل ، وأمره أن يحملها إلى صديق له في الفسطاط ، فأخذ الطبق ، وظلّ في الطريق يفكّر فيما في داخله ، فلما بلغ الجسر ، لم يصبر حتى حلّ المنديل ورفع المكبّة ، فقفزت

من تحتها فارة ، فعاد الرازي إلى ذي النون غاضباً ، فلما رآه ، قال له : يا أحمق ، إنّما جرّبناك ، ائتمنتك على فارة فخنتني ، أفأئتمنك على آسم الله الأعظم ؟ (المنتظم ٦ / ١٤٢)

واشترى أحد الخراسانية ، من رهداريّ بمصر ، حجراً بخمسة دراهم ، فسخر منه ، وقال : يجون هؤلاء الحمير ، لا يدرون أيش يعطون ولا أيش يأخذون ، إنّ هذه الحصاة أخذتها بدائق فضة ، وقد آشتراها هذا **الأحمق** منّي بخمسة دراهم ، فقال له الخراساني : **أنت الأحمق** ، راجع تفصيل القصة في نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ٢ / ٨٣ ج ٢ ص ١٦١ و ١٦٢ .

وقال الوزير أبو الحسن بن الفرات ، للكاتب ابن جبير : اجلس يا **أحمق** .

وتفصيل القصة : إنّ الوزير ابن الفرات ، عاد من الموكب ، فجلس بسواده مغموماً ، فسأله أحد أصحابه ، الكاتب بن جبير ، وكان مدلّاً عليه ، فلم يجب ، فقال له : سوف أستتر أنا وعيالي ، لأنّك تعود من دار الخلافة ، وهذا الغمّ ظاهر في وجهك ، وتكتمنا السبب ، فليس وراءه غير الصرف والقبض .

فقال الوزير : اجلس يا **أحمق** حتى أحدّثك السبب .

فقال الوزير : ويحكم قد علمتم أنّي أشكو إليكم نقصان هذا الرجل - يعني الخليفة المقتدر - دائماً ، وشدّة تلوّنه ، واختلاف رأيه ، وأنّي أحب منذ مدّة ، أن أروزه ، وأعرف قدر ذلك منه ، فقلت له اليوم ، في أمر أحد الرجال : يا أمير المؤمنين ، إنّه قد فسد علينا ، وقد رأيتُ أن أقلّده كذا ، وأقطعه ، وأسوغه ، لأستصلحه ، فقال : افعل ، ولما قرب وقت انصرافي ، قلت للخليفة : يا مولانا ، عاودت الفكرة في أمر فلان ، فوجدت أنّ ما نعطيه إيّاه يؤثّر في بيت المال ، ويطمع نظراءه ، وقد رأيت أن نخلّده

الحبس ، فقال : افعل ، فقلت : واويلاه ، كذا تجري حالي معه ، يقال له : ابن الفرات ، الكافي ، الناصح ، فيقول : نعم ، ويقرّبني ، ثم يقال له : ابن الفرات ، سرق ، ونهب ، والصواب قتله ، فيقول : نعم ، فأهلك (الوزراء للصابي ١٣٣)

وكان أبو العباس سهل بن بشر النصراني ، ضامن واسط والأهواز ، من أكابر رجال الدولة الديلميّة ، وكان ذا حماقة متمكّنة ، وسخ اللسان يسبّ من يراجعه من ذوي الحاجات ، فشكوه إلى المطران ، فكلّمه في ذلك ، فقال له : أنت يا أبونا أحمق ، أنا إنّما آكلّم الناس بلسان القائد ، فيكون هو الشاتم لهم ، لا أنا (الهفوات النادرة ٣١٦)

٩ ـ قولهم : يا خبيث ، ويا ابن الخبيثة

خبث : *ضد طاب*

والخبيث : *المستكره ، أو النجس ، أو الفاسد .*

ولما هجا الحطيئة الزبرقان ، وقال فيه :

دع المكـارم لا ترحـل لبغيتها   واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

شكاه الزبرقان إلى الخليفة عمر ، ولم يكن عمـر يجهل مـوضع الهجـاء من البيت ، ولكنّـه بعث إلى شاعـر مثلـه ، وهو حسّـان بن ثابت ، وقـرأ عليه البيت ، وسأله : هل هجاه ؟ فقال حسان : ما هجاه ، ولكن سلح عليه ، فأمر عمـر بـالحـطيئـة إلى الحبس ، وقـال لـه : **يـا خبيث** لأشغلنّـك عن أعـراض المسلمين (العقد الفريد ٥ / ٣١٨)

ولمـا انتهت حرب الجمـل ، بانتصـار الإمام علي ، أمـر محمد بن أبي بكر ، بأن يرعى أخته عـائشة ، فـذهب إليها ، ومـدّ يده إلى بـطن هودجهـا ، فصاحت به ، ولم تعـرفه : نـحّ يدك ، قـطع الله يدك ، فقـال لها : أنـا أخوك محمد ، فقالت : **الخبيث** بن الـطيّب ، فضحك ، وقـال لها : بـل الطيّب بن الطيّب .

وفي أحـد أيّـام صفين ، اشتـدّ القتـال ، وبــرز عبيـد الله بن عمــر بن الخطاب ، وكان في جانب معاوية ، ونادى : أنـا الطيّب بن الـطيّب ، فسمعه عمّـار بن ياسـر ، فصاح بـه : بـل أنت **الخبيث** بن الـطيّب (الأخبـار الـطوال ١٧٨)

واستخفّ أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، بعبد الله بن الزبير ، في مجلس معاوية ، وبلغ ذلك عائشة ، فلما مرّ بفنائها صاحت به : يا أحول ، يا خبيث ، أنت القائل لابن أختي كذا وكذا .

وقد سبق أوردنا القصة في موضع آخر من هذا الكتاب .

ولما استباح مسلم بن عقبة المريّ المدينة ، أحضر عمرو بن عثمان بن عفان ، وقال : هذا الخبيث بن الطيّب .

وذلك : إنّ مسلم بن عقبة ، بعد أن ظفر بأهل المدينة ، وقتل مقاتلتهم، وسلب أموالهم ، واستباحهم ، أحضر من لم يحارب ، وأمرهم بأن يبايعوا على أنّهم عبيد قنّ ليزيد بن معاوية ، ولما حضر أمامه عمرو بن الخليفة عثمان بن عفان ، قال مسلم : يا أهل الشام ، هل تعرفون هذا ؟ هذا الخبيث بن الطيّب ، هذا عمرو بن أمير المؤمنين عثمان ، هيه يا عمرو ، إذا ظهر أهل المدينة ، قلت : أنا رجل منكم ، وان ظهر أهل الشام ، قلتَ : أنا ابن أمير المؤمنين عثمان ، ثم أمر به فنتفت لحيته (ابن الأثير ٤ / ١٢٠)

وكان المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل ، عامل الحجّاج على الكوفة ، إذا قيل له : أبا صفيّة ، يغضب ، فحدث أن استعدته امرأة على زوجها ، فأتاه صاحب العدوى عند المساء ، فأعلمه ، فقال : نعم ، أغدو معها ، فبات الرجل يقول لامرأته : لو قد أتيت الأمير غداً ، لقلت له : يا أبا صفيّة ، إنّها تفعل كذا وكذا ، فيأمر من يوجعك ضرباً ، فحسبت المرأة أنّ كنية الأمير أبو صفيّة ، فحفظتها ، ولما تقدّمت إليه ، قالت : أصلحك الله يا أبا صفيّة ، فقال لها : عافاك الله ، أبو عبد الله ، فأعادت التكنية ، فقال لها : أبو عبد الله ، ثم أعادت ، فصاح بها : يا فاسقة ، أظنّك ظالمة ، وقال لزوجها : خذ بيد الخبيثة (المحاسن والمساوىء ٢ / ٢٣٠)

وتعرّض مجنون بالبصرة ، يعرف براس النعجة ، لأميرها محمد بن

سليمان في موكبه، فصاح به: يا محمد، أمن العدل أن تكون غلّتك في كلّ يوم ألف درهم ، وأنا أطلب نصف درهم ، فلا أقدر عليه ؟ إن كان هذا عدلاً فأنا أكفر به ، فأمر لـه محمد بمائة درهم ، فقال المجنون للأمير : إنّ كرم منصبك ، وشرف أبوّتك ، وحسن وجهك ، لخير يريده إليه بك ، فدنا منه سوّار قاضي البصرة ، وقال له : يا خبيث ما كان هذا قولك في البداءة فقال له : في أي سورة هذه الآية : ﴿ فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا إذا هم يسخطون ﴾ ؟ قال : في براءة ، قال : صدقت ، فبرىء الله ورسوله منك ، فضحك محمد بن سليمان حتى كاد يسقط عن دابته (مروج الذهب٢ / ٢٦٧ و ٢٦٨)

وكان مطيع بن اياس ، ينادم جعفر بن المنصور ، فكتب صاحب الخبر إلى المنصور بأنّ مطيعاً زنديق ، فقال المهدي : إنّه ليس بزنديق ، ولكنّه خبيث الدين ، فاسق ، فأمره المنصور بأن يحضره ، وينهاه عن صحبة جعفر وسائر أهله ، فأحضره المهدي ، وقال له : يا خبيث ، يا فاسق ، أفسدت أخي ، وجماعة من أهلي ، وشهرتهم في الناس ، وأمر الربيع بضربه مائة سوط وحبسه ، فقال له مطيع : أنا أمرؤ شاعر ، وسوقي إنّما تنفق مع الملوك ، وقد رضيتُ من الدنيا بالأكل على مائدة أخيك ، وأصفيته على ذلك شكري وشعري ، فإذا كان ذلك عائباً عندك ، تبت منه ، فأطرق المهدي ، وعفا عنه (الأغاني في ١٣ / ٣١٧ و ٣١٨)

وشتم إبراهيم الموصلي ، جارية ، فقال لها : كذبت يا خبيثة .

وسبب ذلك : إنّ إبراهيم الموصلي ، كان في طريقه بعد المغرب إلى قصر الرشيد ، فأبصر زنبيلاً كبيراً ، مدلّى من أحد القصور ، مستوثق منه بحبال ، وأربع عرى من أدم ، فغلب عليه حبّ الإستطلاع ، فقعد في الزنبيل ، فرفع حتى صار في أعلى القصر ، فوجد فتيات جميلات في انتظار الزنبيل ، فلما وجدن إبراهيم ، قلن له : يا عدوّ الله ، ما أدخلك إلينا ؟

فقال : **يا عدوّات الله** ، ومن الذي أردتنّ إدخاله ، ولم صار أولى منيّ بهذا ؟ ثم قالت إحداهنّ : من أردناه قد فات ، فهلمّ نعاشر هذا ، وقدّم الطعام ، والشراب ، وغنّت إحداهنّ صوتاً لمعبد ، فقالت الأخرى : أحسن إبراهيم الموصلي ، قال إبراهيم ، فقالت لها : **كذبتِ** ، هذا لمعبد ، فقالت : **يا فاسق** ، وما يدريك ما الغناء ؟ ثم غنّت الأخرى صوتاً للغريض، فقالت الأخرى : أحسن إبراهيم ، فقلت لها : **كذبتِ يا خبيثة** ، هذا للغريض، فقالت : اللهم آخزه ، ويلك ، وما يدريك ، ثم غنّت الجارية صوتاً لي ، فقالت الأخرى : أحسن ابن سريج ، فقلت لها : كذبتِ ، هذا لإبراهيم ، فقالت : **ويحك** ، وما يدريك ؟ فقلت : أنا إبراهيم ، فتباشرن ، وحبسنني أسبوعاً ، فلما خرجت وجدت الرشيد قد غضب عليّ ، فأخبرته بقصّتي ، ورغب أن يراهنّ ، فأخذته معي ، حتى رآهنّ ، وحضر مجلسهنّ (الأغاني ٥ / ٢٤٤ و٢٤٧)

١٠ ـ قولهم : يا جاهل

الجهل : السفه والجفاء والغلظ .

قال عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلنّ أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وترد أيضاً بمعنى : عدم المعرفة ، يقال : جاهل بمعنى ضد عالم

وزار الحسن والحسين ، ابن عباس ، فلما خرجا من عنده ، أمسك لهما ركابيهما ، فقال له بعض من حضر : أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما ، وأنت أسنّ منهما ؟ فقال له : آسكت **يا جاهل** ، لا يعرف الفضل إلاّ ذووا الفضل . (وفيات الأعيان ٦ / ١٧٩)

وتنازع جعفر البرمكي ، والفضل بن الربيع ، بحضرة الرشيد ، فقال جعفر للفضل : **يا لقيط** ، فقال الفضل : أشهد يا أمير المؤمنين ، فقال جعفر للرشيد : ترى عند من يقيمك هذا **الجاهل** شاهداً ، وأنت حاكم الحكّام ؟ (وفيات الأعيان ٤ / ٣٨)

ووصل الرشيد ، رجلاً من النساك ، بعشرين ألف درهم ، فامتنع من أخذها، فقال له هرثمة : تردّ على أمير المؤمنين صلته ، **يا جاهل** ؟ (الطبري ٨ / ٣٥٩)

وخلاصة القصة : انّ هذا الناسك ، واجه الرشيد ، فقال له : يا هارون آتّق الله ، فأمر أحد حاشيته أن يأخذ الرجل ، حتى إذا فرغ ، دعا به ، فقال

له : ياهذا ، أنصفني في المخاطبة ، أناشرّأم فرعون؟ قال : بل فرعون ، قال : فأنت خير أم موسى؟ قال : موسى ، قال : إنّ الله أرسل موسى وأخاه إلى فرعون ، فقال لهما : فقولا له قولا ليناً لعلّه يتذكّر أو يخشى ، فجئت أنت تعظني بأخشن الألفاظ وأشنعها ، فلا بأدب الله تأدّبت ، ولا بأخلاق الصالحين أخذت ، فقال الناسك : أخطأت يا أمير المؤمنين ، وآعتذر إليه ، فأمر له الرشيد بعشرين ألف درهم ، فأبى أن يأخذها ، وقال : لا حاجة لي في المال ، فقال هرثمة : يا جاهل تردّ على أمير المؤمنين صلته ؟ فقال له الرشيد : لم نعطك هذا المال لحاجتك إليه ، ولكن من عادتنا أن لا يكلّم أحد الخليفة ، وليس من أوليائه ولا أعدائه ، إلاّ وصله ومنحه ، فأقبل من صلتنا ما شئت ، وضعها حيث أحببت ، فأخذ من صلته ألفي درهم ، ووهبها للحجّاب ومن حضر الباب .

وقال المأمون لأبي علي المنقري : يا جاهل ، سألتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعاً ، وهو الجهل ، وسبب ذلك أنّ المأمون قال لأبي علي المنقري : بلغني أنّك أمّي ، وأنّك لا تقيم الشعر ، وانّك تلحن ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما اللحن فربما سبق لساني بشيء منه ، وأما الأميّة ، وكسر الشعر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقيم الشعر ، فقال له المأمون : سألتك عن ثلاثة عيوب فيك ، فزدتني رابعاً ، وهو الجهل ، يا جاهل ، إنّ ذلك كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم فضيلة ، وهو فيك وفي أمثالك نقيصة ، وانما منع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لنفي الظنّة عنه ، لا لعيب في الشعر والكتابة (محمد رسول الله لتيمور ١٢٠)

وقال المأمون ، لإبراهيم بن المهدي : أنت جاهل ، لا يجاوب مثلك .

وسبب ذلك : إنّ إبراهيم بن المهدي ، كان شديد الانحراف عن علي بن أبي طالب ، وذكر للمأمون يوماً ، إنّه رأى علي بن أبي طالب في النوم ، قال إبراهيم : فمشينا حتى جئنا قنطرة ، فذهب يتقدّمني لعبورها ، فأمسكته ،

وقلت له : أنت رجل تدّعي هذا الأمر بامرأة ، ونحن أحقّ به منك ، فما رأيته أجاب جواباً بليغاً . فقال له المأمون : وماذا قال لك ؟ قال : مازادني على أن قال : سلاماً ، سلاماً ، فقال له المأمون : قد ـ والله ـ أجابك أبلغ جواب ، قال : وكيف ؟ قال : عرفّك أنّك جاهل ، لا يجاوب مثلك ، قال الله عزّ وجل : وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً (الأغاني ١٠ / ١٢٦)

وروي ثمامة بن أشرس ، إنّه مرّ بشارع الخلد ، يريد داره ، فوجد شيخاً قد بسط كساءه ، وألقى عليه أدوية ، وهو قائم ينادي ، هذا دواء لبياض العين ، وهذا دواء للغشاوة والظلمة وضعف البصر ، وإنّ إحدى عينيه لمطموسة ، والأخرى محمرّة ، وقد تألّبوا عليه وانجفلوا ، فنزل ثمامة عن دابته ، ودخل بين الجماعة ، وقال له ، يا هذا ، أرى أنّ عينيك أحوج الأعين إلى العلاج ، وأنت تصف الدواء ، وتزعم أنّ فيه الشفاء ، فمالك لا تداوي به عينيك ؟ فقال له : أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ، ما رأيت قطّ شيخاً أجهل منك ولا أحمق ، قلت : كيف ذاك ؟ قال : يا جاهل ، أتدري أين آشتكت عيني ؟ قلت : لا ، قال : بمصر ، فأقبل عليّ الجماعة ، وقالوا : صدق : أنت جاهل وهمّوا بي ، فقلت : والله ، ما أدري أنّ عينه آشتكت بمصر ، وتخلّصت منهم بهذه الحجّة (المحاسن والمساوىء ١ / ١٠٩)

وعبث مخلد بن يزيد الكاتب ، بأحد الخراسانيّين من أصحاب المأمون إذ قال له الخراساني : أختر لي عملاً أُقلّده ، فاختار له بزبندات البحر ، وصدقات الوحش ، والنكتة في الموضوع أنّ البحر لا تبنى له بزبندات ، والوحش لا تفرض عليه صدقات ، فلما رأى المأمون الرقعة ، سأل عمّن كتبها ، وأحضر مخلد ، وقال له : ما هذا يا جاهل ، تفرغت لأصحابي ؟ راجع القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ٢٤٠

وكان المتوكل قد بايع بولاية العهد لأولاده الثلاثة ، المنتصر ، فالمعتزّ ، فالمؤيّد ، فلما قتل المتوكّل ، وبويع المنتصر ، رغب في خلع

أخويه من ولاية العهد ، فأحضرهما ، وطالبهما بالخلع ، فأبى المعتز ، فقال له أخوه المؤيّد : **يا جاهل** ، تراهم قد نالوا من أبيك ـ وهو هو ـ ما نالوا ، ثم تمتنع عليهم ، إخلع **ويلك** ، ولا تراجعهم . (الطبري ٩ / ٢٤٥)

وعبث ابن حمدون النديم ، بحضرة المتوكّل ، بالطبيب يوحنا بن ماسويه ، فقال له ابن ماسويه : لو كان مكان ما **فيك من الجهل** عقل ، ثم قسم على مائة خنفساء ، لكانت كلّ واحدة منهنّ أعقل من أرسطو طاليس . (تاريخ الحكماء ٣٨١) .

وكان أبو نوح عيسى بن إبراهيم ، على ديوان الضياع ، في سرّ من رأى ، وراجعه صاعد بن مَخلَد ، أوّل خلافة المعتزّ ، وجرت بينهما مناظرة ، فاغتاظ منه أبو نوح ، وأعضّه ، أي قال له : **يا عاضّ بَظر أمّه** ، فردّ عليه صاعد مثل ما قاله له ، فاستعظم الحاضرون ذلك ، وقالوا له : **يا مجنون** ، **يا جاهل** ، قتلت نفسك ، قم ، قم ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي رقم القصّة ٨ / ٣٤ ج ٨ ص ٧٨ ـ ٨٢ .

وجرى في دار الوزير صاعد بن مخلد ، كلام ، بين أبي العباس أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب ، وأبي الصقر إسماعيل بن بلبل ، فقال إسماعيل لابن ثوابة : حكمك ـ والله ـ أن تشدّ وتحدّ ، فقال له : **يا جاهل** ، أما علمت أنّه من يشدّ لا يحدّ ، ومن يحدّ لا يشدّ . (اعتاب الكتاب ١٦٧)

أقول : يريد أنّ الذي يشدّ هو المجنون ، والمجنون لا يحدّ ، لأنّ الحدود إنّما تقام على العاقل إذا ارتكب ما يقتضي معه أن يحدّ .

ولما عزل الوزير ابن الفرات ، عن وزارته الأولى ، نيطت مناظرته برجل شرير ، هو أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة ، فكان من جملة ما شتمه به أن قال له : **يا جاهل** . (تجارب الأمم ١ / ٨٨ و ٨٩ الحاشية)

وركب ابن الجصّاص ، مع الوزير الخاقاني ، وزير المقتدر ، في طيّاره ، وكان في يد ابن الجصّاص بطيخة عنبر ، فأراد أن يعطيها الوزير ويبصق في دجلة، فبصق في وجه الوزير ورمى البطيخة في دجلة، فارتاع الوزير ، وانزعج ابن الجصّاص وتحيّر ، وقال للوزير : والله العظيم ، لقد أخطأتُ وغلطتُ ، أردت أن أبصق في وجهك وأرمي البطيخة في دجلة ، فقال له الوزير: كذلك فعلت **يا جاهل**، فغلط في الفعل وفي الاعتذار (اخبار الحمقى ٥٠)

وقصد فقيه من أهل سجستان ، قائداً سامانياً ، فشكا إليه من تصّرف أفراد جيشه ، فقال له : يا شيخ ، ما ظننتك **بهذا الجهل** ، راجع تفصيل القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ج - ٣ / ص ٣٤ رقم القصة ٣ / ١٨

واجتمع ثلاثة من رعايا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، صاحب المغرب ، وتمنّى أحدهم ألف دينار يتّجر بها ، وتمنى الثاني عملاً يعمل فيه لأمير المسلمين ، وتمنى الثالث زوجة أمير المسلمين ، وكانت من أجمل النساء ، فبلغه الخبر ، فأحضرهم ، وأعطى الأول ألف دينار ، واستعمل الثاني ، وقال للثالث : **يا جاهل** ، ما حملك على هذا التمنّي الذي لا تصل إليه ؟ (وفيات الأعيان ٧ / ١٢٥)

وقال نجم الدين بن أيوب ، لولده صلاح الدين يوسف : **أنت جاهل** .

وتفصيل ذلك : إنّ السلطان نور الدين محمود ، بعث صلاح الدين على رأس جيش ، إلى مصر ، إعانة للمصريين على حرب الافرنج ، فتمكّن صلاح الدين بمصر ، ولما أمره.نور الدين بأن يترك مصر لمحاصرة الكرك ، اعتذر له بأعذار لم يرضها ، وعزم على قصد مصر ، فجمع صلاح الدين الأمراء، فيهم والده نجم الدين، وأستشارهم، فأشاروا بمقاتلته إذا قصد مصر ، فاحتدّ عليهم نجم الدين ، وشتمهم ، وأعلن عبوديته لنور الدين ، ولما

خلا نجم الدين بـابنه ، قـال له : **أنت جـاهل** ، **قليـل المعرفـة** ، تجمع هـذا الجمـع ، وتطلعهم على مـا في نفسك ، فـإذا سمع نـور الدين بعـزمـك على منعه ، كنت أوّل من يقصده، أمّا إذا بلغه خبر هذا المجلس ، فإنّه يعـدل عن قصدك ، وكان الأمر كما قال نجم الدين (وفيات الأعيان ٧ / ١٦٣ و ١٦٤)

وشهدت امرأة عند قاض ، وكانت معها أخرى ، فأخذت تلقّنها ، فقال الخصم للقاضي : ما تراها تلقّنها ؟

فقالت له المـرأة : **يا جـاهل** ، إنّ الله تعـالى يقول : فتـذكّـر إحـداهما الأخرى (وفيات الأعيان ١ / ٢٧٨)

وكـان لروزبهـان الديلمي ، كـاتب يعرف بـالقمّى ، وكان قـد استخلفه بحضرة معز الدولة ، وعوّل عليه في مراجعة أقطاعه بالسواد ، وحدث يومـاً أنّ الوزير المهلّبي كان جالساً ، وقد وقعت على وجهه ذبابـة ، فلحظهـا القمّي ، وتقدّم من الوزير ، ولطمه على وجهه لـطمة شـديدة ، ثم قـال للوزير : دبـابة (بالدال) فقال له : **يا جاهل** ، إذا كانت ذبابة تقتلهـا على وجهي ؟ فقد سقط عنك القلم (الهفوات النادرة ٢٧١)

١١ ـ قولهم : يا مجنون ، يا فضولي ، يا غبيّ

الجنون : زوال العقل أو فساده
الفضولي: الذي يتدخّل فيما لا يعنيه ، والبغداديون يكنون عن الفضولي ، بقولهم : حمّص الطبايخ ، لأنّ الحمص يدخل عندهم في كل لون يطبخ .
القبيح : ضد الجميل ، شكلًا أو عملاً .
الغبي : الجاهل ، القليل الفطنة .

أخذ سنان بن أنس ، وكانت به لـوثة ، رأس الحسين ، ووقف بـه على فسطاط عمر بن سعد ، ثم نادى بأعلى صوته :

أوقـر ركـابي فضّـة وذهبـا　　فقـد قتلت الملك المحجّبـا
قتلتُ خيـر النـاس أمّـا وأبـا　　وخيـرهم إذ ينسبـون نسبـا

فقال له عمر : **يا مجنون** ، لو سمعك ابن زياد تقول هذا لضرب عنقك (الطبري ٥ / ٤٥٤)

ولمـا حصل الاختـلاف بين الأمين والمأمـون ، كان للمأمون ولـدان في بغـداد ، ومعهما أمّهمـا أمّ عيسى إبنة مـوسى الهـادي ، وأراد الأمين أن يـوليّ أسد بن يزيد بن مزيد حرب المأمون ، فقال له أسد : إدفع إليّ ولدي عبد الله المأمون ، يكونان في يدي أسيرين ، فقال له محمد : أنت أعرابيّ **مجنـون** ، أدعوك إلى ولاية آعنّة العرب والعجم ، وتدعوني إلى قتـل ولديّ ؟ (الـطبري ٨ / ٤٢٠)

وتقلّد ابن أبي السلاسل، ماسبذان ومهرجان قـذق ، فأخـذ أبو عبـد الله

الباقطائي صاحب ديوان المشرق ، يوصيه ، كما يوصي أصحاب الدواوين العمّال. فقال له ابن أبي السلاسل: كأنّك استكثرت عليّ هذا العمل، وكنت أنت تكتب لأبي العباس بن ثوابة ، ثم صرت صاحب ديوان ، فقال له الباقطائي : **يا جاهل** ، **يا مجنون** ، لولا أنّه قبيح بي مكافأة مثلك ، لراجعت الوزير في أمرك ، حتى أزيل يدك ، ومن لي بأن أجد مثل آبن ثوابة ، في هذا الوقت ، فاكتب له ، ولا أريد الرئاسة (الأغاني ٢٠ / ٦٨)

وتناظر الأشعري ، وأستاذه الجبائي (ت ٣٠٣) ، ففلج الأشعري ، فقال له الجبائي : **أنت مجنون** ، فقال : لا ، بل وقف حمار الشيخ في العقبة (وفيات الأعيان ٤ / ٢٦٨)

قال أبو عبّاد النمري : لا يكون البنيان قرية حتى ينبح فيه كلب ، ويزقو فيه ديك ، فقال أحمد الخاركي : لا تصير القرية قرية ، حتى يصير فيها حائك ومعلّم ، فقال له أبو عبّاد : **يا مجنون** ، إذا صارت إلى هذا ، فقد صارت مدينة . (الحيوان ٢ / ١٩٣)

وقاتل الأمير أسامة بن منقذ ، وهو شابّ ، أسداً ، مواجهة ، فصاح به والده : لا تستقبله ، **يا مجنون** ، فيأخذك ، راجع القصة في كتاب الاعتبار لأسامة ١٠٤

وخرج رجل في الليل لحاجة ، فوجد أعمى يحمل سراجاً ، فقال له : يا هذا ، أنت أعمى ، والليل والنهار عندك سواء ، فما معنى حملك السراج ؟ فقال : **يا فضولي** ، حملته لأعمى مثلك ، يستضيء به لئلا يعثر بي في الظلمة . (الأذكياء ١٥٠)

وغضب الرشيد على أخيه إبراهيم بن المهدي ، فقال له : **يا غبيّ** .

وسبب ذلك : إنّ عبد الله بن صالح ، أهدي إلى الرشيد فواكه في أطباق ، فقرأ الرشيد كتاب عبد الله ، وقال : برّه الله ووصله ، فقال له

إبراهيم : ما في هذا البرّ ما يستحقّ به هذا الدعاء ، فنبذ إليه كتاب عبد الله ، وإذا فيه : دخلت يا أمير المؤمنين ، بستاناً لي في داري عمرته بنعمتك ، وقد أينعت فواكهه ، فأخذت من كل شيء ، وصيّرته في أطباق قضبان ، ووجهت به إلى أمير المؤمنين ، ليصل إليّ من بركة دعائه ، مثل ما وصل إليّ من نوافل برّه . فقال إبراهيم : ما في الكتاب ما يستحقّ به هذا الدعاء ، فقال له الرشيد : يا غبيّ ، أما ترى كيف كنى بالقضبان عن الخيزران ، إعظاماً لأمّنا رحمها الله تعالى . (مروج الذهب ٢ / ٢٨٧ و ٢٨٨)

وقال رجل لأحد الخوارج ، وقد قدّر إنّه يريد الجامع : قد فاتتك صلاة الجمعة ، فقال له : يا أبله ، انّما فاتت من أدركها ، ذلك لأنّ الخارجي يرى أنّ صلاة الجمعة لا تسقط الفرض الذي هو الظهر ، راجع القصّة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ـ ٨ ص ٦٩ رقم القصّة ٢٧

١٢ ـ قولهم : يا لكع

اللكع : هو اللئيم . أو العبد ويقال للأنثى : لكاع .
وقال الأصحمي : هو العييّ بأمره الذي لا يتجّه لمنطق ولا غيره (الفاخر ص ٤١) .

تسابّ عمرو بن سعيد بن العاص، وهو الملقّب بالأشدق، وابن للمغيرة بن نوفل ، فقال عمرو : على رسلك يا لكع . (الأغاني ١٢ / ٢٢٢)

وقال أحد أشراف قريش ، لابن سريج المغنّي : اغرب عنّي يا لكع .

وتفصيل ذلك : إنّ ابن سريج المغنّي ـ مولى قريش ـ عاتبه أحد أشراف مواليه على احترافه الغناء ، وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلتَ على غيره من الآداب ، لكان أزين بمواليك وبك ، فقال له ابن سريج : جعلت فداك ، امرأتي طالق ، إن لم تدخل الدار ، فقال الشيخ : ويحك ، ما حملك على هذا ؟ فقال له أصحابه : إن لم تدخل الدار ، طلقت عليه امرأته ، فدخل وأصحابه معه ، فقال له ابن سريج : امرأتي طالق ، إن لم تسمع غنائي ، فقال له : اغرب عنّي يا لكع ، وبدر الشيخ ليخرج ، فقال له أصحابه : أتطلق امرأته ، وتحمل وزر ذلك ؟ فأقام الشيخ ، واندفع ابن سريج فغنّى : [الأغاني ١ / ٣٠٣] .

أليست بالتي قالت ... لمولاة لها ظهرا
أشيري بالسلام له ... إذا هو نحونا خطرا
أهذا سحرك النسوا ... ن قد خبّرني الخبرا

فقال الشيخ للجماعة : هذا والله حسن ، ما بالحجاز مثله ولا في غيره .

وقال أعشى همدان ، لامرأة عيّرته بالهرم : **إليك عنّي يا لكعاء**

وكان الأعشى قد غزا مع خالد بن عتّاب ، فلما قدم خالد من مغزاه ، كان الأعشى معه ، فنظرت إليه أمّ ولد خالد ، وقالت : إنّ امرأة خالد لتفاخرني بأبيها وعمّها وأخيها ، وهل يزيدون أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرتعش ، وسمعها الأعشى ، فقال لها : **إليك عنّي يا لكعاء** ، راجع القصّة في الأغاني ٦ / ٤٢ و٤٣

وقال أبو عمرو ، لرجل أبدى تعجبه من الأخطل ، وقال : نصراني كافر ، يهجو المسلمين ، فقال له أبو عمرو : **يا لكع** ، لقد كان الأخطل يجيء ، وعليه جبّة خزّ ، وحرز خزّ ، في عنقه سلسلة ذهب فيها صليب ذهب ، تنفض لحيته خمراً ، حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن (الأغاني ٨ / ٢٩٩) .

وشتمت أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك ، الحجّاج بن يوسف الثقفي ، وقالت له : **يالكع** ، في قصّة طريفة خلاصتها : إنّ الحجاج بن يوسف الثقفي ، وفد على الوليد بن عبد الملك في خلافته ، فوجده في بعض نزهه ، فاستقبله ، فلما رآه ترجّل له ، وقبّل يده ، وجعل يمشي وعليه درع وكنانة وقوس عربية ، فقال له الوليد : اركب يا أبا محمد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، دعني استكثر من الجهاد في خدمتك ، فإنّ ابن الزبير وابن الأشعث شغلاني عنه ، فعزم عليه الوليد حتى ركب ، ودخل الوليد قصره ، فتغلّل في غلالة ، ثم أذن للحجّاج ، فدخل في حاله تلك ، وأطال الجلوس عنده ، فجاءت جارية فسارّته وانصرفت ، فقال الوليد للحجّاج : أتدري ما هذا يا أبا محمد ؟ قال : لا والله ، قال : بعثت إليّ ابنة عمي أمّ البنين ، تقول : ما مجالستك هذا الاعرابي المستلئم في السلاح وأنت في غلالة ، فأرسلت إليها: انّه الحجّاج ، فراعها ذلك وقالت : والله ، ما أحبّ أن

يخلو بك وقد قتل الخلق ، فقال الحجاج : يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول ، فإنّ المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ثم نهض الحجاج ، فخرج ، ودخل الوليد على أمّ البنين ، فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت : أحبّ أن تأمره غداً بالتسليم عليّ ، قال : أفعل ، فلما غدا الحجاج على الوليد ، قال له : يا أبا محمد ، مرّ إلى أمّ البنين فسلّم عليها ، فقال : اعفني يا أمير المؤمنين من ذلك ، قال : لا بدّ منه ، فمضى الحجاج إليها ، فحجبته طويلاً ، ثم أذنت له وتركته قائماً ، ولم تأذن له بالجلوس ، ثم قالت له : ايه يا حجّاج ، أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث ، أما والله ، لولا أنّ الله علم أنّك شرّ خلقه ، ما آبتلاك برمي الكعبة ، وقتل ابن ذات النطاقين ، واما ابن الأشعث ، فقد ـ والله ـ والى عليك الهزائم ، حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك ، فأغاثك بأهل الشام ، وأنت في أضيق من القرن ، فأظلّتك رماحهم ، ولطالما نفض نساء أمير المؤمنين المسك عن غدائرهنّ ، وبعنه في الأسواق ، حتى أخرج في أزراق البعوث اليك ، ولولا ذلك لكنت أذلّ من البقّة ، واما ما أشرت به على أمير المؤمنين ، من الامتناع عن مفاكهة نسائه ، فإن كنّ ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين ، فغير مجيبك إلى ذلك ، وان كنّ يتفرجن عن مثل ما انفرجت به أمّك عنك، من ضعف الغريزة ، وقبح المنظر في الخلق والخلق ، يا لكع ، فما أحقه أن يقتدي بقولك ، قاتل الله الذي يقول ، وقد نظر اليك ، وسنان غزالة بين كتفيك :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة ... ربداء تقرع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم قالت لجواريها : أخرجنه عنّي ، فأخرجنه ، فلما دخل على الوليد ، قال له : ما الذي كنت فيه يا أبا محمد ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، ما سكتت عنّي ، حتى كان بطن الأرض أحبّ إليّ من ظهرها ، فضحك الوليد

حتى فحص برجليه ، ثم قال : يا أبا محمد انها ابنة عبد العزيز (الأذكياء ٢١٢ و ٢١٣ ، ووفيات الأعيان ٢ / ٤٤ و ٤٥ وشرح نهج البلاغة ٦ / ١٠٧ و ١٠٨ والعقد الفريد ٥ / ٤٣ و ٤٤)

وقال الحسن البصري ، لرجل ذكر أمامه علياً : **يا لكع**

وتفصيل ذلك : إنّ رجلاً ذكر علياً أمام الحسن البصري ، فقال له الحسن : **يا لكع** ، أما والله ، لقد فقدتموه سهماً من مرامي الله ، غير سؤوم لأمر الله ، ولا سروقة لمال الله ، أعطى القرآن عزائمه فيما عليه وله ، فأحلّ حلاله ، وحرّم حرامه ، حتى أورده ذلك، رياضاً مونقة ، وحدائق مغدقة ، ذلك علي بن أبي طالب **يا لكع** (البيان وَالتبيين ٢ / ١٠١)

وقال الحسن البصري لفرقد بن يعقوب : بلغني أنّك لا تأكل الفالوذج ، فقال : يا أبا سعيد ، أخاف ألاّ أؤدّي شكره .

قال الحسن : **يا لكع** ، هل تقدر أن تؤدّي شكر الماء البارد الذي تشربه ؟ (وفيات الأعيان ٢ / ٧١)

ونظرت الجمانة بنت المهاجر بن خالد بن الوليد ، إلى عبد الله بن الزبير ، وهو يرقى المنبر ، يخطب بالناس في يوم جمعة ، فقالت : يا نقّار أنقر يا نقّار ، استهانة به .

فبلغه كلامها ، فأحضرها ، وقال لها : ما الذي بلغني عنك يا لكاع ؟قالت : الحقّ أبلغتَ .

قال : فما حملك على ذلك .

قالت : لا تعدم الحسناء ذامّاً (بلاغات النساء ٤٥ و ٤٦)

ب ـ المعايرة بالصفات العارضة

١ ـ قولهم : يا فاجرة

والفجور : في الأصل الانحراف ، والعدول .
يقال : فجر عن الحقّ ، إذا عدل عنه .
صرفت إلى ارتكاب المعاصي ، فيقال لمن انقاد للمعاصي ،
على اختلاف أنواعها : فاجر .

شتم عمرو بن صبيح ، المختار وأصحابه في مجلسه ، فقال لهم : يا معشر الكفرة الفجرة . إنّكم شرار خلق الله .

وسبب ذلك : إنّ عمرو بن صبيح ، ممن اشترك في محاربة الحسين وأصحابه في موقعة الطفّ ، وأصاب سلب العباس أخي الحسين ، ورمى الحسين بسهم ، فبعث إليه المختار من أخذه ، وأحضره إلى مجلسه مقيّداً ، فقال : أما والله يا معشر الكفرة الفجرة ، لو أنّ سيفي بيدي لعلمتم أنّي بنصل السيف غير رعش ولا رعديد ، وما يسرّني أن كانت ميتتي قتلاً ، أنّه قتلني من الخلق أحد غيركم ، لقد علمت أنّكم شرار خلق الله ، ثم رفع يده فلطم عين ابن كامل ، أحد قواد المختار ، فضحك ابن كامل ، وأمسك بيده ، وقال : إنّ هذا يزعم إنّه جرح في آل محمد وطعن ، فأمر به المختار فقتل قعصاً بالرماح (الطبري ٦ / ٦٤ و ٦٥)

وخطب الحجاج بن يوسف الثقفي ، فذكر الموت والآخرة والحساب والعقاب ، فقال الحسن البصري : ألا تعجبون من هذا الفاجر ، يرقى

عتبات المنبر فيتكلّم بكلام الأنبياء ، وينزل فيفتك فتك الجبارين ، يوافق الله في قوله ، ويخالفه في فعله (شرح نهج البلاغة ٢ / ١٠٣) .

ولما أقام هرثمة بن أعين ، في السنة ١٩١ علي بن عيسى عامل خراسان المعزول للناس ، جاء أحد المتظلّمين وقال لهرثمة : أصلح الله الأمير ، إنّ هذا الفاجر أخذ منّي دَرَقَةً ثمينةً لم يملك مثلها أحد . (الطبري ٨ / ٣٣٢) .

ولما اعتقل أحمد بن إسرائيل ، في السنة ٢٥٥ ، تقلّد الحسن الدوشابي مناظرته ، فقال له : **يا فاجر** ، تظن أنّ الله يمهلك، وأنت السبب في الفتن ؟ (الطبري ٩ / ٣٩٦)

ولما عزل الموفّق ، سليمان بن وهب وولده ، عن وزارته ، واستوزر صاعد بن مخلد ، كان صاعد يحضرهما للمطالبة ، فكان يخرج سليمان وهو بطيلسان وخفّ ومبطّنة ، أما عبيد الله فيخرج حافياً ، مكشوف الرأس ، على أذلّ صورة ، وضرب مرّة عبيد الله ، بحضرة أبيه ، وسليمان يستعطفه فلا يلتفت ، فلما زاد الأمر قال له سليمان : **يا كافر** ، **يا فاجر** ، **أما تستحي** ؟ إنّا آصطنعناك ، وأقعدناك هذا المقعد ، تضربه بين يديّ ؟ سبّة عليك ، فاستحيا ، وأمر بقطع الضرب ، وواضع الموفق على أن يكون الضرب بحضرته ، وبأيدي غلمانه ، وفي داره (نشوار المحاضرة ج ٨/١٠٤ رقم القصة ٤٧)

ولما عزل الوزير بن الفرات ، عن وزارته الأولى ، نيطت مناظرته برجل شرير ، هو أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة ، وحضرت عذابه أمّ موسى القهرمانة، فآستغاث ابن الفرات من العذاب ، فقالت له أمّ موسى : **يا فاجر** ، قد صحّ عندنا أنّك أردت إخراج هذا الأمر من ولد العباس إلى ولد أبي طالب (تجارب الأمم ١ / ٨٨ و ٨٩ الحاشية)

٢ ـ قولهم : يا فاسق

الفسق : الخروج عن طريق الحق والصواب .
الفاسق : الخارج عن الطاعة إلى ركوب المعصية ، أو عن الإيمان إلى الكفر ، أخذ من فسقت الرطبة ، إذا خرجت من قشرها ، وقال قوم : الفاسق : الجائر ، واحتجّوا بقوله تعالى ﴿ إلا إبليس كان من الجنّ ، ففسق عن أمر ربّه ﴾ (شرح المقامات الحريرية ١ / ٥٩) .

وكان أبو عامر عبد عمرو بن صيفي بن مالك ، من رؤساء الأوس بالمدينة ، أبى أن يسلم ، وترك المدينة مباعداً لرسول الله صلوات الله عليه ، وأقام بمكة ، ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، وكان يعد قريشاً أن لو لقي محمداً ، لم يختلف عليه من الأوس رجلان ، فلما كانت وقعة أحد ، برز أبو عامر ونادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، فقالوا : **فلا أنعم الله بك عيناً يا فاسق** ، فلما سمع ردّهم عليه بهت ، وقال : لقد أصاب قومي بعدي شرّ (الطبري ٢ / ٥١١ و٥١٢)

وقال عمرو بن بكر الخارجي ، لعمرو بن العاص : **أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك .**

وذلك إنّ ثلاثة من الخوارج ، اتفقوا على قتل الإمام علي ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، فقتل عبد الرحمن بن ملجم الإمام علياً ، وضرب البرك بن عبد الله ، معاوية ، فأخطأه ، فقتله معاوية ، وأمّا الثالث وهو عمرو بن بكر ،

فإنّه رأى خارجة بن حذاقة ، صاحب شرطة عمرو يصلّي بالناس ، فحسبه عَمْراً ، وكان عمرو قد اشتكى فأناب عنه خارجة في الصلاة ، فضرب خارجة بالسيف فقتله ، فأخذ إلى عمرو ، ولما رآهم يسلّمون عليه بالإمرة ، قال : من هذا ؟ قالو : الأمير عمرو ، قال : فمن قتلتُ ؟ قالوا : خارجة بن حذافة صاحب الشرطة ، فقال له : أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال له عمرو : أردتني ، وأراد الله خارجة ، ثم قتله (الطبري ٥ / ١٤٩)

وشتم معاوية بن خديج السكوني المصري ، عبد الرحمن بن عبيد الله الثقفي ، ابن أخت معاوية ، فقال : هذا الفاسق .

وتفصيل ذلك : إنّ معاوية بن أبي سفيان ، ولّى في السنة ٥٨ عبد الرحمن بن عبيد الله الثقفي ، ابن اخته أمّ الحكم بنت أبي سفيان ، الكوفة ، فأساء السيرة فيهم ، فطرده أهل الكوفة ، فلحق بخاله معاوية ، فقال له : أوليّك خيراً منها ، وولاّه مصر ، فتوجّه إليها ، وبلغ خبره معاوية بن خديج السكوني ، فخرج ، فاستقبله على مرحلتين من مصر ، وقال له : ارجع إلى خالك ، فلعمري لا تسير فينا سيرتك في إخواننا من أهل الكوفة ، فرجع إلى معاوية ، وأقبل معاوية بن خديج ، وافداً فدخل على معاوية ، وعنده أمّ الحكم أخته ، فقالت : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : بخ ، هذا معاوية بن خديج ، فقالت : تسمع بالمعيدي خير من أن تراه ، فقال لها : على رسلك يا أمّ الحكم ، أما والله لقد تزوّجتِ فما أكرمتِ ، وولدتِ فما أنجبتِ ، أردتِ أن يلي إبنك الفاسق علينا ، فيسير فينا كما سار في إخواننا من أهل الكوفة ، ما كان الله ليريه ذلك ، ولو فعل ذلك لضربناه ضرباً يطاطىء منه ، وان كره ذلك الجالس (يريد معاوية) ، فالتفت معاوية إلى أخته أمّ الحكم ، وقال لها : كفّي . (الطبري ٥ / ٣١١ و٣١٢)

وفي السنة ٦٥ قصد الخوارج البصرة ، فصدّهم المهلّب بن أبي

صفرة ، وراموا من جيش المهلب غرّة ، فلم يظفروا ، فلما ذهبوا ليرجعوا ، ناداهم عبيد الله بن زياد بن ظبيان : يا أهل النار ، انّها مأواكم ومثواكم ، فقالوا له : **يا فاسق** . إنّما تدّخر النار لك ولأشباهك ، إنّها أعّدت للكافرين ، فقال لهم: كلّ مملوك لي حرّ ، ان دخلتم أنتم الجنة ، إن بقي مجوسيّ ينكح أمّه ، أو آبنته ، أو أخته ، إلاّ دخلها ، فقال له عبيدة بن هلال من متألّهي الخوارج : **اسكت يا فاسق** ، انما أنت عبد للجبار العنيد ، ووزير للظالم الكفور ، فقال له : **يا فاسق** ، أنت عدّوا المؤمن المتّقي ، ووزير للشيطان الرجيم (الطبري ٥ / ٦١٧ و ٦١٨)

وتكلّم حماد الراوية ، ففضّل الأخطل على جرير والفرزدق ، والفرزدق حاضر ، فقال لحماد : انما تفضله لأنه فاسق مثلك ، فقال : لو فضّلته بالفسق لفضّلتك (الأغاني ٨ / ٢٨٧)

وكان عمر بن عبد العزيز في مجلس سليمان بن عبد الملك ، فأتى بحروريّ ، فقال له سليمان : ماذا تقول ؟ فقال : ما أقول **يا فاسق يا ابن الفاسق** ، فقال سليمان لعمر ، ما ترى يا أبا حفص ؟ فسكت ، فقال له سليمان : أقسمت عليك لتخبرني ماذا ترى فيه ، قال : أرى أن تشتمه كما شتمك ، وتشتم أباه كما شتم أباك ، فقال سليمان : ليس إلاّ ؟ قال ليس إلاّ ، فأمر سليمان بالحروري فضربت عنقه (شرح نهج البلاغة ١٨ / ١٤٤)

وفي السنة ١٠٢ لما ولي سعيد خدينة ، خراسان ، رفع إليه أنّ جهم بن زحر الجعفي وآخرون ، كانوا ولوا ولايات أيّام يزيد بن المهلب ، وفي ذمّتهم أموال اختانوها من فيء المسلمين ، فأرسل إليهم ، فحبسهم في قهندز مرو ، ثم أمر باحضار جهم بن زحر ، فحمل على حمار ، فلما مرّوا به على الفيض بن عمران ، قام إليه فوجأ أنفه ، فقال له جهم : **يا فاسق** ، هلاّ فعلت هذا يوم أتوني بك سكران ، قد شربتَ الخمر ، فضربتك حدّاً ، فغضب سعيد

على جهم ، وضربه مائتي سوط ، ثم بسط عليه العذاب ، فقتله (الطبري ٦ / ٦٠٦)

وقالت سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف ، لعمر بن أبي ربيعة : **أخزاك الله يا فاسق .**

وسبب ذلك : إنّ عمر بن أبي ربيعة ، ذكرها في شعره ، ولما أنشدها قوله :

أسُعَيدُ ما ماء الفرات وطيبه   منّي على ظمأٍ وحبّ شراب
بألذّ منك ، وإن نأيتِ ، وقلّما   ترعى النساء أمانة الغيّاب

قالت له : **أخزاك الله يا فاسق** . (اعلام النساء ٢ / ١٩٢)

وشبّب عمر بن أبي ربيعة بعائشة بنت طلحة، فقالت له: يا فاسق [اعلام النساء ٣ / ١٥١ / ١٥٢] .

ووقعت في السنة ١٢٧ معركة بين منصور بن جمهور ، من قوّاد الجيش الأموي بالكوفة ، وبين جماعة الضحّاك بن قيس الخارج بالكوفة ، فاقبلت امرأة من الخوارج ، شادّة ، حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، وقالت له : **يا فاسق** ، أجب أمير المؤمنين ـ تريد الضحاك بن قيس ـ فضرب عنان دابته بالسيف ، فقطعه في يدها ونجا . (الطبري ٧ / ٣٢٢)

وفي السنة ١٢٧ حارب سليمان بن هشام ، مروان بن محمد ، وانكسر سليمان فأمر مروان بقتل الأسرى ، وجيء إليه بخالد بن هشام المخزومي ، من أخوال هشام بن عبد الملك ، فقال له مروان : **يا فاسق** ، أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ما يكفّك عن الخروج مع الخرّاء تقاتلني ، ثم قتله . (الطبري ٧ / ٣٢٥)

وشتمت النوار ، زوجها الفرزدق ، وقالت له : **والله لأخزينّك يا فاسق** .

وسبب ذلك : إنّ النوار ، خاصمت الفرزدق مرّة ، وأخذت بلحيته ، فخرج، وأراد أن يغيضها، فقال شعراً فضّل فيه زوجته البدوية حوراء بنت زيق

الشيباني على النوار الحضرية ، فقال :

لعمري لأعرابيــة في مـظلّةٍ ... تظلّ بروقي بيتها الريح تخفق
أحبّ الينا من ضفاكٍ ضفنّةٍ ... إذا وضعت عنها المراوح تعرق

فلما سمعت النوار ذلك ، قالت للفرزدق: **يا فاسق** ، والله لأخزينك . (الأغاني ٢١ / ٢٩٧ و٢٩٨)

وشتمت النوار ، زوجها الفرزدق ، مرة أخرى ، فقالت له : **يا عدوّ الله ، يا فاسق** .

وسبب ذلك : إنّ الفرزدق ، راود امرأةً شريفة ، فامتنعت عليه ، فتهدّدها بالهجاء ، فشكت حالها إلى النوار ، فقالت لها : واعديه ليلة ، فواعدته ، وحلّت النوار محلّها في الموعد ، ولما جاء الفرزدق ، وكان الظلام سائداً ، وقع على النوار ، وهو يحسب أنّها صاحبة الدار فلما فرغ ، صاحت النوار : **يا عدو الله ، يا فاسق** ، فأحسّ بأنه قد خدع ، فقال لها : وأنت هي ؟ يا سبحان الله ، ما أطيبك حراماً ، وأبردك حلالاً (شرح مقامات الحريري للشريشي ١ / ١٤٣)

وشتمت عزّة ، كثيراً الشاعر ، فقالت له : **أغدراً يا فاسق ؟**

وسبب ذلك : إنّ كثيراً نظر إلى عزّة ، وهي متنقّبة ، فلم يعرفها ، وتبعها ، وغازلها ، فقالت له : وهل تركت فيك عزّة بقيّة لأحد ؟ فقال لها : إنّ عزّة لو كانت أمّه لوهبتها لك، فسفرت عن وجهها، وقالت له: **أغدراً يا فاسق ؟** فأبلس وبهت ، ولم ينطق . (الأغاني ٩ / ٣٢)

وكان جرير ، إذا ذكر الفرزدق ، سماه : **الفاسق** . (الأغاني٢١ / ٣٥٦)

وقال أشعب ، لحبّى المدينيّة : **يا فاسقة** .

وسبب ذلك : إنّ أشعب سمع حبّى المدينيّة، تدعو ، وتقول : اللهم لا

تمتني حتى تغفر لي ذنوبي ، فقال لها : يا فاسقة ، أنت لم تسألي الله المغفرة ، إنّما سألته عمر الأبد ، يريد أنّ ذنوبها من الكثرة ، بحيث لا تطمع في أن يغفر الله لها (الأغاني ١٩ / ١٥٤)

أقول : حبّى المدينية ، هي صاحبة القصّة التي ناقضت فيها قصّة ذات النحيين .

أما قصة ذات النحيين ، فهي انّ خوات بن جبير الأنصاري ، جاء إلى امرأة تبيع سمناً ، فساومها ، فحلّت نحياً ، فنظر إليه ، ثم أعاده إليها ، وأمرها بأمساكه حتى ينظر إلى غيره ، وحلّ نحياً آخر ، ثم سلّمه إليها ، فشغل كلتي يديها ، وعند ذاك ، ساورها ، فلم تقدر على دفعه ، حتى قضى ما أراد وهرب (مجمع الأمثال للميداني ١ / ٣٧٦)

أمّا قصّة حبّى ، فإنّها جاءت إلى بائع سمن بالمدينة ، فحلّ لها نحياً ، فنظرت فيه ، وأعادته إلى البائع ، ثم حلّت نحياً آخر ، وسلّمته الى البائع ، فشغل كلتي يديه ، وعند ذاك ، استدبرته حبّى ، وأخذت تركل مؤخّرته ، بقدمها ، وتصيح : يا ثارات ذات النحيين .

وشتم فتى من أهل المدينة ، ابن ابي عتيق ، وأصحابه ، فقال لهم : يا فسّاق ، ما يجلسكم ها هنا ؟

وسبب ذلك : إنّ فتى من أهل المدينة ، تعشّق جارية من جواري ابن أبي عتيق ، وأخذ يتعرّض لها ، فأخبرت سيّدها بذلك ، فأمرها بأن تضرب له موعداً ، وأن تدخله إلى الدار ، وجلس ابن أبي عتيق ، ومعه جماعة من أصحابه ، ومعهم عزّة الميلاء المغنية ، وجاء الفتى ، فأدخلته الجارية سراً ، فلما آستقرا في الحجرة ، دخل عليهما ابن أبي عتيق وأصحابه ، فتحيّر الفتى ، وقال لهم : يا فساق ، ما يجلسكم هنا مع هذه المغنيّة ؟ فضحك ابن أبي عتيق ، وقال له : استر علينا ، ستر الله عليك (الأغاني ١٢ / ١٥٧)

واستأذن حاجب المهدي . لمروان بن أبي جفصة لشاعر ، فقال المهدي : لا تأذن له ، فإنّه منافق كذاب ، فكلّمه الحسن بن قحطبة ، فأذن له ، فقال له المهدي : يا فاسق ألست القائل في معن :

جبل تلوذ به نزار كلّها — صعب الذرى متمنّع الاركان

فقال : بل أنا الذي أقول فيك يا أمير المؤمنين :

يا ابن الذي ورث النبي محمداً — دون الأقارب من ذوي الأرحام

يشير إلى تقديمه على أبناء فاطمة ، فرضي عنه وأجازه (مروج الذهب ٢/٢٥٥)

ودخل القاضي شريك على المهدي العباسي ، فسلّم عليه ، فقال له : لا سلّم الله عليك ، يا فاسق ، راجع القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، رقم القصّة ٣٩٢ ج ٤ ص ٨٧ و ٨٨ .

وقال المهدي العباسي للحسين مطير : كذبت يا فاسق .

دخل الحسين بن مطير على المهدي فأنشده قوله :

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم — ما كان في الناس إلّا أنت معبود

أضحت يمينك من جود مصوّرة — لا بل يمينك منها صوّر الجود

فقال له : كذبت يا فاسق ، وهل تركت في شعرك موضعاً لأحد ، بعد قولك في معن بن زائدة :

ألمّا على معنٍ وقولا لقبره — سقيت الغوادي مربعاً ثم مربعا

أخرجوه عني ، فأخرجوه [الأغاني ١٦ / ٢٣]

أقول : أشار المهدي إلى قصيدة من عيون الشعر، رثى بها الحسين بن مطير معن بن زائدة الشيباني منها : [الأغاني ١٦ / ٢٤]

ألمّا على معن وقولا لقبره — سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا

فيا قبر معن أنت أوّل حفرة — من الأرض خطّت للسماحة مضجعا

ويـا قبـر معن كيف واريت جـوده	وقـد كان منـه البرّ والبحـر مترعـا
بلى قد وسعت الجود والجود ميّت	ولو كان حيّاً ضقت حتى تصدعـا
فتى عيش في معـروفه بعـد موتـه	كما كان بعد السيل مجراه مرتعـا
ولمّا مضى معن مضى الجود وانقضى	وأصبـح عرنين المكـارم أجـدعـا

وفي السنـة ٢٠١ ضعفت سلطة الحكومـة ببغداد ، في عهـد إبراهيم بن المهـدي ، وتسلط الفسّاق والشـطّار على البلد ، فنهض سهـل بن سـلامـة الأنصاري ، ودعا إلى الأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر ، فـأعانـه الناس ، وكفّوا الشطّار والفسّاق عن الظلم ، وكـان سهل يخـطب فيشتم حكّام بغـداد ، ويسمّيهم : **الفسّاق** ، فأخذه إبراهيم بن المهدي ، وحبسه بالمدائن سنة كاملة (الطبري ٨ / ٥٥١ ـ ٥٦٤)

ولما تحرّك الافريقي وابن عائشة ، على المأمـون ، وهما في السجن ، خرج المأمون ليلاً ، وبعث فأخرج إبراهيم بن المهدي ، وكان محبوساً في دار أحمد بن أبي خالد الأحول ، وزير المأمـون ، وقال لـه : **يا فـاسق** ، ألم يكن لـك في السابق القـديم من فعلك ، كفايـة تحولّـك عمـا كـان منـك في هـذه الليلة ، راجع القصّة مفصّلة في كتـاب الفرج بعـد الشدة للقـاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٣٤٧ ج ٣ ص ٣٢٩ ـ ٣٣٢ .

٣ ـ قولهم : يا جلف

الجلف : في الأصل ، جلد الشاة والبعير ، ثم اعتبرت الكلمة ، كلمة شتم ، لأنّها تعني أنّ المشتوم في جفائه كجلد الشاة أو البعير (الفاخر ٨٠) ، وبذلك أصبحت كلمة الجلف ، تعني الغليظ الجافي .

شتم الحجّاج الثقفي ، قطري بن الفجاءة ، فقال له : **أنت أعرابيّ جلف أمّي** .

وتفصيل القصّة : إنّ الحجّاج كتب إلى قطري ، كتاباً ، قال له فيه : إنك مرقت من الدين مروق السهم من الرمية ، ذاك إنّك عاصٍ لله ، ولولاة أمره ، غير انّك **أعرابي ، جلف ، أمّي** ، تستطعم الكسرة ، وتستشفي بالتمرة ، خرجت لتنال شبعة ، فلحق بك طغام صلوا بمثل ما صليت به من العيش .

فأجابه قطري : كتبتَ إليّ ، تذكر أنّي **أعرابيّ جلف أمّي** ، استطعم الكسرة ، وأستشفي بالتمرة ، ولعمري يا ٱبن أمّ الحجّاج ، إنّك لمتيه في جبلّتك ، مطلخمّ في طريقتك ،واهٍ في وثيقتك ، لا تعرف الله ، ولا تجزع من خطيئتك ، فالشيطان قرينك ، فالحمد لله الذي لو شاء أبرز لي صفحتك ، وأوضح لي صلعتك ، لتعلم أنّ مقارعة الأبطال ، ليس كتصدير المقال (البيان والتبيين ٢ / ٢٢٥ و ٢٢٦)

وقال محمد بن نافع لداود القيرواني ، كاتب إبراهيم بن الأغلب ، أمير إفريقية للرشيد : إنّما أنت صاحب قلم .

فقال له داود : **أنا أقتل بقلمي جلفاً مثلك** (إعتاب الكتاب ١٠٧)

وغضب الراضي ، على الأمير جعفر بن ورقاء ، فقال له : يـا اعرابي ، يا جلف ، أردت أن ترى الناس أنّك أكرم مني ؟ .

وخلاصة القصّة : إنّ الراضي لما عزل وزيره عبد الرحمن بن عيسى ، أخـا الوزيـر علي بن عيسى ، صادره على مـائة ألف دينار ، فكتب الوزيـر أبو جعفر الكرخي تقسيطاً، بدأ فيه بنفسه، ودخل إليه الأمير جعفر بن ورقاء، فسلّم إليـه الدرج ليكتب فيـه مقدار مـا يرغب في معـونة عبـد الـرحمن بـه ، فكتب بضمـان المبلغ بكامله ، مـائة ألف دينـار ، وأنفذ الـرقعة ، فلمـا رأى الراضي الرقعة ، اغتـاظ ، وقال : يـا أعرابي ، يـا جلف ، أردت أن تري النـاس أنّك أكرم مني ، وخرّق الرقعة ، وترك مطالبة الوزير (المنتظم ٦ / ٢٦٦) .

وروي الوزير أبو بكر بن زهر ، أنّه كان يومـاً في دهليز دارهم ، فـدخل عليه رجل بذّ الهيأة ، فـآزدراه ، ثم ظهر لـه من علمه مـا دفعه إلى احتـرامه ، وكان يسأل عن والد أبي بكر، فدخل إلى أبيه، وأخبره، فخـرج إليه راكضـاً، واعتذر إليه ، وقال له : يا مولاي ، اعذرني ، فوالله ، مـا أعلمني هذا الجلف إلّا الساعة . ثم عرف ان الرجل البذّ هـو أديب الأندلس وعـالمها عبـد المجيد بن عبدون (المعجب للمراكشي)

٤ ـ قولهم : يا سفلة

السفلة : السقط والغوغاء

وذكر الأصمعي إنّه شاهد كناساً خرج يحمل جرّة من حشّ (مرحـاض) وهو يقول :

وأكـرم نفسي إنّني إن أهنتها　　　وحقّك لم تكرم على أحد بعدي

فقـال له : تكـرمها بمثـل هذا ؟ قـال : نعم ، واستغني عن **سفلة مثلك** (الأذكياء ١٣٤ و ١٣٥)

وفي ليلة مقتل المتوكل ، في السنة ٢٤٧ كان أبو أحمد ابن المتوكل في مجلس المتوكل ، ولمـا دخل المتـآمرون ، صـاح بهم أبو أحمـد : **ما هـذا يا سفل** ؟ (الطبري ٩ / ٢٢٧)

وحـدث في أيّام المقتـدر ، أنّ إحدى قهـرماناته ، أحبّت شابـاً تاجـراً ، فزوّجتها بـه السيّدة أمّ المقتـدر ، وأعرس بهـا في إحدى الـدور التابعـة لـدار الخلافة ، وفي ليلة العرس ، تأخّر عليه قدومها ، وجاع ، فأكـل مضيرة ، ولم يغسـل يـده ، فلمـا قـدمَتْ ، تقـدّم منهـا فشمّت من يـده رائحـة المضيـرة ، فرفسته ، ورمت به عن المنصّة ، وقالت له : أنكرت أن تفلح ، **يا عـامي** ، **يا سفلة**، راجع القصّة، وهي قصّة من ألطف القصص، في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ٤ ص ١٧٧ ـ ١٩٠ رقم القصة ٨٨ .

وفي السنـة ٣٢٠ لما وقعت المعـركة ببـاب الشمّاسيّـة (الصليخ) بين

مؤنس والمقتدر ، هجم قوم من المغاربة والبربر ، بإشارة من علي بن يلبق ، على المقتدر ، فقال لهم : ويحكم أنا الخليفة ، فقالوا له : قد عرفناك يا سفلة ، أنت خليفة إبليس ، وقتلوه (ابن الأثير ٨ / ٢٤٢)

وشتمت مناداة ، جارية قهرمانة ابن مقلة ، الكاتب الديلمي ، أبا الحسن القمّي ، فقالت له : أنا أعلم أنّك سفلة ، بلا عهد .

وسبب ذلك : إنّ أبا الحسن القمّي ، الديلمي ، كان أعجمياً لا يحسن العربيّة ، وكان يتعشّق مناداة جارية قهرمانة ابن مقلة ، وهي صبيحة الوجه ، طيبة الغناء ، وكان مما يقترحه عليها من الأصوات :

أيا راهبي نجران ما فعلت هند ... أقامت على عهدي ، وأنّى لها عهد

فأراد يوماً أن تغنّيه له ، فقال لها : يا ستّي غنيّ لي ذاك سوت (صوت) :

أيا راهبي نجران ما فعلت هندي ... أقامت بلا عهدٍ وإنّي بلا عهد

فضحكت ، وقالت له : أعلم أنّك سفلة بلا عهد (نشوار المحاضرة رقم القصة ٧/١٣١ ج ٧ ص ٢٢٦-٢٢٧) .

وشتم مخنث ، آخر ، فقال له : يا سفل السفل ، يا طاعون ، يا ملمع ، يا أوحش من هول المطلع ، يا زحير الحاج ، يا خرا الأعلاج ، يا مصّاص الأوداج ، رأيت في بطنك ألف خراج (البصائر والذخائر ٣/١/١٢٠) .

وفي عهد السلطان مراد الثالث العثماني (ت ١٠٠٣) ، كان حسن باشا والي أرزن الروم ، وكان فرهاد باشا سر داراً على العساكر العثمانية لغزاة العجم ، وبني فرهاد باشا بعض القلاع ، فاعترض حسن باشا على المبالغ المصروفة ، وذكر أنّها مبالغ فيها ، فجرى عتاب ، أدّى إلى نزاع ، فقال فرهاد

باشا ، لحسن باشا : **أنت صبيّ** ، خارج عن الأسلوب ، **فأجابه** حسن باشا :
أنت أسود الوجه ، سفلة ، كذوب (تراجم الأعيان ٢ / ١٤١)

٥ ـ قولهم : يا شقي

الشقاء : الشدة والعسر . وضده السعادة .
والشقي كلمة شتم .

كان ابن عياش ، أبرص ، وكان أحد آل أبي معيط ماجناً شرّيب خمر ، فاجتمعا على باب ابن هبيرة أمير العراق ، وقد أمر بصلب بيان التبّان ، وهو أوّل من قال بخلق القرآن ، فسأل المعيطي ابن عياش : ما وقوفك هنا يا أبا الجراح ؟ قال : انظر إلى هذا الشقي الذي يزعم أنّه نبيّ ، فقال : وما أتى به في نبوّته ؟ فقال : وهو يعرّض به ـ إنّه قال بتحليل الخمر والزنا ، فقال : لا يقبل منه ذلك حتى يبرىء الأكمه والأبرص .

وقال الغريض المغنّي ، لمعبد : **يا شقي البخت** .

وخلاصة القصة : انّ معبد المغنّي خرج إلى مكة يريد لقاء الغريض ، وطرق عليه بابه فلم يجبه أحد ، فغنّى ببابه صوتاً ، فصاح به الغريض من داخل الدار : يا معبد المغنّي ، افهم وتلّق عنّي شعر جميل الذي تغنّي فيه ، **يا شقيّ البخت** ، ثم غنّاه بأبيات جميل التي فيها : [الأغاني ٢ / ٣٨٥ ـ ٣٨٧]

يقولون جاهد يا جميل بغزوة ... وأيّ جهاد غيرهنّ أريد
لكلّ حديث عندهنّ بشاشة ... وكلّ قتيل بينهنّ شهيد

٦ ـ قولهم : يا شيطان

الشطن : الأبعاد
وإنما سمي الشيطان ، شيطاناً ، لبعده عن الخير والحق .
ولذلك فإنّ كلّ عات متمرد يسمى : شيطاناً

وقف على الشبلي ، وهو في جامع المنصور ، غلام لم يكن ببغداد ، في ذلك الوقت أحسن وجهاً منه ، فقال له : تنحّ ، فلم يبرح ، فقال له : تنحّ يا شيطان عنّا ، فلم يبرح ، فقال له الثالثة : تنحّ ، وإلاّ خرّقت كلّ ما عليك ، راجع القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ٧ / ٣٠ ج ٧ ص ٤٨ و ٤٩ .

وكان محمد بن مطروح الأعرج ، صاحب الصلاة ، أي إمام الجامع ، وكان قومس الكاتب يصلّي خلفه ، فإذا حضرت الصلاة ، ولم يحضر قومس ، قال الأعرج لبعض القومة : أنت يا شيطان ، قل لهؤلاء الكلاب ، لا يقيموا الصلاة ، حتى يحضر هذا الخنزير ، فكان برّه في حبس الصلاة عليه ، برأ العقوق خير منه (العقد الفريد ٦ / ٤٣٥)

٧ ـ قولهم : يا فاعل ، يا صانع

يا فاعل يا صانع : كلمة تقال للشتيمة
تعني : يا صاحب الأعمال الرديئة

وشتم المتوكّل ، وزيره عبيد الله بن يحي بن خاقان ، فقال له : يا فاعل **يا صانع** (كناية عن ألفاظ الشتم) . للتفصيل راجع نشوار المحاضرة للتنوخي ج ٢ ص ١٥ رقم القصة ٢ / ٢

وقال الوزير المهلبي أبو محمد ، وزير الدولة ، لإبراهيم بن هلال الصابي : **يا فاعل ، يا صانع**

وسبب ذلك : كان الوزير المهلّبي ، يبسط أصحابه في المزاح ، في وقت الخلوة إلى أبعد غاية ، فإذا جلس للعمل ، كان وقوراً ، مهيباً ، واتّفق أن صعد يوماً من طيّاره إلى داره، ومعه إبراهيم بن هلال الصابي ، وكان قد حقنه البول وهو يشكو من سلس البول ، فقصد أحد الأخلية ، فوجده مقفلاً ، وكذلك كانت عادته في أخلية داره ، صيانة لها عن الإبتذال، فالى أن يدعو الفراش، ويحضر ، قال : متنادراً على نفسه :

فهبك طعامك آستوثقت منه   فما بال الكنيف عليه قفل

قال إبراهيم فقلت : لعمري انّه موضع عجب ، وإذا وقع الاحتياط في الأصل ، فقد استغنى عنه في الفرع ، فضحك ، وقال : أوسعتنا هجاء ، فقلت : وجدت مقالاً فقلت ، فقال لي : أسكت ، **يا فاعل ، يا صانع** (معجم الأدباء ٣ / ١٩١)

وتخاصم رجلان فأزرى أحدهما على الآخر ، فبينما هو كذلك ، إذ ضرط من شدّة غضبه وهيجانه ، فقال : وهذا أيضاً في لحيتك ، **يا فاعل ، يا صانع** (البصائر والذخائر ٤ / ١٧٩)

٨ ـ قولهم يا لئيم

اللؤم : المهانة ودناءة الأصل وشحّة النفس

وفي السنة ٦٦ حصر عبد الله بن خازم ، أمير خراسان ، بني تميم في قصر فرتنى بخراسان ، يطالبهم بدم ولده محمد الذي قتلوه ، وكان المقدّم فيهم زهير بن ذؤيب العدوي ، فلما طال عليهم الحصار ، راسلوا ابن خازم أن يتسلّم منهم الحصن ، ويتركهم ، فأبى إلاّ أن ينزلوا على حكمه ، فأبى زهير ، وقال : إنّه سوف يقتلكم ، فأبوا عليه ، ونزلوا على حكم عبد الله بن خازم ، فقتلهم جميعاً إلاّ ثلاثة ، وجيء بزهير ، فأراد عبد الله ، أن يستبقيه ويصطنعه ، فغضب ابنه موسى ، وقال له : لئن عفوتَ عنه ، لأتّكئنّ على سيفي حتى يخرج من ظهري ، فأمر بقتله ، فقال له زهير : إنّ لي حاجة ، وهي أن تقتلني على حدة ، ولا تخلط دمي بدماء هؤلاء اللئام ، فقد نهيتهم عمّا صنعوا ، وأمرتهم أن يموتوا كراماً ، فأبوا ، فأمر به ، فنحيّ ناحية ، فقتل (الطبري ٦ / ٧٧ ـ ٨٠)

ولما اشتدّت الحرب بين مروان الحمار وجند عبد الله بن علي بقيادة عامر بن إسماعيل ببوصير من أرض مصر ، فرّ عن مروان ولداه عبد الله وعبيد الله ، فلما كان من الغد بلغهم أنّه قتل ، فبكى عبد الله ، فقال له أخوه عبيد الله : **يا ألأم الناس** ، فررت عنه وتبكي عليه (العقد الفريد ٤ / ٤٧٠)

وقال أبو الأغر ، شاتماً : **يا ألأم الناس ، وأوضعهم** .

وتفصيل القصّة : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل ، يقال له عروة بن مرثد ، نزل ببني أخت له في سكة بني مازن ، وبنو أخته من قريش ، فخرج رجالهم إلى ضياعهم في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلّين في المسجد ، فجاء كلب ، فدخل في أحد البيوت ، وانصفق الباب ، وسمعت إحدى الإماء الحركة ، فظنّت أنّ لصّاً في الدار ، فذهبت إلى أبي الأغرّ عروة ، وليس في الحيّ رجل غيره ، فأخبرته ، فقال أبو الأغر : ما يبتغي اللصّ منّا ؟ ثم أخذ عصاه ، وجاء حتى وقف على باب البيت ، فقال : إيه ، **يا ملأمان** ، أما والله ، إنّي بك لعارف ، وإنّي بك أيضاً لعارف ، فهل أنت إلّا من لصوص بني مازن ، شربت حامضاً خبيثاً ، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك، منّتك نفسك الأماني ، وقلتَ : أقصد دور بني عمرو ، والرجال خلوف ، والنساء يصلّين في مسجدهنّ ، فأسرقهنّ ، سوءة والله ، ما يفعل هذا الأحرار ، لبئس ، والله ـ ما منّتك نفسك ، فاخرج ، وإلّا دخلت عليك ، فصرمتك منّي العقوبة ، لأيم الله ، لتخرجنّ ، أو لأهتفنّ هتفة مشؤومة عليك ، يلتقي فيها الحيّان عمرو وحنظلة ، ويصير أمرك إلى تباب ، وتجيء سعد بعدد الحصى ، ويسيل عليك الرجال من ها هنا وها هنا ، ولئن فعلتُ ، لتكوننَّ أشأم مولود في بني تميم ، فلما رأى إنّه لا يجيبه ، أخذه باللين ، وقال : اخرج يا بنيّ ، وأنت مستور ، إنّي ـ والله ـ ما أراك تعرفني ، ولو عرفتني ، لقد قنعت بقولي واطمأننت إليّ ، أنا عروة بن مرثد ، أبو الأغرّ ، وأنا خال القوم ، وجلدة ما بين أعينهم ، لا يعصونني في أمر ، وأنا لك بالذمة كفيل خفير ، أصيّرك بين شحمة أذني وعاتقي ، فلا تضارّ، فاْخرج ، فأنت في ذمتي ، وعندي قوصرتان ، أهداهما إليّ ابن أختي البار الوصول ، فخذ إحداهما ، فانتبذها حلالاً من الله تعالى ، ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وكان الكلب كلما سمع الكلام أطرق، فإذا سكت ، وثب يريغ المخرج ، فتهانف الأعرابي ، ثم قال :

يا ألأم الناس وأوضعهم ، إلا يأني لك أنا منذ الليلة في واد ، وأنت في واد ، إذا قلت لك السوداء والبيضاء ، تسكت وتطرق ، فإذا سكتّ عنك تريغ المخرج ، والله ، لتخرجن بالعفو عنك ، أو لألجن البيت بالعقوبة عليك ، فلما طال وقوفه ، جاءت جارية وقالت : أعرابي مجنون ، والله ما أرى في البيت شيئاً ، ودفعت الباب فخرج الكلب شدّاً ، فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً ، وكفانا حرباً . (الحيوان ٢ / ٢٣١ - ٢٣٣)

٩ ـ قولهم : كذبت

الكذب : الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو ، مع العلم به ، وهو ضد الصدق .
ويقال : كذبت العين : إذا خانها حسّها ، فأرت صاحبها ما لا حقيقة له . قال الشاعر:

كذبتك عينك أم رأيت بواسطٍ خلل الظلام من الرباب خيالا

وقال زياد بن أبيه ، لعبد الله بن الأهتم : كذبت .

وتفصيل ذلك : إنّ زياد بن أبيه ، لما قدم البصرة ، عاملاً عليها لمعاوية بن أبي سفيان ، في السنة ٤٥ خطب الناس خطبته البتراء سميت بذلك لأنّه لم يبدأ فيها بحمد الله ، فلما انتهى من خطبته ، قام إليه عبد الله بن الأهتم ، وقال : أشهد ، أيّها الأمير ، إنّك قد أوتيت الحكمة وفصل الخطاب ، فقال له زياد : كذبت ، ذاك نبيّ الله داود عليه السلام (الطبري ٥ / ٢٢١)

لما قتل الحسين الشهيد عليه السلام ، في وقعة الطفّ ، صعد عبيد الله بن زياد المنبر ، وقال : الحمد الله الذي أظهر الحق وأهله ، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه ، وقتل الكذّاب بن الكذّاب ، الحسين بن علي وشيعته ، فلم يفرغ من مقالته حتى وثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي ، فقال له : يا ابن مرجانة ، إنّ الكذّاب بن الكذّاب ، هو أنت وأبوك ، والذي ولّاك وأبوه ، فقال عبيد الله بن زياد : عليّ به ، فوثب فتية من الأزد فانتزعوه من الشرط ، وأخذوه إلى أهله ، فأرسل إليه عبيد الله من أتاه به ، فقتله ، وصلبه بالسبخة (الطبري ٥ / ٤٥٨ و ٤٥٩)

وغضب المنصور ، على معن بن زائدة الشيباني ، لما وّلاه اليمن لبذله

الأموال ، فبعث إليه وفداً يسلّون سخيمته فلما كلّمه أوّلهم ، وامتدح معناً ، قال له المنصور : كذبت ولؤمتَ ، راجع القصّة في الطبري ٨ / ٦٥ و ٦٦

ودعا المنصور ، أبا حنيفة ، لتولى القضاء ، فامتنع ، وقال : لا أصلح ، قال : كذبت ، فقال أبو حنيفة : فقد حكمتَ أنّي لا أصلح ، لأنّي إن كنت كاذباً فلا أصلح للقضاء ، وإن كنتُ صادقاً ، فقد أخبرتكم أنّي لا أصلح . (النجوم الزاهرة ٢ / ١٤)

وقال الرشيد للفضل بن الربيع في بعض ما كلّمه به : كذبتَ ، فقال : يا أمير المؤمنين : وجه الكذاب لا يقابلك ولسانه لا يقاولك (البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٧٥٧)

ولما مرض الإمام الشافعي ، مرضه التي مات فيه سنة ٢٠٤ ، جاء محمد بن عبد الحكم ينازع أبا يعقوب البويطي في مجلس الإمام الشافعي ، فقال البويطي : أنا أحقّ به ، وقال ابن عبد الحكم : أنا أحقّ به . فجاء أبو بكر الحميدي ، فقال : قال الشافعي ، ليس أحد أحقّ بمجلسي من يوسف بن يحيى ، وليس أحد من أصحابي أعلم منه ، فقال له ابن عبد الحكم : كذبت فقال له الحميدي : كذبتَ أنت ، وكذب أبوك ، وكذبت أمّك ، فغضب ابن عبد الحكم ، وترك مجلس الشافعي ، فجلس فيه البويطي (وفيات الأعيان ٧ / ٦٣) .

وقال أمير بغداد إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، لأحد أتباعه : كذبت .

وسبب ذلك : إنّه طالب إسحاق بزيادة في رزقه ، فقال له : كم عيالك ؟ فذكر له العدد ، وزاد فيه ، فقال له : كذبت ، فبهت ، وتحيّر ، ولم يدر كيف علم إسحاق بكذبه ، ثم رفع إليه رقعة أخرى ، ذكر فيها العدد الصحيح ، فقال له : صدقت (التاج ١٧١) .

أقول : كان أسحاق بن إبراهيم المصعبي ، أشدّ الناس بحثاً عن

الأسرار ، عظيم الفحص عن أحوال الرعية ، حتى أنّ أحد أصحابه ، ذكـر إنّه كلّمـه بشأن امـرأة من بعض أهله ، وسألـه النـظر لهـا ، فحـدّثـه إسحـاق عن المرأة ، وعن أحوالها حتى بهت لمقدار معرفته بها .

وفي السنـة ٢٩٦ اجتمـع القـواد والفضـاة والكتـاب والـوزيـر على خلع المقتدر ، وتولية ابن المعتزّ ، وبايعوه ، ولكنّ غلمان المقتدر هاجموا ابن المعتزّ وأصحـابه فتفرّقـوا ، وكـان ابن عمرويه صـاحب الشرطـة ، ممن بـايـع ابن المعتز ، فلما رأى انقـلاب الحال ، جمـع قسمـاً من أصحـابـه ونـادى بشعـار المقتـدر ، يدلّس بـذلك ، فنـاداه العامـة : يا مـرائي ، يا كـذاب ، وقاتلوه ، فهرب وإستتر (ابن الأثير ٨ / ١٧) .

١٠ ـ قولهم : يا عيّار

عار الفرس : انفلت من صاحبه ، وأخذ يجيء ويذهب .

والعيّار : تعبير بغدادي ، يراد بـه الشخص المفلت الزمـام ، الذي لا يهتمّ بأمور معيشته ، بل يعيش كيفما اتّفق ، ولا يتقيّد بما تعارف عليه الناس ، وهو أشبه بما يسمّونه اليوم بالهيبيّين .

وقد ظهرت هذه الكلمة في بغداد، عند حدوث الفتنة التي سبّبها الخلف بين الأخوين ، الأمين والمأمون ، لما حـاصر جيش المـأمون بقيـادة طاهـر بن الحيسن بغـداد ، فتـألّف لـلأمين جيش من أعجب الجيـوش التي أبصــرتهـا بغداد ، جيش العيّارين وأهل السجون ، وكـانوا في معـونة الأمين في الحـرب التي نشبت في السنـة ١٩٧ فقد كانـوا يقاتلون عـراة ، في أوسـاطهم التبـابين والميارز ، واتّخذوا لرؤ سهم دواخل من الخوص وأسموهـا الخوذ ، ودرقـاً من الخوص والبواري قد قيّرت وحشيت بالحصى والرمـل ، على كلّ عشـرة منهم عريف، وعلى كلّ عشرة عرفاء، نقيب، وعلى كلّ عشرة نقباء قائد، وعلى كلّ عشـرة قوّاد أمير، ولكلّ ذي مـرتبة من المـركـوب على مقـدار مـا تحت يـده ، فـالعريف ، لـه أناس يـركبهم (أي من البشر) غيـر ما ذكـرنـا من المقـاتلة ، وكـذلـك النقيب ، والقـائـد ، والأميـر ، ونـاس عـراة قـد جعلوا في أعنـاقهم الجلاجل والصـوف الأحمر والأصفـر ، ومقاود قـد اتخذت لهم ولجم وأذنـاب من مكـانس ومذابّ، فيـأتي العريف ، وقـد ركب واحداً ، وأمـامه عشـرة من المقاتلة على رؤ سهم خوذ الخـوص ودرق البواري ، ويـأتي النقيب والقائـد ،

والأمير ، كذلك ، وتقف النظّارة ينظرون إلى حربهم مع أصحاب الخيول الفرّه ، والجواشن ، والدروع ، والتجافيف ، والسواعد ، والرماح ، والدرق التبّتيّة (مروج الذهب ٣ / ٣١٨ و ٢١٩) .

وكان العيّارون يحاربون عراة ، ولهم مخالي يضعون فيها الحجارة التي يرمون بها ، وخوذ من الخوص ، ودرق من الحصر والبواري ، ورماح من القصب، وأعلام من الخرق، وبوقات من القصب، وقرون البقر(مروج الذهب ٢ / ٣٢٢) .

وقال الشاعر في وصف العيّارين ، في حرب الأمين والمأمون : [الطبري ٨ / ٤٥٨] .

خرّجت هذه الحروب رجالاً — لا لقحطانها ولا لنزار
معشراً في جواشن الصوف يغدو — ن إلى الحرب كالأسود الضواري
وعليهم مغافر الخوص تجزيـ — ـهم عن البيض والتراس البواري
واحد منهم يشدّ على ألـ — ـفين عريان ماله من إزار
ويقول الفتى إذا طعن الطعـ — ـنة خذها من الفتى العيّار

وقال الشاعر البغدادي ، من قصيدة في وصف بغداد ، عند حرب الأمين والمأمون :[الطبري ٨ / ٤٥١] .

بغداد أسواقها معطّلة — يستنّ عيّارها و عائرها
أخرجت الحرب من سواقطها — آساد غيل غلباً تساورها
من البواري تراسها ومن الـ — ـخوص إذا آستلأمت مغافرها
تغدو إلى الحرب في جواشنها — الصوف إذا ما عدت أساورها

وفي السنة ٢٥١ لما نشبت الحرب بين المستعين ، ببغداد ، وجيش المعتزّ المحاصر بغداد ، أمر محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، أن يفرض فرضٌ من العيّارين ، وأن يجعل عليهم عريف ، وتعمل لهم تراس من

البواري المقيّرة ، وأن تعمل لهم مخالي تملأ حجارة ، فكان الرجل منهم يقوم خلف البارية ، فلا يرى منها ، وكان العريف على أصحاب البواري المقيّرة من العيّارين ، رجلاً يقال له : أبا جعفر بنتويه (الطبري ٩ / ٢٨٨) ، ثم وجد الأمير ابن طاهر ، أنّ العيّارين يحضرون الحرب بغير سلاح ، ويكتفون بالرمي بالآجر ، فأمر أن تتّخذ لهم كافركوبات (نبابيت) ، وأن تدقّ فيها مسامير الحديد ، وسلّمت إلى العيّارين ، وجعل عليهم رؤساء أربعة ، إضافة إلى بنتويه وهم : دونل ، ودمحال ، وأبو نملة ، وأبو عصارة (الطبري ٩ / ٣٠٩) .

ثم أنّ محمد بن عبد الله بن طاهر ، أمير بغداد ، أمر أن يتخّذ لعيّاري أهل بغداد كافركوبات (تسمى الآن ببغداد دونكيات ، مفردها دونكي ، اصطلاح أحسبه قد نقل عن الإنكليزية في عهد الإحتلال الإنكليزي لمدينة بغداد) ، وأن يصيّر فيها مسامير الحديد ، ووزّعها على العيّارين ، لأنهم كانوا يقاتلون بالرمي بالآجر ، ويحضرون الحرب بغير سلاح ، وكان راس العيّارين أبا جعفر بنتويه الذي ظل رئيساً على عياري الجانب الغربي إلى انتهاء الفتنة ، ولهم رؤساء آخرون منهم دونل ، ودمحال ، وأبو نملة ، وأبو عصارة ، ولما أعطي العيارون الكافركوبات ، تفرّقوا على أبواب بغداد ، فقتلوا من الأتراك ومن أتباعهم نحواً من خمسين نفساً في ذلك اليوم ، وقتل منهم عشرة أنفس ، وجرح منهم خمسمائة بالنشاب ، وأخذوا من الأتراك علمين وسلّمين (الطبري ٩ / ٣٠٩) .

وكان من جملة العيّارين ببغداد ، غلام لم يبلغ الحلم ، سلاحه حجارة في مخلاته ، ومقلاع في يده ، وكان يرمي فلا يخطىء وجه من يرميه ، وتصدّى له أربعة من فرسان الأتراك الناشبة ، يرمونه ، فيخطئونه ، وجعل يرميهم فلا يخطىء ، وتقطّرت بهم دوابّهم من جراء رميه ، فمضوا وعادوا

بأربعة من المغاربة الرجّالة بالرماح والتراس ، وحملوا عليه بأجمعهم ، فرمى بنفسه في الماء ، وعبر ، ففاتهم (الطبري ٩ / ٣١٣) .

وشتم أحد غلمان العباس بن خالد البرمكي ، فتى جاء يطلب رفد العباس ، فقال عنه : هذا **فتى عيّار** .

قال أحمد بن أيمن : كنت أكتب في حداثتي للعبّاس بن خالد البرمكي ، وكان طويل اللسان ، مخشيّ الغضب ، فإنّي لجالس بين يديه في داره بمدينة السلام ، حتى دخل علينا شاب حسن الصورة ، رثّ الهيأة ، فأكبّ عليه ، فقال له العباس : ألست ابن فلان صديقنا ؟ فقال : نعم يا سيّدي ، فقال : كان أبوك حسن الظاهر جميل الهيأة ، فما الذي بلغ بك إلى ما أرى ؟ فقال : كان تجّمله أوفى من عائدته ، وتوفّي ، فكنت أتبلّغ بما يستعمله الموفي على جاهه ، إلى أن خان طبعي البارحة ، ولم أطق ستر ما بي فقصدتك ، فدعا بمائة درهم ، وقال له : تصّرف بهذه ، إلى أن أنظر لك في عائد عليك من الشغل ، فلما قام من عنده ، قال لغلام يثق به : قصّ أثر هذا الفتى ، فانظر ما يبتاعه بهذه الدراهم ، وأحصه عليه حتى يدخل منزله ، وآعرف المنزل ، وصر إليّ ، فرجع الغلام إليه ، وقال له : يا سيّدي هذا **فتى عيّار** ، ابتاع بنيّف وثلاثين درهماً سميذاً ، وسكراً ، وعسلاً ، ولحماً كثيراً ، وحوائج الأعراس ، وأخذ طبّاخاً من طبّاخي الأعراس ، وأحسب أنّ عنده دعوة ، وقد عرفت منزله ، فلم تمض إلاّ أيّام يسيرة ، حتى وافى الفتى ، فأعرض العباس عنه ، واستثقل وجوده، فقال له الفتى : يا عميّ ، ويا سيّدي ، ليس يشبه هذا اللقاء ما لقيتني به في الأولى ، فقال له : كنت في الأولى راجياً لصلاحك ، وأنا اليوم آيس منه ، فقال : وكيف ظننت ذلك ؟ قال : أخبرني غلامي أنّك أنفقت إلى أن بلغت منزلك ، نيّفاً وثلاثين درهماً ، وكان حقّك أن لا تزيد على ثلاثة دراهم ، فقال له : لو عرفت خبري لقدّمت عذري ، قال : ما

خبرك ؟ قال : كنت ـ مع تضايق حالي ـ أمسك نفسي عن المسألة ، واقتصر وأهلي على البلغة ، وأنا ساكن ، وأهلي ، في ظهر دار فلان ، وهو رجل ظاهر اليسار من التجار ، وكانت له طاقات في مطبخه تفضي إلى منزلي ، فأولم وليمة لا أشك في حضورك إيّاها ، فشرق منزلي بروائح الأطعمة ، وكانت الصبيّة من صبياني تخرج فتقول : رائحة جدي يشوي ، وأخرى تقول : رائحة نقانق تقلى ، وهذه تقول : يا أبة ، اشتهي من هذا الفالوج الذي قد شاعت رائحته لقمة ، وأقوالهم تقرّح قلبي ، وأمّلت أن يدعوني ، فأتحمل التزليل لهم ، فوالله ما رآني أهلاً لذلك ، فقلت : لعلّه ، إذ نقصت عنده عن منزلة من يدعون، أن يبعث إليّ، فوالله ما فعل، فبتّ بليلة لا يبيت بها الملدوغ ، وأصبحت في الغداة ، فكنت أوثق في نفسي من سائر من بمدينة السلام ، فلما أعطيتني تلك الدراهم ، اشتريت بها حوائج أصلح منها ما آشتهوه ، فأكلوا منه أيّاماً ، وهم يدعون الله أن يحسن إليك ، وأن يخلف عليك ، فقال له العباس : أحسنت ، بارك الله عليك ، ثم صاح : يا غلمان ، أسرجوا لي ، ولبس ثيابه ، وركب وركبتُ معه ، ودخل إلى صاحب الصنيع (أي التاجر صاحب الوليمة) ، فقال له : دعوتني وجماعة من وجوه بغداد ، إلى طعام مقتنا الله عليه ، وعرّضت نعمتنا للزوال ، وأنفسنا إلى آخترام الأعمار ، وقصّ قصّة الفتى ، وقال : عزمت على أن أصدق كلّ من حضر وليمتك ، ويكون ذلك سبباً لتخلّف الناس عنك ، والإمساك عن إجابة دعواتك أخرى الليالي ، فقال له : أنا أفتدي ذلك بخمسمائة دينار ، فأخذها منه ، ثم ركب إلى جماعة ، وقال لهم : أعطوني في معونة رجل من أبناء النعم اختلّت حاله ، فأخذ منهم خمسمائة دينار أخرى ، ورجع إلى منزله ، والفتى لم يبرح منه ، فسأله : فيم يهشّ إليه من التجارة ؟ فقال : صناعة الأنماط ، فإنّها صناعة أسلافنا ، ومن بها يعرف حقوقنا ، فدعا برجل من أهل الصناعة ، وأخرج إليه الألف دينار ، وقال له : هذا المال لهذا الفتى ، فليكن في دكانك ، وآشتر له بها ما يصلح من المتاع ، وبصّره بتجارته ، ثم قال

للفتى : إحذر أن تنفق إلاّ من ربح ، فانصرف الفتى ، وقد ردّ عليه ستره ، وأثمرت بضاعته ، واتّصلت أرباحه ، ودخل في جملة التجار (المكافأة ١٦٧ ـ ١٧٢) .

وروى أبو القاسم سليمان بن الحسن : أنّ أبا العباس بن الفرات ، قصّ عليهم أخبار عّدة من الكتاب ، كانت فيهم حدّة ، وإنّ أحمد بن الخصيب كان يركل المتظلّمين وأبو عبّاد يضربهم بالمقرعة ، وكان أحمد بن أبي خالد يشتمهم ، ونسي أبو العباس نفسه ، وكانت فيه حدّة وسفه لسان ، فلما كان من غد ، لقيه في الطريق متظلّمون ، تظلّموا إليه ، فصاح عليهم ، وشتمهم ، وبصق في وجوههم ، ورفسهم برجله وهي في الركاب ، وقنّعهم بالمقرعة ، وكان سليمان راكباً على فرسه وراءه ، فلما رأى ذلك ضحك ، فسمع أبو العباس قهقته ، فالتفت إليه ، وقال له : من أي شيء ضحكت **يا عيّار** ؟ راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، في القصة رقم ٨ / ٣٥ ج ٨ ص ٨٣ و ٨٤.

وقال القاضي ابن قريعة ، للكاتب أبي إسحاق الصابي ، في مجلس الوزير المهلّبي : **يا عيّار** نصبت لي مكيدة ، فنفعني الله بها ، وخلاصة القصّة أنّ الصابي ، أنشد في مجلس المهلبي ، أرجوزة للعماني الشاعر ، فاستحسنها القاضي ، وسأل عمن نظمها ، فقال : هي من نظم أبي العباس بن درستويه ،وكان ابن درستويه جاهلاً متخلفاً ، فدماً ، ناقصاً ، ولكنّه متقدّم في دولة بني بويه ، وصدّق القاضي القصّة ، فبكّر من غده إلى ابن درستويه وقال له : كنّا البارحة في مجلس الوزير ، وأنشدنا صديق للشيخ أرجوزة ، من أراجيزه ، فجئت لآخذ عن الشيخ ما ينشدنيه من فيه ، فلم يفهم ابن درستويه ما يقول ، ونادى ولده أبا نصر ، وكان في الجهل شراً منه ، فلما أعاد القاضي عليه الكلام ، قال لأبيه ، بالفارسيّة : القاضي يطلب خرقاً يعمل منها قلنسوة ، فقال الأب : السمع والطاعة ، واستدعى خازنه ، وأمره باحضار ما

عنده من بقيّة الثياب ، فأحضر رزمة كبيرة ، فيها نحو مائة خرقة من فاخر الثياب من ديباج وسقلاطون ووشي ، ففطن القاضي ، وأخذ عشر خرق تساوي عشرين ديناراً ، ووضعها في كمه ، ونهض ، وقال : أحسن الله جزاء الشيخ ، وأطال بقاءه، ولاعدمناه ، وراح القاضي في ذلك اليوم إلى دار الوزير أبي محمد ، فلما اجتمعوا بين يديه على رسمهم ، قال القاضي للصابي : يا عيّار ، نصبت لي مكيدة ، فنفعني الله بها ، وشرح ما جرى له مع ابن درستويه ، وأخرج الخرق من كمّه ، فأراها لهم ، ثم ردّها إلى كمّه ، فضحك المهلّبي حتى فحص برجليه ، وضحكت الجماعة (الهفوات النادرة ٣٢٤ و٣٢٧) .

أقول : يظهر من طريقة استعمال هذه الكلمة ، إنّها لم تكن كلمة شتم موجعة ، بدليل أنّ صاحب الديوان ، قالها لأحد كتابه وهو أثير عنده ، وأنّ القاضي ، قالها لصاحب ديوان الرسائل ، وهو صديقه ، وفي مجلس الوزير .

١١ ـ قولهم : يا خائن

الخائن : من اؤتمن فلم ينصح .

وغضب المأمون ، على يحيى بن خاقان ، كاتب الحسن بن سهل ، فقال له : **يا خائن** .

وخلاصة القصة : انّ يحيى بن خاقان ، كان يكتب للحسن بن سهل ، لما كان الحسن يقود جيوش المأمون في العراق ، وكان من جرّاء اشتعال الفتن في العراق ، أن تعرقلت أمور الجباية ، فاتّهم المأمون ، يحيى بن خاقان ، بأنّه احتجن جزءاً من مال الجباية لنفسه ، فطالبه بمائة ألف ألف درهم ، ثم نزل معه إلى اثني عشر ألف ألف درهم ، حلف انّه لا يرضى بأقلّ منها ، فسأل يحيىٰ أركان الدولة أن يعينوه فأعانوه ، وبعث إليه كلّ واحد منهم جزءاً ، فكتب إلى المأمون بحصول المبلغ في يده ، فأحضره ، وقال له : **يا خائن** ، الحمد لله الذي أظهر لي كذبك ، وبيّن لي خيانتك ، ألم تذكر لي انّك لا تملك المبلغ ؟ فأراه الرقعة وذكر له أسماء الذين أعانوه ، ومقدار ما أعانوه به ، فأمر المأمون بردّ ما أدّوا إليهم ، وأعفى يحيى من المطالبة ، راجع القصة مفصلة في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي ، رقم القصة ٢٦٦ ج ٣ ص ٥٣ و ٥٥ .

ويحيى بن خاقان، أحد مشايخ الكتّاب في الدولة العباسية، كان يكتب للحسن بن سهل ، في أيّام المأمون ، وكان اليه ديوان الخراج في أيّام المتوكل (الديارات ١٥٥) ، وهو أخو الفتح بن خاقان وزير المتوكل (الملح

والنوادر ٣٣٢) ووالد عبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وزير المتوكل (الديارات ١٥٤ و١٥٥) ، وتوفّي في السنة ٢٤٠ فكتب المتوكل إلى اخيه عبد الرحمن بن خاقان ، وكان يلي البصرة ، يعزّيه (البصائر والذخائر ١ / ٣٥٩) .

١٢ ـ قولهم : يا ماجن

والمجون : قلّة الحياء

شتم القاضي شريك ، الربيع حاجب المهدي ، فقال له : **يا ماجن** .

وتفصيل القصة : انه كانت بين شريك القاضي ، والربيع حاجب المهدي ، معارضة ، فكان الربيع يحمل عليه المهدي ، فلا يلتفت إليه ، حتى رأى المهدي في منامه شريكاً القاضي مصروفاً وجهه عنه ، فقصّ رؤياه على الربيع ، فقال له : يا امير المؤمنين ، إنّ شريكاً مخالف لك ، وهو فاطميّ ، فقال له شريك : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ان تكون غير فاطميّ ، إلّا أن تعني فاطمة بنت كسرى ، قال : لكنّي أعني فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : أفتلعنها يا أمير المؤمنين ؟ قال : معاذ الله ، قال : فما تقول فيمن يلعنها ؟ قال : عليه لعنة الله ، قال : فالعن هذا ـ يعني الربيع ـ فإنه يلعنها ، قال الربيع : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما ألعنها ، فقال له شريك : **يا ماجن** ، فما ذكرك لسيّدة نساء العالمين ، وابنة سيّد المرسلين في مجالس الرجال ؟ قال المهدي : دعني من هذا ، فانّي رأيتك في منامي كأنّ وجهك مصروف عنّي وقفاك اليّ ، وما ذلك إلا لخلافك علي ، ورأيت في منامي كأنّي اقتل زنديقاً ، قال شريك : إنّ رؤياك يا أمير المؤمنين ليست برؤيا يوسف الصّديق ، والدماء لا تستحلّ بالأحلام ، وعلامة الزندقة بيّنة ؟ قال : صدقت ـ والله ـ يا أبا عبد الله ، أنت ـ والله ـ خير من الذي حملني عليك (العقد الفريد ٢ / ١٧٨ و١٧٩) .



الفصـل الرابع

ألفاظ مختلفة في الشتم

يشتمل الفصل على قسمين :

القسم الأول ـ تسمية المشتوم ، بـاسم حيوان ، كالكلب أو الحمـار أو التيس .

القسم الثـاني ـ مجمـوعـة ألفـاظ في الشتيمـة ، مما لا يـدخـل تحت شمول الأبواب السابقة .



القسم الأول

تسمية المشتوم باسم حيوان

الكلب : في اللغة : كلّ سَبُع يعضّ .
وجمعه كلاب وأكلب ، وجمع الجمع : أكالب ، وكلابات .
وغلب على الحيوان النابح المعروف .
يقال : كفّ عنه كلابه ، أي ترك شتمه وأذاه .

والبغداديون ، يلفظون الكلمة بالجيم الفارسية ، فيقولون : چلب ، ويجمعونها على : چلاب ، وچلابات .

وما زالت هذه الكلمة في بغداد من ألفاظ الشتيمة .

وفي معركة عين شمس ، بمصر ، في سنة ٢٠ كان القائد عمرو بن العاص ، يذمّر جنده من المسلمين ، ويحمّسهم، فقال له رجل من أهل اليمن : إنّا لم نخلق من حجارة ولا حديد ، فصاح به عمرو : اسكت يا كلب ، فقال له : أنت إذن أمير الكلاب (الطبري ٤ / ١١) .

وفي موقعة دير الجاثليق ، بمسكن ، في المعركة التي دارت بين عبد الملك بن مروان ، ومصعب بن الزبير ، تقدم عبيد الله بن زياد بن ظبيان ، إلى المصعب ، وطلب أن يبارزه ، فقال له المصعب :أعزب يا كلب ، مثلي يبارز مثلك (ابن الأثير ٤ / ٣٢٨ والأغاني ١٩ / ١٢٥)

وفد جرير على هشام بن عبد الملك ، فقال الحضرمي : أيّكم يشتمه ؟ فقالوا : ما أحد يقدم عليه ، قال : فأنا أشتمه ، ويرضى ويضحك ، قال : فقام إليه ، فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم ، قال : فلا قرّب الله دارك ، ولا

حيًا مزارك **يا كلب** ، فجعل جرير ينتفخ ثم قال له : رضيت ، في شرفك ، وفضلك ، وعفافك ، أن تهاجي هذا القرد العاجز - يعني الفرزدق - فضحك (الحيوان ٤ / ٦٤) .

وأراد الهادي العباسي ، أخاه هارون ، على خلع نفسه من ولاية العهد ، ليبايع ولده ، فكان يحيى البرمكي يمنع هارون من أن يخلع نفسه ، وعلم الهادي بصنع يحيى ، فاستدعى أحد قوّاده وقال له : قد تأذّيت بهذا **الكلب الملحد** ، يحيى بن خالد ، راجع القصة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدّة للتنوخي - تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٢٥٦ ج ٣ ص ١٩ - ٢٢ .

وغضب الواثق على إسحاق الموصلي المغني ، فقال له : **يا خوزي ، يا كلب** .

وسبب ذلك إنّ المعتصم لما خرج إلى عمورية ، استخلف ولده الواثق ، بسرّ من رأى ، فجلس الواثق ، ذات يوم مجلساً جمع فيه الندماء والمغنّين ، وبدأ الواثق ، فغنّى ، وغنّى من بعده ، فامتنع اسحاق عن الغناء ، فغضب الواثق ، فقال له : **يا خوزيّ** ، **يا كلب** ، أتنزّل لك ، وأغنّي ، وتترفّع عليّ ، إبطحوه ، فبطح ، وضرب ثلاثين مقرعة . (الأغاني ٩ / ٢٩٨) .

وتكّلم مرة هارون بن عبيد الله قاضي مصر ، في مجلس أمير مصر في قضّية ، فآعترض عليه أحمد بن محمد بن أسباط ، فقال : من هذا الغلام ؟ فأخبره كاتبه ، فالتفت إليه ، وقال له : لعلّك **يا كلب** تتكلّم ، لقد هممت أن لا أقوم من مجلسي حتى يضرب ظهرك ، فأمر الأمير بإخراج أحمد من المجلس . (القضاة للكندي ٤٤٥) .

وفي السنة ٢٤٧ لما هجم الأتراك المتآمرون على المتوكّل ، وقف الفتح بن خاقان في وجوههّم ، وصاح بهم : وراءكم ، **يا كلاب** (الطبري ٩ / ٢٢٨ وتجارب الأمم ٦ / ٥٥٦) .

ولما قتل المتوكل في السنة ٢٤٧ ، وبويع المنتصر ، أجتمع الجند والشاكريّة والغوغاء والعوامّ ، بباب العامّة ، وتكلّموا في أمر البيعة ، فخرج إليهم زرافة ، فأبلغهم عن المنتصر ما يحبّون ، فأسمعوه ، فخرج إليهم المنتصر ، فصاح بهم : يا كلاب ، خذوهم ، ففرّ المجتمعون ، وتدافعوا ، فمات منهم ستة نفر من الزحمة والدوس . (الطبري ٩ / ٢٣٩) .

ولما قتل المتوكل ، وبويع المنتصر ، أحضر أخويه المعتزّ والمؤيّد ، وأرادهما على خلع أنفسهما من ولاية العهد ، فوافق المؤيّد ، وامتنع المعتزّ، فأغلظ الأتراك للمعتزّ ، وأخذوه بعنف ، وأدخلوه بيتاً ، وأغلقوا عليه الباب ، فصاح بهم المؤيّد: ما هذا يا كلاب، لقد ضريتم على دمائنا، تثبون على مولاكم هذا الوثوب، أعزبوا قبّحكم الله، ثم دخل إلى المعتزّ فقال له: يا جاهل ،تراهم قد نالوا من أبيك ، ثم تمتنع عليهم ، اخلع ويلك ، ولا تراجعهم . (الطبري ٩ / ٢٤٤ و ٢٤٥) .

ولما كان المعتضد معسكراً بالأهواز ، أخذ أحد جنوده من فلّاح ثلاث بطّيخات ولم يؤدّ ثمنها ، فأحضره وقال له : يا كلب ، ما كان معك ثمن البطيخ ؟ ثم أمر به فضرب مائة مقرعة ، راجع تفصيل القصّة في نشوار المحاضرة للتنوخي رقم القصة ١ / ١٧٦ ج١ ص ٣٢٩ و ٣٣٠ .

وغضب أبو الهيجاء الحمداني ، على ولده الحسن (ناصر الدولة فيما بعد) ، لما طلب منه أن يعطيه ضيعته النهروان ، وقال له : يا كلب ، سمت بك نفسك إلى أن تمتلك النهروان ؟ ثم قال للوزير علي بن عيسى : تمكّن هذا الكلب ، من ذكري بحضرتك ؟ راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصّة رقم ٢ / ٧٧ ج ٢ ص ١٤٥ ـ ١٥١ .

وشرب الشريف أبو جعفر العباسي ، بمصر عند أبي زنبور الحسين بن

أحمد بن رستم المادرائي ، وكان ثالثهما أبا بكر محمد بن علي بن أحمد بن رستم المادرائي ، وقام الشريف لقضاء حاجة ، وفي غيابه انصرف أبو بكر المادرائي ، فلما عاد الشريف ، التفت إلى أبي زنبور ، وقال له : يا أبا بكر ، هذا **الكلب** أبو زنبور عنده مثل هذا السماع ، ولا يمتّعنا به كل وقت ؟ **ما هذا إلّا كلب كلب ، فاعل صانع** ، فقال له أبو زنبور : أيها الشريف ، أبو بكر انصرف ، وأنا أبو زنبور ، فقال له : اعذرني ، والله ما ظننتك إلا ابن المادرائي ، فقال : أراك تشتمني غائباً وحاضراً (الملح والنوادر ٢٢٥) .

وغضب محمد بن خلف كاتب ابن أبي الساج ، على وكيله الحسن بن هارون، فقال له : **والله يا كلب ، لأضربنّك خمسمائة سوط (تجارب الأمم ١ / ١٧٠)** .

أقول : كان محمد بن خلف يكتب لابن أبي الساج في واسط ، وكان يسير سيرة الوزراء من التكبّر والتجبّر والتوسّع في النفقات ، حتى إنّه جعل في داره بواسط لشراب العامّة ثلاثين غلاماً وفي شراب الخاصّة عشرين غلاماً ، وكان يبكر إليه جميع قواد ابن أبي الساج ورؤساء غلمانه ورؤساء العمال ، ويسلّمون عليه ، كما يفعل الناس ببغداد بالوزراء في أيام المواكب ، ولبس القباء والسيف والمنطقة على زي الوزراء ، إلّا إنّه لم يركب إلى دار صاحبه بسواد ، فرقاً بينه وبين وزير السلطان (الخليفة) ، ثم أخذ يكاتب نصر الحاجب في أن يقترح على المقتدر استيزاره، وأخذ يسعى على صاحبه ابن أبي الساج، وعثر ابن أبي الساج ، على مراسلاته لنصر الحاجب ، واطّلع عليها ، إذ أرسل الحسن بن هرون إلى بغداد ، فلما عاد ، وكان محمد بن خلف قد بلغه ما قام به الحسن في بغداد ، فأحضره ، وشتمه ، وقال له : **يا عاضّ** (يعني يا عاض بظر أمّه) قد بلغني أنّك شنّعت عليّ عند الوزير ، وذكرت له أني أطلب الوزارة مكانه ، والله ، **يا كلب** لأضربنّك خمسمائة سوط فأخذ الحسن يعتذر إليه ، ومحمد بن خلف يواصل شتمه ، ثم أن ابن أبي الساج

أمـر رجالـه بالقبض على محمـد بن خلف وصفعه. راجع أخبار صفعـه ، في الباب الثالث القسم الثاني : الصفع .

وكـان يحيى بن علي المعـروف بـآبن المنجّم ، ينـاقض ابن المعـتزّ ، ويهاجيه ، فلما بويع ابن المعتز بالخلافـة ، دخل عليـه يحيى ليبايعـه ، فقال له : **لا سلمّ الله عليك ، يا كلب** ، للتفصيل راجع كتاب الفـرج بعد الشـدة ، للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف رقم القصة ٤٠٢ ج ٤ ص ١١٠ ـ ١١٢ .

ولما أراد القاهـر قتل القـائد مؤنس المـظفر ، دخـل عليه في حبسـه في السنة ٣٢١ وصاح بأتباعه : جرّوا برجل الكلب الملعون ، فجروه ، وذبحوه ، ابن الأثير ٨ / ٢٦١ .

ودخل المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، يومـاً على المطيـع العباسي، وعـلا صوته عنده ، فغضب المطيع ، وقال له : **يا كلب ، ترفع صوتك بين يـدي** ، وأمر به فأخرج ، مجذوباً بيده ، مدفوعاً في ظهره (رسوم دار الخلافة ٣٤) .

ولما توفي المنتصر الفاطمي في السنة ٤٨٧ ، سعى الأفضل الـوزير في مبايعة ولده المستعلى أبي القاسم أحمد ، فبويع ، فهرب الولد الأكبر نزار إلى الاسكندرية ، وأعلن خلافته هناك ، فسار إليه الأفضل وأسره ، وأسلمه لأخيـه المستعلى ، فبنى عليه حائطاً فمات ، وكان سبب انصراف الأفضل عن نزار ، أنّ الأفضل (وهو أرمني الأصل) دخل دهليز قصر الخليفة ، في أحد الأيـام ، راكباً ، فصادفـه نزار ، ولم يـره الأفضل ، فصـاح به : **إنـزل ، يا أرمنيّ ، يـا كلب**، عن الفـرس ما أقـلّ أدبك ، فحقـدها الأفضل عليـه (ابن الأثيـر ١٠ / ٢٣٨) .

ودخل صاعد الصيرفي ، وهو يهوديّ ، حمّـاماً ببـاب المراتب ، وأخـذ

وأخذ يترنّم ببيت للصرويّ الشاعر ، في ذمّ ثابت دواتي الأمير نور الدين بن مزيد :

ليس على شاطىء الفرات   أسقط من ثابت الدواتي

واتّفق أن كان ثابت الدواتي حاضراً ، وسمعه يترنّم بالبيت ، فقال له : يا كلب ، ما وجدت ما تقطع به حمامك إلاّ هجائي (الهفوات النادرة ٢١٣ و ٢١٤) .

وكان محمد بن مطروح الأعرج صاحب الصلاة في الجامع ، وكان قومس الكاتب جيرانه ، وكان يتحفه ويتفقّده بما أمكنه من الهدايا ، ويصلّي خلفه ، فكان ابن مطروح إذا حضرت الصلاة ، ولم يحضر قومس ، قال لبعض القومة : أنت يا شيطان ، كلّم هؤلاء الكلاب لا يقيموا الصلاة حتى يأتي هذا الخنزير ، فكان برّه في حبس الصلاة عليه ، برّاً ، العقوق خير منه (العقد الفريد ٦ / ٤٣٥) .

أقول : محمد بن مطروح هذا ، كان آية في التبّرم المليح ، والنكتة التي تقع في محلها ، سأله رجل يوماً : ما تقول في رجل مات يوم الجمعة ، هل يعذّب عذاب القبر ؟ فقال : يعذّب يوم السبت ، وسأله آخر : أتجد في الحديث أنّ جهنم تخرب ؟ فقال له : ما أشقاك إذا اتّكلت على خرابها .

وفي سنة ٤٩٩ ورد أبو العلاء المعرّي بغداد ، وقصد دار الشريفين الرضيّ والمرتضى ، ودخل ، والمجلس غاصّ بأهله ، فتخطّى الناس ، فقال أحدهم ، ولم يعرفه : إلى أين يا كلب ؟ فالتفت إليه أبو العلاء ، وقال له : الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً ، ثم جلس حيث انتهى ، فلما قام الشعراء ، وأنشدوا قصائدهم في رثاء والد الشريفين قام أبو العلاء ، وأنشد قصيدته الفائيّة التي مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف   مال المسيف وعنبر المستاف

فقام إليه الشريفان ، ولما علما أنّه أبو العلاء المعري ، أكرماه ، ورفعا مجلسه وآعتذرا إليه (اعلام النبلاء ٤ / ١٢٧) .

الحمار وجمعه ، حمير ، وأحمرة ، وحمور ، وحمر ، وحمرات :
الحيوان المعروف ، وهو مشهور بصبره وتحمله .

وقد لقّب مروان بن محمد ، آخر الحكّام الأمويّين ، بالحمار ، لصبره في الحروب . ولصبر الحمار وتحمّله ، اتّهمه الناس بالبلادة ، ووصفوا الجاهل البليد ، بأنّه حمار .

قال الشاعر ، على لسان حمار الحكيم توما :

قال حمار الحكيم توما　　لو أنصفوني لكنت أركب
لأنّني جاهل بسيط　　وصاحبي جاهل مركّب

وقال أبو الحسن الجزار ، يصف حماره :

هذا حماري في الحمير حمار　　في كلّ خطو كبوة وعثار
قنطار تبن في حشاه شعيرة　　وشعيرة في ظهره قنطار

لزيادة التفصيل في هذا الموضوع ، راجع كتابنا « موسوعة الكنايات العامية البغدادية » في فقرة : حمار ج ١ ص ٦٠١ - ٦٢٦ .

وفي معركة الطف في السنة ٦١ سأل الحسين عليه السلام ، الجند الأموي ، أن يكفّوا عنه حتى يصلّي هو وأصحابه ، فقال له الحصين بن تميم ، أحد قوّاد الجند : إنّها لا تقبل ، فقال له حبيب بن مظاهر ، من أنصار الحسين : زعمت أنّ الصلاة لا تقبل من آل رسول الله ، وتقبل منك يا حمار (الطبري ٥ / ٤٣٩) .

في السنة ٣١٧ وافى أبو طاهر القرمطي ، الحاجّ في مكّة ، فقتلهم قتلاً ذريعاً ، ودخل قرمطي إلى المسجد بفرسه ، وجرّد سيفه ، فضرب به رجلاً

فقتله ، وصاح : يا حمير ، أليس قلتم في هذا البيت ، من دخله كان آمناً ، فكيف يكون آمناً وقد قتلته الساعة ؟ فأجابه أحد الحجّاج : إنّ الله عز وجل ، لم يرد أنّ من دخله كان آمناً ، وإنما أراد : من دخله فأمّنوه ، فلوى القرمطي رأس فرسه وخرج . (المنتظم ٢ / ٢٢٣) .

وقال ناصر الدولة الحمداني ، لطباخه : يا حمار ، وسبب ذلك إنّ ناصر الدولة كان مبخّلاً، ودعا ذات يوم بشيء يأكله متعجّلاً، فجاءوه بدجاجة مشويّة ورغيف ، وسكرجتي ملح وخلّ ، وقليل بقل ، وبينما هو يأكل إذ جاء قوم لا بدّ من وصولهم إليه ، فأمر برفع الدجاجة ، ودخل القوم ، وخاطبهم ، ولما انصرفوا ، أمر بردّ الدجاجة ، فلما ردّوها تأمّلها ، ثم حرد ، وقال : هذه ليست الدجاجة التي أكلت منها ، ونادى الطباخ ، فاعترف له بأنّها دجاجة غيرها ، لأنّ الأولى أكلها أحد الغلمان ، فلما أمرت بردّها ، أخذنا واحدة جديدة ، وشعّثناها وقدمناها إليك ، فقال له ناصر الدولة : يا حمار ، تلك كنت كسرت منها الفخذ الأيمن ، وأكلت جانب الصدر الأيسر ، وهذه مكسورة الفخد الأيسر ، ومأكول من جانب الصدر الأيمن ، لا تعاود لمثل هذا ، راجع القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف حـ ٢ ص ١٨٩ رقم القصة ٩٣ .

وكان الصاحب بن عباد ، متعصّباً لرسائله ، وكانت في ثلاثين مجلّدة ، وورد إليه رجل من أهل الشام ، فكان فيما استخبره عنه : رسائل من تقرأ عندكم ؟

فقال : رسائل ابن عبد كان .

قال : ومن ؟

قال : رسائل الصابي .

وغمزه أحد جلساء الصاحب ، ليقول : رسائل الصاحب ، فلم يفطن

الرجل ، ورآه الصاحب ، فقال لـه : **تغمز حمـاراً لا يحسّ** . (معجم الأدباء ٢ / ٣١٥) .

وفي السنة **٥٧٩** حصر السلطان صلاح الدين الأيـوبي ، مدينـة حلب ، وضيّق عليها ، ثم تصالـح مع صـاحبها عمـاد الدين زنكي ، ان يعـوضه عنهـا بسنجـار ، وتكون حلب لصـلاح الدين ، فقبّـح أهـل حلب فعله ، وشتمـوه ، وقالوا : يا حمار ، بعث حلب بسنجار (اعلام النبلاء ٢ / ١٣٢)

وكان الأمير مجـد الدين أبـو سعيد طـاشتكين المقتفوي (ت ٦٠٢) من كبـار رجال الـدولة في أيّـام المستضيء العباسي ، وكـان قليل الكـلام جدّاً ، حتى أنّ رجـلاً من نوابـه استغاث بـه فلم يجبه ، فـاحتد ، وقـال له : أحمـار أنت ؟ فقال : لا ، ولم يزد (النجوم الزاهرة ٦ / ١٩٠) .

أقـول : كـان الأميـر طـاشتكين ربمـا مـرّ عليـه أسبـوع ، ولم يتكلّم ، واستغاث إليه رجل فلم يكلّمه، فقال له: كلّمني ، فـإنّ الله كلّم موسى ، فقـال له : وأنت موسى ؟ ولم يزد ، ومما يؤثـر عنه ، إنّـه كان قـد تجاوز التسعين ، فاستأجر أرضاً وقفاً ، على شاطىء دجلة ، لمدّة ثلثمائة سنة ، ليعمّـرها داراً ، وكان في بغداد رجل قاصّ ، اسمه فتيحة ، فقال على المنبر : يـا أصحابنـا ، نهنّيكم ، مـات ملك الموت ، فقـالوا : وكيف ذلـك ؟ قال : طـاشتكين عمره تسعون سنة ، واستأجر أرضاً لمدة ثلثمائة سنة ، ليعمرهـا داراًله ، فلو لم يعلم أنّ ملك الموت قد مات ، ما فعل هذا (فوات الوفيات ٢ / ١٢٩ و ١٣٠) .

ولما حضر أبو زكريا الرازي الواعظ ، إلى بغداد (ت ٢٥٨) ، واجتمع إليه مشايخ الصوفية والنسـاك نصبوا لـه منصّة ، وأقعـدوه عليها ، وقعـدوا بين يديه ، فتكلّم الجنيـد ، فقال لـه يحيى : أسكت **يا خـروف** ، ما لـك والكلام إذا تكلّم الناس . (وفيات الأعيان ٦ / ٦٦) .

وكـان أبـو الحسن الخـوارزمي (ت ٥٣٩) ، إذا نـام واحـد من أهـل

الرستاق في مجلسه ، ناداه من فوق المنبر بأعلى صوته : يا أيهّا التيس المذانقي ، أترك المنام واسمع الكلام ، (معجم الأدباء ٥ / ٢٧٥) .

ومن بديع التعليقات ، ان ابن زهر الحفيد الأندلسي ، أحد نوابغ الطبّ والأدب في الأندلس ، وهو صاحب الأبيات المشهورة التي مطلعها :

أيّها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ومما يؤثر عنه ، إنّه لما نظم موشّحه المشهور ، الذي أوّله :

صادني ولم يدر ما صادا

قال أبو بكر بن الجد :

صاد تيساً بلحية حمراء

ولما نظم موشحه الذي أوله :

هات ابنة العنب واشربِ

إلى قوله :

وفدّه بأبي ثم بي

فلما سمعه أبوه قال : يفديه بالعجوز السوء أمّه ، أمّا أنا فلا (نفح الطيب ٣ / ٤٦٨) .

القسم الثاني

مجموعة ألفاظ في الشتيمة

لما كلّم عروة بن مسعود الثقفي النبي صلوات الله عليه ، كان خلال ذلك ربما مسّ لحية النبيّ ، فقال له المغيرة بن شعبة ، ابن أخيه : نحّ يدك عن لحية رسول الله ، قبل أن لا ترجع إليك يدك ، فالتفت إليه عروة ، قال له : يا غُدَر ، هل غسلت رأسي من غدرتك إلّا بالأمس . (البيان والتبيين ٣ / ١٢) .

أقول : أشار عروة إلى ما صنعه المغيرة ، إذ غدر برفاق له في سفر ، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ولجأ إلى إالنبي فأسلم ، فقبل النبي إسلامه ، فعرض عليه المال الذي أخذه ، وأخبره بمصدره ، فقال النبي : أمّا الإسلام فقد قبلنا ، وأمّا المال فإنّه مال غدر لا حاجة لنا فيه ، وكان عروة بن مسعود عمّ المغيرة تحمّل ديات القتلى الذين قتلهم المغيرة ، وكنى عن أدائه الديات ، بغسل رأسه من الغدرة (الطبري ٢ / ٦٢٧) .

ولما انقضى أمر حرب الجمل ، خطب أمير المؤمنين علي ، في أهل البصرة ، فبدأ خطبته بعد حمد الله والثناء عليه ، قال : **يا أنصار المرأة ، وأتباع البهيمة ، رغا فأجبتم ، وعقر فهربتم ، أخلاقكم دقاق ، وعهدكم شقاق ، ودينكم نفاق ، وماؤكم زعاق** . راجع التفصيل في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٥١ والعقد الفريد ٤ / ٣٢٨ .

ووصف يزيد من معاوية رجلان من المسلمين : عبد الله بن الزبير وأبو حمزة الخارجي فقال الأول عبد الله بن الزبير ، لما أعلن خلافته بمكة ، وخطب الناس ، فوصف يزيد بانّه : يزيد الخمور ، ويزيد الفجور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود ، ويزيد الكلاب ، ويزيد النشوات ، ويزيد الفلوات (أنساب الأشراف ٤ / ٢ / ٣٠) وقال الثاني أبو حمزة الخارجي ، لما خطب بالمدينة ، فوصف يزيد بن معاوية ، بأنه : يزيد الخمور ، ويزيد الصقور ، ويزيد الفهود ، ويزيد الصيود ، ويزيد القرود ، راجع تمام الخطبة في الأغاني ط بولاق ٢٠ / ١٠٦ و١٠٧ .

وبعد انتهاء وقعة الطف ، سرّح ابن زياد ، نساء الحسين وصبيانه ، سبايا إلى يزيد بن معاوية ، مع شمر بن ذي الجوشن ومحفّز بن ثعلبة ، فلما انتهوا إلى باب يزيد ، صاح محفّز : هذا محفّز بن ثعلبة ، أتى باللئام الفجرة (الطبري ٥ / ٤٦٠) .

وفي السنة ٦٣ بعث يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، إلى مدينة الرسول صلوات الله عليه ، جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة ، فاستباح المدينة ، وأسرف في القتل والنهب والسبى وانتهاك الحرمات ، وأنهب المدينة ثلاثة أيّام ، ثم قصد مكة ليخرّبها كما أخرب المدينة ، فدنف في الطريق ، فدعا بالحصين بن نمير الكندي ، وقال له : يا برذعة الحمار ، والله ما خلق الله أحداً هو أبغض إليّ منك ، ولولا أنّ أمير المؤمنين أمرني أن أستخلفك ما آستخلفتك ، ثم هلك مسلم (المحاسن والمساوىء ١ / ٤٦ ـ ٤٩) .

وشتم عبد الملك بن مروان ، على منبر المدينة ، ثلاثة من الخلفاء الذين سبقوه ، قال : أما بعد ، فلست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا بالخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا بالخليفة المأفون ـ يعني يزيد بن معاوية ـ ألا وإنّ من كان قبلي من الخلفاء ، كانوا يأكلون ويطعمون من هذه الأموال ، ألا وانّي لا أداوي أدواء هذه الأمة إلاّ بالسيف ، من قال برأسه

هكذا ، قلنا له بسيفنا هكذا ، ألا وإنّ الجامعة التي جعلتها في عنق عمرو بن سعيد عندي ، والله ، لا يفعل أحد فعله ، إلّا جعلتها في عنقه ، والله ، لا يأمرني أحد بتقوى الله ، بعد مقامي هذا ، إلّا ضربت عنقه ، ثم نزل (تاريخ الخلفاء ٢١٨ و ٢١٩) .

أقول : أدخل أبو القاسم المغربي ، الصفات التي وصف بها عبد الملك اثنين من أسلافه في قصيدته التي مدح فيها الأنصار ، قال :

ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت ... هزؤاً وبدّل ربحها بخسار
وتنقّلت في عصبة أموية ... ليسوا بأطهار ولا أبرار
ما بين مأفون إلى متزندق ... ومداهنٍ ومضاعفٍ وحمار

أراد المأفون يزيد بن معاوية ، وبالمتزندق الوليد بن يزيد ، وبالمداهن معاوية بن أبي سفيان ، وبالمضاعف يزيد بن الوليد ، ووبالحمار مروان الجعدي ، وقد لقب بالحمار لصبره في الحرب (شرح نهج البلاغة ٦ / ١٦ و ١٧) .

وقال أصحاب عبد الملك بن مروان في مجلسه : يا أمير المؤمنين **اسقنا دم هذا المنافق** .

وسبب ذلك ، أن ابن قيس الرقيات ، حضر مجلس عبد الملك بن مروان فأخّر له الأذن ، حتى دخل الناس جميعاً ، وأخذوا مجالسهم ، ثم أذن له ، فلما دخل ، قال عبد الملك : يا أهل الشام ، أتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ، قال : هذا ابن قيس الرقيات ، الذي يقول :

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواءُ
تذهل الشيخ عن نبيه وتبدي ... عن خدام العقيلةُ العذراءُ

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، **اسقنا دم هذا المنافق** ، فقال : الآن وقد أمنته ، وصار في منزلي ، وعلى بساطي ، قد أخّرت له الإذن لتقتلوه ، فلم تفعلوا ، ولما أنشده قصيدة مدحه بها ، منها :

إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو العا ص عليه الوقار والحجب
يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنّه الذهب

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج ، كأنّي من العجم ، وتقول في مصعب بن الزبير :

انّما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء

أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن ـ والله ـ لا تأخذ مع المسلمين عطاءً أبداً ، راجع كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي حـ ٤ ص ٢٨١ ـ ٢٨٦ رقم القصة ٤٦٢ .

وفي السنة ٧٥ لما خطب الحجاج على منبر الكوفة ، وأمر بقراءة كتاب عبد الملك ، فلما قرىء ووصل القارىء إلى قوله : سلام عليكم ، قال الحجّاج للقارىء : اقطع ، ثم قال للناس : **يا عبيد العصا** ، أيسلّم عليكم أمير المؤمنين فلا تردّون (الطبري ٦ / ٢٠٨) .

وسمع الحجاج في اليوم الثالث من قدومه تكبيراً ، فخرج حتى جلس على المنبر ، فقال : يا أهل العراق ، **يا أهل الشقاق والنفاق ومساوىء الأخلاق** ، انّي سمعت تكبيراً ليس بالتكبير الذي يراد الله به بالترغيب ، **يا بني اللكيعة ، وعبيد العصا ، وأبناء الأيامى ، وأولاد الإماء ، والفقع بالقرقرة** (الطبري ٦ / ٢٠٦ والعقد الفريد ٤ / ١١٥ وابن الأثير ٤ / ٣٧٧ و ٣٧٨) .

ولما ولي عثمان بن حيان المدينة ، للوليد بن عبد الملك ، خطب على المنبر ، فقال : إنّ أهل العراق ، هم **أهل الشقاق والنفاق** ، وهم والله **عشّ النفاق** ، وبيضته التي تفلّقت عنه ، وأنا ـ والله ـ لا أوتى بأحد آوى أحداً منهم ، أو أكراه منزلاً ، ولا أنزله ، إلاّ هدمت منزله ، وأنزلت به ما هو أهله (الطبري ٦ / ٤٨٥) .

وشتم كعب بن جعيل ، غياث بن غوث التغلبي ، فقال له : **إنّك لأخطل** ، فغلب عليه ، وهو الأخطل الشاعر المعروف ، والأخطل : السفيه (الأغاني ١ / ٢٨١) .

وكان عبد الله بن الزبير ، يشتم ثقيفاً على المنبر ، فيقول فيهم : **قصار القدود ، سود الجلود ، لئام الجدود ، بقيّة ثمود** . (انساب الأشراف ٥ / ١٩٧) .

وفي السنة ٨٣ في معركة دير الجماجم ، لما ثار أهل العراق وخراسان على ظلم الحجاج ، فاستعان عليهم بأهل الشام ، خرج عراقيّ ، فطلب المبارزة ، وشتم أهل الشام ، فقال لهم : **يا معشر جرامقة الشام** (الطبري ٦ / ٣٦١) .

أقول : الجرموق : الخف الذي يلبس فوق الخف ليقيه من الطين ، وتسمّيه العامة : الكالوش ، وجرامقة الشام ، أنباطها .

وأراد قتيبة بن مسلم ، أمير خراسان ، أصحابه وجنده ، على خلع سليمان بن عبد الملك ، فلم يجبه أحد منهم ، فغضب ، وشتمهم ، فقال : لا أعزّ الله من نصرتم ، والله ، لو اجتمعتم على عنز ما كسرتم قرنها ، **يا أهل السافلة** ، ولا أقول أهل العالية ، **يا أوباش الصدقة** ، جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة من كلّ أوب ، يا معشر بكر بن وائل ، يا أهل النفج والكذب والبخل ، بأيّ يوميكم تفخرون ؟ بيوم حربكم ، أو بيوم سلمكم ، **يا أصحاب مسيلمة** ، **يا بني ذميم** ، ولا أقول تميم ، يا أهل الخور والقصف ، كنتم تسمّون الغدر في الجاهلية كيساناً ، يا أصحاب سجاح ، **يا معشر عبد القيس الفساة** ، تبدلّتم بأبر النخل أعنّة الخيل ، يا معشر الأزد ، تبدّلتم بقلوس السفن ، أعنّة الخيل الحصن ، الأعراب وما الأعراب ، **لعنة الله على الأعراب** ، **يا كناسة المصرين** ، جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم ، ومنابت القلقل ،

تركبون البقر والحمير ، في جزيرة ابن كاوان ، يا أهل خرسان ، هل تدرون من وليكم ؟ وليكم يزيد بن ثروان ، كأنّي بأمير من حاء وحكم ، قد جاءكم ، فغلبكم على فيئكم ، قد استخلف عليكم أبو نافع ذو الودعات ، إنَّ الشام أبٌ مبرور ، والعراق أبٌ مكفور ، حتى متى يتبّطح أهل الشام بأفنيتكم وظلال ديارِكم ، يا أهل خراسان ، انسبوني ، تجدوني عراقي الأمّ ، عراقي الأب ، عراقي المولد ، عراقي الهوى والرأي (الطبري ٦ / ٥٠٩ و ٥١٠ ، وابن الأثير ٥ / ١٢ـ ١٤ ، والعقد الفريد ٤ / ١٢٥ ـ ١٢٧) .

أقول : حاول الوليد بن عبد الملك ، أن يخلع أخاه سليمان من ولاية العهد ، وأن ينصب بدلاً منه ولده عبد العزيز ، ابنه من أمّ البنين بنت عمّه عبد العزيز بن مروان ، وراسل كبار عمّال الأطراف في ذلك ، فأطاعه الحجاج بن يوسف الثقفي ، عامله على العراقين ، وقتيبة بن مسلم عامله على خراسان وما وراء النهر ، وموسى بن نصير عامله على إفريقية والأندلس ، ونصحه بعض أصحابه أن يكف عن هذه المحاولة ، وممن عارضه في محاولته هذه ، ابن عمّه عمر بن عبد العزيز ، مع أنّ الذي رشّحه لولاية العهد ، هو ابن أخت عمر ، فاغتاظ الوليد من عمر ، وأمر به فحبس في حجرة ، وطيّن عليه بابها ، وتداركته أخته أمّ البنين ، بعد أيّام ، وقد قارب الموت ، فأنقذته ، فحفظها سليمان لعمر ، وأوصى له بالخلافة من بعده ، كما حفظها لهؤلاء الذين أجابوا الوليد إلى خلعه ، ولما وجد سليمان ، أنّ الحجّاج قد أفلت من يده ، إذ هلك في أيّام الوليد ، أمر عامل الخراج بالعراق ، صالح بن عبد الرحمن ، وكان الحجّاج قد قتل أخاه ، أن يجمع بني عقيل ، رهط الحجّاج ، وأن يبسط عليهم العذاب ، حتى يقتلهم ، وقام صالح بذلك قياماً تاماً ، ونكب سليمان ، موسى بن نصير ، فعزله ، وأهانه ، وأغرمه مالاً ثقيلاً ، وأبقاه قريباً منه مسرّحاً كمعتقل ، ومطلقاً كموثق ، وخشي أن ينتفض عليه عبد العزيز بن موسى ، وكان على الأندلس ، فدسّ من أغرى به الجند

فقتلوه وهو في صلاة الصبح ، وبعثوا برأسه إلى سليمان ، فعرضه على أبيه موسى ، فتجلّد للمصيبة ، وهذه من زلّات سليمان ، على أنّه كان قليل الزلّات ، إذا قيس إلى أبيه وأخيه ، ولكنّ الحقد على هؤلاء الذين شجّعوا الوليد على خلعه من ولاية العهد ، دفعه إلى ركوب متن الشطط في الإقتصاص منهم ، وأحسّ قتيبة بأنّه معزول ، وربما أصابه ما هو شرّ من العزل ، وبلغه أنّ سليمان ولّى يزيد بن المهلب أميراً على العراقين ، وخراسان ، والجبال ، وطبرستان وما وراء النهر وسجستان والسند ، فأراد أن يتغدّى بسليمان ، قبل أن يتعشّى سليمان به ، فأعلن خلعه ودعا الناس إلى ذلك ، فلم يجبه أحد ، فغضب وخطب فيهم خطبته التي أثبتناها ، فأدّت هذه الخطبة إلى انتقاض جنده عليه ، فقتل قتيبة بن مسلم ، وقتل معه من بني مسلم أحد عشر رجلاً ، سبعة منهم لصلب مسلم ، وأربعة من بني أبنائهم .

وأدرج فيما يلي ، إيضاحاً لبعض الفقرات التي وردت في الخطبة ، أما قوله : يا أهل السافلة ، ولا أقول أهل العالية ، فيريد بهم أهل العالية بالبصرة والكوفة ، وهم مجموع من قريش وكنانة والأزد وبجيلة وخثعم وقيس عيلان كلّها ومزينة ، وكان أهل العالية بالكوفة يقال لهم ربع أهل المدينة ، وبالبصرة خمس أهل المدينة (الطبري ٦ / ٥٨٠) وكان نصر بن سيّار ، أمير خراسان ، قد عقد للحكم بن نميلة بن مالك ، على أهل العالية بخراسان ، وكان أبو الحكم نميلة عليهم بالبصرة ، وكان نصر قد أوفد مغراء بن أحمر بن مالك ، ابن عمّ الحكم بن نميلة على رأس وفدٍ إلى هشام بن عبد الملك فأغرى يوسف بن عمر ، أمير العراقين ، مغراء ، أن يغضّ من نصر عند هشام ، فاغتابه عند هشام ، وكذّبه بقيّة رجال الوفد ، فلما عاد مغراء إلى يوسف ، قال له : لم يبق لي خير في صحبة نصر بعد ما صنعت معه ، فأبقاه يوسف عنده ، ولما بلغ نصر ما صنع مغراء ، بعث إلى ابن عمّه الحكم بن نميلة ، وهو في السرّاجين يعرض الجند ، فأخذ برجله ، فسحبه عن طنفسة

له ، وكسر لواءه على رأسه ، وضرب بطنفسته وجهه ، وقال : هكذا يصنع بأهل الغدر (الطبري ٦/١٩٥) وأمّا قوله: جمعتكم كما تجمع إبل الصدقة، يريد أنّه جمعهم من انحاء شتّى كما تجمع الإبل التي يأخذها عامل الزكاة، وهو المصدِّق (بكسر الدال المشدّدة) الذي يأخذ الحقوق من الإبل والغنم ، ولما كان الإسلام قد ترك لصاحب المال أن يختار ، فهو يختار الأصلح الأصحّ ، ويترك الباقي للمصدّق ، يريد قتيبة إنّه جمع جنده كما تجمع إبل الصدقة ، وليسوا من خيرة الرجال ، والنفج : افتخار الإنسان بما ليس عنده ، وقد حرّف البغداديون الكلمة ، فهم يلفظونها بالخاء ، فيقولون عمّن يفتخر بما ليس عنده : نفّاخ ، ووصف الجاحظ في كتاب البخلاء أحمد الخاركي ، بأنّه كان بخيلاً نفّاجاً ، وهذا أغيظ ما يكون ، وبلغ من نفجه ما أخبره به إبراهيم بن هانىء ، قال : كنت عنده يوماً إذ مرّ بعض الباعة فصاح : الخوخ ، الخوخ ، فقلت : وقد جاء الخوخ بعد ؟ فقال أحمد : نعم قد جاء ، وقد أكثرنا منه ، فدعاني الغيظ عليه أن دعوت البياع ، وسألته : كيف تبيع الخوخ ؟ فقال : ستّ بدرهم ، فأقبلت على ابن الخاركي ، وقلت له : ويحك ، نحن لم نسمع بالخوخ بعد ، وأنت تدّعي أنّك قد أكثرت منه ، وأنت ممن يشتري ستّ خوخات بدرهم؟ ثم تقول قد أكثرنا منه ، فقال: وأيّ شيء أرخص من ستّة أشياء بشيء ، أقول : في هذه القصّة فائدة وهي أنّ الخوخ في أيّام الجاحظ كان يباع بالبصرة بالعدد ، وأراد قتيبة بقوله : أصحاب مسيلمة ، يعيّرهم بأنّهم ارتدوا عن الإسلام ، واتّبعوا مسيلمة الذي اشتهر بلقب مسيلمة الكذاب ، وكان قد تنبأ في آخر أيّام النبي صلوات الله عليه ، وسيّر إليه أبو بكر الصديق جيشاً بقيادة خالد بن الوليد ، فقتله ، وهو أبو ثمامة مسيلمة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي ، ولد ونشأ باليمامة ، وكان في الجاهلية يعرف برحمان اليمامة ، ولما ظهر الإسلام ، أعلن انّه نبيّ ، وفي السنة ١٠ كتب إلى النبي صلوات الله عليه كتاباً فيه : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله ، سلام عليك : أما بعد ، فاني قد اشركت معك في

الأمر ، وانّ لنا نصف الأرض ، ولقريش نصفها ، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون ، فردّ عليه النبي : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من آتّبع الهدى ، أمّا بعد ، فإنّ الأرض لله ، يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وتوفّي النبي قبل القضاء على فتنة مسيلمة ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر ، سيّر إليه في السنة ١٢ جيشاً على رأسه خالد بن الوليد ، هاجم ديار بني حنيفة ، وآشتبك مع مسيلمة وأصحابه في معركة ضارية ، بلغ فيها عدد القتلى من المسلمين ألفاً ومائتي رجل ، وانتهت المعركة بظفر المسلمين ، وبقتل مسيلمة وكثير من أصحابه (الإعلام ٨ / ١٢٥) ولقّب مسيلمة منذ أن تنبّأ بمسيلمة الكذاب ، ومنه اشتقّ المثل للكذّاب ، فقيل : أكذب من مسيلمة ، وأما قوله : يا أصحاب سجاح ، فهو يعيرهم بالردّة ، واتّباعهم سجاح التي تنبّأت ، وهي أم صادر سجاح بنت الحارث بن سويد التميميّة اليربوعيّة ، كانت شاعرة أديبة ، عارفة بالأخبار ، ادّعت النبّوة في وقت الردّة بعد وفاة النبي صلوات الله عليه، فتبعها جمع من عشيرتها ، وأقبلت بهم من الجزيرة ، تريد غزو المدينة ، ونزلت باليمامة ، فتزوّجها مسيلمة ، وضمّ جمعها إلى جمعه ، ثم انصرفت عائدة إلى أخوالها التغلبيّين بالجزيرة ، وبلغها خبر مقتل زوجها مسيلمة ، فأسلمت ، ولجأت إلى البصرة ، وماتت بها في السنة ٥٥ (الاعلام ٣ / ١٢٢) أما قوله : يا معشر عبد القيس الفساة ، يعيّرهم بالفسو ، وهي تهمة لاصقة بعبد القيس ، ويقال لهم الفساة ، يعرفون بهذا ، قال الشاعر :

إذا تعشّوا بصلاً وخلّا باتوا يسلّون الفساء سلّا

وقيل إنّ الفساء كان نبزاً لحيّ من أحياء العرب ، فجاء منهم رجل ، ببردي حبرة ، إلى سوق عكاظ فقال : من يشتري مني عار الفسو بهذين البردين ، فقام شيخ من مهو (بطن من عبد القيس) اسمه عبد الله بن بيدرة ، فارتدى بأحدهما ، واتّزر بالآخر ، وهو الذي سمّي : مشتري الفسو ببردي حبرة ، وضرب به المثل ، فقيل : أخيب صفقة من شيخ مهو : وقال الراجز :

يـــا من رأى كصفقة ابن بيـــدره   من صفقـــة خـــاســـرة مخسّـــرة
المشتـــري الفســـو ببـــردي حبـــره

ومن لطيف ما يروى ، أنّ أبا جلدة اليشكري ، كان عظيم البطن ، فقـام ليبول ، فضرط ، فتضاحك القوم منه ، فسّل سيفه ، وقال : لا أمّ لكم ، أمنّي تضحكـون ؟ لأضـربنّ بسيفي هـذا من لا يضـرط منكم ، فمـا زال بهم حتى ضرطوا جميعاً ، إلاّ صاحباً له من عبـد القيس ، قال لـه : قد علمت أنّ عبـد القيس لا تضرط ، ولك بدلها عشر فسوات ، فقال : لا والله ، أو تفصـح بها ، فجعـل العبقسي يتلوّى وينحني ، فلا يقـدر عليهـا ، فتـركـه (الأغـاني ١١ / ٣٢١) ، وقـول : تبدلتم بـأبر النخـل أعنّة الخيـل ، فهو يعيّـرهم بأنّهم كـانوا فلاّحين يقومون على رعاية نخلهم ، لا يعرفون شيئاً عن الفـروسية ، فصيّـرهم فـرسـانـاً ، وأبـر النخـل وأبّـره : أصلحـه ، ولقحـه ، ونفى عنـه اليـابس من السعف ، وقـد حرّف البغـداديون الكلمـة ، فهم يقولـون زبّـر بـالـزاي والبـاء المشـدّدة ويريـدون بها معنى أبّـر ، قال شـاعر العـراق معروف الـرصـافي من قصيدة :

وما كتب التاريخ في كلّ ما روت   لـقـرّائـهـا إلاّ حـديـث مـلفّـق
نـظرنا لأمر الحـاضرين فـرابنـا   فكيف بـأمـر الغـابـرين نصـدّق
ومـا سِيَـرُ المـاضين إلاّ عـواذق   يؤبّـرهـا مـرّ السنين فتـعـذق

يـريد بـالبيت الأخير أنّ المـاضين من الناس ، كلّمـا بعـد بهم الـزمن ، نسب إليهم الناس أوصافاً وأماديح ، كالنخلة كلّما أبّرت علت وأعذقت، وللعامة البغداديين مثل يشبهه ، وهو قولهم : الميت تطول كرعانـه ، والكراع مـا دون الـركبة من السـاق ، وقولـه ، وهو يعيّـر الأزد : تبـدلتم بقلوس السفن ، أعنّـة الخيـل الحُصُن ، والقلوس الحبـل الضخم من الليف يستعمـل في السفن ، والحُصُن ، بـالضم جمع حصـان ، وهـو كـلُ ذكـر من الخيـل ، يجمـع على أحصنة وحُصُن ، ولكنّ البغداديين لا يقولون أحصنة ، وإنّما يقـولون حُصُن ،

يعيّر الأزد بأنّهم ملّاحون ، وأزد أبو حيّ من اليمن ، وهم ثلاثة أقسام : أزد السراة ، وأزد شنوءة ، وأزد عمان ، وأزد شنوءة أصحّ الأزد أصلاً ، قال الشاعر يمتدح أزد شنوءة ويذمّ أزد عمان :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجلٍ بها ريب من الحدثان
فأما التي صحّت فأزد شنوءةٍ وأما التي شلّت فأزد عمان

ومن جملة ما يروى عن تعيير الأزد بأنهم ملّاحون ، ما صنعه مسلمة بن عبد الملك ، لما قاتل يزيد بن المهلب وقتله في موقعة العقر ، فإنّه صلبه بجسر بابل ، وصلب إلى جانبه سمكة وخنزيراً وعلّق معهما زقّ خمر (الغيث المسجم ٢ / ١٨١ و ١٨٢) يشير بالسمكة إلى إنّه أزدي ، فهو ملّاح ، وبالخنزير للإهانة ، وبالزقّ إلى أنّه شريب خمر ، ولما انتهت موقعة العقر بقتل يزيد بن المهلب ، طلب الورد بن عبيد الله بن حبيب السعدي الأمان ، فأحضره مسلمة ، وشتمه ، فقال له : صاحب خلاف وشقاق ، ونفار ونفاق ، في كل فتنة ، مرّة مع حائك كندة (يريد ابن الأشعث) ومرة مع ملّاح الأزد (يريد يزيد بن المهلب) (الطبري ٦ / ٦٠١) ، وفي السنة ١٢٩ لما اختلف نصر بن سيار أمير خراسان ، وجديع بن علي الكرماني الأزدي ، بعث إليه بسلم بن أحوز على رأس جيش ، فتواقف مع جيش جديع على أسوار مرو ، فقال سلم لمحمد بن المثنى : يا محمد ، مر هذا الملّاح فليخرج الينا ، فقال محمد لسلم : يا ابن الفاعلة ، لأبي علي تقول هذا ؟ (الطبري ٧ / ٣٦٨) ، ولما قتل جديع في المعركة ، أخذه نصر ، وصلبه ، وصلب إلى جانبه سمكة ، يشير إلى أنه أزدي ، فهو ملّاح (الطبري ٧ / ٣٧٠) ، وأراد بقوله : كناسة المصرين ، الكناسة : هي الزبالة التي تحصل من تنظيف البيت بالمكنسة ، أرادانّهم من نفاية الناس الذين بالمصرين ، وأراد بالمصرين البصرة والكوفة (معجم البلدان ٤ / ٥٤٤) قال الشاعر :

انّي لأحمق من يمشي على قدم إن غرّني من حياتي قول عباد

أمسى يقول لذا المصران قد فتحا ودون ذلـك يـومٌ شـرّه بـاد

ولهذه التسمية أشباه ، فيراد بالقمرين : الشمس والقمر ، وبالعمرين : أبـو بكـر وعمـر ، وبـالحكمين : أبـو مـوسى الأشعـري وعمـرو بن العـاص ، وبالماهين : ماه البصرة ، وماه الكوفة ، وماه البصرة : نهاونـد وهمذان وقم ، ومـاه الكوفـة الدينـور (معجم البلدان ٤ / ٤٠٥ و ٤٠٦) ويراد بـالأبيضين : الخبز والماء ، قال الشاعر :

الأبيضان أبردا عـظامي الماء والخبـز بـلا أدام

ويراد بالجـديدين الليـل والنهار ، لأنّهمـا يتجدّدان في كـل يوم ، قـال الشاعر :

إنّ الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ويراد بالمروين : مرو الروذ ومرو الشاهجان ، قال الشاعـر يمدح يـزيد بن المهلّب لما كان في حبس الحجاج :

أبا خالد ضاعت خراسان بعدكم وقال ذوو الحاجات أين يزيـد
فما قطرت بالـريّ بعدكَ قطرة ولا آخضرّ بالمروين بعدك عود
ومـا لسرور بعـد بُعدك بهجـةً ولا لجـوادٍ بعـد جـودك جـود

وقوله تركبون البقـر والحمير ، في جـزيرة ابن كـاوان ، انّهم لم يكونـوا فرسانـاً ، وإنما كـانوا فـلّاحين ومكارين في جـزيرة ابن كـاوان ، وهي جزيـرة ذكـرها يـاقوت في معجمـه ٢ / ٧٩ فقال : إنّهـا جـزيـرة عـظيمـة بين عمـان والبحرين في خليج البصرة ، كانت من أجلّ جزائر البحر ، عامرة آهلة ، وفيها قرى ومزارع ، وقال عنها المسعـودي إنّها كـانت في السنة ٣٤٣ عـامرة آهلة ، وهي الآن خراب ، وقوله : جمعتكم من منابت الشيح والقيصوم والقلقل : انّه جمعهم من مـواطن شتى ، قـومـاً متفـرقين فـوحّـدهم ، ورفعهم ، وأعلى من شأنهم ، والشيح : نباتٌ برّي طيّب الـرائحة ، تـرعاه المـواشي ، والقيصوم :

نبات بري كذلك طيب الـرائحة ، والقلقـل : جنس شجر من فصيلة القـرنيات يشبه الرمان ، حبه أسود ، في حجم الفلفل ، وقوله : هل تدرون من وليكم ، وليكم يـزيد بن ثـروان ، يريـد به يـزيد بن المهلّب ، يصفـه بالحمق ، وكـان يزيد بن ثروان لحمقه يطعم السمان من إبله ، ويجيع المهازيل ، فقيل له في ذلك ، فقال : أكرم من أكرمه الله ، وأهين من أهانه الله ، وقـوله : كـأنّي بأميـر من حاء وحكم قد جاءكم فغلبكم على فيئكم ، حاء وحكم ، حيّان جـافيان من أحيـاء اليمن من وراء رمل يبرين ، وفي الحديث شفاعتي لأهل الكبائر من أمّتي حتى حكم وحـاء ، قالهـا قتيبة استصغـاراً لشأن يـزيد بن المهلّب ، وهـو أزدي من اليمانيين ، وقوله أبو نافع ذو الودعات ، إعادة لذكر هبنّقة ، فهو أبو نافع يـزيد بن ثروان الملقّب هبنّقة ذا الودعات .

وفي السنـة ١٤٤ اعتقـل أبــو جعفـر المنصور ، بني الحسن ، وكبّلهم وغلّهم ، وحملهم معـه إلى العراق ، فلمـا خـرج المنصـور نـاداه عبـد الله بن الحسن ، وهو مكبّل مغلول ، يا أبا جعفر ، والله ما هكذا فعلنا بـأسراكم يـوم بدر (يشير إلى أسر جدّه العباس يوم بدر ، فإنّ النبي صلوات الله عليـه أكرمـه وحلّ وثاقه) قال : **فأخساه** أبو جعفر (قال له : اخسأ) ، وتفل عليه ، ومضى ولم يعّرج . (الطبري ٧ / ٥٤٢) .

وقال عبادة المخنّث ، نديم المتوكـل ، لعجوز أطلّت عليـه من شبّاك ، وهـو في حالـة عهر مخـزية : **يـا عجوز السـوء** ، راجع القصـة في الديـارات ١٨٩ .

أقول : عبادة المخنّث ، المجاهر بالعهر والبغاء ، كان نديم المتوكـل ، وبلغ من تعلّق المتوكل به ، انّه أبـاح له الـدخول عليـه ، وهو في فـراشه مـع نسائه ، ولم استسغ نقل القصّة ، لما فيها من الخزي والعهر .

وخرج عبد الله القيرواني الشاعر ، يريد صقلية ، فأسره الروم ولما هادن

ثقة الدولة صاحب صقلية الروم ، أطلقوا له الأسرى ، وكان عبد الله منهم ، فمدحه ، فلم يصله بما يرضيه ، فتكلّم وطلب طلباً شديداً ، فأحضره ثقة الدولة ، وقال له : ما الذي بلغني يا بائس ، قال : المحال أيّد الله سيّدنا الأمير .

فقال له : من الذي يقول : الحرّ ممتحنٌ بأولاد الزنا

فقال : هو الذي يقول : وعداوة الشعراء بئس المقتنى .

فتنمّر ساعة . ثم أمر له بمائة رباعيّ ، وأخرجه من المدينة ، كراهية أن تقدم عليه نفسه فيعاقبه بعد أن عفا عنه . (وفيات الأعيان ٦ / ١٥٧ و ١٥٨)

أقول : ثقة الدولة أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن (٣٧٩ ـ ٣٨٨) تنازل ولده عن الحكم .

ودخل بشار على المهدي ، فسأله عن نسبه ، فقال :

نَمَتْ في الكرام بني عامر فروعي وأصلي قريش العجم
فإنّي لأغني مقام الفتى وأسبي الفتاة فما تعتصم

فقال له أبو دلامة : كلّا ، لوجهك أقبح من ذلك ، ووجهي مع وجهك ، فقال له بشّار : كلّا ، ما رأيت رجلاً أصدق على نفسه ، وأكذب على جليسه منك ، أفأنت مثلي يا مرضعان ؟ (الأغاني ٣ / ١٣٨) .

وغضب ابن أبي البغل ، عامل إصبهان ، على أحد طلّاب التصرف ، فقال له : قد ـ والله ـ بلينا بكم يا بطّالين .

أقول : ابن أبي البغل ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن يحيى ، من رجال الدولة العباسية ، كان عاملاً على أصبهان ، وسعت له أمّ موسى الهاشمية قهرمانة المقتدر في الوزارة ، وأحسّ الخاقاني الوزير بالأمر ، فقبض عليه ، فاستنقذته أمّ موسى ، وأعادته إلى عمالة أصبهان ، ولما قبض على أمّ

موسى صرف عن عمله ، وصودر أولاً ، وثانياً ، واعتقل ، وكان في خشية القتل لما ورد الخبر بعزل الوزير ابن الفرات ، فكتب في تقويم لديه : اليوم ولد محمد بن أحمد بن يحيى (يعني نفسه) وله إحدى وثمانون سنة ، وعندما كان يلي أصبهان ، قدم عليه شيخ من بغداد ، يريد التصّرف (التعيين في إحدى الوظائف) ومعه رسائل (توصية) من جماعة من رؤساء الحضرة ببغداد ، وصادف من ابن أبي البغل ضجراً وضيق صدر ، فغضب ، وقال له : قد والله بلينا بكم **يا بطّالين** كلّ يوم يصير إلينا منكم واحد يريد تصّرفاً ، لو كانت خزائن الأرض إليّ ، لكانت قد نفدت ، راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي جـ ٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٤ وكيف عاد ابن أبي البغل عن ضجره واعتذر إلى الرجل واستخدمه .

ودخل القاضي أبو عمر ، إلى دار الخلافة ، فاجتمع عليه الخدم ، وشتموه قائلين له : **يا ظالم ، يا مرتشي** .

أقول : كان أبو عمر ، قاضي القضاة ببغداد ، في أيّام المقتدر ، وكان من أكمل الناس عقلاً ، وأحسنهم تصرفاً ، وكان رئيس الخدم في قصر الخليفة ، كلّمه في قضية من القضايا المعروضة عليه ، وكان الحكم الذي أصدره في غير مصلحة الخادم ، فأغرى أتباعه من الخدم بشتمه ، راجع في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي جـ ٢ ص ٨٣ ـ ٨٦ كيف تصرف القاضي في هذه القضية .

واغتاظ الوزير اسماعيل بن بلبل ، من عبيد الله بن سليمان ، فقال لصاحب الديوان : قل له ، والله ، لولا تذمّمي ، لأمرت **بالآخر** آن يصفع من داره إلى ديوان اسماعيل بن ثابت ، راجع القصّة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة حـ ٨ ص ١٦٤ ـ ١٦٩ رقم القصة ٧١ .

أقول : **الآخر والأخير ، والأبعد والبعيد** ، من الفاظ الشتيمة .

وقرأ القطربّلي ، على ثعلب ، بيت الأعشى :

فلو كنت في جبّ ثمانين قامة ورقّيت أسباب السماء بسلّم

فقرأها : فلو كنت في حبّ (بالحاء) ، فقال له ثعلب : خرب بيتك هل رأيت حّباً ثمانين قامة ، إنما هو جبّ ، بالجيم (معجم الأدباء ٢ / ١٤٥) .

وكان أبو العباس سهل بن بشر النصراني ، ضامن الأهواز، حديداً، سفيه اللسان ، فشكوه إلى المطران بجند يسابور ، فنصحه بأن يمنع لسانه من الشتم ، فلما انصرف سهل ، وأراد أن يشتم رجلاً ، قال له : إسمع يا هذا ، إنّ المطران قد منعني من شتم أحد من الناس ، وأنا مستأجر من القائد ، والقائد هو الذي يقول لك على لساني : يا زوج كذا وكذا ، ويا ابن كذا وكذا ، ويا أخو كذا ، (الهفوات النادرة ٣١٦) .

وفي السنة ٦٣٩ استعان الملك الصالح إسماعيل ، سلطان دمشق ، بالافرنج ، وأعطاهم مدينة صيدا ، وقلعة الشقيف ، فأنكر عليه الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام ذلك ، وترك الدعاء له ، وترك دمشق إلى مصر ، فأرسل الملك الصالح إلى الشيخ عزّ الدين ، وهو في طريقه ، قاصداً ، تلّطف به ، وقال له : ما يريد السلطان منك شيئاً ، إلاّ أن تنكسر له وتقبّل يده ، فقال له الشيخ : يا مسكين ، أنا ما أرضاه يقبّل يدي ، فضلاً عن أن أقبّل يده ، يا قوم ، أنا في واد ، وانتم في واد ، وآستمّر في سفره إلى مصر . (التاج للجاحظ ١٦١ حاشية) .

وكان قاضي دمشق في السنة ١٠٢٢ المولى أحمد أفندي الشهير بشيخ زاده ، يكره العرب ، وإذا شتم أحداً ، قال له : برّه ، عرب طاط (تراجم الأعيان ١ / ١٩٧) .

قولهم اخطأت استه الحفرة

اخطأت استه الحفـرة : كلمة شتم فيهـا استهانـة شديـدة بالمخـاطب ، تعني أنّ المخاطب أراد شيئاً ، فأخطأ ، ولم يقع على الغرض .

وبعث يزيد بن معـوية ، الضحّـاك بن قيس ، ليأخذ بيعـة ابن الزبيـر ، فأبى أن يبايع ، فقال له الضحاك : إن لم تبايع طائعاً ، بـايعت كارهـاً ، فقال له ابن الزبير : إنّك ثعلبة بن ثعلبة ، تيس بحيرة ، أردت الحقحقة ، **فأخطأت آستك الحفرة** (انساب الأشراف ٥ / ١٩٦) .

أقـول : تيس بحيـرة يعني تيس مشقـوق الأذن ، والحقحقـة : شـدّة السير .

وغضبت عائشة بنت طلحة ، على كثير عزة ، فقال له : اخطأت استك الحفرة .

وتفصيل ذلك : انّ عائشة بنت طلحة ، أرسلت إلى كثير ، فقـالت : يا ابنَ أبي جمعة ، ما الـذي يدعـوك إلى أن تقول من الشعـر في عزّة مـا قلت ، وليست من الحسن على مـا تصف ، ولو شئت صـرفت ذلك عنهـا إلى غيرهـا ممن هو أولى به منها ، أنا ومثلي فإنّي أشرف وأجـل وأوصل من عـزّة ، وإنّما أرادت أن تختبره بذلك ، فقال :

إذا مـا أرادت خلّة أن تـزيلهـا　　　أبينـا وقـلنـا الحـاجـبّيـة أوّلُ

سنوليك عرفاً إن أردت وصالنا ونحن لتلك الحاجبيّة أوصل
لها مهل لا يستطاع آدّراكه وسابقة في القلب لا تتحوّل

فقالت له عائشة : **أخطأت استك الحفرة** يا أبا صخر ، لقد أسميتني خلّة ، وما أنا لك بخلّة ، وعرضت عليّ وصلك وما أريده ، ولو أردته أنتَ لكرهته أنا ، وإنّما أردت أن أبلو ما عندك قولاً وفعلاً ، فما أفلحتَ ولا أنجحتَ ، هلّا قلت كما قال سيّدك جميل : [وفيات الأعيان ١ / ٤٨٠] .

ويقلن إنّك قد رضيت بباطلٍ منها فهل لك في اجتناب الباطل
ولباطلٌ ممن أحبّ حديثه أشهى إليّ من البغيض الباذل

وشتم مزبّد المدني ، بصبص ، جارية ابن نفيس ، فقال لها : **أخطأت استك الحفرة أي زانية** ، لما طلبت منه أن يخرج درهماً لشراء ريحان للمجلس .

وقد روينا القصّة في الفصل الخامس من الباب الأول من الكتاب : الرفث في الشتيمة .

الفصل الخامس

الرفث في الشتيمة

الرفث : قول الفحش ، يقال : أرفث في كلامه : إذا أفحش .

قال العجّاج :

وربّ أسراب حجيج كظّم   على اللغا ورفث التكلّم

ومن جملة معاني كلمة الرفث : الجماع ، وغيره مما يكون بين الرجل وامرأته من التقبيل والمغازلة .

قال تعالى : ﴿ أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ (١٨٧م البقرة ٢) وقال تعالى : ﴿ فلا رفث، ولا فسوق ، ولا جدال في الحجّ ﴾ (١٩٧م البقرة ٢) .

ورأى ابن عبّاس أنّ الرفث المنهيّ عنه في القرآن في الآية الأخيرة . هو قول الفحش في مواجهة النساء ، أما إذا كان بحيث لا تسمعه امرأة ، فلا يدخل في قوله تعالى : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ﴾ .

وفي مجمع البيان ٢ / ٢٩٣ : ان الرفث بالفرج : الجماع ، والرفث باللسان : المواعدة للجماع ، والرفث بالعين : الغمز للجماع .

١ ـ قولهم : يا زانية ، ويا ابن الزانية

الزنا : الفجور .

الزانية : الفاجرة .

لما بعث زيـاد حجر بن عديّ إلى معاوية ، بعث معه محضراً شهد فيه قوم كان منهم شدّاد بن بزيعة، وبزيعـة أمّه ، فقـال زياد : أمـا لهذا أب ينسب إليه ؟ ألغوه من الشهود ، فقيل لـه إنّه ابن المنـذر ، فقال : انسبـوه إلى أبيه ، فبلغ ذلك شدّاد ، فقـال : والهفاه على ابن الـزاينة ، أو ليست أمّـه أعرف من أبيه ، فوالله ما ينسب إلاّ إلى أمّه سمّية (الاغاني ١٧ / ١٤٦) .

ولما قَتَلَ عبيـد الله بن زياد ، مسلم بن عقيل ، أحضر أمامه المختـار بن أبي عبيـد الثقفي ، وقال لـه : أنت المقبل في الجمـوع ، لنصر ابن عقيـل ، ورفع قضيباً في يده ، فاعترض وجه المختار ، فشتر عينه ، ثم حبسه ، فكتب عبد الله بن عمر ، وكانت أخت المختار صفية ، تحته ، إلى يزيد ، فأمر عبيد الله بن زياد بإطلاقه ، فخرج إلى الحجاز ، فلقيه ابن الغِرَق من وراء واقصة ، فقـال له المختـار : شتر ابن الـزانية عيني بـالقضيب ، قتلني الله إن لم أقـطع أنـامله وأباجله وأعضاءه إرباً إرباً (الطبري ٥ / ٥٧١ و ٥٧٢ وانساب الاشراف ٥ / ٢١٥) .

وفي معركة الطفّ في السنة ٦١ برز من الجند الأموي أثنان ، هما يسار مولى زياد بن أبيه ، وسالم مولى عبيد الله بن زيـاد ، فقالا : من يبـارز ؟ فبرز إليهما عبد الله بن عميـر الكلبي ، من أنصار الحسين ، فقـالا له : من أنت ؟

فانتسب لهما ، فقال له يسار : نحن لا نعرفك ، ليخرج إلينا زهير بن القين أو حبيب بن مظاهر ، فقال عبد الله ليسار : **يا ابن الزانية** ، ما يخرج إليك أحد من الناس إلاّ وهو خير منك ، ثم شدّ عليه بسيفه فقتله (الطبري ٥ / ٤٢٩ و ٤٣٠) .

وتعاير عبيد الله بن ظبيان ، وعبيد الله بن زياد ، فقال ابن ظبيان : رحم الله عمر بن الخطاب . كان يقول : **اللهم إنّي أعوذ بك من الزانيات ، وأبناء الزانيات** ، فقال عبيد الله بن زياد : يرحم الله عمر ، كان يقول : لم يقم جنين في بطن حمقاء تسعة أشهر إلاّ خرج مائقاً (البيان والتبيين ٢ / ١٨٥) .

وفي السنة ٦٦ وجه المختار قائده إبراهيم بن الاشتر ، على رأس جند من العراق لقتال جند الشام المقبل إلى الموصل ، بقيادة عبيد الله بن زياد ، فالتقوا بخازر ، وحمل شريك بن جدير التغلبي ، من جند العراق ، على الحصين بن نمير ، من قواد الجند الشامي ، وهو يحسبه عبيد الله بن زياد ، وأخذ شريك يصيح : **اقتلوني وابن الزانية** ، فقتل ابن نمير ، وانفرجت المعركة عن شريك وهو قتيل أيضاً ، وكان شريك قد شهد صفين مع علي ، فلما انقضت أيّام علي ، لحق ببيت المقدس فأقام به ، فلما قتل الحسين عاهدا الله إن ظهر من يطلب بدمه ، ليقتلنّ ابن زياد أو ليموتن دونه ، فلما ظهر المختار للطلب بثأر الحسين أقبل إليه وسار مع إبراهيم بن الاشتر ، حيث قتل في المعركة (الطبري ٦ / ٨٦ و ٩٢ ، ابن الاثير ٤ / ٢٦٤) .

وشتم أحد أولاد الأحنف بن قيس ، زبراء ، جارية أبيه الأحنف ، فقال لها : يا زانية ، فقالت له : لو كنت زانية ، لأتيت أباك بابنٍ مثلك (بلاغات النساء ١٦٤) .

أقول : زبراء ، جارية الأحنف ، كان مطيعاً لها ، فكان الأحنف إذا أراد

حربـاً ، قـال النـاس : قـد غضبت زبـراء ، يكنـون عن غضبـه في الحـرب بغضبها (سرح العيون ٥٥ و ٥٧) .

ولما قتل مصعب بن الزبير ، المختار ، أحضر امرأة المختار وهي عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصـاري ، فسألهـا ما تقـولين في المختار ؟ فقـالت : رحمة الله عليه ، إنّه كان من عباد الله الصالحين ، فأمر بها فقتلت ، قتلها أحد شرطته واسمه مطر ، ضربها بالسيف ثلاث ضربات، فصاحت مع الضربات يـا أبتاه ، يا أهلاه ، يا عشيرتاه ، ثم ماتت ، فسمع بقصتهـا أخوهـا أبان فـأمسك بمطر فلطمه ، وقال له : يا ابن الزانية ، قطعت نفسها ، قطع الله يـمينك (ابن الاثير ٤ / ٢٧٥ والطبري ٦ / ١١٢) .

وفي السنـة ٧٦ بعث الحجّـاج ، الحـارث بن عميـرة الهمـداني ، في ثلاثة آلاف رجـل لقتال الخـوارج ، فحصروا شبيب وأصحـابه في حصن ، ثم صـاح بهم بعض أفـراد الجنـد : يـا بني الـزواني ، ألم يخـزكم الله ؟ فغضب أصحـاب شبيب ، وصاحـوا بهم : يا فسّـاق ، ما عـذركم عند الله في الفـري على أمّهـاتنا ؟ فقـال لهم رجال من الجنـد : إنّمـا هـذا من قـول شبـاب فينـا سفهاء ، والله ما يعجبنا قولهم ولا نستحلّه (الطبري ٦ / ٢٢٣) .

وتـلاقى كثيـر ، وحبيبتـه عـزّة ، ولمـا عـادت إلى زوجهـا ، ضـربهـا ، وآضـطرّها إلى شتم كثيـر ، فوقفت عليـه ، وقالت لـه : يا ابن الـزانية ، وهي تبكي .

قال كثير : حججتُ سنة من السنين ، وحجّت عزّة وزوجهـا ، ولا يعلم كلّ منّا بصاحبه ، فلما كنّا ببعض الطريق ، أمرها زوجهـا بابتيـاع سمن تصلح بـه طعامـاً لأهل رفقتـه ، فجعلت تدور في الخيـام حتى دخلت إليَّ ، وهي لا تعرف انّها خيمتي ، وكنت أبري أسهماً لي ، فلمـا رأيتها ، جعلت أبـري وأنا

أنظر إليها ، حتى بريت أصابعي ، ولا أشعر ، ودمي يجري ، فلما تبيّنت عزّة ذلك ، أمسكت يدي ، وجعلت تمسح الدم بثوبها ، وأعطيتها نحياً من سمن كان عندي ، فأخذته إلى زوجها ، فلما رأى الدم ، سألها ، فكاتمته ، فحلف لتصدقنّه ، فصدقته ، فضربها ، وحلف لتشتمني في وجهي ، فوقفت عليّ ، وهومعها ، فقالت لي : يا ابن الزانية ، وهي تبكي ، فذلك حيث أقول : (الاغاني ٩ / ٢٩) .

يكلّفها الخنزير شتمي ، ومابها هواني ولكن للمليك استذلّتِ

ولما ولي سليمان بن عبد الملك ، خافه قتيبة بن مسلم الباهلي أمير خراسان ، لأنّه كان قد وافق الوليد على خلع سليمان ، وتوليه ابن الوليد ، فخلع سليمان ، ولم يطعه الجند ، وحاربه وكيع بن أبي سود التميمي ، فقتل قتيبة ، وصعد وكيع المنبر ، فلم يجد ما يقول ، سوى أنّه شتم المرزبان ، وسمّاه ابن الزانية ، فإنّه صعد المنبر ، وقال : مثلي ومثل قتيبة ، كما قال الأوّل :

من ينك العير ينك نيّاكا

أراد قتيبة قتلي ، وأنا قتّال .

قد جربوني ثم جرّبوني من غلوتين ومن المئين
حتى إذا شبت وشيّبوني خلّوا عناني وتنكبوني

أنا أبو مطرّف .

أنا ابن خندف تنميني قبائلها بالصالحات وعمّي قيس عيلانا

ثم أخذ بلحيته ، فقال :

شيخ إذا حمّل مكروهةً شدّ الشراسيف لها والحزيما

والله ، لأقتلنّ ، ثم لأقتلنّ ، ولأصلبنّ ، ثم لأصلبنّ ، إنّ مرزبانكم هذا

ابن الزانية ، قد أغلى أسعاركم ، والله ليصيّرنّ القفيز بأربعة دراهم ، أو لأصلبنّه ، صلّوا على نبيّكم ، ثم نزل (الطبري ٦ / ٥١٧ و ٥١٨ و ابن الاثير ٥ / ١٢ و ١٨) .

أقول : خطب وكيع ، وهو أمير خراسان ، فقال : إن الله سبحانه وتعالى خلق السماوات والأرض في ستّة أشهر ، فقيل له : إنّه خلقها في ستة أيّام ، فقال : وأبيك ؟ لقد قلتها وأنا أستقلّها (العقد الفريد ٦ / ١٥٩) .

وصاح فتى طرب على غناء حبابة : الحريق يا أولا الزنا .

وتفصيل ذلك : إنَّ يزيد بن عبد الملك ، سأل جاريته حبابة ، هل رأيت قط أطرب منّي ؟ فقالت : نعم ، مولاي الذي باعني ، فكتب في حمله ، فحمل إليه مقيّداً ، فلما وصل ، أدخل على يزيد في قيده ، فأجلسه ، وأمر حبابة أن تغنّي ، فغنّت :

تشطّ غداً دار جيراننا ولـلدار بعد غدٍ أبعد

فوثب الرجل في قيده ، فسقط على شمعة ، فأحترقت لحيته ، وجعل يصيح : الحريق ، يا أولاد الزنا .

فضحك يزيد ، ووصله بألف دينار (الاغاني ١ / ٣١٦ و ١٥ / ١٤٢) .

واستدعى هشام بن عبد الملك ، الإمام زيد بن علي بن الحسين ، فأحضره وهو مكّبل بالحديد ، فقال له ، يعيره بأمّه ، وكانت جارية : يا ابن السوداء ، فقال له زيد : صبغة جلدها ، وخلقة ربها ، فقال له : يا ابن العجّانة الخبازة ، فقال : مهنة أهلها وخدمة بيتها ، فقال : يا ابن الزانية ، فقال : إن كنت صادقاً ، فغفر الله لها ، وإن كاذباً ، فغفر الله لك ، فأسقط في يد هشام ، وخجل ، ونكّس رأسه ، وأمر به فرّد إلي محبسه (الهفوات النادرة ٣٧٩) .

وقال الوليد بن يزيد ، لعطرّد المغنّي : **يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : إنَّ الوليد لما استخلف ، كتب باحضار عطرّد المغنّي ، فحمل إلى الشام ، وغنّى الوليد صوتاً ، فأطربه ، فشقّ حلّة كانت عليه ، وألقى بنفسه في بركة أمامه مملوءة خمراً ، فنهل منها ، ثم أخرج ، وفي اليوم الثاني صنع مثل صنيعه الأوّل ، وفي اليوم الثالث ، دعاه ، وقال له . كأنّي بك ، وقد أتيت المدينة ، فقمت بي في مجالسها ومحافلها وقعدت ، وقلت : دعاني أمير المؤمنين . وغنّيته ، وأطربته ، فشق ثيابه ، وفعل وفعل ، والله ، يا ابن الزانية ، لئن تحرّكت شفتاك بشيء مما جرى ، فبلغني ، لأضربنّ عنقك ، ووصله بألف دينار (الأغاني ٣ / ٣٠٧ و٣٠٩) .

وطلّق الوليد بن يزيد ، آمرأته سعدى ، ثم تبعتها نفسه ، فبعث أشعب إليها رسولاً على أن ينشدها أبياتاً من الشعر ، هي :

أسعدى هل اليك لنا سبيل ولا حتّى القيامة من تلاق
بلى ولعلّ دهراً أن يواتي بموت من خليلك أو فراق

وأعطاه على الرسالة عشرة آلاف درهم ، فأبلغها الرسالة ، فقالت لخدمها : خذوا الفاسق ، ثم أمرته أن يبلغه قولها :

أتبكي على سعدى وأنت تركتها فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع ؟

فأقبل أشعب ، وأبلغ الوليد الرسالة ، فقال له : أوه ، قتلتني والله ، ما تراني صانعاً بك يا ابن الزانية ؟ (وفيات الاعيان ٢ / ٤٧٤ و ٤٧٥ والاغاني ٧ / ٢٧ و ٢٨ و١٩ / ١٧١) .

وقال أبو جنيد البجلي ، لجارية له : **يا زانية** ، إذا أمسيت وبلعصتك في داري ، فأنا شرّ منك ، راجع القصة في كتاب بلاغات النساء ١٥٤ و ١٥٥ .

وقالت إحدى فتيات بني خميس بن عامر ، لابن ميّادة : **يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : أن آبن ميّادة وقع بينه وبين قوم من بني خميس بن عامر شرّ فهجاهم ، فقال :

وتبدي الخميسيات في كلّ زينة فروجاً كأظلاف الصغار من البهم

ثم إنَّ إبل ابن ميّادة ، نـدّت ، فخرج في بغـائها ، فمـرّ ببني خميس ، فصار إلى عجوز منهم تعرفه ، فقرته ، ثم أبرزت له بنيّة في إزار أحمر ، فلمـا أوقفتها بين يديه ، أطلقت عنها ، فقالت له : **يا ابن الزانية** ، انظر هذا ، فهل هو كما وصفت؟ فأنعت اليوم ـ بعد المعاينة ـ ما تنعت بحقّ (بلاغات النساء١٥٦) .

وقـال حريش المجنـون ، بالبصـرة للفـرزدق : نـحّ بغلتـك ، جـذّ الله رجليك ، يا كذوب الحنجرة ، **زاني الكمرة** (الأغاني ٢١/٣٥٨) .

واستعار الحزين الـديلي الشاعـر ، من شيخ من أهـل المدينـة حماره ، وذهب إلى العقيق ، وعـاد على الحمار وهـو سكـران ، فـوقف الحمـار حيث عوّده الشيخ أن يقف بباب المسجد ، فأخذه الطائف صفوان ، وضربه الحـدّ ، فخرج وهو ينادي ، إنَّ صفوان **ابن زانية** الأغاني ١٥/ ٣٣٠.

وكان الحكم بن عبدل الأسدي الشاعر ، أعرج لا تفارقه العصـا ، فترك الـوقوف بـأبواب الأمـراء ، وكان يكتب حـاجته على عصـاه ، ويبعث بهـا مـع رسله ، فلا يحبس له رسول ، ولا تؤخّر لـه حاجـة ، فقال في ذلـك يحيىٰ بن نوفل :

عصا حَكَمٍ في الدار أوّل داخـل ونحن على الأبـواب نقصى ونحجب
وكـانت عصا مـوسىٰ لفرعـون آية وهــذي لعمـر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخـطها ويرغب في المرضاة منها وترهب

فشاعت الأبيات بالكوفة ، وضحك الناس منها ، فقال ابن عبدل ليحيى : **يا ابن الزانية** ، ما أردت من عصاي حتى صيرتها ضحكة (الاغاني ٢ / ٤٠٤) .

وأنشـدت امرأة من الخضـر ، رهط الحكم الخضري ، بيتـاً قالـه ، في هجاء ميّادة ، أم ابن ميّـادة الشاعـر ، وهي لا تعرفهـا ، فلما أنشـدت البيت ، ثارت ميّادة إليها بالعمود ، تضربها به ، وتصيح : أي زانية ، هيا زانية ، إيّـاي تعنين ؟ ، وقام ابن ميّادة يخلصها فبعد لأي ما أنقذها ، وكان ابن ميّادة عريضاً للشرّ ، طالباً مهاجاة الشعراء ومسابّة الناس ، فكانـوا يذكـرون أمّه ميّـادة ، إذا أرادوا هجاؤه ، فكان يضرب بيده على جنب أمّه ، ويقول : (الاغاني ٢/ ٢٦٣) .

اعـــرنـــزمي ميّـــاد لــلقـــوافي وآستــمعـيهـنّ ولا تخـــافـي

ســتــجــديــن آبــنــك ذا قــذاف

ولمـا حمـل رأس محمـد بن عبـد الله بن الحسن ، النفس الـزكيـة إلى المنصور ، قال لمطر بن عبد الله : أما تشهد أنّ محمداً بايعني ؟ قـال : أشهد بالله ، لقد أخبرتني أنّ محمداً خيـر بني هاشم ، وأنّـك بايعت لـه . قال : **يـا ابن الزانية** ، أنا قلت ؟ قال : **الزانية ولدتك** ، قال : **يا ابن الـزانية الفـاعلة** ، أتدري ما تقول ؟ قال : التي تعني خير من أمّك ، فأمر به فوتّد في عينيه ، فما نطق (المحاسن والمسـاوي ٢ / ١٣٨) .

وشتمت امرأة مجنونة ، بالكوفة ، رجلاً ، فقالت له : **يا ابن الـزانيين** ، وكان القاضي ابن أبي ليلى حـاضراً ، فـأقام عليهـا حدّين ، حـداً لأبيه وحـدّاً لأمّه ، في المسجد ، فبلغ ذلك أبا حنيفة ، فقال أخطأ فيها في ستّة مواضع :

١ ـ أقام الحدّ في المسجد ، ولا تقام الحدود في المسجد .

٢ ـ ضربها قائمة ، والنساء يضربن قاعدات .

٣ ـ وضربها لأبيـه حدّاً ولأمّـه حدّاً ، ولا يجمـع بين حدّين حتى يجبّ أحدهما .

٤ ـ والمجنونة ليس عليها حدّ .

٥ ـ وحدّها لأبويه وهما غائبان ، لم يحضرا فيدّعيان .

(تاريخ بغداد للخطيب ١٣ / ٣٥٠)

أقول : ولم يذكر الخطيب الخطأ السادس .

وقال مزبّد المدني لبصبص جارية ابن نفيس: أي زانية، اخطأت أستك الحفرة .

وتفصيل القصة : إنَّ مزبّد المدني ، كان شديد البخل ، فاجتمع ذات يوم عند بصبص جارية ابن نفيس ، عبد الله بن مصعب الزبيري ، ومحمد بن عيسى الجعفري ، في أشراف من أهل المدينة ، فتذكروا مزبّداً المدني ، صاحب النوادر ، وبخله ، فقالت بصبص : أنا آخذ لكم منه درهماً ، فقال لها مولاها : أنت حرّة لئن فعلتِ ذلك إن لم أشتر لك مخنقة بمائة ألف دينار ، وإن لم اشتر لك ثوب وشي بما شئت ، وأجعل لك مجلساً بالعقيق ، أنحر لك فيه بدنة لم تقتب ولم تركب ، فقالت : جيء به ، وارفع عنّي الغيرة ، فقال : أنت حرّة ، ان لو رفع رجليك لأعنته على ذلك .

قال عبد الله بن مصعب : فصلّيت الغداة في مسجد المدينة ، فإذا به ، فقلت : أبا إسحاق ، أما تحبّ أن ترى بصبص ، جارية ابن نفيس ؟ فقال : امرأتي طالق ، إن لم يكن الله ساخطاً عليَّ فيها ، وإن لم أكن أسأله أن يرينيها منذ سنة ، فما يفعل ، فقلت له : اليومَ ، إذا صليت العصر ، فوافني ههنا ، قال : امرأتي طالق ، إن برحت من ههنا حتى تجيء صلاة العصر ، قال : فتصرفت في حوائجي حتى كانت العصر ، ودخلت المسجد فوجدته فيه ، فأخذت بيده ، وأتيتهم به ، فأكلوا ، وشربوا ، وتساكرا القوم ،

وتناوموا ، فأقبلت بصبص على مزبّد ، فقالت : أبـا إسحاق ، كـأنّ في نفسك أن أغنّيك الساعة :

لقـد حثّوا الجمـال ليهـ ـربـوا منّـا فلم يئـلوا

فقال : زوجتي طالق ، إن لم تكـوني تعلمين ما في اللوح المحفـوظ ، قال : فغنّته ساعة ، ثم مكثت ساعة ، فقالت : أبا إسحـاق ، كأنّ في نفسـك تشتهي أن تقـوم من مجلسـك ، فتجلس إلى جـانبي فتقـرصني قـرصـات ، وأغنّيك :

قـالت وأبثثتها وجدي وبحتُ بـه قُد كنتَ عندي تحبّ الستر فاستتر
ألستَ تبصر من حولي فقلت لها : غطّىّ هواك ، وما ألقى ، على بصري

فقال : امرأتي طالق ، إن لم تكون تعلمين ما في الأرحام ، وما تكسب الأنفس غداً ، وبأي أرض تموت ، فغّنته ، ثم قالت : برح الخفاء ، أنا أعلم إنّك تشتهي أن تقبّلني شقّ التين ، وأغّنيك هزجاً :

أنـا أبـصـرت بـالـليـل غـلامـاً حـسـن الـدلّ
كـغصـن البـان قـد أصـ ـبـح مسقيّـاً من الـطـلّ

فقـال : أنت نبيّة مـرسلّة ، ثم قـالت : أبـا إسحـاق ، أرأيت أسقط من هؤلاء ؟ يدعونك ، ويخرجونني إليك ، ولا يشتـرون ريحانـاً بدرهم ، أي أبـا إسحاق ، هلمّ درهماً نشتري به ريحاناً .

فوثب مزبّد ، وصاح : واحرباه ، أي زانيـة ، أخطأت استـك الحفرة ، انقطع ـ والله ـ عنك الوحي الذي كان يوحى إليك .

وعطعط القوم بها ، وعلموا أنّ حيلتها لم تنفذ عليه ، ثم خرج فلم يعـد إليهـا ، وعاود القـوم مجلسهم ، فكان أكثـر شغلهم فيه ، حـديث مزبّـد معها والضحك منه (الاغاني ١٥ / ٣٢ و ٣٣) .

واجتازت جنازة الصريمّية المغنّية ، بأشعب ، وهو جالس في قوم من قريش ، فبكى عليها ، ثم قال : ذهب الغناء كلّه ، على أنّها الزانية ، لا رحمها الله ، كانت شرّ خلق الله ، كنّا نجيئها الفاجرة ، بكبش ، فيطبخ لنا في دارها ، ثم لا تعشّينا إلاّ بسلق (الاغاني ١٩ / ١٥٩) .

وشهد الغريض المغنّي ، ختاناً لبعض أهله ، فقال له بعض القوم : غنّ ، فقال : هو ابن الزانية إن غنّى ، فقال له مولاه : فانت والله ابن الزانية ، فغنّ (العقد الفريد ٦ / ٣٠) .

وقال عمار ذي كناز ، لحماد الراوية : ما أقل شكرك يا ابن الزانية .

وسبب ذلك : إنَّ حماد الراوية ، وفد على الوليد بن يزيد ، واستنشده لعدّة من الشعراء ، فأنشده من جملة ما أنشد ، أبياتاً لعمار ذي كناز ، وهو شاعر ماجن ، خمير ، من أصدقاء حماد ، فاستحسن الوليد الأبيات ، وسأل عن عمار ، فقال له حماد : إنَّه حيٌّ كميت ، فبعث إليه مع حماد بعشرة آلاف درهم ، فقال له حماد : إنَّ عمار لا يزال ينصرف من الحانات سكراناً فيأخذه الشرط ، ويضرب الحدّ ، فلو أمرت بأن لا يتعرّض له أحد ، إن وجدوه سكراناً ، فكتب الوليد إلى أمير العراق ، بأن لا يرفع إليه أحد من الحرس عماراً، إلاّ ضرب الرافع له حدّين، فأخذ حماد المال والكتاب، وجاء بهما إلى عمار ، فحدّثه بالقصّة ، وقال له : ما ظننت إنَّ الله يكسب أحداً بشعرك نقيراً ، فقال له عمار : عزّ عليَّ قلّة شكرك يا ابن الزانية (الاغاني ط بولاق ٢٠ / ١٧٥) .

دخل مطيع بن إياس ، ويحيى بن زياد ، على حماد الراوية ، فإذا سراجه على ثلاث قصبات ، قد جمع أعلاهنَّ وأسفلهنَّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حمّاد ، إنَّك لمسرف متبذل لحرّ المتاع ، فقال له مطيع : ألا

تبيع هذه المنارة ، وتشتري أقلّ ثمناً منها ، وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي ، وتتّسع به ؟ فقال له يحيىٰ : ما أحسن ظنّك به ، ومن أين له مثل هذه ؟ إنّما هي وديعة أو عارية ، فقال له مطيع : أما إنّه لعظيم الأمانة عند الناس ؟ قال له يحيىٰ : وعلى عظيم أمانته ، فما أجهل من يخرج مثل هذه من داره ، ويأمن عليها غيره ؟ قال مطيع : ما أظنّها عارية ، ولا وديعة ، ولكنّي أظنّها مرهونة عنده على مال ، وإلاّ فمن يخرج هذه من بيته ، فقال لهما حمّاد : قوما عنّي يا بني الزانيتين، وآخرجا من منزلي، فشرّ منكما من يدخلكما بيته (الاغاني٦/٧٤).

وقال يحيى بن زياد ، لمطيع بن اياس : يا ابن الزانية .

وسبب ذلك : إنَّ يحيىٰ بن زياد ، قال لمطيع بن إياس ، انطلق بنا إلى فلانة صاحبتي ، فإنَّ بيني وبينها مغاضبة ، لتصلح بيننا ، فدخلا إليها ، وأخذ يحيىٰ يعاتب صاحبته ، ومطيع ساكت ، فصاح به يحيىٰ : ما يسكتك ، أسكت الله نأمتك ؟ فقال مطيع :

أنتِ معتلّةٌ عليه ومازا ل مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ما سمع وهشّ له ، فقال مطيع :

فدعيه وواصلي آبن اياس جعلت نفسه الغداة فداك

فقام يحيىٰ إليه بوسادة في البيت ، فما زال يجلد بها رأسه ، ويقول : ألهذا جئت بك يا ابن الزانية (الاغاني ١٣ / ٢٨٤) .

وقال بشّار يهجو حمّاد عجردَ ويتّهمه بالثنويّة :

يا ابن نهيا رأسي عليّ ثقيل وآحتمال الرأسين خطب جليل
أدع غيري إلى عبادة ربّين فإنّي بواحد مشغول

فأشاع حماد الأبيات ، وجعل مكان الشطر الأخير : فانّي عن واحد مشغول، فاضطرب بشار، وصاح: أشاط ابن الزانية بدمي (الاغاني ١٤/٣٢٥) .

ونزل ذو الرّمة ، على ميّ ضيفاً ، فعرفه زوجها ، فلم يدخله البيت ، وأخرج إليه قراه ، وتركه بالعراء ، فأنشد بيتاً من الشعر فيه ذكر ميّ ، فغضب الزوج وأجبر ميّ أن تقول له يا ابن الزانية (الاغاني ١٨ /١٣) .

وفي السنة ١٦٠ كان المهدي ينظر في المظالم ، فتقدّم إليه رجل من آل زياد بن أبيه ، فقال له : من أنت ؟ قال أنا ابن عمك ، فقال : من أي بني عمي أنت ؟ فأنتسب إلى زياد ، فقال له المهدي : **يا ابن سميّة الزانية** ، وأمر به فوجىء في عنقه ، وأخرج ، ثم كتب بردّ نسب آل زياد واخراجهم من قريش (الطبري ٨ / ١٢٩).

وكان ابو الشمقمق ، قد فرض على بشار ، في كلّ سنة مائتي درهم ، فأتاه مرّة ، فقال : هلّم الجزية ، يا أبا معاذ ، فقال ويحك أجزية هي ؟ قال : هو ما تسمع ، فقال له بشار : أنت أفصح مني ؟ قال : لا ، قال : فأعلم ؟ ، قال : لا ، قال : فلِمَ أعطيك ؟ قال : لئلا أهجوك ، قال : إن هجوتني هجوتك ، فقال : أو كذا هو ؟ فاسمع :

إنّي إذا ما شاعر هجانيه	ولجّ في القول به لسانيه
أدخلته في آست آمّه علانيه	بشّار يا بشّار . . . .

وأراد أن يقول : يا ابن الزانية ، لإتمام البيت ، فأمسك بشار بفمه ، ودفع إليه المائتي درهم ، وقال له : لا يسمعن منك هذا الصبيان .

(شرح مقامات الحريري للشريشي ١ /٢٢٢ والاغاني ٣ / ١٩٤ و ١٩٥) .

وذكر أبو مالك عمرو بن كركرة ، أنه سمع ابن مناذر ينشد قصيدة لـه ، وكان فيها البيت :

يقدح الدهر في شماريخ رضوى ويهـدّ الصخـور عن هبّـود

فقال له : هبّود أي شيء هو ؟ فقال : جبل ، فقال له : سخنت عينك ، هبّود ـ والله ـ بئر باليمامة ، مائها ملح ، وقد والله خريت فيها مرات .

فلما كان بعد مدة ، سمعه ينشد البيت :

ويحطّ الصخور عن عبّود

فقال له : عبّود ، أي شيء هو ؟ ، فالتفت إليه ، وقال له : عبّود ، جبل بالشام ، فلعلك يا ابن الزانية ، خريت عليه أيضاً (الاغاني ١٨ / ١٨١) .

وشتم الحسين بن الضحاك ، أبا نؤاس ، فقال له : حسن يا ابن الزانية .

وسبب ذلك : إنّ حسين بن الضحاك ، نظم شعراً في الصبوح ، وتلاه على أبي نؤاس ، فسرق أبو نؤاس المعنى ، وأودعه في شعره الذي أوّله :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا وأملّه ديك الصباح صياحا

فقال له حسين : حسن ، يا ابن الزانية ، فعلتها ؟ فقال له : دع هذا عنك ، فوالله لا قلت في الخمر شيئاً أبداً ، وأنا حي ، إلّا نسب إليّ (الاغاني ١٤ / ١٦٢) .

وشتم إبراهيم بن المهدي ، إسحاق الموصلي : فقال له يا ابن الزانية .

وسبب ذلك : إنّ إبراهيم بن المهدي ، وإسحاق الموصلي ، اختلفا في غناء صوت ، في مجلس الرشيد ، إذ غنّى إسحاق صوتاً ، فاعترض عليه ، وخطّأه ، فغضب إسحاق ، وقال للرشيد : يا أمير المؤمنين ، هذه

صناعتي ، وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتنا منك ، وأوطأتنا بساطك ، فإذانازعناها أحد بلا علم ، لم نجد بدأ من الإيضاح والذبّ ، فغضب إبراهيم ، وقام الرشيد ليبول ، فقال إبراهيم لإسحاق : ويلك يا إسحاق ، اتجترىء عليَّ يا ابن **الزانية** (معجم الادباء ٢ / ٢٠١) .

وشتم بشّار ، حمّاد عجرد ، فقال فيه ، **ابن الزانية** .

وسبب ذلك : إنَّه كان رجل من أهل البصرة ، يدخل بين حمّاد عجرد ، وبشّار ، على اتّفاق منها ، ورضا ، فينقل إلى كلّ واحد ، شعر صاحبه ، ودخل يوماً على بشّار ، فقال له : ما قال **ابن الزانية** ، فيّ ، فأنشده :

أنت إبن بردٍ ، مثل برْ دٍ في النذالة والرذالة
من كان مثل أبيك يا أعمى ، أبوه ، فلا أبا له

فقال : جوّد **ابن الزانية** (الاغاني ١٤ / ٣٢٦ و ٣٢٧) .

وكانت الخيزران ، كثيراً ما تكلّم ولدها موسىٰ الهادي في الحوائج ، وكان يجيبها إلى كلّ ما تسأل ، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، فانثال الناس عليها ، وطمعوا فيها ، وكانت المواكب تغدو إلى بابها ، فكلّمته يوماً في أمر لم يجد إلى أجابتها فيه سبيلاً ، فاعتذر ، وأحتجّ بحجّة ، فقالت له : لابدّ من إجابتي ، قال : لا أفعل ، قالت ، فإنّي تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك ، فغضب موسىٰ ، وقال : ويلي على **ابن الزانية** ، قد علمت انَّه صاحبها ، والله لاقضيتها لك ، قالت : إذاً والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذاً والله لا أبالي ، وغضب فقامت مغضبة ، فقال : مكانك ، تستوعبي كلامي ، والله ، وإلاّ فأنا بريء من قرابتي من رسول الله ، لئن بلغني أنَّه وقف أحد من قوّادي وخاصّتي وخدمي على بابك لأضربنّ عنقه ، ولأقبضنّ ماله ، فمن شاء فليرم ذلك ، أمالك مغزل يشغلك ، أو مصحف

يذكّرك ، أو بيت يصونك ، إيّاك ثم إيّاك ، ما فتحت فاك في حاجة لملّي أو ذمّي (البصائر والذخائر ٣ / ١ / ٦٩ و ٧٠) .

ولما عزل الرشيد ، علي بن عيسى بن ماهان ، عن خراسان ، كتب إليه كتابَ عزله : بسم الله الرحمن الرحيم ، **يا ابن الزانية** ، رفعتُ من قدرك ، ونوّهتُ باسمك ، وجعلت أبناء ملوك العجم خولك ، فكان جزائي أن خالفت عهدي ، ونبذت وراء ظهرك أمري ، حتى عثت في الأرض ، وظلمتَ الرعيّة ، وأسخطت الله تعالى وخليفته بسوء فعلك وسيرتك ، وظاهر خيانتك .
(الطبري ٨ / ٣٢٧ والعيون والحدائق ٣ / ٣١٤)

وتنبأ رجل بالرقّة ، في أيّام الرشيد ، فسأله محمد بن عتاب ، عن دليل لنبوته ، فقال له : دليلي **أنّك ولد زنا** ، فرماه أحد الواقفين بحصاة صكّت صلعته ، فقال : ما رماها إلا **ابن زانية** (العقد الفريد ٦ / ١٤٦) .

وتشاتم بشّار بن برد ، وأصحابه ، فقالوا له : **يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : إنّ بشاراً جلس إليه أصدقاء له كوفيّون ، وسألوه أن ينشدهم من شعره ، فأنشدهم ، حتى وصل إلى البيت :

في حلّتي جسم فتى ناحل لو هبّت الريح به طاحا

فقالوا : **يا ابن الزانية** ، أتقول هذا ، وأنت كأنّك فيل ، عرضك أكثر من طولك ؟ فقال : قوموا عنّي **يا بني الزناء** ، فإني مشغول القلب ، لست أنشط اليهم لمشاتمتكم (الأغاني ٣ / ٢٣٣) .

وشتم حمّاد عجرد ، صاحبه مطيع بن إياس ، وقال له : **اسكت يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : إنّ حمّاد عجرد ، أخذ مطيع بن إياس ، إلى صاحبته خشّة ، المعروفة بظبية الوادي، وكانت من أظرف خلق الله، وأحسنهم وجهاً ، فأخذ مطيع في مغازلتها ، فصاح به حماد : اسكت يا ابن الزانية ، فعاود مطيع المغازلة ، فغضب حماد ، وحمي ، وخلع قلنسية عن رأسه ، وكانت صلعته حمراء كأنها است قرد ، فقال مطيع :

وارِ السوأةَ السوءاء يا حمّاد عن خشّة
عن الاترجّة الغضّة والتفّاحة الهشّة

فالتفت حماد إلى مطيع ، وقال : فعلتها يا ابن الزانية ، فقالت له : أحسن والله ، ما بلغ صفتك بعد ، فما تريد منه ؟ فقال لها : يا زانية ، فقالت له : الزانية آمّك ، وثاورته ، وثاورها ، فشقّت قميصه ، وبصقت في وجهه . وقالت له : ما تصادقك إلاّ زانية . (الأغاني ١٣ / ٢٨١ و ٢٨٢) .

وشتم كيسان النحويّ البصري ، أمّه ، فقال : أميّ زانية ان خرجت من الحبس .

وسبب ذلك : إنّ كيسان النحوي ، كان من أصحاب أبي عبيدة بن المثنّى ، وكان أبو عبيدة، يمازحه ويعبث به، وحدث أن حبس أمير البصرة عيسى بن سليمان الهاشمي ، كيساناً ، فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير ، فأمر بإخراجه ، فقال كيسان للجلاوزة: من أخرجني ؟ قالوا : تكلّم فيك شيخ مخضوب ، فعرف أنّه أبو عبيدة، فقال: أمي زانية أن برحت من الحبس ، أحبيس ظلم وطليق ذلّ ؟ (معجم الأدباء ٦ / ٢١٦) .

أقول : كيسان بن المعرف النحوي ، من الطيّاب ، ذوي الفكاهة ، روي عنه إنّه حضر يوماً مجلس أبي زيد ، فأملى : كانت العرب تقول : ليس لحاقن رأي ، فقال كيسان : ولا لمنعظ ، فقال أبو زيد : ما سمعناه ، ولكن آكتبوه ، فإنّه حقّ ، وجاء صبيّ إلى كيسان يقرأ شعراً ، حتى مرّ ببيت فيه ذكر

العيس ، فقال له الصبي : ما هي العيس ؟ قال : الإبل البيض التي يخالط بياضها حمرة ، قال : وما الإبل ؟ قال : الجمال ، قال : وما الجمال ، فقام كيسان في المسجد على أربع ورغا ، وقال : الجمل هو الحيوان الطويل الرقبة ، الذي يقول : بوع ، ورغا مثل البعير .

وشتم والبة بن الحباب ، سلم الخاسر ، فقال له : **يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : إنّ سلم الخاسر ، هجا والبة بن الحباب ، بأبيات أوّلها :

والب يا ابن الحباب يا حلقي   لست من أهل الزناء فانطلق

فقال له واليه : يا ابن الزانية ، سل عنك ريعان التميمي ، وكان ريعان لوطيّاً ، آفة من الآفات . (الأغاني ١٩ / ٢٧٤) .

وقال الشاعر محمد بن يسير ، لجعفيران الموسوس : **يا ابن الزانية** .

وسبب ذلك : اجتمع جعيفران الموسوس ، ومحمد بن يسير في بستان ، فنظر إلى محمد بن يسير وقد انفرد ناحية للغائط ، ثم قام عن شيء عظيم خرج منه ، فقال جعيفران :

قد قلت لابن يسير   لما رمى من عجانه
في الأرض تلّ سمادٍ   علا على كثبانه
طوبى لصاحب أرض   خريت في بستانه

فأخذ محمد بن يسير يشتم جعيفران ، ويقول : أي شيء أردت مني يا ابن الزانية ، حتى صيّرتني شهرة بشعرك (الأغاني ١٤ / ٤٨ و ٤٩) .

وقال بايكباك ، القائد التركي ، لجارية اشتراها : **يا بنت الزانية** .

وكان بايكباك ، اشترى جارية ، كانت قبله لفتى تحبه ويحّبها ، فمات عنها ، فجعلت لله على نفسها أن لا يجتمع رأسها ورأس رجل على وسادة واحدة ، فبيعت في الميراث ، واشتراها بايكباك ، وكان منكراً متفاوتاً ، فلما

نـظرت إلى وجهـه وخلقتـه ، بكت ، فقـال لهـا : **يـا بنت الـزانيـة** ، لأيش تبكين ؟ في حـــرآمّ أمس ، وفي بظرامّ غـد ، الشـأن في اليـوم ، قـومي حتى نطرب ونأكل ونشرب ، فوقع عليها الضحك ، واسترخت له وأمكنته (البصائـر والـذخائـر ١ / ١١١) .

ولما حاصـر المعتصم عمورية ، في السنة ٢٢٣ كـان أحد الأيـام نوبـة أشنـاس وقوّاده ، وفي اليـوم التالي ، كـانت نوبـة الإفشين وقـوّاده ، واجتهـد الافشين وقوّاده في يومهم ، فقـال المعتصم : مـا كان أحسن الحـرب اليوم ؟ فقـال عمرو الفـرغاني ، وهـو من قوّاد أشنـاس : الحرب اليـوم ، أجـود منهـا أمس ، فغضب أشنـاس من هذا القـول ، واعتبـره تعـريضـاً بـه ، فلمـا قـرب اشنـاس من مضربـه ، ترجّـل له قـوّاده ، وفيهم عمرو الفـرغاني ، وأحمـد بن الخليـل ، ومشوا بين يـديه كعـادتهم ، فقال لهم أشنـاس : **يـا أولاد الـزنـا** ، لأيـش تمشون بين يديّ ، كان ينبغي أن تقاتلوا أحسن ، ولا تقفـون بين يدي أميـر المؤمنين ، وتقولـون : الحرب اليـوم أحسن منها أمس، كـأنّما كـان أمس يقاتل غيركم ، أنصرفوا إلى مضاربكم . (الطبري ٩ / ٦٦) .

وكـان المعتصم يأنس بعـامي اسمه علي بن الجنيـد الأسكافي ، وبعث إليه حاجبه ابن حماد دنقش كي يـزامله في سفر ، فقـال له علي : آه حـرها ، إذهب إليه وقل له : **ما يزاملك إلاّ من أمّه زانيـة** وهو كشخـان ، راجع القصـة مفصلة في مـروج الذهب ٢ / ٣٦٢ و ٣٦٣ وفي شـرح المقامـات الحريـريـة للشريشي ١ / ١٩٠ .

وفي السنة ٢٢٣ تآمر بعض القوّاد على المعتصم ، وبـايعوا العبـاس بن المأمون وكان منهم الشاه بن سهـل فدعـا به المعتصم ، والعبّـاس بين يديـه ، فقال له : **يا ابن الزانية** أحسنت إليك فلم تشكـر ، فقال لـه الشاه بن سهـل : **ابن الزانية هذا الذي بين يديك** ـ يعني العباس ـ لو تـركني كنتَ أنت الآن لا تقـدر أن تجلس هـذا المجلس وتقـول لي ابن الـزانيـة ، فـأمـر بـه المعتصم فضربت عنقه (تجارب الأمم ٦ / ٥٠١ والطبري ٩ / ٧٦) .

وكتب إبراهيم بن المدبّر، إلى آبن حمدون ، نديم المتوكل : **يا بني** ، **أي يا بني الزانية** .

وسبب ذلك : إنّ إبراهيم بن المدبّر ، حبسه المتوكل ، وطال حبسه ، فكتب إلى أبي عبد الله بن حمدون النديم قصيدة جاء فيها : [الأغاني ٢٢ / ١٦٩] .

يا ابن حمدون ، فتى الجود الذي   أنا منه في جنى وردجني
ما الذي ترقبه ، أم ترى   في أخ مضطهد مرتهن
قل لحمدون خليلي ، وابنه   ولعيسى ، حرّكوه يا بني

وكان أبو سماحة بن المعيطي الشاعر ، يهجو يحيى بن خالد البرمكي ، سرّاً ، ودخل عليه مرّة ، فلامه على هجوه إيّاه ، فحلف انّه لم يهجه أبداً، فوصله يحيى بعشرة آلاف درهم، وتخت ثياب، فلما خرج تلقّاه أصحابه، فأراهم ما أعطاه يحيى، وقال: ما عسيت أن أقول فيه، إلاّ إنّه ابن زانية ، أبى إلاّ كرماً ، راجع القصة بتفصيلها في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي جـ ٧ ص ٢١٩ ـ ١٢٢ رقم القصة ١٢٨ .

وشتم علّويه المغنّي ، الخلافة ، فقال : **أمّ الخلافة زانية** .

وسبب ذلك : إنّ علّويه خرج مبكّراً ، لموعد ضربه المأمون للمغنّين ، فلاقى رسول عريب، فأخبره أنّها تريد منه أن يحضر عندها، فقال علّويه : **أمّ الخلافة زانية** ، ومضى إلى عريب (الأغاني ٢١ / ٧٥) .

وفي السنة ٢٥١ قطعت بنو عقيل طريق جدة فحاربهم جعفر بشاشات ، فقتل من أهل مكة نحو ثلثمائة رجل ، وقيل أنّ بعض بني عقيل قال وهو يسلب : [الطبري ٩ / ٣٤٦] .

عليك ثوبان وأمّي عاريةً   فألق لي ثوبك يا ابن الزانية

وروى بعض من حضر ضرب أحمد بن إسرائيل ، وأبي نوح ، ضرب التلف ، في السنة ٢٥٥ بسامراء، انّ القائد حماد بن محمد بن دنقش ، من اتباع القائد صالح بن وصيف ، كان يصيح بالجلادين ، وهم يضربونهما : أنفسكم يا ابن الفاعلة ، لا يكني، أي إنّه كان يقول لهم : يا بني الزانية (الطبري ٩ / ٣٩٨) .

وشتم ديك الجن ، حبيبته وردة لمّا اتّهمها ، فقال لها : يا زانية ، ثم ضربها بالسيف ، فقتلها (الأغاني ١٤ / ٥٥ و ٥٦) .

وكان أبو العباس بن الفرات ، حديداً ، سفيه اللسان وذكر سليمان بن الحسن بن مخلد ، أنّه سمع دفعات ، أبا العباس بن الفرات ، وقد احتدّ طبعه على قوم غضب عليهم ، وكان يقول للواحد منهم : يا ابن مائة ألف كرّ خردل ، مضروبة من مائة ألف مثلها زواني ، تشاغل بحساب هذا فهو أنفع لك (القصة ٨ / ٣٥ من نشوار المحاضرة ح٨ ص ٨٣ و٨٤) .

وناظر الناشيء ، الشاعر المتكلّم ، أحد المجبرة ، فحرّك المجبر يده ، وقال للناشيء : هذه من حرّكها ؟ فقال : حرّكها من أمّه زانية ، فغضب الرجل ، فقال له الناشيء : ناقضتَ ، فإذا كان المحّرك غيرك ، فلم تغضب ؟ (معجم الأدباء ٥ / ٢٣٨) .

وراجع متظلّمون حامد بن العباس ، وزير المقتدر ، فأحالهم على عليّ بن عيسى ، ثم ردّهم إليه ، وقال لهم : كأنّي بكم تمضون إلى علي بن عيسى ، وتقولون له : أحالنا الوزير عليك، وأجابنا ، وأمّي إن كنت أجبتبكم إلى هذا زانية ، وأمّكم إن قلتم هذا زانية ، وأمّ علي بن عيسى إن أجابكم إلى

هذا زانية ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ٨ / ٣٦ ج٨ ص ٨٥ - ٨٨ .

وكتب ابن جمهور العمّي ، لصاحبته زاد مهر جارية المنصورية ، على منديل بعث به إليها :

أنا رسول من فتى عاشقٍ أدمعه في خدّه جاريه
هذا ابن جمهور فجودي له منك بما يهواه يا قاسية
وليست النفس وإن شفّها حبّك يا مولاته سالية

فردت المنديل ، وقد كتبت في وسطه : [الديارات ٢٦٨ و ٢٦٩] .

وأمّ من يسخر منّا لكي (ينيكنا) فاجرة زانية

وشتم الوزير حامد بن العباس ، السمري صاحب الحلاّج ، فقال له : كذبت ، يا ابن مائة ألف زانية ، في مائة ألف زانية .

وسبب ذلك : إنّ الوزير حامد بن العباس ، كان شديد الكراهية للحلاّج ، وكان يتطلّب أذاه بكلّ وسيلة ، ولما حوكم الحلاّج ، في حضرة حامد، في ديوان الوزارة، أحضر حامد، السمري صاحب الحلاّج ، وسأله عن أشياء من أمر الحلاّج ، فقال له : حدّثني بما شاهدته منه ، فقال : إن رأى الوزير أن يعفيني فعل ، فقال له : لا أعفيك ، وألّح عليه ، فقال له : أنا أعلم أنّي إذا حدّثتك كذّبتني ، ولم آمن مكروهاً يلحقني ، فوعده أن لا يلحقه مكروه ، فقال : كنت معه بفارس ، فخرجنا نريد اصطخر في زمن شاتٍ ، فلما صرنا في بعض الطريق ، أعلمته بأنّي قد آشتهيت خياراً ، فقال لي : في هذا المكان وفي مثل هذا الوقت من الزمان ؟ فقلت : نعم ، وبعد ساعات قال لي : أنت على تلك الشهوة ؟ فقلت : نعم، وسرنا إلى سفح جبل ثلج ، فأدخل يده فيه ، وأخرج إليّ منه خيارة خضراء ، ودفعها إليّ ، فقال له حامد : فأكلتها ؟ قال : نعم ، فقال له : كذبت يا ابن مائة ألف زانية في مائة

ألف زانية ، أوجعوا فكّه ، فأسرع الغلمان إليه ، فامتثلوا ما أمرهم به ، وهو يصيح : أليس من هذا خفنا ؟ ثم أمر به فأقيم من المجلس ، راجع القصة مفصلة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف حـ ٥ ص ٧٩ ـ ٩٢ رقم القصة ٥١ وعنوانها : محاكمة الحلاّج ، وتنفيذ الإعدام فيه .

وعبثت رشأ وجوذر المغنيتان المدنيتان ، في بيت رجل هاشمي ، بأحد المضحكين ، فصاح بهما : **كذبتما يازانيتان** ، راجع تفصيل القصّة في هذا الكتاب في الفصل السادس من الباب الأول « طرائف في الشتم » .

وكان يونس النحوي ينبز بجبّل ، وكان يغضب إذا لقّب به ، فجاء إليه ابن مناذر ، وقال له : أخبرني عن جبّل ، اتنصرف أم لا ؟ فقال له : قد عرفتُ ما أردت **يا ابن الزانية** ، فانصرف ابن مناذر ، وأعدّ شهوداً يشهدون عليه إن شتمه ، ثم صار إليه معهم ، وسأله عن جبّل ، أتنصرف أم لا ؟ وعلم يونس ما أراد ، فقال له : الجواب ما سمعته أمس (معجم الأدباء ٧ / ١٠٨ والأغاني ١٨ / ١٩٣) .

وعرض على المعتصم فرس كميت أحمر، فغناه علّويه ومخارق أبياتاً استوهبا فيها الفرس ، فقال المعتصم وهو يضحك : اسكتا **يا ابني الزانيتين** ، فليس يملكه ـ والله ـ واحد منكما (الأغاني ١١ / ٣٥٣) .

وقال عيسى بن زيد المراكبي ، وكان من أملح الناس : كان لي غلام من أكسل خلق الله ، فوجّهته يوماً يشتري لي عنباً رازقياً وتيناً ، فأبطأ ، ثم جاء بعنب وحده ، فأوجعته ضرباً وقلت له : ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين ، ثم لم ألبث بعدها أن وجدت علّة ، فأمرته أن يحضر لي الطبيب ، فجاءني بطبيب ، ورجل آخر ، فقلت له : هذا الطبيب ، فمن هذا الذي معه ؟ قال : ألم تضربني وتطلب مني إن استقضيتني حاجة ، أن أقضي حاجتين ، هذا الطبيب ، فإن نفعك ، وإلاّ فهذا حفّار يحفر لك قبرك ، فما

الذي أنكرت ؟ قلت : **لا شيء يا ابن الزانية** . (البصائر والذخائر ١ / ٨٧ و ٨٨) .

وقال علي بن محمد بن نصر المعروف بابن بسّام[١]، يهجو الموّفق ورجال حكومته : [مروج الذهب ٢ / ٥٤٢ و ٥٤٣] .

أيرجوا الموفّق[٢] نصر الإله ... وأمر العباد إلى دانيه[٣]
ومن قبلها كان أمر العباد ... ـ لعمر أبيك ـ **إلى** زانية
وظلّ آبن بلبل[٤] يدعى الوزير ... ولم يك في الأعصر الخالية
وطحّان طيء[٥] تولّى الجسور ... وسقي الفرات وزرفامية[٦]
ويحكم عبدون[٧] في المسلمين ... ومن مثله تؤخذ الجالية[٨]
وأحول بسطام[٩] ظلّ المشير ... وكان يحوك بزر باطية[١٠]
وحامد[١١] يا قوم لو أمره ... إليّ لألزمته الزاوية[١٢]
نعم ، ولأرجعته صاغراً ... إلى بيع رمّان خسراوية[١٣]
وإسحاق عمران[١٤] يدعى الأمير ... لداهيّة أيّما داهية
فهذي الخلافة قد ودّعت ... وظلّت على عرشها خاوية
فخلّ الزمان لأوغاده ... **إلى لعنة الله والهاوية**
ويا ربَّ قد ركب الأرذلون ... ونحن عن الخلق في ناحية
فإن أنت أركبتنا مثلهم ... **وإلّا فأرجل بني الزانية**

١ - نظم هذه القصيدة أبو الحسن علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام (٢٣٠ - ٣٠٢) وهو شاعر أديب ، نشأ في بيت كتابة ، وتقلّد البريد ، شعره يمتاز بالرقة ، والأناقة في التعبير ، وأكثر شعره مقطوعات ، وهو في بغداد ، مثل ابن عنين في دمشق ، سواء في رقة الشعر ، أو ترفّع النفس ، أو في هجاء رجال الدولة ، ويقابل قصيدة ابن بسّام هذه ، قصيدة ابن عنين ، التي سّماها مقراض الأعراض ، وهي مدرجة في ديوانه ومطلعها :

سلطاننا أعرج وحاجبه ... ذو عمش والوزير منحدب .

٢ - أبو أحمد طلحة بن المتوكّل ، الملقب بالموفّق ، ويلقب بالناصر أيضاً ، كان الغالب على أمر أخيه المعتمد ، وكانا كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكّة والتسمّي بالإمرة ، وللموفّق الأمر والنهي وقيادة الجيوش ، ومن أهم أعمال الموفّق إنّه استأصل شأفة صاحب الزنج الذي دامت حركته خمس عشرة سنة ، واستولى على القسم الأوفر من العراق والأهواز ، راجع أخبار الموفّق في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف .

٣ - دانية - اسم محظية الموفّق .

٤ - أبو الصقر إسماعيل بن بلبل ، من عظماء الكتاب ، استوزره الموفّق لأخيه المعتمد ، وبلغ في الوزارة مبلغاً عظيماً ، وجمع له السيف والقلم ، وأراد صرف الخلافة عن المعتضد ، فخاب سعيه ، وحقدها عليه المعتضد ، فلما استخلف ، قتله ، راجع في هذا الكتاب وفي كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي ، في القصة المرقّمة ١ / ٧٦ كيف قتله المعتضد .

٥ - أحمد بن محمد الطائي : من كبار القادة الامراء ، نصب أميراً على الكوفة وسوادها منذ السنة ٢٦٩ ، وأضيف إليه طريق خراسان ، وسامراء ، وشرطة بغداد ، وفي السنة ٢٧١ أضيف إليه المدينة ، وطريق مكة ، وكان على علاقة حسنة مع القرامطة ، فلم يعتد منهم أحد على حدود العراق في زمنه ، توفّي بالكوفة سنة ٢٨١ ، ويظهر من وصف ابن بسّام له ، إنّه كان ليّن المخاطبة ، فقال فيه :

قد أقبل الطائي لا أقبلا   يقبح في الأفعال ما أجملا
كأنه من لين ألفاظه   صبيّة تمضغ جهد البلا

وجهد البلا : اسم لناطف يمضغه الصبيان . (ابن الأثير ٧ / ٤١٧ - ٤٦٧ والأعلام ١ / ١٩٥ والطبري ٩ / ٦٢١ و ١٠ / ٧ - ٣٦) .

٦ - زرفامية : قرية من نواحي قوسان ، بين واسط وبغداد (مراصد الأطلاع ٢ / ٦٦٢) .

٧ - عبدون بن مخلد : أخو الوزير صاعد بن مخلد ، وكان صاعد أسلم ، وظلّ عبدون على نصرانيته ، قبض عليه مع صاعد ، وصودرا ، ونهبت منازلهم (الكامل ٧ / ٤١٧ و ٤١٩) ثم أطلق وآلتجأ إلى دير قنى ومات فيه سنة ٣١٠ ، وكان عبدون في سامراء ، يرتاد ديراً سمّي باسمه ، وفيه قال ابن المعتزّ :

سقى المطيرة ذات الظلّ والشجر ودير عبدون هطّال من المطر

في نشوار المحاضرة للتنوخي ، قصّة عن عبدون (رقم ٨ / ٣٤) ، تدّل على حصافة وذكاء ، بينما ذكر صاحب الديارات (ص ٢٧٠ - ٢٧٣) عنه أخباراً تدل على عكس ذلك ، وكان عبدون « يحكم في المسلمين » لأنّ أخاه صاعد بن مخلد ، كان وزير الموفّق ، وكانت له السيطرة التامة على الدولة ، خرج على رأس جيش لقتال عمرو بن الليث الصفّار ، فانتصر ، وعاد ، فترجّل له القوّاد ورجال الدولة وقبّلوا يده ، وهو لا يكلّمهم تيهاً وكبراً ، ومات صاعد في حبس الموفّق ، وكانت غلّته السنوية ألف ألف وثلثمائة ألف دينار ، راجع أخبار صاعد في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

٨ - الجالية : الجزية التي تؤخذ من أهل الذمّة .

٩ - أبو العباس أحمد بن محمد بن بسطام : صهر حامد بن العباس وزير المقتدر ، كان أبو العباس ، يضمن واسطاً في أيّام المعتضد ، وكان حامد بن العباس ، إذ ذاك ، عاملاً على فارس ، ثم أخذ حامد يضمن

واسط ، وتقلّد أبو العباس الشام في السنة ٢٩٣ ثم تقلّد مصر في السنة ٢٩٦ ، وكان عظيم الرياسة ، يقوم عن يمينه وشماله في مجلسه ، مائة حاجب (القضاة للكندي ٥٢٤ و ٥٢٥) ، ويظهر مما وصفه به ابن بسّام ، إنّه كان أحول ، راجع أخبار أبي العباس في نشوار المحاضرة للتنوخي ، وفي كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي .

١٠ ـ زرباطية : ما زال هذا اسمها في العراق ، وهي من أعمال بادرايا ، واسم بادرايا في العراق الآن : بدره .

١١ ـ أبو محمد حامد بن العباس ، وزير المقتدر : كان صهر أبي العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، كان حامد يتولّى فارس للمعتضد ، ثم اختص بضمان واسط ، وكان كريماً متجمّلاً ، رئيساً ، غزير المروءة ، عظيم الحّدة ، سريع الغضب ، شتّاماً ، وقد ضايقه الوزير ابن الفرات ، لما وزّر ، فأراد التخلص من أذاه ، فسعى في الوزارة ، فاستوزره المقتدر سنة ٣٠٦ ، فخاصم ابن الفرات خصومة عنيفة ، وضرب ولده المحسّن وأهانه ، فلما عاد ابن الفرات للوزارة ، قتله في السنة ٣١٢ راجع أخباره في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

١٢ ـ الزاوية : قرية على شاطىء دجلة ، بين واسط والبصرة (معجم البلدان ٢ / ٩١١) .

١٣ ـ خسراوية : قرية من قرى واسط (معجم البلدان ٢ / ٤٤١) .

١٤ ـ اسحاق بن عمران : كان يلي الكوفة في السنة ٢٩٣ ، وفي عهده هاجم القرامطة الكوفة ، فدفعهم عنها (الطبري ١٠ / ١٢٤ و ١٢٥ وابن الأثير ٧ / ٥٤٧ و ٥٤٤) ، كما كان في السنة ٣٠١ على معونة الكوفة (الوزراء للصابي ٢٠٦) .

٢ - قولهم : يا لخناء ، ويا ابن اللخناء .

اللخن : نتن الريح عامة .

واللخناء : منتنة المغابن .

*والبغداديون اليوم يقولون في الشتم : ابن **الجايفة** من **الجيفة** أي الإنتان .*

وتكلّمت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، في مجلس معاوية ، فخاشنها عمرو بن العاص ، فقالت له : أتكلمني يا ابن اللخناء ؟ ((بلاغات النساء ٣٣)

ولما بلغ عبد الله بن جعفر ، مقتل اثنين من أولاده مع الحسين في معركة الطف ، دخل أحد مواليه ، فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، أللحسين تقول هذا ؟ (الطبري ٥ / ٤٦٦) .

ولطم يزيد بن معاوية ، الأخطل ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، وسبب ذلك : إنّ يزيد بن معاوية ، شرب يوماً ، حتى ثمل فقال : يا أخطل ، أهجني ولا تفحش ، فقال :

ألا آسلم سلمتَ أبا خالد وحيّاك ربك بالعنقز
ورَوّى عظامك بالخندريس قبل الممات ولم تعجز
أكلتَ الدجاج فأفنيتها فهل في الخنانيص من مغمز
ودينك حقّاً كدين الحمار بل أنت أكفر من هرمز

فرفع يزيد يده ، ولطمه ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، ما بكلّ هذا أمرتك . (المحاسن والمساوىء ١ / ٢٠٤ و ٢٠٥) .

ودخل جرير على عبد الملك بن مروان ، فأنشده قصيدة امتدحه بها ، فلما أنشده المطلع :

أتصحو أم فؤادك غير صاح

قال له عبد الملك : بل فؤادك يا آبن اللخناء (الهفوات النادرة ١٣١) .

ولما حصر عبد الملك بن مروان ، زفر بن الحارث الكلابي ، في قرقيسيا ، دعا زفر ولده الهذيل ، وقال له : أخرج إليهم فشدّ عليهم حتى تضرب فسطاط عبد الملك ، **أسمعت يا ابن اللخناء** ؟ (أنساب الأشراف ٥ / ٣٠٢ و ٣٠٢) .

وأحضر الحجاج بن يوسف الثقفي ، حطيط الزيات الكوفي ، وكان عابداً ، زاهداً ، يصدع بالحقّ ، فحاوره الحجاج ، ثم شتمه ، فقال له : **يا ابن اللخناء** ، ثم قتله (النجوم الزاهرة ١ / ٢٠٨) .

وشتم المهلّب ، القائد عتّاب بن ورقاء ، فقال له : **يا ابن اللخناء** .

وكان القائد عتّاب بن ورقاء ، من قوّاد المهلّب بن أبي صفرة ، وهو يحارب الخوارج في السنة ٧٥، وجاء عتّاب يطالب المهلّب برزق أصحابه ، فسأله سؤالاً فيه غلظة وتجهّم ، فغضب منه المهلّب، وقال له : وانّك لها هنا **يا ابن اللخناء**؟ فجرى بينهما كلام ، فقبض المهلّب على القضيب ، وهمّ بأن يضرب عتّاباً ، فوثب المغيرة بن المهلب ، وقبض بيده على القضيب ، وقال لأبيه : أصلح الله الأمير ، شيخ من أشياخ العرب ، وشريف من أشرافهم ، فسكن المهلّب . (الطبري ٦ / ٢١٣) .

وشتمت جارية من بني نهشل ، الفرزدق ، وقد رأته يحدّ النظر إليها ، فقال لها : **يا لخناء** ، وقالت له : أنت **قبيح المنظر** ، **سيء المخبر** ، راجع القصة في الأغاني ٢١ / ٣١٧ .

وشتم الحجاج ، أيوب بن القريّة ، فقال له : **كذبت يا ابن اللخناء** .

وكان الحجّاج ، قد بعث أيوب بن القرية ، رسولاً ، إلى القائد عبد الرحمن بن الأشعث ، لما ثار عليه ، فانضوى ابن القرية إلى عبد الرحمن ، فلما آنفلّ جيش عبد الرحمن ، جيء بابن القريّة أسيراً ، فادخل على الحجّاج ، فقال له : **يا عدوّ الله** ، بعثتك رسولاً فتركت ما بعثت له ، وصرت لعبد الرحمن وزيراً ومشيراً ، فقال ابن القرية : أصلح الله الأمير، كان شيطاناً في مَسك إنسان ، استمالني بسحره ، وخلبني بلفظه ، فقال له : **كذبت يا ابن اللخناء** ، بل كان قلبك منافقاً ولسانك مدامجاً ، ثم قتله (الأخبار الطوال ٣٢١) .

وامتدح جرير الحجّاج ، بقصيدته التي مطلعها :

هـاج الهـوى لفؤادك المهتـاج

ويقول فيها :

من سدّ مطّلع النفاق عليكمُ أم من يصول كصولة الحجّاج

فلما بلغ إلى قوله :

قل للجبان إذا تأخّر سرجه هل أنتَ من شرك المنيّـة ناجي

قال له الحجّاج : جرّأت عليّ الناس **يا ابن اللخناء** . (العقد الفريد ١ / ١٠٥ و ١٠٦) .

وقال أعوان روح بن زنباع ، للحجّاج بن يوسف الثقفي : **يا ابن اللخناء** .

وكان الحجّاج في شرطة روح بن زنباع ، وزير عبد الملك بن مروان ، فشكا عبد الملك إليه ، ما يرى من الإنحلال في عسكره ، وإنّ الناس لا يرحلون برحيله ، ولا ينزلون بنزوله ، فـأشـار روح عليـه ، بأن يقلّد أمر العسكر ، الحجّاج بن يوسف ، فقلّده ، فكان لا يقدر أحد أن يتخّلف ،

ووقف يوماً على أتباع روح بن زنباع ، وقد تخلّفوا ، فقال لهم : ما منعكم أن ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ فقالوا له : انزل **يا ابن اللخناء** ، فكل معنا ، فقال لهم : هيهات ، ذهب ما هنالك ، ثم أمر بهم ، فجلدوا بالسياط ، وطوّفهم في العسكر ، وأمر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت بالنار ، فدخل روح على عبد الملك ، يشكو من الحجّاج ، فأحضره عبد الملك ، وقال له : ما حملك على ما فعلت ؟ فقال : ما أنا فعلته يا أمير المؤمنين ، قال : ومن فعله ؟ قال : فعلته أنت ، إنّ يدي يدك ، وسوطي سوطك ، وما على أمير المؤمنين ، أن يخلف على روح الفسطاط فسطاطين ، وللغلام غلامين ، ولا يكسرني فيما قدّمني له ، فكان ذلك أوّل ما عرف من كفاية الحجاج (العقد الفريد ٥ / ١٤) .

ولما حصر قتيبة بن مسلم ، بخارى ، واجه دفاعاً عنيفاً من الترك ، فمشى قتيبة إلى بني تميم، واستنهضهم للمعركة ، فنهض زعيمهم وكيع وأخذ اللواء وتقّدم ، وقال لهريم المجاشعي ـ وهو على خيل تميم ـ تقدّم يا هريم ، ودفع إليه الراية ، فلما وصلوا إلى نهر بينهم وبين العدوّ، وقف هريم ، فقال له وكيع : أقحم يا هريم ، فقال له : إنّك لأحمق ، إذ تريد منّي أن أقحم خيلي النهر ، فإن انكشفت كان في ذلك هلاكها ، فقال له وكيع : **يا ابن اللخناء** ، أتردّ أمري ؟ وضربه بعمود كان يحمله ، فأقحم هريم فرسه ، وكان النصر . (الطبري ٦ / ٤٤٣) .

وفي السنة ١١٢ حصر الترك الثائرون ، أمير خراسان الجنيد ، فكتب إلى سورة بن الحرّ ، أمير سمرقند ، أن يخرج لنجدته ، فكتب إليه : لا أقدر على الخروج ، فكتب إليه الجنيد : **يا ابن اللخناء** . تخرج أو أوجّه إليك شدّاد بن خالد الباهلي ، وكان عدوّه ، فخرج (الطبري ٧ / ٧٦) .

وتشاتم الحجّاج الثقفي ، وخالد بن عتّاب ، عامله على الريّ ، فشتم كل منهما صاحبه ، وقال له : **يابن اللخناء**.

وكـان الحجّاج ، قـد استعمل خـالد بن عتـاب الريـاحي على الـريّ ، وكانت أمّ خالد ، أمّ ولد (أي جارية) فكتب إليه الحجّاج ، كتاباً قال له فيه : **يا ابن اللخناء** ، أنت الذي هربت عن أبيك حتى قتل ، وكـان خالـد قد حلف إلاّ يسبّ أحـد أمّه ، إلاّ أجـابه كـائناً من كـان ، فكتب خالـد إلى الحجّـاج ، يقـول : كتبت إليَّ تلخنني ، وتزعم أني فـررت عن أبي حتى قتل ، ولعمـري لقد فررتُ عنه، ولكن بعد أن قتـل، وحين لـم أجد لي مجـالاً، ولكن أخبرني عنـك ، **يا ابن اللخنـاء المستفـرمـة بعجم زبيب الـطائف** ، حين فـررت أنت وأبـوك يوم الحـرّة ، على جمـل ثفـال ، أيّكمـا كـان أمـام صـاحبـه ، فـطلبـه الحجّاج ، فهرب إلى الشام ، وسلّم بيت المال ، ولم يأخذ منه شيئاً ، وسـأل في الشـام عن خاصّـة عبد الملك ، فقيـل له : روح بن زنباع ، فـأتـاه حين طلعت الشمس ، واستجـار بـه ، فلم يجـره ، فـراح إلى زفـر بن الحـارث الكـلابي ، وآستجار بـه فأجـاره ، ولما أصبـح زفر ، دخـل على عبـد الملك يتهـادى بين اثنين من أبنـائـه ، وكـان قـد أسنّ ، فـأجلسـه عبـد الملك على كرسي ، وقال لـه : يا أمير المؤمنين إنّي قد أجـرت عليك رجـلاً ، فأجـره ، قال : قد أجرته ، إلاّ أن يكون خالداً ابن عتّاب ، قـال : فهو خـالد ، قـال : لا ، ولا كرامه ، فقال زفر لابنيـه : أنهضاني ، ثم ولّى ، وقـال لعبد المـك : أما والله ، لو كنتَ تعلم أنّ يديّ تطيقـان حمل القنـاة ورأس الجواد ، لأجـرتَ من أجرتُ ، فضحك عبـد الملك ، وقال لـه : يا أبـا الهذيـل ، قد أجـرنا من أجرت ، فلاأرينه ، وأرسل إلى خالد ألفي درهم ، فأخذهـا خالـد ، ودفع إلى رسوله أربعة آلاف درهم (الاغاني ١٧ / ٢٣٢) .

وغضب الـوليـد بن عبـد الملك ، على جـريـر ، فقـال لـه : **يـا ابن اللخناء** .

وسبب ذلك : إنّ عديّ بن الرقاع العاملي ، دخل على الوليد وأنشده ،

وكان جرير في المجلس ، فقال الوليد لجرير : كيف تسمع ؟ فقال جرير : ومن هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : عديّ بن الرقاع ، فقال جرير : إنّ شر الثياب الرقاع ، ثم ذكر عشيرته عاملة ، فقال : عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية ، فغضب الوليد ، وقال له : **يا ابن اللخناء** (الاغاني ٨ / ٨٠) .

وشتم هشام بن عبد الملك ، خالداً القسري ، عامله على العراقين ، فكتب إليه يقول : بلغني إنّك تقول : ما ولاية العراق لي بشرف ، **فيا ابن اللخناء** ، كيف لا تكون إمرة العراق لك شرفاً ، وأنت من بجيلة القليلة الذليلة (الطبري ٧ / ١٤٦) .

وشتم عقيل بن علّفة ، ولده علّفة ، فقال له : **يا ابن اللخناء** .

وكان عقيل ، أعرج ، جافياً ، شديد الهوج والعجرفية ، والبذخ بنسبه في بني مرّة ، وكانت قريش ترغب في مصاهرته ، سمع آبنه علّفة ، ينشد شعراً أوّله :

قفي يا آبنة المرّي أسألك ما الذي　　　تريدين فيما كنت منّيتنا قبل

فقال له عقيل : **يا ابن اللخناء** ، متى منّتك نفسك هذا ، وشدّ عليه بالسيف ، فحال بينهما ولده الآخر عملّس ، فترك علّفة ، وشدّ على عملّس بالسيف ، فرماه علّفة بسهم ، ليكفّه عن عملّس ، فأصاب ركبته ، فبرك ، وهو يقول : (الاغاني ١٢ / ٢٥٩) .

إن بنيّ زمّلوني بالدم　　　شنشنة أعرفها من أخزم

وشتم علي بن المهاجر أمير اليمامة ، المهير بن سلمى الحنفي ، فقال له : **يا ابن اللخناء** .

وسبب ذلك : إنَّ علي بن المهاجر ، كان أميراً على اليمامة للوليد بن يزيد ، فلما قتل الوليد ، جاء المهير إلى عليّ ، وقال له ، إنّ الوليد قد قتل ، وإنّ لك عليّ حّقاً ، وكان أبوك لي مكرماً ، وقد قتل صاحبك ، فآختر خصلة من ثلاث ، إن شئت أن تقيم فينا ، وتكون كأحدنا ، فآفعل ، وإن شئت أن تتحوّل عّنا إلى دار عمّك فتنزلها أنت ومن معك ، إلى أن يرد أمر الخليفة المولّى ، فتعمل بما يأمر به ، فآفعل، وإن شئت فخذ من المال المجتمع ، ما شئت ، وآلحق بدار قومك ، فأنف علي بن المهاجر من ذلك ، ولم يفعله ، وقال للمهير : أنت تعزلني **يا ابن اللخناء** ، فغضب المهير ، وخرج من عنده ، فجمع قوماً ، وآحتلّ بهم القصر (الاغاني ٢٠ / ١٤١) .

وكان هشام بن عبد الملك ، يكره ابن اخيه الوليد بن يزيد ، ويتنقّصه ، وقال له في مجلسه مرّة ، يعيّره : ما فعلت برابطك ؟ (البربط العود) ، قال : مستعملة ، قال : فما فعل ندماؤك ، قال : صالحون ، ولعنهم الله إن كانوا شرّاً ممّن حضرك، وقام، فقال له هشام : **يا ابن اللخناء** (الاغاني ٧ / ٦) .

ولما هاجم يزيد بن الوليد ، الوليد بن يزيد ، كان على ميسرة الوليد ، الوليد بن خالد ، ابن أخي الابرش ، وكان الأبرش عمّه ، يصيح به : **يا ابن اللخناء** ، قدّم رايتك ، فقال له : لا أجد متقدّماً ، إنّها بنو عامر (العيون والحدائق ٣ / ١٤٢) .

وتسابّ عمر بن هبيرة ، والقعقاع بن خليد العبسي ، فقال له القعقاع : **يا ابن اللخناء** ، من قدّمك ؟ فقال له ابن هبيرة : قدّمك أنت وأهلك أعجاز الغواني ، وقدّمني صدور العوالي ، أراد بأعجاز الغواني انّ عبد الملك تزوّج إليهم ، فإنّ أم الوليد وسليمان عبسيّة (ابن الاثير ٥ / ٩٩ و ١٠٠) .

ولمّا خرج يزيد بن المهلّب بالبصرة على الأمويّين ، كان الحسن البصري ، يثبّط عنه الناس ، فبلغ ذلك يزيد ، فأتى الحسن ، هو وبعض بني عمّه ، وكان يزيد متنكّراً ، فلاحى الحسن ، فدخل ابن عمّ ليزيد في ملاحاتهما ، فغضب الحسن ، وقال له : وما أنت وذاك ، يا ابن اللخناء ؟ فاخترط سيفه ليضربه به ، فقال له يزيد : أغمد سيفك ، فوالله ، لو فعلت ، لانقلب من معنا ، علينا . (وفيات الأعيان ٦ / ٣٠٤) .

ولما خرج يزيد بن المهلّب ، بالبصرة على الأمويّين ، بعث عديّ بن أرطاة ، عامل البصرة ، الحسن البصري ، إلى آل المهلّب ، فناشدهم أن يؤثروا الطاعة، فقال عبد الملك أخو المهلّب : إنّ طاعة عديّ ليست واجبة علينا ، وإنّكم قد واطئتموه على هلاكنا ، فقال له الحسن : كذبتَ ، فغضب عبد الملك ، وقال له : أتكذّبني **يا ابن اللخناء** ، وأخذ بقائم سيفه ، وقال له : والله ، لولا أن أعيّر بقتلك ، وأنت في منزلي ، لضربت عنقك (العيون والحدائق ٣ / ٥٣) .

وتقدّم فتى إلى سليمان بن عبد الملك ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ لي في بيت مالك ، مائتي دينار ، وأنا الآن مملك بآبنة عمي ، وقد ضرب عليّ أجل إن جزته فرّق بيني وبينها ، فإن رأى أمير المؤمنين أسلفني هذه المائتين . فقال له سليمان : **يا ابن اللخناء** ، أقسطار أنا حتى أسلفك ؟ بل أهب لك مائتي دينار ، ومائتي دينار ، وجعل يكرّرها ، حتى انقطع نفسه على ثلاثه الآف دينار ، فقبضها الرجل . فأتاه الناس يهنؤنه ، قال : فأين قوله : **يا ابن اللخناء** ؟ فبلغ ذلك سليمان ، فقال : صدق ، وددت أنّي آفتديتها بأضعاف ذلك ، ولم أقلها (البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٧٨٢) .

وكان يوسف بن عمر الثقفي ، عامل العراق ، أحمق ، ولقّب بأحمق ثقيف ، وكان يلي لهشام بن عبد الملك اليمن ، فكتب إليه سرّاً بولايته

العراق ، فاستخلف على اليمن ابنه الصلت ، وخرج ومعه دليل ، فلما أراد أن ينصرف ، سأله ابنه : أين تريد ؟ فضربه مائة سوط ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، أيخفى عليك إذا استقرّ بي منزل ؟ (الطبري ٧ / ١٥٠) .

وكان يوسف قصيراً جداً ، وكان يفرح إذا قال له الخيّاط إنّ هذا الثوب لا يكفي ،ويغضب إذا قال أنّه يفضل منه شيء ، وجيء إليه يوماً بثوب ، فقال لكاتبه : ما تقول في هذا الثوب ؟ فقال : كان ينبغي أن تكون بيوته أصغر مما هي ، فقال للحائك : صدق ، يا ابن اللخناء ، فقال الحائك : نحن أعلم بهذا ، فقال للكاتب : صدق : **يا ابن اللخناء** ، فقال الكاتب : هذا يعمل في السنة ثوباً أو ثوبين ، وأنا يمرّ على يدي في كلّ سنة مائة ثوب مثل هذا ، فقال للحائك : صدق **يا ابن اللخناء** ، فلم يزل يلخن أمّ هذا مرة ، وأمّ هذا مرة ، حتى عدّ أبيات الثوب ، فوجدها تنقص بيتاً واحداً من أحد جانبي الثوب ، فضرب الحائك مائة سوط (ابن الاثير ٥ / ٢٢٥) .

ولما أراد المنصور قتل أبي مسلم ، أحضره ، وقرّعه بأمور بدرت منه ، فقال له أبو مسلم : لا يقال لي هذا بعد بلائي ، وما كان منّي ، فقال له المنصور : يا ابن الخبيثة ، والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت ، إنّما عملت في دولتنا وبريحنا ، ثم صفق بيديه ، فخرج الذين أعدّهم لقتله ، وضربه عثمان بن نهيك بالسيف ، وأخذه الحرس بسيوفهم ، وهو يقول : العفو ، العفو ، فقال له المنصور : **يا ابن اللخناء**، العفو ، والسيوف قد اعتورتك ؟ (ابن الاثير ٥ / ٤٧٦) .

وفي السنة ١٤٤ كان المنصور العباسي ، قد شدّد في البحث عن محمد وإبراهيم ولدي عبد الله بن الحسن ، وأصدر أمره ، باعتقال بني الحسن بأجمعهم ، واعتقل معهم محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ،

وأمّه فاطمة بنت الحسين الشهيد ، وكانت ابنته رقية تحت إبراهيم بن عبد الله ، وأحضر المنصور محمداً العثماني ، فشتمه وشتم ابنته زوجة إبراهيم ، وسمّاها : زانية ، فتعجّب محمد من قوله ، وقال له : مه يا أمير المؤمنين ، أتقول هذا لابنة عمك ؟ فقال له : يا ابن اللخناء ، فقال له : أيّ أمّهاتي تلخّن (قال ذلك لأنّ أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ، وجدّتها فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلوات الله عليه) ، فقال له المنصور : يا ابن الفاعلة، ثم ضرب وجهه بالجرز، وقتله من بعد ذلك (الطبري٧ / ٥٤٣) .

وكان أبو العباس السفّاح ، قد أمّن قوماً من بني أميّة ، منهم الغمر بن يزيد بن عبد الملك ، وكان الغمر في مجلس السفّاح يوماً ، فدخل سديف الشاعر ، وأنشد الخليفة قصيدة مطلعها :

أصبح الملك ثابت الآساس　　　بالبهاليل من بني العباس

فالتفت السفّاح إلى الغمر وقال له : كيف ترى هذا الشعر ؟ فأجابه : لقد قال شاعرنا ما هو أشعر من هذا ، وأنشده ما قيل في بني أمّية :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم　　　وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فشرق وجه أبي العباس بالدم ، وقال له : كذبت يا ابن اللخناء ، إنّي لأرى الخيلاء في رأسك بعد ، ثم أمر به وبالأمويّين الآخرين في مجلسه ، فقتلوا (العقد الفريد ٤ / ٤٨٦ و٤٨٥) .

ولما انتقض عبد الله بن علي ، على ابن اخيه المنصور ، بعث إليه أبا مسلم الخراساني ، فحاربه ، وكسره ، فبعث المنصور يقطين بن موسى ، لقبض الغنائم ، فغضب أبو مسلم ، وقال ليقطين : يا ابن اللخناء ، أمين على الدماء ، وغير أمين على الأموال ؟ فقال له يقطين : امرأتي طالق . إن كان

أمير المؤمنين وجّهني إليك إلّا لتهنئتك بالظفر ، فاعتنقه أبو مسلم وأجلسه إلى جانبه، فلما انصرف ، قال أبو مسلم لأصحابه : والله ، أنا عالم بأنّه طلق زوجته . ولكنّه وفى لصاحبه (مروج الذهب ٢ / ٢٣٠) .

وفي السنة ١٣٧ لما أزمع المنصور ، أن يقتل أبا مسلم الخراساني عند أوّل مواجهة ، منعه وزيره أبو أيّوب المورياني من ذلك ، وطالبه بالتأنّي ، فتأنّى ، ثم غضب على وزيره ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، لا مرحباً بك ، منعتني منه أمس ، والله ما غمضت الليلة (الطبري ٧ / ٤٨٨) .

وغضب المنصور على أبي دلامة ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، ما هذا المجون الذي يبلغني عنك ؟ فتنصّل واعتذر ، فأمره بأن يلازم مِسجده ، في صلاتي الظهر والعصر ، فلزم المسجد أيّاماً ، ثم ضاق صدره ، وأوصل إلى المنصور رقعة فيها أبيات منها :

ألم تعلما أنّ الخليفة لزّني بمسجده والقصر ، مالي وللقصر
وماضرّه ـ والله يغفر ذنبه ـ لو آن ذنوب العالمين على ظهري

فأعفاه المنصور من الحضور (الاغاني ١٠ / ٢٤٧) .

وكان عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، قد ولّاه المنصور إمارة خراسان ، فخرج على المنصور ، فبعث إليه جنداً ، حاربوه وأسروه ، وحمل إلى المنصور ، فلما دخل عليه ، قال له : يا أمير المؤمنين قتلة كريمة ، فقال له : تركتها وراءك **يا ابن اللخناء** .

يريد أنّ القتلة الكريمة ، تكون في المعركة (الطبري ٨ / ٨٨) .

وأحضر المنصور ، عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، في السنة

١٤٥ ، فقال له : أين المال الذي عندك ؟

قال : رفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله .

قال ومن أمير المؤمنين ؟

قال : محمد بن عبد الله بن الحسن رحمة الله وصلواته عليه .

قال : أبايعته ؟

قال : نعم ، كما بايعته أنت ، وأخوك ، وأهلك هؤلاء الغدرة .

فقال له : **يا ابن اللخناء** .

فقال : ذاك من قامت عنه الإماء (يريد به المنصور لأنّه ابن أمة بربرية اسمها سلامة) فأمر به فضربت عنقه (مقاتل الطالبيين ٢٨٧ والطبري ٧ / ٦٠٧).

وكتب ابو دلامة إلى المهدي رقعة صدرها بأبيات منها :

أدعوك بالرحم التي جمعت لنا ... في القرب بين قريبنا والأبعد

إلّا سمعتَ وأنت أكرم من مشى ... من منشدٍ يرجو جزاء المنشد

فدعا به المهدي ، فقال له : أيّ قرابة بيني وبينك **يا ابن اللخناء** ؟قال : رحم آدم وحواء (الطبري ٨ / ١٨٣ و ١٨٤) .

واشتهى جواري المهدي ، أن يسمعن ربيعة الرقّي ، وكان شاعراً مجيداً ، وكان ضريراً ، فوجّه إليه المهدي ، فأخذه من مسجده بالرقّة ، فأدخل عليه ، فسمع ربيعة حساً من وراء الستر ، فقال : إنّي أسمع حسّاً يا أمير المؤمنين ، فقال له المهدي : **اسكت يا ابن اللخناء** ، واستنشده ، وضحك ، وضحكن منه ، ثم أجازه بجائزة سنيّة (الاغاني ١٦ / ٢٥٥) .

وأجرى المهدي الخيل ، فسبقها فرس له اسمه ، الغضبان ، فقال لأبي

دلامة : قلّده يا زند ، فقلّده عمامته ، فقال له المهدي : **يا ابن اللخناء** ، أنا أكثر عمائم منك ، إنّما أردت أن تقلّده شعراً (الاغاني ١٨ / ٣٢٠) .

وغنّى إبراهيم الموصلي ، الهادي ، غناء أطربه ، فقال له : احتكم ، فطلب حائط (بستان) عبد الملك ، وعينه الخرّارة ، فغضب موسى ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، أردت أن تسمع العامّة ، أنك أطربتني ، وأنّي حكّمتك ، وعوّضه عنها سبعمائة ألف درهم (الطبري ٨ / ٢٢٦) .

وكتب موسى الهادي ، إلى صاحب إفريقية ، في أمر فرط منه : **يا ابن اللخناء** ، أبي تتمرّى ؟ (العقد الفريد ٤ / ٢١٣) .

أقول : كان صاحب افريقية ، في أيّام الهادي يزيد بن حاتم المهلبي ، من القادة الشجعان ، ولي إفريقية للمنصور في السنة ١٥٤ واستمرّ والياً عليها خمس عشرة سنة بقيّة أيّام المنصور ، والمهدي ، والهادي ، وتوفي والهادي في سنة واحدة ، أي في السنة ١٧٠ (الطبري ٨ / ٢٠٥ والاعلام ٩ / ٢٣٠) .

وأنشد منصور النمري ، الرشيد ، قصيدة ، مدحه فيها ، وهجا آل عليّ ، وثلبهم . فضجر هارون ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، أتظنّ أنّك تتقرّب إليّ بهجاء قوم أبوهم أبي ، ونسبهم نسبي ، وأصلهم وفرعهم ، أصلي وفرعي ؟ فقال منصور : وما شهدنا إلاّ بما علمنا ، فزاداد غضبه وأمر مسروراً فوجأه في عنقه وأخرجه (الاغاني ١٣ / ١٤٤) .

وجاء عثمان بن إبراهيم بن نهيك ، إلى الفضل بن الربيع ، وذكر له إنّ أباه إبراهيم يبكي جعفر بن يحيىٰ البرمكي ، فحدّث الرشيد بذلك ، فأحضر الرشيد إبراهيم ، واختبره ، بأن تظاهر له أنّه نادم على قتل جعفر ، فبكى

إبراهيم أمامه ، وترحّم على جعفر ، فصاح به الرشيد : قم عليك لعنة الله ، **يا ابن اللخناء** ، فقام وهو لا يعقل ، وانصرف إلى أمّه ، فقال لها : يا أمّ ، ذهبت والله نفسي ، فقالت له : كلّا ، إن شاء الله ، وما ذاك يا بنّي ؟ قال : إنّ الرشيد امتحنني بمحنة ، والله ، لو كان لي ألف نفس لم أنجح بواحدة ، وبعد ليالٍ قلآئل ، دخل عليه ابنه عثمان ، فضربه بسيفه حتى مات (الطبري ٨ / ٣١١ و ٣١٢ وابن الاثير ٦ / ١٨٧)

وولّى الرشيد سلّاماً الخادم ، ضياعه بالثغور والشامات ، فتواترت الكتب بحسن سيرته ، ثم وفد عليه ، فلما دخل عليه ، كان الرشيد يأكل سفرجلاً ، حمل إليه من بلخ ، وهو يقشّره ويأكل منه ، فتكلّم سلّام ، وأخذ يذكر حسن سيرته ، حتى قال : أنسيتهم ـ والله ـ يا أمير المؤمنين ، سيرة العمرين ، فغضب الرشيد ، واستشاط ، وأخذ سفرجلة ، فرماه بها ، وقال له : **يا ابن اللخناء** ، العمرين ؟ العمرين (الطبري ٨ / ٣٥٤) .

وغضب الرشيد ، على ربيعة الرقّي ، فقال له : **يا ابن اللخناء** ، أتهجو أحد عمومتي .

وتفصيل القصة : إنّ ربيعة الرقّي ، مدح العباس بن محمد العباسي ، بقصيدة مختارة منها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد	قل : لا ، وأنت مخلّد ، ما قالها
ما إن أعدّ من المكارم خصلة	إلّا وجدتك عمّها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة	كانوا كواكبها ، وكنت هلالها
إنّ المكارم لم تزل معقولةً	حتى حللت براحتيك عقالها

فبعث إليه العباس بدينارين اثنين ، وكان ربيعة يؤمّل ألفي دينار ، فلما

نظر إلى الدينارين ، كاد أن يجنّ ، وقال للرسول : خذ هذين الدينارين لك ، وبعث إلى العباس ، بالأبيات التالية :

مدحتك مدحة السيف المحلّى لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهبت ضياعاً كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء كأنّي إذ مدحتك قد زنيت

فلما قرأ العباس الرقعة ، غضب ، وجاء إلى الرشيد ، فشكا إليه ربيعة ، وأخبره بأنّه هجاه ، وكان العباس أثيراً عند الرشيد ، فغضب الرشيد ، وأمر بربيعة ، فأحضر ، وقال له : يا ابن اللخناء ، أتهجو أحد عمومتي ، والله ، لقد هممت أن أضرب عنقك ، فقال ربيعة : والله ، يا أمير المؤمنين ، لقد مدحته بقصيدة ما لأحد من الشعراء ، في أحد من الخلفاء ، مثلها ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها ، فطلبها الرشيد ، فتلكأ عليه العباس ، فأصرّ الرشيد على إحضارها ، فأحضرت ، فقرأها ، وأعجب بها ، ثم قال للعبّاس : كم أثبته عليها ؟ فسكت ، فقال ربيعة : أثابني عليها دينارين ، فقال له الرشيد : ويحك ، أصدقني كم أثابك ؟ قال : وحياة رأسك يا أمير المؤمنين ، ما أثابني عليها سوى دينارين ، فغضب الرشيد ، وعبس في وجه العباس ، وأمر لربيعة بثلاثين ألف درهم (تحفة المجالس ٣٣٢ - ٣٣٥) .

وفي السنة ١٩٣ كان الرشيد بطوس ، وكان هرثمة قد أوقع برافع بن الليث وكسره وأسر أخاه وآسمه بشير بن الليث ، فبعث به إلى الرشيد بطوس فدخل عليه والرشيد على سرير مرتفع عن الأرض بقدر الذراع ، وعليه فرش بقدر ذلك ، وفي يده مرآة ينظر إلى وجهه ، فنظر إلى أخي رافع ، وقال له : أما والله يا ابن اللخناء ، إنّي لأرجو أن لا يفوتني خامل (يريد رافعاً) كما لم تفتني (العيون والحدائق ٣ / ١٣٧ والطبري ٨ / ٣٤٢) .

ولما سمع الأمين ، أبيات أبي نؤاس التي يقول فيها :

ومستعبد إخوانه بثرائه ... لبست له كبراً أبرّ على الكبر
إذا ضمّني يوماً وإيّاه مجلس ... رأى جانبي وعراً يزيد على الوعر
أخالفه في لحظه وأجرّه ... على المنطق المبرور والنظر الشزر
ولو لم أنل فخراً لكانت صيانتي ... فمي عن جميع الناس حسبي من الفخر
فوالله لا ألوي لساني بحاجة ... إلى أحد حتى أوسّد في قبري
فلا يطعمن في ذاك مني طامع ... ولا صاحب التاج المحجّب في القصر

فأحضر ابا نؤاس . وقال له : **يا آبن اللخناء** ، بلغ بك الأمر أن تعرّض بي في شعرك (الملح والنوادر ١٣٥) .

وشكا بصريّ إلى المأمون ، أنه تزوّج امرأة من آل زياد بن أبيه ، وأنّ أبا الرازي فرّق بينهما ، وقال هي : آمرأة من قريش ، فكتب اليه المأمون : متى تحاكمت إليك العرب **لا أمّ لك** في أنسابها ؟ ومتى وكّلتك قريش ، **يا ابن اللخناء** ، بأن تلصق بها من ليس منها ؟ راجع تفصيل القصة في المحاسن والمساوىء ٢ / ١٤٨ .

وشغب بعض المحبوسين ، في المطبق ببغداد ، وأرادوا أن يثبوا بالمأمون ، فخرج لمقاتلتهم ، وجاء صاحب الشرطة متأخّراً ، فقال له المأمون : **يا ابن اللخناء** . يحضر الحاكم ضرب الأعناق ، وصاحب الشرطة مشغول بمجالسة الفسّاق (تاريخ بغداد لابن طيفور ٩٩) .

وسمع الحسن بن سهل ، شعراً لعلي بن جبلة في مدح الأمين ، قال فيه :

خليفة الله خير منتخب ... لخير أمّ من هاشم وأب

فقال عرّض ـ والله ـ **ابن اللخناء** ، بأمير المؤمنين (الاغاني ٢٠ / ٥٤).

أقول : كان الأمين لأبوين هاشميين ، هما الرشيد وزبيدة ، أما المأمون ، فكانت أمّه جارية ، وإلى ذلك أشار الشاعر بقوله ، لخير أمّ من هاشم وأب ، ولعلّ هذا القول ، هو الذي أدّى بالمأمون إلى قتل علي بن جبلة ، وان كان قد أحتجّ عليه بحجة غير هذه ، إذ آحتج عليه بأنه كفر في قوله لأحد ممدوحيه :

أنت الذي تنزل الأيّام منزلها   وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحد   إلاّ قضيت بأرزاق وآجال

راجع ترجمة علي بن جبلة في الاغاني ٢٠ / ١٤ ـ ٤٢ .

٣ - قولهم : يا بن الفاعلة

ابن الفاعلة : كناية يراد بها ابن الزانية أو ابن الفاجرة ويستعملها في الشتم من لم يرد ذكر كلمة الزنا أو الفجور صراحة

وكانت زبراء جارية الاحنف، أثيرة عنده ، قال لها ابنه بحر ، مرة : يا **فاعلة** ، فقالت له : لو كنت كما تقول ، أتيت أباك بمثلك (المعارف لابن قتيبة ٤٢٤) .

وقال ابن الغرق : رأيت المختار مشتور العين ، فقلت له : من فعل هذا بك ؟ قطع الله يده ، قال : **ابن الفاعلة** عبيد الله بن زياد ، والله ، لأقطعن أنامله وأباجله (البصائر والذخائر ٤ / ٤٨) .

ولما أنشد جرير عبد الملك بن مروان ، قصيدته التي امتدحه بها ، ومطلعها :

أتصحوا فؤادك غير صاح

قال له عبد الملك : **بل فؤادك يا ابن الفاعلة** (تنبيه الأديب ١٠٦) .

ولما دخل ذو الرمّة على عبد الملك بن مروان ، وأنشده قصيدته التي امتدحه فيها ، ومطلعها :

ما بال عينيك منها الماء ينسكب

وكانت عين عبد الملك تدمع دائماً ، توهّم أنّه خاطبه وعرّض به ، فقال له : ما سؤالك عنها **يا ابن الفاعلة** (تنبيه الأديب ١٠٧) .

واختلفت حبابة وسلّامة ، جاريتا يزيد بن عبد الملك ، في غناء صوت ، فحكّمتا معبداً فحكم لحبابة ، فغضبت سلّامة ، وقالت لمعبد : **والله يا ابن الفاعلة** ، إنك لتعلم أنّ الصواب ما قلتُ ، ولكّنك سألت أيهّما آثر عند أمير المؤمنين ، واتّبعت هواه ، ورضاه (الاغاني ١٥ / ١٣٦) .

وغضب هشام بن عبد الملك على الأبرش الكلبي ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** .

كان الأبرش الكلبي ، واسمه سعيد بن الوليد ، كاتباً لهشام بن عبد الملك ، وغالباً على أمره ، فأنكر عليه في يوم من الأيّام شيئاً ، فغضب منه ، وقال له : **يا ابن الفاعلة** ، فقال له الأبرش : استحييت لك ، وأنت خليفة الله في عباده وأرضه ، وليس بينك وبيني الله واسطة ، تقول : **يا ابن الفاعلة** ، والله لو قال هذا عبد من عبيدك لآخر مثله لكان قبيحاً ، فاستحيا هشام ، وقال له : هلّم فاقتصّ منّي ، قال : إذن أكون سفيهاً مثلك ، قال فهبها لي ، قال : قد فعلت ، فقال هشام : والله لا أعود إلى مثلها أبداً (اعتاب الكتاب ٦٠) .

وقال أبو الهيثم بن العريان ، لأحد المتظلّمين : **ويلي على ابن الفاعلة** .

وسبب ذلك ، إنّ أبا الهيثم ، كان صاحب الشرطة بالعراق ، جاء إليه أحد المتظلّمين بغريم له قد مطل غريمه ديناً ، فقال له : ما تقول ؟

قال : إنّ هذا ابتاعني عنجداً ، وآستنسأته حولاً ، فصار لا يلقاني في لقم ، إلّا اقتضاني .

فقال له الهيثم : أمن بني أميّة أنت ؟ قال : لا .
قال : فمن أكفائهم من بني هاشم ؟ قال : لا .
قال : **ويلي على ابن الفاعلة** ، فعلى مَ تتكلم بهذا الكلام ؟ السياط ، فلما جرّد ليضرب ، قال : أصلحك الله ، إنّ إزاري مرعبل .

فقال :دعوه، فلو ترك الغريب في وقت لتركه الآن (الملح والنوادر ١٨٣).

وشتم أحد الأمراء العباسيين من أولاد عيسى بن جعفر بن سليمان ، أحد المخنّثين ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** .

وسبب ذلك : إنّ هذا الأمير بعث إلى جماعة من المخنّثين ، فأتوه ، فجعلوا يلعبون، ويرقصون ، وبقي مخنّث منهم لا يتحرّك ، فقال : مالك ؟ قال : لا أحسن شيئاً ، قال : فلِمَ دخلت **يا ابن الفاعلة** ؟ يا غلام ائتني بسكرجة مملوءة روثاً ، وأخرى مملوءة جمراً ، فأتاه بهما ، فقال : والله لتأكلن من أحداهما ، أو لأضربنّك حتى تموت ، قال : يا مولاي دعني أصلّي ركعتين ، قال : قم فصلّ ، فقام يصلّي ، فأطال ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** ، إلى كم تصلّي ؟ قد صلّيت أكثر من عشرين ركعة ، فقال : يا سيّدي ، أنا دائب ، أدعو الله أن يمسخني نعامة ، فأقوى على أكل الجمر ، أو خنزيراً ، فأقوى على أكل الخرا ، فلم يستجب لي بعد ، فدعني أصلّي ، وأدعو ، فلعلّه يستجاب لي ، فضحك منه ، ووصله .

وفي السنة ١٢٩ كانت العصبيه بين المضرية واليمانيّة بخراسان على أشدّها ،وكان نصر بن سيار عامل خراسان زعيم المضرية ، وجديع بن علي الكرماني الأعور ، زعيم اليمانية ، وكان المضريون يشتمون الأزد اليمانيين ، يعيرونهم بأنّهم ملّاحين ، وحدث أن بعث نصر ، سلم بن أحوز ، إلى جديع ، وكان جديع قد استولى على مرو ، فقدم سلم مع جيش ، وتواقف مع

جيش جديع ، على أسوار مرو ، فقال سلم بن أحوز لمحمد بن المثنى : يا محمد ، مر هذا الملاّح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم : **يا ابن الفاعلة** ، لأبي علي تقول هذا ؟ (الطبري ٧ / ٣٦٨) .

أقول : هذه العصبية التي نشبت بين المضرية واليمانيّة بخراسان ، دفعت بعض الحمقى منهم إلى ارتكاب جرائم القتل ، فأصبح اليمانية إذا لاقوا مضرياً قتلوه ، وكذلك المضرية إذا وجدوا يمانياً قتلوه ، وقد أوردنا في الفصل السادس من هذا الباب « طرائف في الشتم » قصة الفتى الذي خرج أيّام العصبية إلى أذربيجان ، فلاقى في طريقه فرساناً سألوه مضري هو أم يماني ، فخاف أن يقول مضري وهم يمانية ، أو يماني وهم مضرية ، فيكون نصيبه القتل ، فتخلّص منهم بجواب أسعفته به قريحته ، وقال لهم : أنا ولد زنا عافاكم الله ، فضحكوا منه وأمنوه ، وقد فشت مثل هذه الجرائم في لبنان في السنتين ١٣٩٧ و ١٣٩٨ (١٩٧٦ و ١٩٧٧ م) فكان بعض المسيحين يقتلون المسلمين إذا ظفروا بهم ، وكذلك كان يصنع بعض المسلمين ، وسمّي هذا اللون من القتل ، القتل على الهويّة ، بأن يطالب الإنسان بأن يكشف عن هويته ، وهي رقعة فيها اسمه ورسمه ومعتقده ، فيجري التصرّف معه وفقاً لما دوّن فيها ، فان امتنع عن بيان معتقده ، ولم يكشف عن هويته ، يكشف ثوبه عن بدنه ، فإن كان مختتناً فهو مسلم ، وإلاّ فهو مسيحي .

وكان أبو العباس السفّاح ، قد شرط لأمّ سلمة ، لما تزوّجها ، أن لا يتزوّج عليها ولا يتسرّى ، ووفى لها بالشرط ، فأغراه خالد بن صفوان ، بأن يتسرّى ، فقصّ السفّاح القصّة على أمّ سلمة ، فقالت له : **فما قلت لابن الفاعلة** ؟ راجع القصّة مفصّلة في الأذكياء ١١٦ و ١١٧ وفي الهفوات النادرة ١٠١ ـ ١٠٥ .

ولما حجّ المنصور في السنة ١٤٤ ، أمر بإحضار أمير المدينة ، فصاح به : **يا ابن الفاعلة** ، أين محمد وإبراهيم ؟ يريد بهما محمد وإبراهيم ولدي عبد الله بن الحسن بن الحسن (الطبري ٧ / ٥٢٧) .

وتغالظ المنصور مع عبد الله بن الحسن بن الحسن ، فوثب المسيب بن زهير أحد قوّاد المنصور ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، دعني أضرب عنق **ابن الفاعلة** . (الأغاني ٢١ / ١٢٣) .

لما ادخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، على المنصور ، شتمه ، وقال له : **يا ابن الفاعلة** فقال له : يا أبا جعفر أي أمّهاتي تزنّي ؟ فاطمة بنت رسول الله ، أم فاطمة بنت الحسين ، أم خديجة بنت خويلد ؟ (مقاتل الطالبيين ٢٢١) .

أقول : أمّ محمد العثماني هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب .

وطلب أبو دلامة ، من المهدي العباسي ، كلب صيد ، فاستصغر المهدي الطلب ، وقال له : **يا ابن الفاعلة** ، وما تصنع به ؟

فقال له أبو دلامة : إن كانت الحاجة لي ، فليس لك أن تعرض فيها .

فقال : صدقت ، أعطوه كلباً .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لا بدّ لهذا الكلب من كلّاب . فأمر له بغلام مملوك .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أيتهيأ لي أن أصيد راجلاً ؟

فقال : أعطوه غلاماً سائساً .

فقال : ومن ينحر الصيد ويصلحه ؟

فقال : أعطوه طبّاخاً .

فقال : ومن يؤوي هؤلاء يا أمير المؤمنين ؟

فقال : أعطوه داراً .

فقال : ومن يمون هؤلاء كلّهم ؟

فقال : أعطوه مائة جريب عامرة ، ومائتي جريب غامرة .

فقال : ما الغامرة يا أمير المؤمنين ؟

فقال : التي لا نبات فيها .

فقال : قد اقطعتك يا أمير المؤمنين ، مائتي جريب غامرة في فيافي بني أسد .

فضحك المهدي وقال : قد جعلناها كلّها عامرة (الملح للحصري ٩٠).

وجيء للمنصور بخارجيّ قد هزم له جيوشاً ، فأقامه ليضرب عنقه ، ثم اقتحمته عينه ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** ، مثلك يهزم الجيوش ، فقال له الخارجي : **ويلك** ، **سوأة لك** ، بيني وبينك أمس السيف والقتل ، واليوم القذف والسبّ ، وما كان يؤمنك أن أرّد عليك وقد يئستُ من الحياة فلا تستقيلها أبداً ، فاستحيا منه المنصور وأطلقه . (الطبري ٨ / ٦٨) .

وخطب المهدي يوماً ، فقال : عباد الله اتقوا الله ، فقام إليه رجل ، فقال : وأنتَ فاتّق الله ، فإنك تعمل بغير الحقّ ، فأخذ ، فحمل ، فجعل القوّاد يتلقّونه بنعال سيوفهم ، فلما أدخل عليه ، قال : **يا ابن الفاعلة** ، تقول لي وأنا على المنبر اتّق الله ، فقال له الرجل : **سوأة لك** ، لو كان هذا من غيرك ، كنت المستعدي عليه بك ، قال : ما أراك إلاّ نبطياً ، قال : ذاك أوكد للحجّة عليك، أن يكون نبطي يأمرك بتقوى الله، فأطلقه. (الطبري ٨/١٨١).

وأحضر أحد اتباع عيسى بن زيد العلويّ ، أمام المهدي العبّاسي ، فشتمه ، وقال له : يا ابن الفاعلة . فقال له : أما تستحي من الله تشتم المحصنات وتقذفهن ، وقد كان ينبغي لك ، ويلزمك في دينك وما وليته أن لو

سمعت سفيهاً يقول مثل قولك أن تقيم عليه الحدّ ، فأعاد شتمه ، ثم وثب عليه فطرحه ، وضربه بيديه ، وركله برجليه وشتمه ، فقال له : إنّك لشجاع أيّد ، حتى قويت على شيخ مثلي تضربه ، لا يقدر على المنع عن نفسه ، ولا الإنتصار لها ، فأمر بحبسه والتضييق عليه ، فقيد بقيد ثقيل ، وحبس سنين ، حتى مات عيسى بن زيد ، فأطلقه (مقاتل الطالبين ٤١٧) .

وطالبت الخيزران ، ولدها موسى الهادي ، بقضاء حاجة ضمنت قضاءها لعبد الله بن مالك ، فغضب موسى ، وقال : ويلي على ابن الفاعلة .

وتفصيل ذلك : إنّ الخيزران كانت تكلّم ولدها موسى ، لما استخلف ، في حوائج الناس ، فيقضيها ، فانثال الناس عليها ، وكانت المواكب تغدو إلى بابها ، وكلّمته يوماً في أمر لم يجد سبيلاً إلى إجابتها إليه ، فاعتلّ بعلّة ، فقالت له : لا بدّ من إجابتي ، فقال لها : لا أفعل ، قالت : إنّي تضمّنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك ، فغضب موسى ، وقال : ويلي على ابن الفاعلة ، قد علمت إنّه صاحبها ، والله لا قضيتها لك ، قالت : إذن والله لا أسألك حاجة أبداً ، قال : إذاً والله لا أبالي ، وحمي وغضب ، فقامت مغضبة ، فقال لها : مكانك تستوعبي كلامي : والله ، وإلاّ فأنا نفيّ من قرابتي من رسول الله ، لئن بلغني إنّه وقف ببابك أحد من قوّادي ، أو أحد من خاصّتي ، أو خدمي ، لأضربن عنقه ، ولأقبضنّ ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك ، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كلّ يوم ، أما لك مغزل يشغلك ، أو مصحف يذكّرك ، أو بيت يصونك ، إيّاك ثم إيّاك ، ما فتحت بابك لملّي أو ذمّي ، فانصرفت ما تعقل ما تطأ ، فلم تنطق عنده بحلوة ولا مرّة بعدها (الطبري ٨ / ٢٠٥ و ٢٠٦) .

وقال أبو العتاهية ، في سلم الخاسر :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلّ الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصير ذاك إلى زوال

فغضب سلم ، وقال : ويلي على **الجرّار ابن الفاعلة** ، الزنديق ، يزعم أنّي حريص ، وهو قد كنز البدر ، وأنا في ثوبيّ هذين لا أملك غيرهما . (الأغاني ١٩ / ٢٦٩ ـ ٢٧٦ معجم الأدباء ٤ / ٢٤٨) .

وقال يحيى بن زياد ، لصاحبه مطيع بن إياس ، انطلق بنا إلى فلانة المغنّية ، فأصلحها، فإنّ بيننا مغاضبة ، فدخلا إليها ، وأخذ يحيى يعاتبها ، ومطيع ساكت ، فقال له : ما يسكتك ، أسكت الله نأمتك ، فقال مطيع :

أنتِ معتلّة عليه وما زال　　　مهيناً لنفسه في رضاك

فأعجب يحيى ما قاله ، وهشّ له ، وقال له : هيه ، فقال :

فدعيه ، وواصلي آبن إياسٍ　　　جعلت نفسه الغداة فداك

فقام إليه يحيى ، بالوسادة ، يجلد بها رأسه ، وقال : ألهذا دعوتك ، **يا ابن الفاعلة** (الديارات ٢٥٣ و ٢٥٤) .

وشتم بشار حمّاد عجرد ، فقال فيه : **ابن الفاعلة** .

وسبب ذلك : انّ راوية حمّاد ، أنشده قول حمّاد فيه :

الا من مبلغ عنّـ　　　ـي الذي والده برد

فقال : صدق **ابن الفاعلة** ، فقال :

إذا ما نسب الناس　　　فلا قبلٌ ولا بعد

فقال : كذب **ابن الفاعلة** ، فقال :

وأعمى قلطبان ما　　　على قاذفه حدّ

فقال : كذب **ابن الفاعلة** ، بل عليه ثمانون جلدة ، فقال :

وأعمى يشبه القرد　　　إذا ما عميَ القردُ

فقال : والله ، ما أخطأ ابن الزانية ، حين شبهّني بقرد ، حسبك ،

حسبك ، ثم صفق بيديه ، وقال : ما حيلتي ، يراني فشبّهني ، ولا أراه فأشّبهه (الأغاني ١٤ / ٣٢٨ - ٣٢٩) .

وشتم الهادي ، الحسن بن عبد الخالق ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** .

وسبب ذلك : إنّ الهادي ، خرج يوماً في غلالة ، على فرس ، وبيده قناة ، وأخذ يلعب ، ولا يدرك أحداً إلّا طعنه ، فلاقى الحسن بن عبد الخالق ، والحسن لا يعرفه ، فأراد أن يطعنه ، فقبض الحسن على قائم سيفه ، يريد أن يسلّه ، فصاح به رجل ، ويلك ، أمير المؤمنين ، فحرّك الحسن دابته ، وهرب ، والتجأ إلى دار صاحب الحرس ، ولحقه الهادي إلى باب صاحب الحرس ، فصاح به : **اخرج يا ابن الفاعلة** ، فلم يخرج ، واضطر الحسن إلى مغادرة عيسى آباد ، مقرّ الهادي ، إلى حين موته (الطبري ٨ / ٢١٨) .

وأدخل العباس بن محمد العلوي ، على الرشيد ، فشتمه الرشيد وقال له : **يا ابن الفاعلة**، فقال له: تلك أمّك التي تواردها النخّاسون، فأمر به، فأدني،ثم ضربه بالجزر (عمود من الحديد)،حتى قتله(مقاتل الطالبيّين ٤٩٨) .

وبعد قتل جعفر ، سأل الرشيد مسرور الخادم ، عما قاله جعفر ، حين مسّه حدّ السيف ، فقال له : سمعته يقول : أهون بها قتلة ، لا سيّما إذا كانت في طاعة الله . فقال الرشيد : **ويلي على ابن الفاعلة** ، أراد أن يوهم أني قتلته في هوى نفسي (وفيات الأعيان ١ / ٤٧٤) .

وتبسّم ابن جامع المغني ، بحضور الرشيد ، فلحظه ، وقال : فيم تبسمت ، **يا آبن الفاعلة** ؟ ، راجع القصّة في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ،تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٢٥٤ .

وشتم الرشيد ، فرج بن زياد الرخّجي ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** .

وكان الرشيد قد قلّد فرجاً الرخجي الأهواز ، فاتصلت السعايات به عنده ، وكثرت الشكايات منه ، وتظلّم الرعية ، وادّعي عليه انّه آقتطع مالاً عظيماً ، فصرفه بمحمد بن أبان الأنباري ، وقبض عليه ، ثم دعا به وشتمه أقبح شتم ، وتَوعّده أشدّ توعّد ، ثم قال له : **يا ابن الفاعلة** ، رفعتك فوق قدرك ، وائتمنتك فخنتني ، وسرقت مالي ، وفعلت وصنعت ، راجع القصة بكاملها في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي رقم ١٢٩ حـ١ص ٣٦٧ و ٣٦٨ .

وثار أهل الربض ، بقرطبة ، على الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل (١٥٤ - ٢٠٦) ، وتسوّروا عليه القصر ، فقال لأخصّ غلمانه : إذهب إلى فلانة ،إحدى كرائمه، وقل لها تعطيك قارورة الغالية، فتلكّأ الغلام، وقال له: يا مولاي، هذا وقت الغالية؟ فقال له: **ويلك يا ابن الفاعلة**، بمَ يعرف رأسي إذا قطع من رؤس العامة ، إذا لم يكن مضمّخاً بالغالية ؟ (المعجب للمراكشي ٤٥) .

وشتم منصور بن المهدي ، عبيد الله بن أبي غسّان ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** ، تحتال على أمير المؤمنين ، وتأخذ متاعه ؟ .

وسبب ذلك : إنّ عبيد الله بن أبي غسّان ، كان من ندماء الأمين ، وحبسه عنده ثلاثة أيّام بلياليهنّ ، لم يدخل في جوفه غير النبيذ ، فكاد أن يهلك ، وطلب من أحد خدمه الخاصّة أن يحتال له فيما يأكل ، فاحتال له بأن نظر إليه في مجلس الأمين وضحك ، وسأله الأمين عن سبب ضحكه ، فأخبره أنّ عبيد الله لا يطيق أن يشم رائحة البطيخ ، ولا تذوّقه ، ويجزع من أكله جزعاً شديداً ، فلما سمع الأمين بذلك ، أمر بإحضار بطيخ ، وأمر بأن يطعم منه عبيد الله قسراً ، ووعده بأن يعطيه فرش بيت عن كلّ بطيخة تدخل في جوفه ، وأطعمه الخدم ثلاث بطيخات ، أخذ عنها فرش ثلاثة بيوت ، وأحسّ منصور بن المهدي بالحيلة ، فشتم عبيد الله ، وقال له : **يا ابن الفاعلة** ، تحتال على أمير المؤمنين وتأخذ متاعه (الطبري ٨ / ٥٢١ و ٥٢٢) .

وشتم كوثر ، خادم الأمين ، جبريل بن بختيشوع المتطبب لما أشار بحجامة الرشيد وقال له : **يا ابن الفاعلة** ، تقول آحجموا رجلاً ميتاً .

وسبب ذلك : إنّ الرشيد كان رجلاً كثير الأكل والشرب ، فأكل ، وهو في الرقّة ، أشياء خلط فيها ، فغشي عليه ، وأحضروا طبيبه جبريل ، فأشار بأن يحجم ، وكان كوثر ، خادم الأمين ، يستعجل استخلاف سّيده الأمين ، فقال لجبريل : **يا ابن الفاعلة** ، تقول آحجموا رجلاً ميتاً ، فقال المأمون : الأمر قد وقع ، وليس يضرّ أن يحجم ، فحجم ، فعاد إليه وعيه ، واسفر لونه ، وتكلّم ، ووصل جبريل بأن أمر بإقطاعه ما غلّته ألف ألف درهم ، راجع القصّة بتمامها في كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٤٤٤ حـ٤ ص٢١٩ و٢٢٠ .

وشتم دعبل الخزاعي ، أبا سعد المخزومي ، فقال : **ويلي على ابن الفاعلة** .

وسبب ذلك : إنّ دعبلاً ، سمع بيتين لأبي سعد المخزومي هجاه فيها ، وهما :

لدعبل منّة يمنّ بها ... فلست حتى الممات أنساها
أدخلنا بيته فأكرمنا ... ودسّ آمرأته فنكناها

فقال دعبل : **ويلي على ابن الفاعلة** ، وأخذ يحبّر قصيدة في هجائه (الأغاني ٢٠ / ١٦٩) .

وشتم المأمون ، علّويه المغنّي ، فقال له : **يا آبن الفاعلة** .

وسبب ذلك : إنّ علّويه المغني ، من موالي الأمويّين ، وكان مرّة مع المأمون بدمشق ، فمر ببركة من برك بني أمّية ، فاستحسنها المأمون ، وجلس هناك ، وأمر بطعام وشراب ، وذكر بني أمية ، فوضع منهم وتنقّصهم ، فغنّى علّويه :

أولئـك قومي بعـد عـزّ ومنعـةٍ تفـانوا فـإلاّ أذرف العين أكمد

فضرب المأمون الطعام برجله ، ووثب ، وقال لعلّويه : **يا ابن الفاعلة** ، لم يكن لك وقت تذكـر فيه مـواليك إلاّ في هـذا الوقت ، فقـال له : مـولاكم زرياب ، عند مـواليّ (يريـد الأمويين الأنـدلس) يركب في مـائة غـلام ، وأنا عندكم أموت من الجوع ، فغضب عليه عشرين يوماً، ثم رضي عنه (الطبري ٨ / ٦٥٧) .

وكـان إبراهيم بن المهـدي ، عظيم الإعجـاب بجاريتـه شاريـة ، فسأل اسحاق بن إبراهيم المـوصلي : كم تساوي شـارية ؟ فقـال له إسحـاق : مائـة ألف درهم ، فدارت عيناه في رأسه ، وحذفه بقضيب كان في يده ، وقال له : **يـا ابن الفاعلة** ، تقـول هذا لشـارية ، وتضـع من قدرهـا ، خذوا بـرجـل **ابن الفاعلة** . (الهفوات النادرة ١٢٥) .

وشتم المـأمـون ، أحمـد بن صـدقـة المغني ، وقـال لـه : **يـا ابن الفاعلة** ، ألك عليّ وعلى حرمي صاحب خبر ؟

وسبب ذلك : إنّ المأمون ، غاضب إحدى جواريه ، فبعثت إليه ، وهو في مجلس الغنـاء بتفاحـة من عنبر ، وقـد كتب عليها بـالذهب : يـا سيّدي ، سلوت ؟ وحدث أن غنّى على أثر وصول التفاحـة ، أحمد بن صـدقة ، صـوتاً في شعر خالد بن يزيد الكاتب وهو :

تقول سلا ، فمن المـدنف ومن عينـه أبـداً تـذرف
ومـن قـلبـه قـلقٌ خـافـقٌ عليـك وأحشـاؤه تـرجف

فاحمرّ وجه المأمون ، وانقلبت عيناه ، وقـال لأحمد : **يـا ابن الفاعلة** ، ألـك عليّ وعلى حرمي صـاحب خبر ؟ من آين عـرفت قصّتي مـع جـاريتي ؟ فحلف له أنّ القضية جاءت مصادفة ، فرضي عنه وأمر لـه بخمسة آلاف درهم (الأغاني ٢٢ / ٢١٣) .

ومرّ القاسم بن الرشيد في موكب عظيم ، وكان من أتيه الناس ، وأبو العتاهية جالس مع قوم على ظهر الطريق ، فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يزل قائماً حتى جاز ، فأجازه ولم يلتفت إليه ، فقال أبو العتاهية :

يتيه ابن آدم من جهله كأنّ رحى الموت لا تطحنه

فسمع بعض من في موكبه ذلك ، فأخبر به القاسم ، فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مقرعة ، وقال له : يا ابن الفاعلة ، أتعرّض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره ، فدسّ أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت توجب له حقّه ، هذه الأبيات :

حتى متى ذوآلتيه في تيهه أصلحه الله وعافاه
يتيه أهل التيه من جهلهم وهم يموتون وان تاهوا
من طلب العزّ ليبقى به فإنّ عزّ الرء تقواه
لم يعتصم بالله من خلقه من ليس يرجوه ويخشاه

وكتب إليها بحاله ، وضيق حبسه ، وكانت مائلة إليه ، فرقّت له ، وأخبرت الرشيد بأمره ، وكلّمته فيه ، فأحضره وكساه ووصله ، ولم يرض عن القاسم حتى برّ أبا العتاهية وأدناه ، واعتذر إليه . (الأغاني ٤ / ٦٦) .

وفي السنة ٢٢٢ اشتبك الأفشين قائد الجيش العباسي ، وبابك الخرمي ، قائد الثوار الفرس ، في موقعة ضارية ، فانكسر بابك ، وفرّ هارباً ، فبعث إليه الأفشين كتاباً من المعتصم بالأمان له ، صحبة اثنين من أتباعه ، وبعث معهما رسالة لبابك من ولده الأكبر ، الذي سقط في الأسر ، يحضّه فيها على النزول بالأمان ، فقال بابك للذي أحضر كتاب ولده : كيف اجترأت على أن تجيئني بهذا الكتاب من ابن الفاعلة ؟ ثم أمر بالرسول ، فضربت عنقه ، وشدّ الكتاب على صدره مختوماً لم يفضّه ، ثم قال للآخر : اذهب وقل لابن الفاعلة ـ يعني ولده ـ أنا أشهد انّك لستَ ابني ، وقد صح الساعة

فساد أمّك ، تعيش يوماً واحداً وأنت رئيس ، خير لك من تعيش أربعين سنة ، وأنت عبد ذليل (الطبري ٩ / ٤٥ و ٤٦) .

وفي السنة ٢٢٣ كان المعتصم يحاصر عمورية ، وغضب اشناس من قوّاده ، ومنهم عمرو الفرغاني ، وأحمد بن الخليل بن هشام ، فقال لهم : **يا أولاد الزنا** ، انصرفوا إلى مضاربكم ، فقال عمرو لأحمد : أما ترى هذا العبد **ابن الفاعلة** ـ يعني اشناس ـ ما صنع بنا اليوم ، انظر القصّة في تاريخ الطبري ٩ / ٥٧ ـ ٧١ .

وكان ابن الزيات وزير المعتصم يعادي الفضل بن مروان صاحب ديوان الخراج ، فوقف يوماً على باب ديوان الخراج ، ودعا بالفضل ، وقال له : إنّ أمير المؤمنين يقول لك : **يا ابن الفاعلة** ، لأسفكنّ دمك ،وآخذنّ مالك (إعتاب الكتاب ١٣٢) .

وغضب المعتصم ، على عمر بن فرج الرخجي ، فقال له : **يا ابن الفاعلة** ، أمرتك في ولد أبي طالب ، أن تتعرّف خبر منازلهم ؟

ثم قال له : **يا ابن الفاعلة** ، ما شغلك ما أنت فيه ، عن لمس البساط كأنّك غير مكترث بما أريده بك .

راجع التفصيل في القصّة رقم ٣٧٤ من كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ح ٤ ص ١٧ و ١٨ .

وكان عمر بن فرج الرخجي ، وأبوه فرج ، من شرار الخلق ، راجع ترجمة فرج في هذا الكتاب في الباب الثاني (ما يشبه الشتم) في الفصل الثالث (التفل في الوجه) ، وراجع ترجمة ولده عمر في الباب الثالث ، الفصل الثاني (الصفع) .

وذكر أحمد بن حمدون ، إنّه كان مع المعتز ، فدخل عليه خادم في يده طبق عليه مكبّة ، فوضعه في وسط البيت ، ورفع المكبّة ، فإذا في الطبق

رأس المستعين ، فشهق ابن حمدون وبكى ، فقال لـه المعتزّ : مـا هذا **يـا ابن الفاعلة** ؟ (الديارات ١٧٠) .

وسمـع ابن مكرم ، صـديقـه أبـا العينـاء ، يقـول في دعـائـه : يـا رب سائلك ، فقال له : **يا ابن الفـاعلة** ، ومن لست سائله ، يشيـر إلى أنّه شحّـاذ محترف (وفيات الأعيان ٤ / ٣٤٥ ومعجم الأدباء ٧ / ٦٤) .

وغضب الراسبي ، عامـل خوزستـان ، على أحد مؤاكليـه من الأكراد ، روى قصّـة أقرّ فيها إنّه قتل إنساناً ظلماً بعد أن سلبه ماله ، فقال له الـراسبي : **يا ابن الفاعلة** ، إنّما آمنتك على ما كان منـك في إفسادك السبيـل ، أمّا الـدماء فمعـاذ الله أن أسقطهـا عنك ، وصـاح بـالغلمـان ، فقـطعـوا عنقـه وهـو على المائدة ، فتـدحـرج رأسه ، وجرّت جثته ، وأتمّ الراسبي غداءه ، راجع القصّة بتفصيلها في نشوار المحاضرة للتنوخي حـ ٣ ص ٢٠٨ ـ ٢١٠ رقم القصة ١٣٦ .

ولما عزل الوزير ابن الفرات ، من وزارة المقتدر ، ناظره خلفه حامد بن العبـاس ، فشتمه شتمـاً مسرفـاً ، وقال لـه : **يا ابن الفـاعلة** ، وأمر بـأن تنتف لحيته ، فلم يقدم عليه أحد ، فمـدّ حامد يده إلى لحيته ، وكان جالساً بالقرب منه ، فأخذ منها خصلة، فصّاح ابن الفرات : أوّه (الوزراء للصابي ١٠٨) .

واتّهم الـراضي ، أبا عبـد الله بن المنتصر ، والمنتصـر العباسي جـدّه ، بـأنّه يتـآمر عليـه ، فأحضـره مشدود العينين ، بـدّراعة وخفّ ، فلمـا أقيم بين يديه ، قال : ما لنا ، نحن قـرامـطة؟ فقال لـه الراضي : **يـا ابن الفاعلة** ، فـكّ الكلب النابح ، فضربوا فكّه ، ثم قتله من ليلته (تجارب الأمم ١ / ٣٩١) .

ولما صمّم أبو عبد الله البريـدي ، على قتل أخيـه أبي يوسف ، أعـدّ له غلماناً من غلمانه في مخترق قد سقف بين بـاب داره بالبصـرة بالأبلْـة ، وبين

الشط ، فكمن له هؤلاء ووثبوا عليه بالسكاكين ، فأخذ يصيح : يا أخي قتلوني ، قتلوني ، وأبو عبد الله يقول : **إلى لعنة الله** ، فخرج أخوه أبو الحسين، وكان ينزل إلى جواره ، إلى روشن داره فقال : يا آخي قتلته ، فقال : **يا فاعل** ، اسكت وإلّا ألحقتك به ، ثم طالب اسرائيل الجهبذ بإحضار جوهر كان قد رهنه عند أبي يوسف ، فلما أخذه قال : أخذنا المال والجوهر ، ومضى **الفاعل بن الفاعلة** إلى لعنة الله (تجارب الأمم ٢ / ٥٢ ـ ٥٤) .

وقال مولى لخالد بن صفوان : زوّجني أمتك فلانة ، قال : قد زوّجتكها ، قال : أفأدخل الحيّ حتى يحضروا الخطبة ؟ ، قال : أدخلهم ، فلما دخلوا ، ابتدأ خالد ، فقال : أمّا بعد ، فإنّ الله أجلّ وأعزّ من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين ، وقد زوّجت هذه **الفاعلة** ، من هذا **ابن الفاعلة** (البيان والتبيين ٢ / ١٩٠).

وغضب أبو نزار الحسن ، ملك النحاة على غلام له ، فقال له : ويلك لا رعاك الله **يا ابن الفاعلة** ، **راجع القصّة في معجم الأدباء ٣ / ٧٧** .

وروى صاحب كتاب الفرج بعد الشدة ، في القصة المرقمة ٣٦٠ إنّ أخوين من نصيبين ، ورثا من أبيهما مالاً ، فأضاعه أحدهما ، ونمّاه الآخر ، وعرض للغني سفر ، فجاء إليه أخوه وطلب منه أن يستخدمه في سفره ، فأنعم له ، فلما انفرد به في الطريق ، تمكنّ منه ، فصاح به : استكتف يا ابن الفاعلة ، فقال له : ويحك ما تريد ؟ فقال : أريد قتلك **يا ابن الفاعلة** ، راجع القصّة بتمامها في كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف حـ٣ ص٣٧١ ـ ٣٧٣.

وروى صاحب الفرج بعد الشدة ، في القصة ٣٦٨ قصة عبّاد المؤنث لما أحسّ ليلاً في صهاريج الحجّاج ، بفتى قد سلّ سيفه على صبيّة يريد قتلها ، وهو يقول لها : **استكتفي يا ابنة الفاعلة الصانعة** ، فضرب قفاه بقرد

كـان يحمله ، فأغمي على الـرجل ، وخلّص الصبيّـة من يده ، راجـع القصّة مفصّلة في كتاب الفرج بعد الشدة ، للتنوخي ، تحقيق المؤلف .

وحضـر مجلس أبي بكر بن سعيـد ، أمير غـرنـاطـة ، الشـاعـر الأعمى الهجّـاء أبو بكـر المخزومي المـدوري ، وكان في المجلس الشـاعـرة الأديبـة تـزهون بنت القـلاعي ، فتنحنح الشـاعر المخـزومي ، فقـالت لـه نـزهـون : ذبحة ، فقال : من **هذه الفاعلة** ؟ فقالت : عجوز ، في مقـام أمّك ، فقـال : كذبت، ما هنا صوت عجوز، انما هي نغمة قحبة محترفة (اعلام النساء ١٦٩/٥) .

وفي السنة ٤٣١ تآمر على باديس صـاحب غرنـاطة ، ابن عمـه يدّيـربن حباشه ، وانكشف أمره ، ففرّ مع بعض أصحابه إلى إشبيلية ، وقبض بـاديس على اثنين من أصحـاب يدّيـر ، أحدهمـا كاتبـه أبـو الفتـوح ثـابت بن محمـد الجرجاني ، والثاني صنهاجي من رجـال يدّيـر ، وأحضرهمـا باديس فقتـل أبا الفتـوح بيده ، وأمـر بضرب عنق الصنهـاجي ، فجزع ، وألـحّ في ضراعتـه ، فغضب منـه بـاديس وقـال لـه : أمـا تستحي **يـا ابن الفـاعلة** ، يصبـر المعلّم الضعيف القلب على المـوت (يشيـر إلى أبي الفتـوح) وأنت تجـزع هـذا الجـزع ، وتعتبر نفسـك من أشدّ الـرجال ، ثم أمـر فضربت عنقـه (الاحـاطة ٤٦٢ - ٤٦٦) .

٤ ـ قولهم : يا ابن الفاجرة ، ويا ابن المومسة ، ويا ابن البغي .

القحبة: الأصل في القحب السعال والقحبة : الفاجرة .
وإنما سمّيت القحبة بهذا الإسم ، لأنّها تسعل لتنبّه الفاجر إليها .
المومس : المرأة المجاهرة بالفجور .
والبغيّ : الفاجرة .

جيء إلى الحجّاج الثقفي ، بعمران بن حطّان الشاري ، فقال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال له عمران : بئس ما أدّبك به آهلك يا حجّاج ، أبعد الموت منزلة أصانعك عليها ، كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به ، فأطرق الحجاج ، وقال : خلّوا عنه . (إعتاب الكتاب ٦١) .

ونظم أبو نخيلة الشاعر ، قصيدتين يحضّ فيهما المنصور على تقديم المهدي في العهد على عيسى بن موسى ، وتلا القصيدتين بمحضر من عيسى بن موسى ، فسرّ المنصور وفرح ، وأمر لأبي نخيلة بمائة ألف درهم ، أحاله بها على الريّ ، فخرج لأخذها ، فوجّه عيسى بن موسى خلفه مولى له يقال له قطري ، فقبض على أبي نخيلة ، وأضجعه ، وذبحه ، وسلخ وجهه ، وقال له لما أضجعه : يا ابن المومسة ، هذا أوان صرّ الجندب ، راجع تفصيل القصّة في الهفوات النادرة ٨٥ ـ ٨٩ .

وكان مطيع بن إياس يتعشق جوهر جارية بربر ، وقال فيها :

أما والله يا جوهر ... لقد فقت على الجوهر
فلا والله ما المهديّ ... أولى منك بالمنبر
فإن شئت ففي كفّيـ ... ـك خلع ابن أبي جعفر

فضحك المهدي لما بلغته الأبيات ، وقال : اللّهم آلعنهما جميعاً ، ويلكم آجمعوا بين هذين قبل أن تخلعنا هذه القحبة (الأغاني ١٣ / ٣١٤) .

وروى التوحيدي ، في البصائر والذخائر ، حديثاً عن مفاخرة بين شطّار بغداديين ، فيها كثير من آلفاظ السباب ، منها يا ابن الغلابة ، يا ابن الزراعة الهرّاشة ، الفراشة ، الملاشة ، النغاشة ، **يا أخو القحبة** ، (البصائر والذخائر ٤ / ١٧١ - ١٧٤)

وشتم ابن جمهور العمّي ، يوماً ، صاحبته زاد مهر ، فقال لها : **يا قحبة** ، فقالت له : **يا ابن آلقحبتين** ، فقال : ما هذا ؟ قالت : أنا شموس ، أردّ بالزوج (الديارات ٢٦٩) .

أقول : هذه الشتيمة ، ما زالت مستعملة عند عامّة البغداديين ، ولكنّهم يلفظونها الآن بتشديد الخاء ، فيقولون : **يا أخّ القحبة** ، ويلفظون القاف كافاً فارسية ، على طريقتهم في لفظ القاف كافاً فارسية ، والكاف جيماً فارسية ، وهي لهجات قبلية ، أشرنا إليها في تعليقنا على القصة رقم ٨ / ٦٤ من كتاب نشوار المحاضرة جـ٨ ص١٤٨ وفي كتابنا موسوعة الكنايات العامية البغدادية جـ٣ ص١٦٧ و١٦٨ .

وفي السنة ١٥٠ كان خازم بن خزيمة يحارب استاذسيس وأهل سجستان ، فخندق على نفسه ، وجعل لمعسكره أبواباً أربعة غلى أحدها بكار بن مسلم العقيلي ، وهاجم استاذسيس باب بكار بن مسلم ، فانهزم أصحابه ، فنزل بكار وترجّل على باب الخندق ، وصاح : **يا بني الفواجر** ، من قبَلِي يؤتى المسلمون ؟ ثم وقف ومعه من أهله نحواً من خمسين رجلاً فمنعوه. (الطبري ٨ / ٣٠) .

ولما ولي محمد بن مسروق الكندي ، قضاء مصر (١٧٧ - ١٨٤) ، خاشن الناس ، فأكثر أهل المسجد من ذمّه ، فوقف بباب المقصورة في

الجامع ونادى بأعلى صوته : أين أصحاب الأكسية العسلية ، **أين بنو البغايا ؟** (القضاة للكندي ٣٩٠) .

وجاء في المقامة البغدادّية، وهي المقامة الثانية عشرة من مقامات بديع الزمان الهمداني ، أنّ الشوّاء ، قال للسواديّ الذي أكل الشواء ، ولم يدفع ثمنه : يا أخا القحبة ، زِنْ عشرين ، وإلّا أكلتَ ثلاثاً وتسعين (مقامات الهمذاني ٥٥ ـ ٥٩ وزهر الآداب ٢ / ٦) .

أقول : أشرنا آنفاً إلى أن هذه الشتيمة ، **أخا القحبة** ، ما زالت متعارفة ومستعملة في بغداد ، إلّا أنّ البغداديّ يلفظ الخاء مشدّدة ، وقوله : زن عشرين ، أي عشرين درهماً ، أما قوله : والا أكلت ثلاثاً وتسعين ، أي ضربة بقبضة اليد المجموعة ، وذلك وفقاً لحساب الأصابع ، وقد سئل أبو العيناء عن سنّه ، فقال : قبضة ، يريد ثلاثاً وتسعين سنة (الملح والنوادر ٢٣١) ولأجل الإطّلاع على حساب الأصابع ، راجع حاشية القصّة ١ / ٥٣ من كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي جـ١ ص١٠٤ ـ ١٠٧ حيث فصّلت هذا الحساب تفصيلاً تاماً .

٥ ـ قولهم : ابن البظراء ، ابن المتكاء ، ابن العفلاء ، ابن الغلفاء .

البظراء : ذات البظر البارز ، والبظر هنة بين أسكتي المرأة ، والبظراء : لفظة شتم
والمتكاء : التي لم تخفض، أي لم تختن ، وكذلك : الغلفاء ، وهي من الفاظ الشتيمة
والعفلاء : المصابة بالعفل ، وهو استطالة من اللحم تظهر في عورة المرأة .

شتم الخليفة عثمان بن عفان ، عمّار بن ياسر ، فقال له : يا ابن المتكاء .

وسبب ذلك : إنّ عثمان أخذ حليا وجوهراً من بيت المال بالمدينة ، فحلّى به بعض أهله ، فعاب الناس عليه ذلك ، وكلّموه ، حتى أغضبوه ، فقال : لنأخذن من هذا الفيء حاجتنا ، وان رغمت أنوف أقوام ، فقال عمّار بن ياسر : أشهد الله إنّ أنفي أوّل راغم من ذلك ، فقال له عثمان : أعليّ يا آبن المتكاء تجترىء ، خذوه ، وضربه (انساب الاشراف ٥/٨) .

وشتم شبث بن ربعي ، خليد ، مولى حسان الذهلي ، فقال له : يا ابن المتكاء .

وتفصيل ذلك : إنّ شبث بن ربعي كان يحارب المختار بالكوفة ، فإذا أسر من أصحاب المختار ، قتل المولى ، وأطلق العربي ، وأسر خليد ، مولى حسان الذهلي ، فقال له : يا ابن المتكاء ، تركت بيع الصحناة (طعام يتّخذ من السمك) بالكناسة (محلة من محلات الكوفة) وأقبلت تحارب من أعتقك ، ثم قتله (الطبري ٦ / ٢٥) .

وكان صول التركي ، جدّ إبراهيم بن العباس ، ومحمد بن يحيى ، تركياً ، أسلم على يد يزيد بن المهلّب ، ولم يزل معه حتى قتل يزيد يوم

العقر ، وكان صول يقاتل مع يزيد ، ويكتب على سهامه : صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه .

فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فقال : ويلي على إبن الغلفاء ، ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنّة نبيّه ، ولعلّه لا يفقه صلاته (الأغاني ١٠ / ٤٣ ومعجم الأدباء ١ / ٢٦٠ و ٢٦١) .

وقبض عبيد الله بن زياد ، على الهثهاث بن ثور ، فكلّمه فيه سويد بن منجوف ، وقال له : إنّ عمّي الهثهاث بريء مما قرف به ، فشتمه عبيد الله ، وقال له : يا آبن البظراء (انساب الأشراف ٤ / ٢ / ٩٢) .

وكانت أم خالد القسري ، رومية نصرانية ، فكانوا إذا شتموه قالوا : ابن البظراء ، فيقال إنّه ختن أمّه وهي كارهة (الأغاني ٢٢ / ١٤) .

واجتمع العباس بن الوليد ، وجماعة من الأمراء الأمويّين عند الخليفة هشام بن عبد الملك ، ودخل الوليد بن يزيد ، فقال له العباس : يا وليد ، كيف حبّك للروميّات ، فإنّ أباك كان مشغوفاً بهن . فقال : كيف لا يكون ذلك وهنّ يلدن مثلك ، قال : ألا تسكت يا ابن البظراء ، قال : حسبك أيّها المفتخر علينا بختان أمّه (الأغاني ٧ / ٥ ، والعقد الفريد ٤ / ٤٥٠) .

وسبّ مخنّث آمرأة تحرّشت به ، فقال لها : يا بظراء ، راجع القصة في البصائر والذخائر ٣/٢/٥٣١ .

وشتم غلام بغدادي ، أبا محمد القمّي ، بأصبهان ، فقال له : أمك بظراء ، راجع القصة في البصائر والذخائر ١ / ٢٢٥ .

وشتم إبراهيم بن المدبّر ، أبا الخير عيسى بن إبراهيم النصراني ، فقال عنه : ابن البظراء .

وسبب ذلك : إنّ أبا الخير عيسى بن إبراهيم النصراني ، كان يكتب لسعيد بن صالح ، وكان قد سعى على إبراهيم بن المدبّر حتى نكب ، وحبس ، وحدث أن تخلّص إبراهيم من السجن ، ومات سعيد بن صالح ،

فنكب كاتبه عيسى ، وحبس ونهبت داره ، فقال فيه إبراهيم : [الأغاني ٢٢ / ١٧٥ و ١٧٦]

قل لأبي الشرّ ، إن مررت به   مقالة عرّيت من اللبس
لا زلت يا ابن البظراء مرتهناً   في شرّ حال وضيق محتبس

وأحضر حامد بن العباس ، وزير المقتدر ، العدل ابن عبد السلام ، يطالبه بوديعة سعي بأنّها عنده لابن الفرات ، وانّ يحيى الدقيقي ، قرابة أمّ كلثوم ، قهرمانة ابن الفرات ، أودعه ذلك ، فقال له : هذا الدقيقي ابن البظراء ، قرابة أمّ كلثوم العفلاء تعرفه ؟

فقال العدل : الوزير ـ أعزّه الله ـ أعرف به مني .

أقول : ذكر القاضي التنوخي ، في كتابه نشوار المحاضرة جـ ٨ ص ٨٥ رقم القصة ٨ / ٣٦ ، قال : ما رأينا ولا سمعنا ، برئيس أسفه لساناً ، من حامد بن العباس ، فإنّه كان لا يردّ لسانه عن أحد البتّة ، وكان إذا غضب شتم ، وجاءت إليه أمّ موسى الهاشمية ، قهرمانة المقتدر ، وأبلغته قائلة : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أقول لك في مجلس حفلك ، إنّ ابن الفرات كان يحمل إليّ في كلّ يوم خريطة فيها ألف دينار ، وإلى السيّدة عشرة آلاف دينار في كلّ شهر ، وإلى الأمراء والقهارمة خمسة آلاف دينار في الشهر ، وإنّك قد أخللت منذ أربعين يوماً .

فقال لها حامد : الساعة قد جئت حادّة محتدّة ، تطالبيني بهذا ؟ أضرطي والتقطي ، وآحذري لا تغلطي .

فقامت خجلة وذهبت إلى حال سبيلها .

أقول : ومما يروى عن حامد ، أنه قال لابن الحواري ، وأمّ موسى القهرمانة حاضرة ، في دار الخلافة : قد نكت أمّه مرتين ، وقال لعليّ بن عيسى مرة ، بحضرة الخليفة المقتدر أنا ـ والله ـ نكت هذا مرتين ، وهو

أمرد ، وغضب على رجل من كـرام الناس ، وهـو في مجلس الوزارة ، فقـال لعلي بن عيسى : تلومني السـاعة أن أنيـك أمّ هذا ؟ لـزيـادة التفصيـل راجـع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي جـ ٨ ص ٨٥ ـ ٨٨ رقم القصة ٣٦ .

وفيما كان الوزير أبو الحسن على ابن عيسى مجتمعاً مـع رجال الـدولة ، مؤنس المظفر ، ويـأنس ، وغريب خـال المقتدر ، ونصـر الحاجب ، وشفيـع اللؤلؤي ، يتذاكرون في أمر مصر ، وكان الفاطمي قد غزاها ، وبلغ الجيزة ، فجاءت أمّ موسى القهرمانـة ، ولما عـرفَتْ انّهم مهتّمون بـأمر مصـر ، قالت : بـظر أمّ مصـر ، ومتى كـانت في يـد السلطان حتى يغتم عليهـا إذا أخـذت (الوزراء ٣٨١) .

وتفصيل القصة ، وقد رواها عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزيـر علي بن عيسى ، قـال : تأخّـر الوزيـر أبـو الحسن علي بن عيسى ، في دار السلطان ، تأخّراً طال ، ثم وافى ، وقد تجاوزت صلاة الظهر في يوم صائف ، فقلنا له : مـا سبب هذا التـأخر ؟ فقـد أعتورتنـا الظنـون فيـه ، فقـال : كنـا ـ والله ـ في أعجوبة لـم يسمع بمثلها ، قلنا : ما هي ؟ كنت مـع مؤنس ، ويأنس ، وغـريب الخال ، ونصر الحاجب ، وشفيع ، وغيرهم من الخاصّة ، نتجـارى ما ورد من أمر مصر ، إذ جاءت أمّ موسى القهرمانـة ، فجلست على مسورة ، واستـدعت من خـادمها منـديل حـوائجها ، وبـدأت تعرض رقعـة لبعض الحشم في زيادة دينـار في نزلـه ، ورقعة أخـرى لبعض الخدم في زيـادة يسيرة في رزقـه ، وأنا والجماعة نتميّز عيظاً من قطعها إيّانا عن هذا الأمر العظيم بمثل هذه الصغائر ، فتـركت الرقعـة ، وعدت إلى مشـاورة القوم ، فغضبت أمّ مـوسى ، وقـالت : هكـذا يفعل بحـوائج السـادة ؟ فقلت لها : نحن في حـراسة الأرواح ، وحفظ أصـول الملك ، فقـالت : ومـا هـذا الشغـل كلّه ؟ فقلت لهـا : إنّ مصـر قـد أشـرفت على الـذهـاب ، والخـروج من يـد السلطان ، وغلب المغـربي على مـواضع الإرتفـاع فيها ، وإن تمّ مـا نخاف ، فقـد مضى المغرب كلّه ، ثم لا

قرار على البساط بعده ، فقالت أمّ موسى : بظر أمّ مصر ، ومتى كانت في يد السلطان ، حتى يغتم عليها إذا أخذت ؟ فورد عليّ من قولها ما أدهشني ، وقلت لها : بمثل هذا أدبر أمر الدنيا .

وشتم بشر بن هارون النصراني الكاتب ، الوزير ابن صالحان ، بشعر قال فيه : بظر إمّ الوزير .

وتفصيل ذلك : إنّ بشر بن هارون الكاتب ، وكان أديباً شاعراً ، جاء إلى الموفّق ابي علي إسماعيل ، وكان يخلف الوزير أبا منصور بن صالحان ، فقال له : إنّي هجوت الوزير أبا منصور ، وتلا عليه البيتين :

قالوا : مضيت إلى الوزير ؟ فقلت : بظر آمّ الوزير
يلقى الكرام ، نعم ، وإمّـ ـاذا ، فيلقى جوف بير

فقال له الموفّق : لو سمعها منك ، لحمدت أمرك معه ، فراهنه على أن ينشدها إيّاه ، على مائة درهم وعشرة أقفزة حنطة ، ودخل على الوزير ، وقال له : إنّك أنعمت عليّ بما يقصر شكري عنه ، وقد حسدني قوم على قربي منك ، وقالوا أبياتاً على لساني فيك ، فأخاف أن تصدّق ذلك إذا سمعته ، فقال له الوزير : لا تخف ، فما الأبيات ؟ فأنشده إيّاها ، فضحك الوزير ، وخرج بشر إلى الموفّق ، فكتب له صكّاً بالدراهم والحنطة ، إلى وكيله ، فدافعه الوكيل ، فكتب إلى الموفق :

أيّها السيد الكريم الجليل هل إلى نظرةٍ إليك سبيل
فأناجيك باشتكاء وكيلٍ ليس حسبي ، وليس نعم الوكيل

راجع أخبار بشر بن هارون الكاتب ، في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف جـ ١ ص ٩٣ و ٩٤ وجـ ٣ ص ١١٤ .

وكان أحد الكتّاب النصارى ، يكتب لابن الفرات ، وكان أثيراً عنده ،

عرف بلقبه وهو : بظر آمّ الدنيا ، ويلوح لي إنّه لقّب بهذا للقب ، لأنّه كان يكثر من ترديده (الوزراء ٧٣) .

واجتاز القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخي، بأحد الدروب، فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر ابنتك يا أختي ؟ فقالت : رزقتها يوم صفع القاضي التنوخي ، وضرب بالسياط ، فرفع رأسه إليها ، وقال : يا بظراء ، صار صفعي تاريخك ، ما وجدت تاريخاً غيره ؟ (فوات الوفيات ٣ / ٦١) .

٦ ـ قولهم : يا عاض بظر أمّه

البظر : هنة بين اسكتي المرأة

وشتم الإنسان : **بمصّ بظر أمّه** ، **أو بعضّ بظر أمّه** ، من الشتائم القبيحة التي تجمع إلى اللفظ السمج ، الإستهانة بالمشتوم ، مع ذكر أمّه بالقبيح .

وأوّل من بلغنا عنه ، إنّه تلفّظ بهذه الشتيمة ، من السراة ، عبد الله بن الزبير ، وقد كان بينه ، وبين سلمى بن نوفل ، جدّ مطيع بن إياس ، مقارضة فلما بويع عبد الله ، بمكة ، دخل سلمى ، وابن الزبير يخطب ، فرآه ، ولما أتمّ خطبته ، بعث من أحضره ، وقال له : انّك لها هنا ، **يا عاض بظر أمّه** ؟ فقال له سلمى : أعيذك بالله ، أن يتحدّث العرب ، أنّ الشيطان نَطَقَ على فيك ، بما تنطق به الأمة الفسلة (الأغاني ١٣ / ٢٧٥) .

وغضب عبد الملك بن مروان ، على جرير الشاعر ، فقال له : **يا عاض بظر أمّه** .

وتفصيل ذلك : إنّ جرير مدح الحجّاج مدحاً أغضب به عبد الملك بن مروان ، ولما قصد جرير عبد الملك ، قال له : ما عساك أن تقول فينا ، بعد قولك في الحجّاج ؟ ألستَ القائل :

من سدّ مطّلع النفاق عليكم	أم من يصول كصولة الحجّاج
أم من يغار على النساء حفيظةً	إذ لا يثقن بغيرةِ الأزواج

ثم قال له : **يا عاض بظر أمّه** ، والله ، لهممت أن أطير بك طيرةً بطيئاً وقوعها . (الأغاني ٨ / ٦٦) .

وشتم عبد الله بن محمد بن سالم الشاعر ، المعروف بابن الخياط ، ولده يونس ، فقال له : ويلك يا يونس ، **يا عاض بظر أمّه** ، تحرمني ؟

وسبب ذلك : إنّ فتى استنشد عبد الله من شعره ، فأنشده ، ولما أراد أن يصله تصدّى له يونس ، ابن عبد الله ، وقال له : لا تعجل ، حتى تسمع شعري ، فإنّه أجود من شعر أبي ، فصاح الأب بولده : ويلك يا يونس ، **يا عاض بظر أمّه** ، تحرمني ؟ فقال له : دع هذا عنك ، والله ، لا تجوع امرأتي ، وتشبع امرأتك ، وأنشده ، فقسم الفتى الصلة بينهما (الأغاني ٢٠ / ٤ و ٥) .

ونازع الشحاج الموصلي ، في مجلس سليمان بن عبد الملك ، أخاه ، في ميراث أبيه ، فلحن ، فصاح به سليمان : **لا رحم الله أباك ، ولا بارك لك فيما ورثت أخرجوا عنّي هذا اللحّان** ، فأخذ بيده بعض الشاكرية ، وقال له : قم فقد آذيت أميرُ المؤمنين (قالها بالضمّ) ، فقال سليمان : **وهذا العاضّ بظر أمّه** ، إسحبوا برجله (معجم الأدباء ١ / ٢٤) .

وقال عمر بن عبد العزيز ، في صباه ، لجارية : **أعضّكِ الله بكذا** ، فقال له المؤدّب قل : أعضّك عبد العزيز بكذا (يعني أباه) ، فقال : الأمير أجلُّ من ذلك ، قال المؤدب : ليكن الله أجلّ في صدرك ، فما عاود كلمة خنا (البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٤٥٨) .

وغضب هشام بن عبد الملك على الشاعر إسماعيل بن يسار ، فقال له : **يا عاض بظر أمّه** ، أعليّ تفخر ؟

وسبب ذلك إنّ إسماعيل بن يسار الشاعر كان مبتلى بالعصبية للعجم والفخر بهم ، دخل على هشام بن عبد الملك في خلافته وهو بالرصافة ، جالس على بركة في قصره ، فأنشده قصيدة افتخر فيها بالعجم ، منها :

إنّي ـ وجدّك ـ ما عودي بذي خور	عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم
أصلي كريم ومجدي لا يقاس به	ولي لسان كحدّ السيفَ مسموم
أحمي به مجد أقوام ذوي حسب	من كلّ قرم بتاج الملك مصموم
جحاجحٍ سادةٍ بلجٍ مزاربةٍ	جردٍ عتاقٍ مساميحٍ مطاعيم
من مثل كسرى وسابور الجنود معاً	والهرمزان لفخرٍ أو لتعظيم

فغضب هشام ، وقال له : **يا عاض بظر أمّه** ، آعليّ تفخر وإيّاي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك ، وأمر به فغطّوه بالماء حتى كادت نفسه تخرج ، ثم أمر بإخراجه وهو يشرّ ، ونفاه من وقته ، فأخرج عن الرصافة منفياً (اعلام النبلاء ١ / ١٢٥)

وقال العريان بن الهثيم ، صاحب شرطة الكوفة ، لأحد تجار الكوفة : **أي عاضّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ أحد تجار الكوفة ، كان صاحب غريب ، جاء إلى العريان ومعه خصم ، فقال التاجر للعريان : أصلحك الله ، إنّي ابتعت من هذا عنجداً، واستنسأته شهراً أؤديه مياومة، ولم ينقض الأجل ، فليس يلقاني في لَقمٍ إلا فثأني عن وجهي ، فقال له العريان : من أين أنت ؟ قال : أنا رجل من التجار ، فقال : **أي عاض بظر أمّه** ، تاجر يتكلم بهذاالكلام ، ضعوا ثيابه (يعني أن يهيأ ليضرب) فأهوت الشرط إلى ثيابه ، فقال : أصلحك الله إنّ إزاري مرعبل ، فضحك العريان ، وقال : خلّوا عنه ، فلو ترك الغريب في موضع لتركه ها هنا (البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٦٨٠) .

ولما قدم السيد الحميري الكوفة ، تليت عليه أبيات منها :

يعيب عليّ أقـوام سـفـاهـاً بـأنْ أرجي أبـا حسن عليّـا
إذا أيقنت أنّ الله ربّي وأرسل أحمـداً حقـاً نبّيـا
فـليس عليّ في الأرجاء بأس ولا لبس ولست أخـاف شيـا

فقال : من قال هـذا ؟ فقالـوا : قالهـا محارب بن دثـار الذهلي ، فقـال السيد : **لا كان الله ولياً للعاضّ بظر أمّه** (الأغاني ٧ / ٢٤٨) .

آقـول : الإرجاء هنـا ، يراد بـه تـأخيـر الإمـام علي بن أبي طـالب إلى الدرجة الرابعة ، والمرجئة بهذا المعنى ، يخالفهم الشيعـة ، والتفضيليّون من غير الشيعة ، الذين يقولـون بتفضيل عليّ على غيـره من الصحابـة ، وبتجويـز إمامة المفضول مع وجود الفاضل .

ولمـا بايـع الوليـد بن يزيـد ، لولـديه عثمـان والحكم ، قـال لـه بعض مواليه : إنّ الناس قد أنكروا مبايعتك لمن لم يبلغ الحلم ، فقال لـه : **عضّوا ببـظور أمّهاتكم** ، أنـا أدخل بيني وبين إبني غيـري ، فيلقى منـه مـا لقيت من الأحـول ؟ (يريد هشام بن عبد الملك) (الأغاني ٧ / ٧٠) .

وشتم الشاعر بن هرمة نفسه ، وتفصيل القصة انّ آبن هرمة كان قد مدح أحد العلويين بأبيات ، منها :

ومـهـمـا ألامُ عـلى حـبّـهـم فـإنّـي أحبّ بـني فـاطـمـة
بني بنت من جاء بالمحكمات والـديـن والسـنـن الـقـائـمـة

فلقيه بعد ذلك رجـل ، وسأله عن قائل تلك الأبيات ، فقال : قالها من عضّ بظر أمّه ، فقال له ابنه لما انفردا : يا ابت ألست قـائلها ؟ قـال : بلى ، قال : فلم شتمت نفسك ؟ قال : أليس أن يعضّ الإنسان بـظر أمّه ، خيـر من يأخذه ابن قحطبة ؟ (الأغاني ٤ / ٣٧٥ و٣٧٦) .

ولمـا خرج الضحّـاك في السنة ١٢٧ بـالكوفـة ، قتل جعفـر بن العباس الكنـدي ، وكان على شـرطة أميـر الكوفـة عبد الله بن عمـر بن عبد العـزيز ،

فجنح عبيد الله بن العباس، أخو جعفر إلى الضحّاك ، فبايعه وصار في عسكره ، فقال أبو عطاء السندي ، يعيّره باتّباعه الضحّاك :

فقل لعبيد الله لو كان جعفرٌ هو الحيّ لم يجنح وأنت قتيل
ولم يتبع المرّاق والثأر فيهم وفي كفّه غضب الذباب صقيل
فلا وصلتك الرحم من ذي قرابة وطالبِ وتر والذليلُ ذليل
تركتَ أخاشيبان يسلب بزّه ونجّاك خوّار العنان مطول
إلى معشر أردوا أخاك وأكفروا أباك فماذا بعد ذاك تقول ؟

فقال عبيد الله : **أقول أعضّك الله ببظر أمّك** .

(الطبري ٧ / ٣٢٠ و٣٢١ وابن الاثير ٥ / ٣٣٦)

وأغلظ المنصور لعبد الله بن الحسن بن الحسن ، فأعضّه ، أي قال له : **يا عاض بظر امه** ، فقال له عبد الله ، يا أبا جعفر ، بأيّ أمّهاتي تعضني ؟ بخديجة بنت خويلد ، أم بفاطمة بنت رسول الله ، أم بفاطمة بنت الحسين بن علي ؟ (الاغاني ٢١ / ١٢٢) .

وكان موسىٰ بن مصعب على الموصل ، فاستعمل رجلاً حرّانيّاً على كورة باهذرا ، وهي من أجلّ كور الموصل ، فأبطأ حمل الخراج فكتب موسىٰ إليه :

هل عند رسم برامة خبر أم لا ! فأيّ الاشياء تنتظر

احمل ما عندك **يا ماصّ بظر أمّه** ، وإلاّ فقد أمرت رسولي بشدّك وثاقاً ، وأن يأتي بك .

فخرج الرجل ، وأخذ ما كان معه من الخراج ، فلحق بحرّان ، وكتب إليه : **يا عاضّ بظر أمّه ، إليّ تكتب بهذا ؟**

وإذا أهل بلدة أنكروني عرفتني الدوّية الملساء

فلما قرأ موسىٰ كتابه ، ضحك ، وقال : أحسن ـ يعلم الله ـ الجواب ، ولا والله ، لا أطلبه أبداً (الاغاني ٦ / ٣٣٠ و٣٣١) .

وتمثل آدم بن عمر بن عبد العزيز ، في مجلس المهدي العباسي ، ببيت من الشعر ، قاله الاخطل في مدح بني أمية ، وهو :

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

فغضب المهدي حتى استشاط ، وقال : كذب والله ابن النصرانية العاضّ بظر أمّه ، وكذبت يا عاضّ بظرّ أمّك .

وأغرى يعقوب بن داود ، المهدي العباسي ، ببشّار ، وقال له إنّه هجاك، وقال إنّه لا يقدر أن يلفظ ما هجاه به، ولكنّه كتبه له، فكاد المهدي ينشق غيظاً ، وخرج إلى البصرة ، فسمع أذاناً في ضحى النهار ، فقال : انظروا ما هذا ؟ فإذا بشّار سكران ، فأحضره ، وقال له : يا زنديق ، يا عاضّ بظر أمّه ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؟ ودعا بأبي نهيك ، وأمره بضربه ، فضربه بين يديه على صدر الحّراقة سبعين سوطاً، فبان فيه الموت ، فألقي في سفينة ، فمات ، وألقيت جثته في البطيحة .(وفيات الاعيان ١ / ٤٢٧ و٤٢٨) .

ولما بلغ المهدي أنّ بشار قال :

لا يؤيسنّك من مخبّأة   قول تغلّظه وإن جرحا
عسر النار إلى مياسرة   والصعب يمكن بعدما جمحا

وكان المهدي غيوراً ، فأحضره ، وقال له : تلك أمّك ، يا عاضّ كذا وكذا (يا عاضّ بظر أمّه) ، تحضّ النساء على الفجور ، وتقذف المحصنات المخبّآت ؟ (الاغاني ٣ / ٢٤١ و وفيات الاعيان ١ / ٤٢٦) .

وغضب المهدي على أبي دلامة ، فالتفت إلى خادم على رأسه ، وقال له : جأ عنق العاضّ بظر أمّه (الاغاني ١٠ / ٢٦٦) .

وكتب أبو دلامة للمهدي رقعة ، فسأله فيها بالرحم التي جمعت بينهما ، فغضب المهدي وقال له : يا عاضّ بظر أمّه ، أيّ قرابة بيني وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء يا أمير المؤمنين (الاغاني ١٠ / ٢٥٤) .

وشتم الرشيد ، علّويه المغني ، فقال له : يا عاضّ بظر أمّه .

وسبب ذلك : إنّ علّويه غنّى الرشيد ، صوتاً ، في بيت من الشعر :

وأرى الغواني لا يواصلن آمرأً فَقَدَ الشباب ، وقد يصلن الأمردا

فغضب الرشيد ، وقال له : يا عاضّ بظر أمّه ، تغنّي في مدح المرد ، وذمّ الشيب ، وستارتي منصوبة ، وقد شبتُ ، كأنّك إنّما عرّضت بي ، ثم دعا بمسرور ، وأمره أن يأخذ بيده فيخرجه ، ويضربه ، ثلاثين درّة ، ولا يردّه إلى مجلسه ، ففعل ذلك (الاغاني ٥ / ٢٥٢ و١١ / ٣٦٠) .

وبلغت الأمين ، أبيات قالها أبو نواس ، يفتخر فيها بنفسه ، منها :

لقد زادني تيها على الناس أنّني أراني أغناهم وان كنت ذا فقر
ولو لم أنل فخراً لكانت صيانتي فمي عن سؤال الناس حسبي من الفخر
فلا يطمعن في ذاك منّي طامع ولا صاحب التاج المحجّب في القصر

فقال له : يا عاضّ بظر أمّه العاهرة ، يا ابن اللخناء ، أنت تكسب بشعرك أوساخ أيدي اللئام ، ثم تقول : ولا صاحب التاج المحجّب في القصر ؟ (الطبري ٨ / ٥١٨) .

وقال ابو العتاهية ، في مجلس المأمون ، يا أمير المؤمنين ، ما في الأرض فئة أجهل ، ولا أضعف حجّة من القدريّة ، فقال له المأمون : أنت

رجل شاعر ، وأنت بصناعتك أعلم ، فلا تتخطّاها إلى غيرها ، فلست تعرف الكلام ، فقال : إن جمع أمير المؤمنين بيني وبين رجل منهم وقف على ما عندي من الكلام ، فوجّه المأمون إلى ثمامة بن أشرس ، وأحضره ، وقال له : يا ثمامة ، زعم هذا إنّه لا حجّة لك ولا لأصحابك ، فقال ثمامة لأبي العتاهية : سل عما بدا لك ، فأخرج أبو العتاهية يده من كمّه وحرّكها ، وقال : يا ثمامة ، من حرّك يدي ؟ فقال : حرّكها من أمّه زانية ، فغضب أبو العتاهية ، وقال للمأمون : شتمني يا أمير المؤمنين ، فقال له ثمامة : ناقضت يا عاضّ بظر أمه ، إن كنت أنت المحّرك لها ، فهذا قولي ، وإن لم تكن ، فما شتمتك ، فأفحم أبو العتاهية ، وسكت .

(المحاسن والمساوي ٢ / ١٢٢ و١٢٣ والعقد الفريد ٢ / ٣٨٢)

ولما حصر طاهر بن الحسين ، بغداد ، وأيس الأمين من النصر ، كتب إلى طاهر كتاباً قال فيه : من عبد الله محمد أمير المؤمنين ، إلى طاهر بن الحسين ، أما بعد ، فإنّ الأمر قد خرج بيني وبين أخي إلى هتك الستور ، وكشف الحرم ، ولست آمن أن يطمع في هذا الأمر السحيق البعيد ، لشتات إلفتنا ، وآختلاف كلمتنا ، وقد رضيت أن تكتب لي أماناً ، فأخرج به إلى أخي ، فإن تفضّل عليّ بالعفو فأهل ذلك هو ، وإن قتلني فمروة كسرت مروة ، وصمصامة قطعت صمصامة ، ولأن يفترسني الأسد ، أحبّ إليّ من أن تنهشني الكلاب ، وأمر بختمه ، وبعث به إلى طاهر ، فلما قرأه طاهر ، قال : الآن حين آنحرف عنه مرّاقه وفسّاقه ، وبقي مخذولاً ، يلوذ بالأمان ، لا والله ، حتى يجعل في عنقه ساجوراً ، ويقول : ها أنذا قد نزلت على حكمك ، فقال له الرسول : ما الجواب ؟ قال : ما سمعت ، فعاد الرسول إلى الأمين بالخبر ، فقال الأمين : كذب عبد السوء ، العاضّ هن أمّه ، والله ما أبالي أوقعت على الموت ، أو وقع الموت عليّ (البصائر والذخائر ١ / ٣٠٦ و٣٠٧) .

وعرض وهب بن أبي إبراهيم ، على يونس النحوى (ت ١٨٢) شعراً من نظمه ، ولم يخبره إنّه له ، فقال له : من هذا العاضّ **بظر أمّه ؟**

(الموشح للمرزباني ٥٥٨)

أقول : والشيء بالشيء يذكر ، كان لنا صديق ينظم شعراً بارداً ، ويتلوه علينا ، ويسألنا أجاهليّ هذا الشعر أم إسلاميّ ؟ وحدث مرة أن تلا علينا أبياتاً كان قد ذكر لنا قبلاً انّها له ، فقلت : هذا شعر سخيف ، من قاله فقد أكل خرا ، فاغتاظ مني ، وقال : هذا الشعر لي ، فقلت : اعذرني يا أبا حميد ، فإني لم أكن أدري أنّ الشعر لك ، ولذلك صرّحت لك بالرأي الصحيح .

وكان إسحاق الموصلي يألف علّياً وأحمد ابني هشام إلفاً شديداً ، ثم وقعت بينهم وحشة ونبوة ، فهجاهم ، وقال في احمد بن هشام :

وصافية تغشي العيون رقيقة ... رهينة عام في الدنان وعام
أدرنا بها الكأس الرويّة موهناً ... من الليل حتى آنجاب كلّ ظلام
فما ذرّ قرن الشمس حتى كأنّنا ... من العيّ نحكي أحمد بن هشام

وبلغ ذلك أحمد بن هشام ، فقال : **أوقد فعل العاضّ بظر أمّه .**

(الاغاني ١٧ / ١١٣ و١١٤)

وشتم الواثق ، المسدود المغنّي ، فقال : **خذوا برجل العاضّ بظر أمّه .**

وسبب ذلك : إنّ الواثق ، كان في إحدى عينيه نكتة بياض ، وفي أحد مجالس شرابه ، غنّي ، بالبيت :

نظرتُ كأنّي من وراء زجاجة ... إلى الدار من ماء الصبابة أنظر

وكان الواثق ، قد أذن لجلسائه ، إلاّ يردّ أحد عن التندر ، فقال المسدود المغنّي للواثق ، أنت تنظر دائماً من وراء زجاجة ، يشير إلى البياض

الـذي في عينه ، فغضب الـواثق ، وقال : خـذوا برجـل العاضّ بـظر أمّـه ، فسحب من بين يديه ، وقال : ينفى إلى عمان الساعة ، فأحدر من وقته .
(الاغاني ٢٠ / ٢٨٩)

وشتم المازني النحوي ، أبـا الشبل الشـاعر ، وهـو لا يدري ، فقـال : **العاض بظر أمه** .

قال ابو الشبل : لما عرض لي الشعر ، أتيت المـازني النحوي ، وكنت حـديث السن ، فقلت له ، إنّ رجـلاً لم يكن من أهـل الشعـر ، ولا من أهـل الرواية ، قد جـاش صدره بشيء من الشعـر ، فكره أن يـظهره حتى تسمعـه ، قال : هاته : فأنشدته ما قلت ، ولم يكن جيّداً ، فقـال : من **العاضّ بـظر أمّه القائل لهذا** ؟ فقمت عنه خجلاً (الاغاني ١٤ / ١٩٧) .

وكان أبو نـوح عيسىٰ بن إبراهيم ، على ديـوان الضياع بسـرّ من رأى ، فـراجعه صـاعد بن مخلد ، وكـانت في يـده ضمـانـات ، فجـرت بين الاثنين مناظرة ، احتدّ فيها أبو نوح ، فقـال لصاعـد : **يا عـاضّ بظر أمّـه** ، فردّ عليـه صـاعد مثـل ما قـاله لـه ، راجع تفصيـل القصّة في كتـاب نشوار المحـاضـرة للتنوخي حـ٨ ص٧٨ و٨٢ رقم القصة ٣٤ .

وكـانت امرأة بصـرّية عشقت أبـا العيناء ، لمـا بلغها من أخبـاره ، فلما رأته ، استقبحته ، وقالت : **قبّحه الله** ، أهذا هو ؟ فكتب إليها :

فان تنكري منّي آحولالاً فإنّني أديب أريب لاعـيٌّ ولا فـدم

فوقّعت في الرقعة : **يا عاضّ بظر أمّه** ، لديوان الرسائل أردتك ؟
(الديارات ٨٥ و٨٦)

وذكر أبو محمد بن حمدون ، نديم المعتضد ، أنّه كان عليه دين ، فلما جلس المعتضد للمظالم ، تقّدم إليه دائنوا ابن حمدون ، وشكوا إليه أمرهم ،

واعترف ابن حمدون بالدين ، فاضطرّ المعتضد إلى سداد الدين عن نديمه فلما خلا به ، قال له : **يا عاضّ كذا** ، (**أي يا عاضّ بظر أمّه**) ، أما قدرت أن تجحد ، فلا أغرم أنا المال ، ولا تحبس أنت ؟ راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ١٤٤/١ حـ١ ص٢٦٨ .

ولما عزل الوزير ابن مقلة ، تسلّمه الوزير سليمان بن الحسن بن مخلد ، وأبو العباس الخصيبي ، فكان يطالب ، ويضرب ، ويعذّب ، وقال له أبو العباس : أقرأني يعقوب البريدي كتابك إليه ، لما أخبرك بأنّه حملني إلى البحر ، فكتب إليه : يا عاجز ، ألا سملته ، ثم حملته ، **يا عاضّ بظر أمّه** ، أردت أن ينطبق لفظك بانطباق ناظري ؟ يا غلام اصفع ، فصفع ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، في القصة رقم ٢ / ٦٣ حـ٢ ص١٢٤ و١٢٥ .

وقال أحد المورثين ، وكان غنياً ، فأسرف من ماله وافتقر ، ثم عاد فحسنت حاله ، لأحد أصدقائه الذين كانوا يحسّنون له الإسراف : إنّي أحببت أن ترى رجوع حالي ، ومن دوام صلاحها ، واستقامتها ، أن لا أعاشرك **يا عاضّ بظر أمّه** أبداً ، راجع القصة مفصلّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ١ / ٩٣ حـ١ ص١٧٨ - ١٨٣ .

وقالت زادمهر ، جارية المنصورية ، لابن جمهور العمّي : خذ لي الطالع في شيء قد أضمرته ، فأخذ الطالع ، وقال : سألت عن رجل عليل القلب ، شديد الكرب ، دائم الفكرة ، طويل الحيرة ، قد أشفى على أمر عظيم في طاعة إنسان عزيز ، فضحكت ثم قالت مسرعة : **على بظر أمّ الكاذب** ، والله ما سألتك إلّا عن الثوب المضمت الذي وعدتني به (الديارات ٢٦٨) .

وكان نفطويه النحوي ، لا يعنى بنظافته ، فكان يفرط به الصنان ،

ودخل مرّة على الوزير حامد بن العباس ، وزير المقتدر ، فتأذى هـو وجلساؤه بفرط صنانه ، فقال حامد : يا غلام ، أحضرنا مرتكاً ، فجاء به ، فبدأ الوزيـر بنفسه ، فتمرتـك ، وأداره على الجلساء ، فتمـرتكوا ، وفـطنوا أنّ القصـد من ذلك أن يتمرتـك نفطويـه ، ليزول صنـانه ، من غيـر أن يجبهه بـذلك ، فلمـا وصـل المرتـك إلى نفطويـه أبى أن يتمرتـك ، وقال : لا حـاجة لي بـذلك ، فـراجعه ، فـأبى ،فاحتـدّ حامـد، وقال لـه: يا عـاض **بظر أمّـه**، إنما تمـرتكنا جميعاً لتأذّينا بصنانك ، قم ، لا أقام الله لك وزناً (معجم الأدباء ١ / ٣١٣) .

وغضب محمـد بن خلف ، كاتب ابن أبي السـاج ، على وكيله الحسن بن هارون ، فقال له : **يا عاضّ** ، بلغـني أنّك شنّعت عليّ عند الوزيـر ، والله **يا كلب** لأضربنّك خمسمائة سوط ، راجع تفصيل القصّة في تجارب الامم ١/ ١٧٠ .

وفي السنة **٣٢٣** ورد كتاب أبي عبد الله البريدي ، ضامن أعمال الخراج والضيـاع بـالاهـواز ، يؤيس من حمـل مـال إلى الحضـرة ، فغلظ ذلـك على الوزير أبي الحسن بن مقلة (ابن الوزير أبي علي بن مقلة الذي كان قد أصعد إلى المـوصل) ، وبعث أبـا عبد الله الكـوفي ، إلى البريـدي ، يستحثّـه على حمل المال ، فلما وصل الكوفي إلى البريـدي ، أقام عنـده ، فكتب ابن مقلة إلى البريدي ، كتاباً يقول فيه : **الويل للكـوفّي العاضّ** ، يـريد « **العـاضّ بظر أمّه** » (تجارب الامم ١ / ٣٢٧ و٣٢٩) .

٧ ـ قولهم : يا ماصّ بظر أمّه

دخل كثير عزة ، على يزيد بن عبد الملك ، فرحّب به يزيد ، فسأله كثير ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما يعني الشماخ بقوله :

فما أروى وإن كرمت علينا ... بأدنى من موقّفة حرون
تطيف على الرماة وتتّقيهم ... بأوعال معقّفة القرون

فغضب يزيد ، وقال له : وما يضر أمير المؤمنين ، **يا ماصّ بظر أمّه** ، أن لا يعلم هذا (الهفوات النادرة ٣٩٥) .

وكان نابغة بني شيبان ، مدح يزيد بن عبد الملك ، بشعر ، قال فيه :

هشام والوليد وكلّ نفس ... تريد لك الفناء لك الفداء

فلما مات يزيد ، وتولّى هشام ، وفد عليه النابغة ، فقال له : **يا ماصّ ما أبقت المواسي من بظر أمّه** ، ثم قال أخرجوه عنّي ، فظلّ طول أيّامه طريداً .
(الاغاني ٧ / ١٠٩)

وشتم عبد الله بن الحسن بن الحسن ، الشاعر ابن هرمة ، وقال له : **يا ماصّ بظر أمّه**

وسبب ذلك : إنّ ابن هرمة ، أنشد عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، قصيدة في مدحه ، وكان في المجلس عبد الله بن الحسن بن

الحسن ، فلما أنشد ابن هرمة البيت :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمة الجناح

غضب عبد الله ، ووثب من المجلس مغضباً ، وخرج ، فلحقه ابن هرمة ، واعتذر إليه ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، تقول لمرواني :

وكان أبوك قادمة الجناح

بحضرتي ، وأنا ابن رسول الله ، وابن عليّ بن أبي طالب ؟ فقال له : ألم تسمع قولي في القصيدة :

وبعض القول يذهب بالرياح

فضحك عبد الله ، وعاد إلى رضاه عن آبن هرمة (الاغاني ٦ / ١٠٦) .

وذكر أنّ أبا سلمة الخلّال، تردّد في مبايعة أبي العباس السفّاح بالخلافة ، وأراد نقلها للعلويين ،وأحسّ دعاة العبّاسيّين بالأمر ، فدخلوا على أبي العبّاس وسلّموا عليه بالخلافة، فدخل أبو سلمة وسلّم على أبي العباس بالخلافة ، فقال له : أبو حميد محمد بن إبراهيم : **على رغم أنفك يا ماصّ بظر أمّه** (الطبري ٧ / ٤٢٤) .

وقال أبو العباس السفّاح ، لواحد من بني امية : **يا ماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ السفّاح ، كان قد أمّن جماعة من بني أميّة ، وكانوا في مجلسه يوماً ، فدخل عليه سديف الشاعر ، وأنشده قصيدة مدحه بها ، أوّلها :

أصبح الملك ثابت الآساس بالبهاليل من بني العباس

فأقبل السفّاح على بعضهم ، وقال له : أين هذا مما مدحتم به ؟ فقال

له : هيهات ، لا يقول فيكم أحد ، مثل قول ابن قيس الرقيات فينا :

ما نقموا من بني أميّة إلّا أنّهم يحلمون إن غضبوا
وأنّهم معدن الملوك ولا تصلح إلا عليهم العرب

فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، وإن الخلافة لفي نفسك بعدُ ، خذوهم ، فأخذوا وقتلوا (الاغاني ٤ / ٣٤٦) .

وقال عبد الصمد بن علي العباسي ، أمير البصرة ، لابن ميّادة : **لا سلم الله عليك يا ماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ ابن ميّادة دخل على عبد الصمد العباسي ، بالبصرة ، فسلّم عليه ، فقال له : **لا سلّم الله عليك ، يا ماصّ بظر أمّه** ، فقال ابن ميادة : ما أكثر الماصّين ، فضحك عبد الصمد ، وقال له : أنت القائل :

لنا الملك إلّا أنّ شيئاً تعدّه قريش ولو شئنا لداخت رقابها

قال : نعم ، قال : أفكنت أمنت أن ينقض عليك باز من قريش ، فيضرب رأسك ؟ ثم ضحك عبد الصمد ودعا بكسوة فكساه (الاغاني ٢ / ٣٢٩ و٣٣٠) .

وضمّ المنصور إلى ولده جعفر ، الفضيل بن عمران ، كاتباً ، وكان ديّناً عفيفاً ، فناصبته حاضنة جعفر العداء ، واتّهمته بأنّه يلعب بجعفر ، فأمر المنصور بقتله فقتل ، فغضب جعفر ، وقال للرسول : ويلك ، ما يقول أمير المؤمنين ، في قتل رجل عفيف ، ديّن ، مسلم ، بلا جرم ولا جناية ؟ فقال له : هو أمير المؤمنين يفعل ما يشاء ، وهو أعلم بما يصنع ، فقال : **يا ماصّ بظر أمّه** أكلّمك بكلام الخاصّة وتكلّمني بكلام العامّة؟ خذوا برجله فألقوه في دجلة ، فقال له : دعني أكلّمك ، أبوك إنّما يسأل عن فضيل وحده ؟ ومتى يسأل عنه وقد قتل عمّه عبد الله بن علي وقتل عبد الله بن الحسن وغيره من أولاد

الرسول ظلماً ، وقتل من أهل الدنيا ما لا يحصى ولا يعدّ ، هو قبل أن يسأل عن فضيل ، جوشانة تحت خصى فرعون ، فضحك ، وقال : دعوه إلى لعنة الله (الطبري ٨ / ٩٩ و١٠٠) .

أقول جوشانة (فارسية) حبّ يظهر في الجلد مثل حبّ الشباب .

وشتم المنصور العباسي، الشاعر أبا عطاء السندي ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ أبا عطاء السندي ، كان منقطعاً إلى الأمويين ، فلما استخلف المنصور ، مدحه ، فلم يثبه ، لعلمه بمذهبه في بني أميّة ، فعاوده بالمدح ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه ، ألست القائل في عدوّ الله الفاجر ، نصر بن سيار** :

فاضت دموعي على نصر، وماظلمت عين تفيض على نصر بن سيّار

والله لا أعطيك شيئاً أبداً ، فخرج ، وقال قصائد عدّة يذمّه فيها ، منها : (الاغاني ١٧ / ٣٣٢ و٣٣٣).

يا ليت جور بني مروان عاد لنا وليت عدل بني العبّاس في النار

وفي السنة ١٤٤ بعث المنصور، الفضل بن صالح بن عليّ ، على الموسم ، وقال له : إن وقعت عينك على محمد وإبراهيم آبني عبد الله بن الحسن ، فلا يفارقانك ، فلم يلقياه ، وجلس على دكان قد بني له بالسيالة ، فأمر عبد الله أحد رعاته ، فحلب لبناً على عسل في عسّ عظيم ، وأومأ إليه أن يسقي الفضل بن صالح ، فلما دنا منه ، صاح به الفضل مغضباً : إليك ، **يا ماصّ بظر أمّه** (الطبري ٧ / ٥٢٠) .

وفي السنة ١٤٤ حجّ المنصور ، وسأل عبد الله بن الحسن عن ولديه محمد وإبراهيم ، فقال له : لا علم لي بهما ، حتى تغالظا ، فأمصّه أبو جعفر ، أي قال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، فقال له ، يا أبا جعفر بأيّ أمّهاتي تمصّني ، أبفاطمة بنت رسول الله ، أم بفاطمة بنت الحسين ، أم بفاطمة بنت أسد (أمّ علي بن أبي طالب) ، أم خديجة بنت خويلد ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ؟

(مقاتل الطالبيين ٢١٣ والطبري ٧ / ٥٢٢ و٥٢٣)

ولما مات المنصور ، أحضر الربيع الأكابر وذوي الاسنان من أهل البيت والعامّة ، وأخبرهم بأنّ أمير المؤمنين يأمر بمبايعة المهدي ، ومن بعده عيسىٰ بن موسىٰ ، فبايعوا إلاّ علي بن عيسىٰ بن ماهان فـإنّه أبى أن يبايع لعيسىٰ ، فلطمه محمد بن سليمان ، وقال : من هذا العلج ؟ وأمصّه (أي إنّه قال : **يا ماصّ بظر أمّه**) (الطبري ٨ / ٦٠) .

وفي السنة ١٨٧ قتل الرشيد وزيره جعفر البرمكي ، بعث إليه مسرور الخادم في جماعة من الجند، فأطافوا به ليلاً ، ودخل عليه مسرور ، فأخرجه إخراجاً عنيفاً ، يقوده حتى أتى به المنزل الذي فيه الرشيد فحبسه ، وقيّده بقيد حمار ، وعاد فأخبر الرشيد ، فأمره بضرب عنقه ، فخرج ، ثم عاد يتثبت من الأمر ، فقال له الرشيد : **يا ماصّ بظر أمّه** آئتني برأسه ، فعاد ، وضرب عنقه ، وجاءه برأسه ، وأمر الرشيد فوجّهت جثة جعفر ، وقد قطعت إلى قطع ، ونصبت القطع على الجسور ، وفي السنة ١٨٩ لما عاد الرشيد من رحلته إلى الري ، ومرّ بالجسر ، وكانت جثة جعفر ما تزال معلّقة ، فأمر بإحراقها (الطبري ٨ / ٢٨٧ و٢٩٨ و٣١٧) .

وشتم الرشيد ، مولاه أبان ، فقال عنه : **الماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ يوسف بن الصيقل ، أنشد الرشيد ، أبياتاً من الشعر ، كان آخرها :

ويلي ألست تراني أهذي بها يا فلان

فقال الرشيد : من هو فلان هذا ؟ فقال الفضل بن الربيع : هو أبان مولاك يا أمير المؤمنين ، فقال الرشيد ليوسف : ولم لم تنشد البيت كما هو يا نبطي ؟ قال : لأنّي غضبان على أبان ، قال ، وما السبب ؟ قال : مدّت دجلة ، فهدمت داره وداري وهي تجاوره ، فبنى داره وعلّاها حتى سترت الهواء عن داري ، فقال الرشيد : لا جرم ، ليعطينّك **الماصّ بظر أمّه** عشرة آلاف درهم حتى تبني بناءً يعلو على بنائه ، فتستر أنت عنه الهواء .
(الاغاني ط بولاق ٢٠ / ٩٦)

وهجا ربيعة الرقي ، العباس بن محمد العباسي ، فغضب الرشيد ، وأحضره وقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، أتهجو عمي .

وقد أوردنا القصة في موضع آخر من هذا الكتاب ، ووردت في الاغاني ١٦ / ٢٥٧ .

وكان الجنيد من كبار العمال ، وكان كريماً سمحاً ، إلا انّه كان يكدّر عطيّته بالشتيمة ، فكان يقول : أعطوا هذا **الماصّ بظر أمّه** عشرة آلاف درهم ، راجع التفصيل في البصائر والذخائر ٢ / ٢ / ٧٨٢ و٧٨١ .

وشتم المأمون عليّ بن جبلة الشاعر ، فقال له : **كذبت يا ماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ عليّا مدح أحد ممدوحيه ، أبا دلف ، فبالغ ، وقال :

إنّما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فإذا ولّى أبو دلف ولّت الدنيا على أثره

كلّ من في الأرض من عربٍ بين باديه إلى حضره
مستعيرٌ منك مكرمةً يكتسيها يوم مفتخره

فبلغ ذلك المأمون ، فطلبه ، ولما أحضر ، قال له : إنّي لست أستحل دمك لأنّك فضلت أبا دلف على العرب كلّها ، وإدخالك في ذلك قريشاً ، وهم آل رسول الله وعترته ، ولكنّي أستحلّه بقولك في شعرك ، في مدح أحد ممدوحيك :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد إلا قضيت بأرزاق وآجال

كذبت يا ماصّ بظر أمّه ، ما يقدر على ذلك أحد إلا الله ، وأمر به فقتل (الاغاني ٢٠ / ٤٢) .

وسبّ عبد الصمد بن المعذّل ، أبا تمام ، فقال له : يا غثّ ، يا ماصّ بظر أمّه .

جمع بين أبي تمّام الطائي ، وعبد الصمد بن المعذّل مجلس ، وكان عبد الصمد سريعاً في قول الشعر ، وفي أبي تمّام إبطاء ، فأخذ عبد الصمد القرطاس ، وكتب فيه :

أنت بين آثنتين تبرز للنا س وكلتاهما بوجهٍ مذال
لستَ تنفكّ طالباً لوصالٍ من حبيب أو طالباً لنوال
أيّ ماءٍ لحرّ وجهك يبقى بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال

فأخذ أبو تمام القرطاس ، وفكرّ طويلاً ، ثم كتب فيه :

أفيّ تنظم قول الزور والفند وأنت أنزر من لاشيء في العدد
أشرجت قلبك من بغضي على حُرَقٍ كأنّها حركات الروح في الجسد

فقال له عبد الصمد : **يا ماصّ بظر أمّه ، يا غثّ**، أخبرني عن قولك : أنزر من لاشيء ، وأخبرني عن قولك : أشرجت قلبك ، قلبي مفرش أو عيبة أو خرج فأشرجه ، **عليك لعنة الله** (الاغاني ١٣ / ٢٥٣ و ٢٥٤) .

وشتم أبو يوسف البريدي ، بالبصرة ، ابا العباس النخاس ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** .

وسبب ذلك : إنّ أبا العبّاس النخّاس ، دخل على أبي يوسف البريدي ، فصفعه بمخدّة ديباج ، حسنة مثمنة ، فأخذها النخّاس ، وعدا ليسلّمها إلى غلامه ، فيحملها إلى بيته ، فقال له يوسف : قد أخذتها ويللك ، فقال له : أفأردّها ـ أطال الله بقاء سيّدنا ـ من حيث جاءت ؟ (يعني أن يصفع بها أبا يوسف) . فقال له : **يا ماص بظر أمّه** ، خذها ، لا بارك الله لك فيها ، راجع كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ، حـ١ ص ٣٠٦ رقم القصة ١٦٦ .

وغضب الوزير أبو محمد المهلّبي ، على محمد بن الحسن الهاشمي (العباسي) ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** .

وتفصيل ذلك : إنّ فتنة حصلت في بغداد ، في عهد معزّ الدولة البويهي ، بين العبّاسيين والعلويين ، قتل فيها علويّ ، فأحضر المهلّبي جماعة من العبّاسيين ، وطلب منهم أن يكفل صالحهم طالحهم ، وأن يلتزموا بإطفاء الفتنة ، فتكلّم محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي (العبّاسي) بكلام فيه حراشة وجفاء وخشونة ، فغضب المهلّبي ، وقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، ما تدع جهلك ، والخيوط التي في رأسك ، راجع القصّة مفصّلة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، تحقيق المؤلف، حـ١ ص٨٧ رقم القصة ٣٧ .

وكان القاضي أبو القاسم التنوخي ، عليّ بن المحسّن ، نائماً في بيته ، فاجتاز به واحد غثّ ، وأزعجه بصياحه : شرّاك النعال ، شرّاك النعال ، فقال لغلامه : إجمع كلّ نعل بالبيت ، وأعطها لهذا ، يصلحها ويشتغل بها ثم نام ، وأصلحها الاسكافي ، واشتغل بها إلى آخر النهار ، ومضى لشأنه ، فلما كان في اليوم الثاني ، عاد شرّاك النعال إلى الصياح ، فقال القاضي لغلامه : أدخله ، وقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، أمس أصلحت لنا كلّ نعل عندنا ، واليوم تصيح على بابنا ، هل بلغك أنّنا نتصافع بالنعال ، ونقطعها ؟ قفاه ، قفاه ، فقال : يا سيّدي أتوب ، ولا أعود أدخل هذا الدرب أبداً .

(فوات الوفيات ٣ / ٦٢)

وغضب القاضي أبو القاسم عليّ بن المحسّن التنوخي ، على غلام اسمه جميلة ، فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، وكان جميلة هذا غلام أبي الحسين هلال الصابي ، اشترى خمسة آلاف سابل سرجيناً لسماد البستان ، فأمره سيّده أن يشهد على البائع في عقد البيع ، فظّن الغلام أنّ الإشهاد لا يكون إلاّ بمعرفة القاضي ، وقصد أبا القاسم عليّ بن المحسّن التنوخي ، وعاد التنوخي بين الصلاتين وهو جائع حاقن تعب ، والزمان صائف ، فقام إليه ودعا له ، فقال له : من أنت ؟ قال : غلام أبي الحسين هلال ، قال : ما لك ؟ قال شهادة ، فقال له : اقعد ، ودخل فخلع ثيابه ودخل بيت الطهارة ، وأطال ، والغلام يصيح : يا سيّدنا ، أنا قاعد من ضحوة النهار إلى الساعة ، فقال له : ويلك إصبر حتى أخرا ، إصبر حتى أخرا ، إصبر حتى أخرا ، ثم توضّأ ليصلّي ، فلم يهنّه ، فصاح به : أدخل ، دخلت بطنك الشمس ، فقد والله حيّرتني وجنّنتني ، فلما دخل أعطاه الرقعة ، فقرأها ، وقال له : ويلك ، ما آسم هذا الملاح ؟ قال : الدابّة يا سيدي ، فقال : وأيّ شيء يقرّبه ، فانّي لم أقف عليه ، أرى خمسة آلاف سابل ولا أدري ما بعده ؟ فقال : يا سيدنا خمسة آلاف سابل سرقين، فقال له : وما السرقين ؟ قال : خرا البقر والغنم ،

فقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، أنا شاهد الخرا ، ونهض إليه وهو مغتاظ ، فأخـذ ينتف ذقنه ، ويضرب رأسه وفكّه إلى أن جرى الدم من فيه وأخرجه .

(معجم الادباء ٥ / ٣٠٦ و٣٠٧)

٨ ـ قولهم : يا عاضّ أير أبيه

لما هدأت الحرب بين الأوس والخزرج ، ترصد قوم من الأوس لقيس بن الخطيم ، فرموه بثلاثة أسهم أنفذته ، وحمل إلى منزله ، فاغتال الخزرج ـ ثأراً له ـ أبا صعصعة يزيد بن عوف ، وجيء لقيس برأسه ، وقال له حامل الرأس : يا قيس قد أدركت ثأرك ، فقال له قيس : **عضضت بأير أبيك إن غير أبي صعصعة ، راجع القصة في الاغاني ٣ / ١١** .

وكان عثمان قد نفى أبا ذر إلى الربذة ، فمات هناك ، ولما بلغه خبر وفاته قال : رحمه الله ، فقال عمّار بن ياسر : نعم ، فرحمه الله من كلّ أنفسنا ، فقال له عثمان : **يا عاضّ أير أبيه** ، أتراني ندمت على تسييره ؟ وأمر فدفع في قفاه ، وقال : آلحق بمكانه ، ثم كلّمه الناس فتركه (انساب الاشراف ٥ / ٥٤) .

وشتم الشاعر اليماني يزيد بن مفرغ ، عشيرته اليمن ، استنهاضاً لهم ، فقال : **عضّت بأير أبيها سادة اليمن** .

وسبب ذلك : إنّ الشاعر يزيد بن مفرغ صحب عبّاد بن زياد بن أبيه ، فلم يحمد صحبته ، فهجاه ، فبلغه ذلك ، فاعتقله وأراد قتله ، فاستأجر ابن مفرغ رسولاً إلى دمشق ، وروّاه أبياتاً ، وقال له : إذا كان يوم الجمعة فقف

على درج جامع دمشق ، ثم أنشد هذه الأبيات بأرفـع ما يمكنـك من صوت ، وأولها :

أبلغ لديك بني قحطان قاطبـة   عضّت بـأير أبيهـا سادة اليمن

أضحى دعيّ زيـاد فقع قـرقرة   ياللعجائب يلهو بابن ذي يـزن

ففعل الرسول ما أمـر به ، فحميت اليمـانيّة ، وغضبـوا ليزيـد ، ودخلوا إلى معاوية غضـاباً ، والشـرّ يلمع في وجـوههم ، فوهبـه معاويـة لهم ، ووجّه رسولاً إلى حيث حبس ابن مفرغ ، فأطلقه ، لـزيادة التفصيـل ، راجع وفيـات الاعيان ٦ / ٣٤٢ ـ ٣٦٧ ، وخزانه الأدب للبغدادي ٢ / ٢١١ ـ ٢١٦ .

وغضب عبـد الله بن همـام الشـاعـر ، من أحمـد بن شميط من قـوّاد المختار الثقفي . فقال له : **عضضت بأير أبيك** ، فأراد قتله ، فأجـاره إبراهيم بن الاشتر (الطبري ٦ / ٣٦) .

وكتب الحجـاج بن يوسف الثقفي ، إلى وهـرام بن يزداد ، عـامله على أصبهان : **عضّ يا وهرام على هن أبيك وحر أمّك** .

انظر الرسالة بتمامها في البصائر والذخائر ٢ / ٣ / ٧٥٩ و٧٦٠ .

ولما عزل ابن الفرات عن وزارته الثانية ، ناظره الوزير الجديد حامد بن العباس ، فشتمه ، وقال له : مـا هذا التبسّط **يـا عاضّ أيـر أبيه** ، حتى كـأنّك الوزير ، ونحن بين يديك ؟ (الوزراء للصابي ١٠٥) .

٩ ـ قولهم : يا عاهر ، ويا عاهرة

العهر : الفجور والعاهرة : الفاجرة
والبغداديون يلفظونها بالألف ، فيقولون : آهرة .

وقال ابن أبي عتيق ، لعمر بن أبي ربيعة : يا عاهر .

وسبب ذلك : إنّ آبن أبي عتيق ، سمع شعراً لعمر ، قصّ فيه مجلساً له مع إحدى الفتيات ، ومما قال :

ولستُ بناسٍ ليلة الدار مجلساً — لزينب حتى يعلو الرأس رامس
خلاء بدت قمراؤه وتكشّفت — دجنّته ، وغاب من هو حارس
ومانلت منها محرماً غير أنّنا — كلانا من الثوب المورّد لابس

فقال ابن أبي عتيق : أيّ محرم بقي لم ينله ، ما دام قد كان معها في ثوب واحد ؟ ففسّر له عمر ، بأنّهما كانا في بعض الشعاب ، فأخذتهما السماء (أي المطر) فسترهما الغلمان بكساء خز كان على عمر .

فقال له آبن أبي عتيق : يا عاهر ، هذا البيت يحتاج إلى حاضنة (الاغاني ١ / ٩٩ و١٠٠) .

وقال فتى بغدادي ، لفتاة من جيرانه : يا عاهرة ، خلّينا نوفي ديوننا أولاً ، وتفصيل القصّة : إنّ فتى بغدادياً أبصر فتاة من جيرانه فاستملحها ، ووكزها بمرفقه ، وكزة رفيقة يتحرّش بها ، فشكته الفتاة إلى زوجته ، ولما عاد الفتى إلى بيته ، وجد زوجته غاضبة ، فسألها عن سبب غضبها ، فقالت : إنّ نساء المحلّة تحدّثن لي عن رعاية أزواجهن لهنّ ، فمنهن من يراجعها

زوجها ، أربع مرات في اليوم ، ومنهم من يراجعها ثلاثاً ، وأنت لا تراجع زوجتك إلّا مرّة واحدة في الاسبوع ، فضحك الفتى مغترّاً بقوّته ، وقال لها : لا عليك ، واتّفقا على المراجعة مرتين في كلّ يوم ، وقام الفتى بواجبه في اليوم الاول ، وفي اليوم الثاني بقي مديناً فرداً ، وكذلك في اليوم الثالث، وما آنصرم اسبوعان ، إلا والفتى مدين باثني عشر فرداً ، وأنهكه التعب ، وبان عليه أثر الجهد ، فبعثت المرأة إلى جارتها ، وسألتها أن تتعرّض لزوجها إذا لاقته ، وأنّ تتحرّش هي به ففعلت ، فلم يلتفت إليها ، فألحّت عليه ، فالتفت إليها ، وقال لها : يا عاهرة ، خلينا نوفّي ديوننا أوّلاً .

وكان المرحوم أحمد القايماقجي منطيقاً لسناً ، وكان ذات يوم في مجلس المرحوم عبد المجيد اليعقوبي ، وكان المجلس حافلاً ، فدخل المرحوم نوري السعيد وكان إذا ذاك رئيساً لمجلس الوزراء ، وأراد أن يتلطّف بأحمد القايماقجي ، فسأله عن الأخبار ، فأجابه قائلاً : يا سيّدي الرئيس ، إنّ الأخبار يقتضي أن نستقيها منك ، لأنّك أنت المواجه للحوادث ، وحالنا معك يشبه حال اليهودية مع زوجها ، فقال له : وما هي قصة اليهودية وزوجها ، قال : خرج يهودي مع زوجته يسيران على سدّة بغداد ، وكان الموضع مقفراً ، فانفرد بهما أناس ، وأمسكوا بهما ، وفسقوا بهما معاً ، ثم أطلقوهما ، فقالت الزوجة لزوجها : هل استطعت أنّ تشخّص منهم أحداً لكي نتقدّم بالشكوى عليهم ؟ فقال لها : يا عاهرة ، إنّني كنت طيلة المدة منكفياً على وجهي ، فلم أشاهد أحداً منهم ، أمّا أنتِ ، وقد كان وجهك مواجهاً لهم ، فإنّ عليك أنِ تتعرفي عليهم ، وأن تشخّصيهم من أجل تقديم الشكوى .

وأخذ قرويّ زوجته يزوران أصحاباً لهم في قرية أخرى ، وخرج عليهما في الطريق قوم أشقياء ، فكتفوه ، وفسقوا بزوجته ، ثم أطلقوهما ، وعند وصولهما إلى القرية ، قال لزوجته : تعالى إلى الفقيه ، فإنّي أريد أن

أطلّقك ، فقالت له : لماذا تطلقني وقد رأيت أنّني كنت مجبـرة ، ولم يحصل ما حصل باختياري ، فقال لها : يا عاهـرة ، إنّي لاحظتـك أثناء العمـل ، وقد كنت تطحنين (تغربلين) هم أجبروك على فتـح ساقيـك ، فهل أجبـروك على الطحن أيضاً ؟

١٠ ـ قولهم : يا قواد ، يا ديوث ، يا كشخان

القَّواد : الذي يجمع بين الرؤوس في الحرام والبغداديون يلفظونها بالكاف الفارسية .

والدّيوث : الذي لا غيرة له على حريمه : أصلها :داث بمعنى لان وسهل وديّثه : ذلّله : والبغداديون يلفظونها ديّوس ، بالسين .

والكشخان : فارسية ، بمعنى الديوث وهذه الكلمة غير معروفة الآن ببغداد .

والقرنان : نعت سوء في الرجل الذي لا غيرة له ، علّله صاحب لسان العرب ، بانّه سمّي بذلك ، لأنّه يشارك في امرأته ، فكأنّه يقرن به غيره .

والأظهر أنّه نسبة للقرون ، فإنّ الكبش ، أو غيره من ذوات القرون لا يأبه أن ينزو غيره على صاحبته .

وقال الشاعر :

قالت لجارتها يوماً تعيّرها ... قرّنت زوجك إنّ القرن يفضحه

قالت : أأتركه جماً بلا قرن ... يأتيه زوجك ذو القرنين ينطحه

وشتمت عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، عمرو بن بلال الأسدي ، فقالت : ويلي على القوّاد ، فقد خدعني ، وخلاصة القصّة إنّ عاتكة غاضبت زوجها عبد الملك بن مروان ، وأبت أن تصالحه ، فتعّهد له عمرو بن بلال ، أن يرضيها وله حكمه ، فذهب إليها ، وبكى أمامها ، وقال لها : عندي ولدان ، ليس لي غيرهما ، وقد قتل أحدهما الآخر ، ويريد الخليفة الآن أن يقتل القاتل ، فأبقى بلا ولد ، وطلب منها أن تكلّم زوجها ، لكي لا يقتل

الولد الثاني ، فذهبت إليه مصالحة ، ثم ظهر لها بعد ذلك أنّ القصّة لا أصل لها ، فقالت : ويلي على القوّاد، فقد خدعني (مروج الذهب ٢ / ٩١) .

وكان في زمن المهدي ، رجل صوفي وكان عاقلاً عالماً ورعاً ، فتحامق ليجد السبيل إلى الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، وكان يركب قصبة في كل جمعة يومين، الإثنين والخميس ، فإذا ركب في هذين اليومين ، فليس لمعلّم على صبيانه حكم ولا طاعة ، فيخرج ، ويخرج معه الرجال والنساء والصبيان ، فيصعد تلّاً ، وينادي بأعلى صوته : ما فعل النبيّون والمرسلون ، أليسوا في أعلى علّيين ؟ ، فيقولون : نعم ، فيقول : هاتوا أبا بكر الصّديق ، فيؤخذ غلام ، ويجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله خيراً يا أبا بكر عن الرعيّه ، فقد عدلت ، وقمتَ بالقسط ، وخلفت محمداً عليه الصلاة والسلام ، فأحسنت الخلافة ، ووصلت حبل الدين ، بعد حلّ وتنازع، ونزعت فيه إلى أوثق عروة، وأحسن ثقة، إذهبوا به إلى أعلى علّيين، ثم ينادي : هاتوا عمر ، فيجلس بين يديه غلام ، فيقول :جزاك الله خيراً أبا حفص عن الإسلام ، قد فتحت الفتوح ، ووسّعت الفيء ، وسلكت سبيل الصالحين ، وعدلتَ في الرعيّة ، وقسمت بالسويّة، إذهبوا به إلى أعلى عليين بحذاء أبي بكر ، ثم يقول : هاتوا عثمان ، فيؤتى بغلام ، فيجلس بين يديه ، فيقول له : خلطتَ في تلك السنين الستّ ، ولكنّ الله تعالى يقول : خلطوا عملاً صالحاً ، وآخر سيئاً ، عسى الله أن يتوب عليهم ، وعسى من الله موجبة ، ثم يقول : اذهبوا به إلى صاحبيه ، في أعلى علّيين ، ثم يقول : هاتوا عليّ بن أبي طالب ، فيجلس غلام بين يديه ، فيقول : جزاك الله عن الأمّة خيراً يا أبا الحسن ، فأنت الوصيّ، ووليّ النبيّ ، بسطت العدل ، وزهدت في الدنيا ، واعتزلت الفيء ، فلم تخمش فيه بناب ولا ظفر ، وأنت أبو الذرّية المباركة ، وزوج الزكيّة الطاهرة ، اذهبوا به إلى أعلى علّيين من الفردوس ، ثم يقول : هاتوا معاوية ، فيجلس بين يديه صبيّ ، فيقول له :

أنت القاتل عمّار بن ياسر ، وخزيمة بن ثابت ذا الشهادتين ، وحجر بن الأدبر الكندي الذي أخلقت وجهه العبادة ، وأنت الذي جعل الخلافة ملكاً ، واستأثر بالفيء ، وحكم بالهوى ، واستنصر بالظلمة ، وأنت أوّل من غيّر سنّة رسول الله ﷺ ، ونقض أحكامه ، وقام بالبغي ، إذهبوا به ، فأوقفوه مع الظلمة .

ثم يقول : هاتوا يزيد ، فيجلس بين يديه غلام .

فيقول له : يا قوّاد ، أنت الذي قتلت أهل الحرّة ، وأبحت المدينة ثلاثة أيّام ، وانتهكت حرم رسول الله ﷺ ، وآويت الملحدين ، وبؤت باللعنة على لسان رسول الله ﷺ ، وتمثّلت بشعر الجاهلية :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جَزَعَ الخزرج من وقع الأسل

وقتلت حسيناً ، وحملت بنات رسول الله ﷺ سبايا ، على حقائب الإبل ، إذهبوا به إلى الدرك الأسفل من النار .

ولا يزال يذكر والياً بعد وال ، حتى يبلغ إلى عمر بن عبد العزيز ، فيقول : هاتوا عمر . فيؤتى بغلام ، فيجلس بين يديه ، فيقول : جزاك الله يا عمر ، خيراً ، عن الإسلام ، فقد أحييت العدل بعد موته ، وألنت القلوب القاسية ، وقام بك عمود الدين على ساق ، بعد شقاق ونفاق ، إذهبوا به فألحقوه بالصدّيقين .

ثم يذكر من كان بعده من الخلفاء ، إلى أن يبلغ دولة بني العبّاس ، فيسكت ، فيقال له : هذا أبو العبّاس أمير المؤمنين .

فيقول : بلغ أمرنا إلى بني هاشم ؟ ارفعوا حساب هؤلاء جملة ، واقذفوا بهم في النار جميعاً (العقد الفريد ٦ / ١٥٢ ـ ١٥٤) .

وكتب أبو هفّان ، رسالة إلى ابن مكرّم ، كال فيها له من الشتم القبيح ، ما يأنف المرء أن يجريه على لسانه ، وكان أخفّ ما قال له فيها : **يا ابن الكشخان القرنان ، الديّوث الصفعان** . راجع الرسالة في كتاب أخلاق الوزيرين للتوحيدي ص ٦٣ ـ ٦٦ .

وذكر أحد الكتّاب البغداديين ، إنّه سافر مع جماعة من آصحابه إلى الشام ، وأضافهم أحد الدمشقيّين ، وروى عنه قصّة بالغة الطرافة ، وقالوا له : **إنّك قوّاد بن قوّاد**، راجع القصّة في كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ٢ / ٩٠ حـ ٢ ص١٧٢ ـ ١٨٣ .

في السنة ١٤٤ اعتقل أبو جعفر المنصور بني الحسن ، وكبّلهم وغلّهم ، وأخرجهم معه إلى العراق ، فلما صار بالربذة أمر بإحضار محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين بن علي ، فقال له : **يا ديّوث** فقال له محمد : سبحان الله ، أنت تعرفني بغير ذلك صغيراً وكبيراً (الطبري ٧ / ٥٤١) .

وسكر إبراهيم بن سيابه ، وحمل في طبق ، وعبر به الجسر ، فسأل إنسان : ما هذا؟ فرفع رأسه من الطبق، وقال: هذا بقّية مما ترك آل موسى وآل هارون ، تحمله الملائكة **يا كشخان** (الأغاني ١٢ / ٨٩) .

واستقبل العتابي ، منصوراً النميري ، فوجده واجماً كئيباً ، فقال له : ما خبرك ؟ قال : تركت امرأتي تطلق ، وقد عسرت عليها الولادة ، وهي يدي ورجلي ، قال : أكتب على فرجها : هارون ، قال : ولم ذلك ؟ قال : لتلد على المكان ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : ألم تقل في هارون :

إن أخلف الغيث لم تخلف مخايله   أو ضاق أمرء ذكرناه فيتّسع

فقال له منصور : **يا كشخان** ، والله لئن تخلّصت امرأتي ، لأذكرنّ ذلك للرشيد ، وأخبر الرشيد بالواقعة ، فطلب العتّابي ، فآستتر (فوات الوفيات ٤ / ١٦٧ والأغاني ١٣ / ١٤٨ و ١٤٩) .

وشتم حاجب أحمد بن المدبّر ، ابن دراج الطفيلي ، فقال له : **يا قرنان** .

وسبب ذلك : إنّ أحمد بن المدبّر ، كان قليل الجلوس للمنادمة ، وكان له سبعة من الندماء ، لا يحضره غيرهم ، وطمع أحد الطفيليين ، وهو ابن دراج ، فدخل يوماً في جملة الندماء ، فلما رآه ابن المدبّر ، قال للحاجب : آذهب إلى هذا الرجل ، وسله : هل له حاجة ؟ فذهب إليه وسأله : ألك حاجة ؟ فقال : لا ، فقال له : إذن ، ما جلوسك ؟ وأيّ شيء أنت ؟ فقال : أنا طفيلي ، فأحضره ابن المدبّر أمامه ، وقال له : إنّ الطفيلي يحتمل في إفساده الخلوات على الناس ، إذا كانت له خصال حسنة ، كأن يكون لاعباً بالشطرنج أو النرد أو ضارباً بالعود ، أو الطنبور ، فقال له : أيّدك الله ، أنا أحسن كلّ هذا ، وأنا في الطبقة العليا منها ، فقال لبعض ندمائه : لاعبه بالشطرنج ، فلعبا ، وغلبه الطفيلي ، فقال الحاجب : لكنّ الغلام فلاناً يغلبه في الشطرنج ، فأحضر الغلام وغلب الطفيلي ، وجيء بالنرد ، فلعب مع أحد الندماء ، فغلبه الطفيلي ، فقال الحاجب : لكنّ بوّابنا فلان يغلبه ، وجيء بالبّواب ، ولعبا ، فغلب البوّاب الطفيليَّ ، وجيء بالعود فضرب الطفيلي ، فأصاب ، وغنّى فأطرب ، فقال الحاجب : في جوارنا شيخ هاشمي ، يعلّم القيان ، أحذق منه ، وجيء بالهاشمي ، فكان أحذق من الطفيلي ، وجيء بالطنبور ، فضرب فأحسن ، وغنّى فأجاد ، فقال الحاجب : لكنّ فلاناً المخنكر أحذق منه ، وجيء بالمخنكر فكان أحذق ، فقال الطفيلي : يا سيّدي ، بقيت خصلة واحدة ، وهي أن تأمر لي بقوس مع خمسين بندقة رصاص ، ويقام هذا الحاجب على أربع ، وأرميه في دبره بهنّ

جميعاً ، فإن أخطأت بواحدة منهنّ ، ضربت رقبتي ، فضجّ الحاجب من ذلك ، ووجد ابن المدبّر في ذلك شفاء لنفسه، وعقوبة للحاجب على ما فرط منه في إدخال الطفيلي ، فأمر بإكافين ، فأحضرا ، وجعل أحدهما فوق الآخر ، وشدّ الحاجب فوقهما ، وأمر بالقوس والبندق ، فدفع إلى الطفيلي ، فرمى به فما أخطأه ، وخلّيّ عن الحاجب ، وهو يتأوّه، فقال له الطفيلي : هل على باب الأستاذ من يحسن مثل هذا ؟ فقال له : **يا قرنان** ما دمت أنا البرجاس ، فلا (مروج الذهب ٢ / ٤٦٥ و ٤٦٦) .

وشتمت عبيدة الطنبورية ، شرائح الخزاعي ، فقالت له : **يا كشخان** .

وسبب ذلك : إنّ عبيدة الطنبورية ، وكانت من المحسنات ، المتقدّمات في الصناعة والآداب ، كانت تصاحب شرائح الخزاعي ، صاحب ساباط شرائح ، بسويقة نصر ، وتتعشّقه ، وتزوّج شرائح ، فانقطعت صلته بعبيدة ، ومرّت به يوماً ، فسألها أن تدخل إلى البيت ، فقالت له : **يا كشخان** ، كيف أدخل إليك وقد أقعدت في بيتك صاحب مسلحة (الأغاني ٢٢ / ٢٠٧) .

أقول : صاحب المسلحة ، يعني قائد جماعة من العسكر مع سلاحهم ، يستقرون في مواقع معينة من البلد لحفظ الأمن ومنع التعدّيات .

وشتم مسلم بن الوليد ، دعبل الخزاعي ، فقال له : **يا أحمق** ، **يا قوّاد** .

وسبب ذلك : إنّ دعبل ، صادف فتاة ، وأعوزه المكان ، فأخذها إلى بيت مسلم ، وأعطاه مسلم ما اشترى به طعاماً وشراباً ونقلاً ، فلما أحضر كلّ ذلك ، اختلى مسلم بالفتاة في سرداب ، وتركا دعبل يحرق الأرم ، وحيداً ، وأخذ يشتم مسلماً ، ويسبّه ، فقال له مسلم : **يا أحمق** ، **يا قوّاد** ، منزلي

دخلتَ ، ومنديلي بعت ، ودراهمي انفقتَ، فعلى من تترّب ؟ وقد أوردنا القصّة في بحث الصفع ، راجع الأغاني ١٩ / ٤٧ ـ ٤٩ وبدائع البدائه ٤٣ ـ ٤٥ .

وجاء إلى القاضي أبي القاسم التنوخي ـ وهو على حماره في الطريق ـ رجل فأعطاه رقعة ومضى ففتحها وإذا فيها :

إنّ التنوخي به أبنةٌ لأنّه يسجد للفيش
له غلامان ينيكانه بحجّة الترويح في الخيش

فلما قرأها ، قال لغلمانه : ردّوا ذاك زوج القحبة ، فأحضره ، وسأله : من أعطاك هذه الرقعة ؟ فقال : أعطانيها بعض الناس ، وطلب منّي أن أوصلها إليك ، فقال : قل له يا كشخان ، يا قرنان ، يا زوج ألف قحبة ، هات زوجتك ، وأختك ، وأمّك إلى داري ، وانظر ما يكون منّي ، وبعد ذلك احكم ، ثم صاح بغلمانه : فصفعوه (الهفوات النادرة ٢٤٣ وفوات الوفيات ٣ / ٦١) .

ولام الصيمري الشاعر ، أبا العبر العباسي ، على إيثاره السخف ، فقال له : يا كشخان، أتريد أن أكسد أنا ،وتنفق أنت (الأغاني ٢٠ /٩٠) .

أقول : أبو العبر هذا ، ولقبه حمدون الحامض ، سفيه من بني العباس ، اشتهر بالحمق ، وكان له مجلس في سامراء ، يتكلّم فيه بالسخف ، ويجتمع عليه المجّان ، وقدم بغداد في أيّام المستعين ، فطرده إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، أمير بغداد ، وكان أبو العبر شديد البغض للإمام علي بن أبي طالب ، وسمعه أحد أهالي الكوفة ، يقول في الإمام قولاً قبيحاً ، فقتله .

وكان أحد اللصوص في بغداد ، يدخل الدور الآهلة نهاراً ، ويسرق ، فإذا فطن له صاحب الدار ، أوهمه إنّه صديق زوجته ، وإنّه من غلمان بعض

القوّاد ، ويقول لـه : استر عليّ وعلى نفسـك ، فيتخلّص ، إلى أن دخل داراً فيها عجوز لها أكثر من تسعين سنة ، وهو لا يدري ، فلما أدركـه ربّ البيت ، ادّعى علاقته بصاحبة البيت ، فقال له ابنهـا : يا كشخـان ، ليس في الدار إلاّ أمّي ، ولها تسعون سنـة ، أفتراهـا هي عشقتك ، أم أنت عشقتهـا ؟ واجتمع عليـه الجيـران ، فكـرّر اللص ادّعـاءه ، فكـذّبـوه ، وضـربـوه ، وحملوه إلى السلطان ، راجع تفصيل القصة في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، رقم القصة ١ / ٨٠ ج ١ ص ١٥٧ و ١٥٨ .

وكان المأموني الأبهري الشاعر ، قـد قال في شـاعر آخـر أبهريّ ، كـان يهاجيه :

كـلانـا إلى آدم نعتـزي ... وتجمعنـا آصـرات الـرحم
ولكن لـه الفضـل في أنّـه ... يصـول بقـرن وأنّي أجمّ

واتّفق أن حضر مجلس الصاحب بن عباد ، فسأله : من يكون ؟ فقال : الخادم الأبهري الشاعر، فقال : **الأقرن أم الأجمّ** ، فاستحيا وخجل (وفيات الأعيان ١ / ٤١٤ و ٤١٦) .

ودخل الشاعر ابن الهبارية (ت ٥٠٩) على الوزير نظام الملك ، وقدم إليه رقعة ، حسب أنّ الذي فيها مديحه ، فأخطأ وقدم التي فيها هجائه ، وكان فيها :

لا غـرو أن مـلك ابن إسـ ... ـحـاق وسـاعـده القـدر
فـالـدهـر كـالـدولاب ليـ ... ـس يـدور إلاّ بـالـبقـر

فكتب عليها نظام الملك : **يصرف لهذا القوّاد رسمه مضاعفاً** .

١١ ـ قولهم : يا مخنث

التخنث : التكسّر .

يقال : طويت الثوب على أخناثه : أي على كسوره .

وسمّي المخنث مخنّثاً : لتكسّره (كتاب الفاخر ص ٥٢)

على أثر مقتل مصعب بن الزبير ، ولّى عبد الملك بن مروان ، خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، البصرة ، واجتمعت الحروريّة بالأهواز ، فخرج إليهم خالد في تسعين ألفاً ، ففلّوه ، ونادوه : يا خالد ، **يا مخنّث** ، فعزله عبد الملك (انساب الأشراف ٤ / ٢ / ١٥٨ و ١٥٩) .

وكان عثمان بن حيّان المرّي ، عامل المدينة ، أخذ مثجور بن غيلان من قصر لعبد الله بن عمرو بن عثمان ، الملقب بالمطرف ، وكان مثجور استخفى في القصر من الحجّاج ، هرب من العراق ، فادّعى المطرف دروعاً له ، وقال لعثمان : ذهب بها أصحابك (يريد أنّ أصحاب عثمان العامل لما دخلوا القصر لأخذ مثجور ، سرقوا دروع صاحب القصر) فغضب عثمان ، وقال له : ما دروعك إلّا دروع النساء **يا مخنث** ، **يا منكوح** ، فلما استخلف سليمان بن عبد الملك ، ، عزل عثمان عن المدينة وولّى أبا بكر بن عمرو بن حزم الأنصاري على المدينة ، فأخذ عثمان وجلده حدّاً (انساب الأشراف ٥ / ١٠٩) .

وشتم ابن سريج الغريض ، فقال له : **يا مخنث** .

وسبب ذلك : إنّ الغريض كان يأخذ الغناء على ابن سريج ، فلما رأى الأستاذ ظرف تلميذه ، وحلاوة منطقه ، خشي أن يغلبه على الصناعة ،

فطرده ، فأخذ الغريض إيحاكي ابن سريج في الغناء ، وكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً ، إلّا عارضه الغريض بصوت من عنده ، فلما رأى ابن سريج ذلك اشتدّ عليه ، وغنّى الأرمال والأهزاج ، فاشتهاها الناس لخفّتها ، فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصّرت الغناء وحذفته ، قال : نعم ، **يا مخنث** حين جعلت تنوح على أمّك وأبيك (الأغاني ٢ / ٣٦٠ و ٣٦١) .

وشتم إسحاق الموصلي ، في مجلس المأمون ، مخارقاً وعلّويه ، فقال لهما : **يا مخنثان** .

وسبب ذلك : إنّ مخارق وعلّويه ، غنّى كلّ واحد منهما صوتاً من صنع إسحاق ، إلّا أنّهما زادا فيه ، فأفسدا قسمة اللحن وتجزئته ، ولكنّ المأمون طرب على غنائهما ، أكثر من طربه على غناء إسحاق ، فقال إسحاق : لولا أنّ المجلس مجلس سرور ، لأعلمت أمير المؤمنين إنّه طرب على خطأ ، ثم التفت إلى مخارق وعلّويه ، وقال لهما : **يا مخنثان** قد علمت ما أردتما ، وأنا على مكافأتكما قادر (الأغاني ٥ / ٣٤٣ و ٣٤٤) .

وقال عبادة المخنّث ، نديم المتوكل ، لأبي حرملة المزيّن ، مزيّن الخليفة ، حذّفني ، فقال له : **يا مخنّث** ، أضع يدي على وجهك ، وأنا أضعها على وجه أمير المؤمنين ؟ قال : فأنت أيضاً تضعها على باب إستك كلّ يوم خمس مرات (الديارات ١٨٩) .

وفي السنة ٤٦٥ قصد السلطان ألب أرسلان ، واسمه محمد ، ما وراء النهر،وجيء إليه بمستحفظ قلعة اسمه يوسف الخوارزمي ، فأمر أن تضرب له أوتاد أربعة وتشدّ أطرافه إليها ، فقال له يوسف : **يا مخنّث** ، مثلي يقتل هذه القتلة ؟ فغضب السلطان ، وأخذ قوساً ونشاباً ، وقال : خلّوه ، ورماه بسهم ، فأخطأه ، فوثب يوسف يريده ، ووثب السلطان عن السدّة فعثر فوقع على

وجهه فبرك عليه يوسف وطعنه بسكين كان معه في خاصرته ، فقتله (المنتـظم ٨ / ٢٧٧ ابن الأثير ١٠ / ٧٣) .

وفي السنة ٥٦٨ مات خوارزم شاه أرسـلان بن أتسز ، وملك بعـده ولده سلطان شاه محمود ، ودبرت والدته الملك والعساكر ، فأنف الولد الأكبر علاء الدين تكش ، واستعان بالخطا ، وقصد أخاه في جيش كثيف ، فـاستعان الأخ الأصغـر سلطان شاه محمـود ، بالمؤيـد بي أبه ، صـاحب نيسابـور ، فجمـع جيوشه وخاض المعركة بجانب محمود ، فانكسر المؤيّد وأسر ، وأحضر امـام علاء الدين تكش ، فأمر بقتله ، فقال المؤيّد : يا مخنّث ، هذا فعال الناس ؟ فلم يلتفت إليه وقتله (ابن الأثير ١١ / ٣٨٥) .

وفي النسة ٦٩٤ وثب باطني على الأمير نقاجو ، أمير المسلحـة المغولي بغداد ، وكان على رأس الجسر العضدي ببغـداد (حلّ محلّه جسـر الصرّافيـة الحديد) وطعنه بخنجر فقتله ، وقبض عليه ، وتسلّمه ابن الأمير نقاجو ، فمثّل به ، وقطع أطرافه وهـو حيّ ، فقال لابن نقـاجو : يـا مخنّث ، إنّك لم تصنـع شيئاً إلاّ وهو دون ما كان في نفسي ، فـاصنع مـا بدا لـك ، فقتله ، وألقاه في الموضع الذي قتل فيه أباه (الحوادث الجامعة ٤٧٥) .

١٢ ـ يا بغّاء ، ويا مؤاجر ، ويا علق ، ويا مأبون

البغاء : الفجور

والبغّاء : اصطلاح عباسي ، يراد به المتّهم بسوءة ، مقروف بها (الفاخر ١٨٣)

والأبنة : الأصل فيها العقدة تكون في العود . ثم صرفت الكلمة إلى العيب .

والمأبون : المعيب بعيب يخلّ بالرجولة (الفاخر ٥٢) .

والمؤاجر : في الإصطلاح : الذي يبذل جسده لقاء أجر ، والمصدر : الإجارة .

قال ابن الرومي يهجو أبا الصقر اسماعيل بن بلبل :

عجب الناس من أبي الصقر لما ... نال بعد الإجارة الديوانا
إنّ للحظّ كيمياءً إذا ما ... مسّ كلباً أحاله إنسانا

والعِلْق ، بكسر العين وسكون اللام : اصطلاح متأخر ، يقصد به المؤاجر ، قال الشاعر :

أنا في مقعد صدق ... بين قوّاد وعلق

قال المتوكّل ، لأبي العيناء : هل رأيت طالبيّاً حسن الوجه قط ؟

قال : نعم ، رأيت ببغداد منذ ثلاثين سنة ، فتى منهم ، ما رأيت أجمل منه .

فغضب المتوكل ، وقال : تجده كان مؤاجراً ، وكنت تقود عليه ؟

فقال أبو العيناء : وفرغت لهذا يا أمير المؤمنين ؟ أتراني أدع مواليّ على كثرتهم ، وأقود على الغرباء ؟ (أبو العيناء مولى بني العباس) .

فقال له المتوكل : **اسكت يا مأبون .**

فقال : مولى القوم منهم .

قال : أنت دعيّ في الإنتساب إلينا .

فقال : بغائي صحّح نسبي فيكم (زهر الآداب ١ / ٢٥١ و ٢٥٢ والملح والنوادر ٢٣١) .

وفي السنة ٣٠٤ أرسل علي بن وهسوذان ، متولّي الحرب بأصبهان ، غلاماً له كان ربّاه وتبنّاه ، إلى أحمد بن شاه ، متولي الخراج ، في حاجة ، فلقيه راكباً ، فكلّمه في حاجة مولاه ، ورفع صوته ، فشتمه أحمد ، وقال له يا مؤاجر ، تكلّمني بهذا على الطريق ، وحرد عليه ، فعاد إلى مولاه باكياً ، وعرّفه ذلك ، فقال له : صدق لولا أنّك مؤاجر لقتلته ، فعاد الغلام ، فلقيه وهو راكب ، فقتله ، فأنكر الخليفة ذلك ، وعزل علي بن وهسوذان عن أصبهان (ابن الأثير ٨ / ٩٧) .

وقال الأمير معزّ الدولة الديلمي ، لأبي مخلد عبد الله بن يحيى الطبري : إلى أين يا بغّاء .

وسبب ذلك : إنّ أبا مخلد الطبري ، كانت له شهوة للفرش (السجّاد) ، ورأى سّجادة من الديباج في ديوان معزّ الدولة ، فأعجبته ، فقال للأمير معزّ الدولة : أيّها الأمير ، تنحّ عن الدست فإنّ عليه شيئاً ، فلما تنحّى ، رفع السّجادة ، وطواها ، ووضعها على كتفه ونهض ليخرج ، فقال له معزّ الولة : إلى أين يا بغّاء (يا منكوح) ، فقال له : إلى طيّاري أنقل السّجادة إليه ، فضحك معز الدولة ، وأخذ الرجل السّجادة ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، جـ ١ ص ٣٠٩ رقم القصة ١٦٩ .

وذكر الأمير أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار ١٥٩ و ١٦٠ أنّ

الإسماعيلية هاجموا حصنهم شيزر في سورية ، وتحصّن أحد الباطنية في أحد أبراج الحصن ، ولم يجرأ أحـد من أهل الحصن على مهـاجمته ، فصـاح ابن عمّ أسامة بأحد الواقفين وقال له : ادخل إليه ، فدخل ، وخرج وهو جريـح ، فصاح بالثـاني : ادخل إليه، فقال لـه الإسماعيلي : يـا مؤاجر ، أنت ليش مـا تدخل ، تدخل إليّ الناس وأنت واقف ؟

أقــول : ليش ، أصلهــا لأيش ، لأيّ شيء ، وكلمــة لـيش مــا زالت مستعملة ببغداد .

وفي السنـة ٧٨٤ حـاول أحـد الممـاليـك ، اغتيـال الأتـابكي بـرقــوق بالقاهرة ، فضربه برقوق بقوس كباد ، فرمـاه على الأرض ، وقال لـه : يا مـرا (يا امرأة) ، يـا علق ، الذي يـريد يقتـل الملوك يقع على الأرض من ضربة واحدة (بدائع الزهور ١ / ٣٠٨ و٣٠٩) .

١٣ ـ قولهم : يا حلقي

الحلاق : داء يصيب الأتان ، فلا تشبع من السفاد .
ثم صرف إلى الإنسان الذكر ، إذا حلت به صفة سوء .

قال ابن مناذر ، يهجو ابان بن عبد الحميد اللاحقي الكاتب : [معجم الأدباء ٧ / ١٠٩] .

غنـج أبـانٍ ولين منـطقـهِ   يخبّـر الناس أنّـه حلقي

وقال الشاعر يهجو والبه بن الحباب الأسدي :

والب يا ابن الحباب يـا حلقي   لست من أهل الزنـاء فانـطلقِ

وقال الشاعر البغدادي ، يهجو الأمين والفضل بن الربيع : [٨ / ٣٩٦] .

لـواط الخليفة أعجـوبـة   وأعجب منـه حلاق الـزير
فهـذا يدوس وهـذا يـداس   كذاك لعمري اختلاف الأمور

وسبّ مرثد بن حوشب ، أخاه ثمامة ، فقال له : يا حلقي .
(الأمتاع والمؤانسة ٣ / ١٧١) .

وكانت جارية من جواري موسى الهادي ، الخليفة العباسي ، تسقي الندامى ، وكانت ماجنة ، فكانت تقول لهذا : يا حلقي ، وتعبث بهذا وبذاك ، ودخل يزيد بن مزيد فسمعها تقول لهم ،فقال لها : والله الكبير ، لئن

قلت لي مثل ما تقولين لهم ، لأضربنّك ضربة بالسيف ، فقال لها موسى : ويلك ، إنّه ـ والله ـ يفعل ما يقول ، فإيّاك ، فأمسكت عنه ، ولم تعابثه .
(الطبري ٨ / ٢٢٧) .

وفي النسة ٢٤٧ لما هجم الأتراك المتآمرون ، على المتوكّل ، قام الفتح بن خاقان ، فصاح بهم : ويلكم أمير المؤمنين ، فقال له بغا : يا حلقي ، لا تسكت (ألا تسكت) ، فرمى الفتح بنفسه على المتوكّل ، فقتلا جميعاً (تجارب الأمم ٦ / ٥٥٦ ، الطبري ٩ / ٢٢٧) .

وروى الجاحظ ، وكان لقبه هذا لجحوظ عينيه ، وكان يلقب بالحدقي لنفس السبب ، أي لبروز حدقتيه ، قال : صرت إلى منزل أحد إخواني ، فخرج إليّ غلام أعجمي ، فقلت له : قل له الجاحظ بالباب ، فدخل ، وقال : الجاحد ، فلم يفهم صاحب الدار ، وأعاده ليتحقّق ، فقلت له : قل له الحدقيّ بالباب ، فدخل وقال : الحلقي ، فصحت به من الخارج : ردّنا إلى الأوّل (معجم الأباء ٦ / ٦٢) .

وغضب أبو البصير المنجّم ، على غلام له صغير السن ، مليح ، فصاح به : ما حبسك يا حلقي ، وكرّر عليه ذلك ، فقال له الغلام : أدعوا الله على من جعلني حلقياً (الحيوان ٦ / ٤٨٨ و ٤٨٩) .

١٤ ـ قولهم : يا مصفّر استه

وتشاتم عتبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام ، قبل الإلتحام في معركة بدر ، مع المسلمين ، لما أراد عتبة أن يحول دون الحرب ، وتكلّم بكلام في هذا المعنى ، فغضب أبو جهل وقال لعتبة : إنتفخ سحرك ، فغضب عتبة ، وقال : سيعلم المصفّر استه من انتفخ سحره (الطبري ٢ / ٤٤٤) .

أقول : السحر ، الرئة ، وقولهم : انتفخ سحره ، اتّهام له بالجبن ، كأنّ الخوف ملأ جوفه فانتفخت رئته .

وقوله : المصفّر استه ، يعني أنّه يخضبها بالزعفران ، إتّهاماً له بما ينافي الرجولة .



الفصل السادس

طرائف في الشتم

كان رجلٌ من آلأم الناس ، وكانت له لقاح ، وعنده لبن كثير ، فقال أحد الظرفاء : الموت أو أشرب من لبنه ، فجاء ومعه صاحب إلى باب صاحب اللبن ، وتغاشى ، وتماوت ، فخرج ، وقال : ما باله ؟ ، فقال صاحبه : هذا رئيس بني تميم ، وقد جاءه أمر الله ، وكان آخر كلامه : إسقني لبناً ، فقال اللئيم : يا غلام ، هات علبة من اللبن ، فأتاه بها ، وأسنداه الى ظهره ، وشرب العلبة حتى أتى عليها ، ثم تجشّأ ، فقال صاحبه : أترى هذه الجشأة راحة الموت ؟ فأحسّ اللئيم بأنّه خدع ، فقال : **أماتك الله وإيّاه** (العقد الفريد ٦/١٧٨ البصائر والذخائر ٤/٢٩٦ و٢٩٧) .

تنازع رجلان أيّهما أفضل ، علي أو معاوية ، فرضيا بتحكيم أوّل خارج عليهما ، فطلع عليهما رجل لا يعرفانه ، فقال له أحدهما : إنّا رضيناك حكماً في التفاضل بين رجلين هما علي ومعاوية ، وأنا أقول إنّ علياً أفضل ، فقال الرجل : وما الذي يقوله هذا ابن الزانية ؟ (زهر الربيع ٢/١٨١) .

كان لبعضهم ولد نحويّ ، يتنحّى في كلامه ، فاعتل أبوه علّة شديدة ، وأشرف على الموت ، فاجتمع إليه أولاده ، وقالوا له : ندعو لك أخانا فلاناً ، فقال : لئن جاءني قتلني ، فقالوا : نحن نوصيه أن لا يتنحّى في الكلام ، فلما دخل عليه ، قال : يا أبت ، قل لا إله إلاّ الله ، تدخل بها الجنّة ، وتنجو بها من النار ، والله يا أبت ، ما شغلني عنك إلاّ فلان ، فإنّه دعاني بالأمس

فأهرس ، وأعدس ، وسكبج ، وطبهج ، وأبصل ، وأمضر ، ولوذج وآفلوذج ، فصاح أبوه : غمّضوني ، فقد سبق ابن الزانية ، ملك الموت ، الى قبض روحي (زهر الربيع ١٠٢) .

وشتم شاميّ عراقياً في مجلس عبد الملك بن مروان ، فقال : هذا العراقي ابن اللخناء قال لي ذلك ، وخلاصة القصة أنّ عبد الملك بن مروان ، سأل جلساءه عن تفسير بيتين من الشعر في وصف شعر طويل لامرأة ، وهما :

إذا ما المواشط باكرنها وأتبعن بالضفر وحفاً طويلا
نحرن القرون فعقّلنها كعقل العسيف غرابيب ميلا

فلم يجبه أحد ، وكان في المجلس عراقيّ ، فقال لرجل من أهل الشام له بزّة وهيأة : أرأيت لو أخبرتك بمعناه ، وحصل لك الحظّ عند أمير المؤمنين ، أتقربني إليه لأذكر حاجتي ؟ قال : لك ذلك ، قال : إنّما يصف البطّيخ ، فوثب الشامي ، وقال ذلك ، فآنقلب المجلس ضحكاً ، وافتضح الشامي ، فقال له عبد الملك ، من أين لك هذا ؟ فقال هذا العراقي ابن اللخناء قال لي ذلك . (الملح والنوادر ٦٩) .

وكان معاوية بن مروان بن الحكم ، ضعيفاً (خفيف العقل) ، قال لأبي آمرأته : لقد ملأتني إبنتك البارحة دماً ، فقال له : إنّها من نساءٍ يخبئن ذلك لأزواجهنّ ، ولو كنت خصيّاً ما زوّجناك ، وعلى الذي غرّنا بك لعنة الله (العقد الفريد ١٥٨/٦) .

وقال له رجل : أنت الشريف بن الشريف ، أبوك أمير المؤمنين مروان ، وأخوك أمير المؤمنين عبد الملك ، وأنت آبن عمّ أمير المؤمنين عثمان ، وأمّك عائشة بنت معاوية بن أبي سفيان ، قال : فأنا إذن مردّدٌ في بني اللخناء ترديدا (الاغاني ٣٤٩/١٧ وأنساب الاشراف ١٦٥/٥) .

أقول : يروى عن معاوية بن مروان ، كثير من القصص ، ومنها أنّه طـار له بازي ، فأمر بإغلاق أبواب مدينة دمشق ، ومرّ يوماً بـطحّان ، وأبصـر البغل يدور وفي عنقـه جـرس ، فسـألـه عن سبب وجـود الجـرس في عنق البغـل ، فقـال : حتى إذا وقف البغـل ، سكن الجـرس ، فـأقـوم إليه لأعيـده إلى الدوران ، قال : فإن وقف عن الدوران ، وحرّك رأسه هكذا ، فقال الطحّان : ومن أين لنا بغل عقله مثل عقل الأمير ، وكان خالد بن يزيد بن معاوية ، مولعاً بالعبث به ، قال له يوماً : يا أبا المغيرة ، أرى أنّ أخاك عبـد الملك لا يولّيـك ولاية ، ولا يعتدّ بك ، فقال : لو أردت ولاية لـولّاني ، قال : فسله أن يـولّيك بيت لهيا ، وهي قرية صغيرة في غوطة دمشق ، فغدا على عبد الملك ، وقـال له : يا أمير المؤمنين ، ألست أخاك ! قال : بلى ، وشقيقي ، قال : فولّني ، قال : وما تريد ؟ قال : بيت لهيا ، قـال : متى لقيت خالـد بن يزيـد ؟ قال : عشيّة أمس ، قال : لا تكلّمـه ، ودخل خـالد ، فقـال : كيف أصبحت يا أبـا المغيرة ؟ فقال ـ وأشار إلى عبد الملك ـ نهانا هذا عن كلامك .

وقـال عبـد الله بن مسـور البـاهلي ، لأبي النضيـر ، وقـد تحـاوروا في شيء : يـا ابن اللخنـاء ، أتكلّمني ، ولـو اشتـريت عبـداً بمـائتي درهم ، وأعتقته ، لكان خيراً منك ، فقـال له أبـو النضير : والله ، لـو كنتُ ولد زنـا ، لكنتُ خيراً من باهلة كلّها ، فغضب الباهلي ، فقال له بشّار : أنت منذ سـاعة تزنّي أمّه ولا يغضب ، فلما كلّمك كلمة واحدة ، لحقك هذا كلّه ، فقال له : وأمّـه مثـل أمّي يـا أبـا معـاذ ؟ فضحـك ، وقـال : والله ، لـو كـانت أمّـك أمّ الكتاب ، ما كان بينكما من المصارمة هذا كلّه . (الأغاني ٢١٢/٣) .

وجمّش أبو علقمة النحـوي ، امرأة يهـواها ، فقـال لها : يـا خريـدة ، قد كنت أخـالك عـروباً ، فـإذا أنت نـوار مـالي أمِقُـكِ فتشنئيني ؟ فقـالت : يـا رقيـع ، ما رأيت أحـداً يحبّ أحـداً فيشتمـه سـواك . (معجم الأدبـاء ٧٦/٥ و٧٧) .

وقال أبو حامد المروروذي : كان بـالشام قـاصّ ، يقصّ ويقول : **اللهم أهلك أبا حسّان الدقّاق** ، فإنّه تربّص بالمسلمين ، وفعـل السوء بهم ، ومنزله أوّل باب في الدرب على يسارك (البصائر والذخائر ٣/٢/٤٩٧) .

وخـرج ابن احمـد المـديني ، أيّـام العصبيّـة إلى أذربيجـان ، فلقيـه فرسان ، فأسقط في يده ، وقال : الساعة يسألـونني من أنا ، وأخـاف أن أقول مضريّ وهم يمانيّة ، أو يمانيّ وهم مضـريّة ، فيقتلونني ، فلمـا اقتربـوا منه ، قـالوا : يـا فتى ممن أنت ؟ فقال : ولـد زنا ، **عـافاكم الله** ، فضحكـوا منه ، وأعطوه الأمان (الملح والنوادر ١٦) .

وخرج طفيلي مع قوم في سفر ، فعزموا على أن يخـرج كلّ واحـد شيئاً للنفقة ، فقال كـل واحد : عليّ كـذا ، فلما بلغـوا إلى الطفيلي ، قـالوا لـه : أيش عليك ؟ فقال : عليّ لعنة الله (التطفيل ٥٤) .

وكان رجل على باب داره ، فأتاه سائل يسأله ، فقال لجاريته : أحضري لـه مكوكاً من حنـطة ، قالت : مـا بقي عندنـا حنـطة ، قـال : فـأحضـري لـه درهماً ، قالت : ما عندنا دراهم ، قال : فـأطعميه رغيفـاً ، قالت : مـا عندنـا رغيف ، فـالتفت إلى السائـل ، وقـال لـه : انصـرف يـا ابن الفـاعلة ، فقـال السائل : يا سبحان الله ، تحرمني وتشتمني ، قال : أحببت أن تنصـرف وأنت مأجور . (الملح والنوادر ٢٤٦) .

وكان مزبّد نائماً في المسجد ، فجاء إنسان فصلّى ، وقـال : يا ربّ أنـا أصلّي ، وهذا نائم ، فصاح به مزبّد : يـا بارد ، سـل حاجتـك ، ولا تحرّشـه علينا (فوات الوفيات ٢/٥٩٤ و٥٩٥) .

وغضب أبو جلدة اليشكري ، على نـدمانـه ، فصاح بهم : **لا أمّ لكم** ، أمنّي تضحكـون ، وكان سبب ذلـك ، إنّه قـام يبول ، فضـرط ، وكان عـظيم البـطن ، فتضـاحـك القـوم منـه ، فسـلّ سيفـه ، وقـال : **لا أمّ لكم** ، أمنّي

تضحكون ، لأضربنّ بسيفي هذا من لا يضرط منكم ، فما زال بهم حتى ضرطوا جميعاً ، إلّا صاحباً له من عبد القيس ، قال له : قد علمت أنّ عبد القيس لا تضرط ، ولك بدلها عشر فسوات ، قال : لا والله ، أو تفصح بها ، فجعل العبقسيّ يتلوّى وينحني ، فلا يقدر عليها ، فتركه (الأغاني ١١/٣٢١) .

واستعدت امرأة ، على زوجها ، عند ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك ، وهو قاض ، فادّعت مهرها ألف درهم ، فقال : ألكِ بيّنة ؟ قالت : لا ، قال : أفأحلّفه لك ؟ قالت : إنّه فاجر يحلف ، ولكن إبعث إلى إسحاق بن سويد الفقيه ، فسله أن يحلف لي بدلاً منه ، قال : فأرسل إلى إسحاق بن سويد ، وقال له : آحلف لهذه المرأة ، مالها على زوجها ألف درهم مهرها ، قال إسحاق : ما أنا وهذا ؟ قال : فيبطل حقّ المرأة ؟ ، لتحلفنّ لها أو لأحبسنّك ، فلم يحلف ، فحبسه ، فأتاه ابن سيرين فقال : لا ألومك على حبسك إسحاق ، ولكن لِمَ وليت القضاء؟ قال : أكرهني عليه السلطان ، قال : كنتَ تخبره أنّك لا تحسن القضاء ، قال : أتريدني أن أكذب ؟ (الملح والنوادر ٧٢ و٧٣) .

وجاء أحد النصارى ، إلى عبد الله بن بشار ، وقال له : أريد أن أسلم على يدك ، فقال له : يا ابن الفاعلة ، ما وجدت في عسكر أمير المؤمنين أهون منّي ، فجئت تريد أن تلقي الفتنة بيني وبين عيسى بن مريم ؟ (اخبار الحمقى ٩٩) .

وقال أمير مكّة ، لسفيه غرّبه الى عرفات : أي عدوّ الله طردتك من حرم الله فصرت الى المشعر الحرام تفسد فيه .

كان بمكة سفيه ، يجمع بين الرجال والنساء على أفحش الريب ، فشكا أهل مكة ذلك الى الوالي ، فغرّبه إلى عرفات ، فآتّخذها منزلاً ، ودخل إلى مكّة مستتراً ، فلقي بها حرفاءه من الرجال والنساء ، وقال لهم : ما يمنعكم

منّي ؟ فقالوا : وأنّى بك وأنت بعرفات ؟ قال : حمار بدرهمين ، وصرتم الى الأمن والنزهة والخلوة واللذّة ، فقالوا : نشهد أنّك لصادق ، فكانوا يأتونه ، وكثر ذلك ، حتى أفسد على أهل مكة أحداثهم وحواشيهم ، فعادوا بالشكيّة على أميرهم ، فأرسل إليه ، فأتي به ، فقال له : أي عدوّ الله ، طردتك من حرم الله ، فصرت الى المشعر الأعظم تفسد فيه ، وتجمع بين الخبائث ، فقال : أصلح الله الأمير ، أنّهم يكذبون عليّ ويحسدونني ، فقالوا للوالي : بيننا وبينه واحدة ، تجمع حمير المكارين ، وترسلها إلى عرفات ، فإن لم تقصد بيته ، لما تعوّدت من إتيان السفهاء والفجّار إيّاه ، فالقول ما قال ، فقال الوالي : إنّ في هذا دليلاً ، وأمر بجمع الحمر ، فجمعت ثم أرسلت ، فقصدت منزله ، وأتاه أمناؤه فأخبروه ، فقال : ما بعد هذا شيء ، جرّدوه ، فلما نظر إلى السياط ، قال : ولا بدّ من ضربي ؟ قال : لا بدّ يا عدوّ الله ، قال : إضرب ، فوالله ما في هذا شيء أشدّ من أن يسخر منّا أهل العراق ، ويقولون : إنّ أهل مكّة يجيزون شهادة الحمير ، مع تقريعهم لنا بقبول شهادة الواحد مع يمين الطالب (أي المدعي) ، فضحك الوالي ، وقال : لا أضربك اليوم ، وأمر بتخلية سبيله ، وترك التعرّض له (مروج الذهب ٢/٤٣٢) .

وجيء إلى نوفل بن مساحق ، بابن أخيه ، وقد أحبل جارية من جيرانه ، فقال له : يا عدوّ الله ، لما ابتليت بالفاحشة ، هلّا عزلت ؟ فقال : يا عمّ ، بلغني أنّ العزل مكروه ، فقال : أفما بلغك أنّ الزنا حرام (البصائر والذخائر ١/٢١٩) .

وكان بالبصرة رجل يلقّب بقبّة الإسلام ، من موالي سليمان بن علي ، وكان له ابن خليع ، وكان أبوه ينهاه عن المجون فلا ينتهي ، فجاء إليه يوماً ، وقال له : يا أبة إنّي أريد الحجّ ، فسرّ أبوه بذلك ، قال : لا أحجّ إلّا مع خواصّ إخواني ، فقال الأب سمّهم لي ، فقال : منهم أبو سرقين ، وعثمان

خراها ، وأبو السلاح ، ومحمود خريه ، فقال له أبوه : ويلك تريد أن تسمّد الكعبة بهؤلاء ، والله ، لا آذن لك بالخروج إلى مكة صحبة هؤلاء ، ولكن إن شئت أن تخرجهم إلى ضيعتي ، فإنّها أحوج إلى السماد ، فآفعل (البصائر والذخائر ٢/١/١٨٢ و١٨٣) .

وجاءت جارية إلى بقّال ببغداد ، فقالت : تقول لك مولاتي ، طيّب فمي ببصلة ، فأعطاها بصلة ، وقال لها : قولي لمولاتك ، أكلتِ خرا حتى تطيّبي فمك ببصلة (البصائر والذخائر ١/١٢٨) .

وكان أزهر التمار بين يدي عمرو بن الليث يأكل البطيخ ، فقال له عمرو : كيف طعمه يا أزهر ، هو حلو ؟ فقال أزهر : أيها الأمير ، أكلتَ الخرا قطّ ، فضحك عمرو وكلّ من حضر (البصائر والذخائر ٤/٨٦) .

وقال رجل للفرزدق : إنّي رأيت في المنام ، كأنّك وزنت بحمارك ، فرجح الحمار بك ، فقطع أير الحمار وجعل في آستك ، فرجحتَ بالحمار ، فقطع لسانك وجعل في آست الحمار ، فاعتدلتما ، فقال له الفرزدق : إن صدقت رؤياك نكتَ أمّك (البصائر والذخائر ١/٥٩ ، ٦٠).

ودخل الحجاج بن هارون على نجاح ، فذهب ليقبّل رأسه ، فقال : لا تفعل فإنّ رأسي مملوء دهناً ، فقال : والله لاقبّلنّه ، ولو كان عليه ألف رطل خرا (البصائر والذخائر ١/١٤٥) .

وجلد صهيب المدني في الشراب ، وكان جسيماً ، وكان الجلّاد قصيراً قميئاً ، فقال له : تقاصر لينالك السوط ، فقال له : ويلك ، إلى أكل الفالوذج تدعوني ؟ والله ، لوددت أنّي أطول من عوج ، وأنت أقصر من يأجوج (البصائر والذخائر ٢/٢/٥٩٨) .

وتقدم رجل وامرأته إلى القاضي أبي دبشة، فقال الزوج : لي عليها ـ أيّد الله القاضي ـ ألف درهم ، فقال القاضي : ما تقولين رحمك الله ،

فقالت : يسخر بك أيّها القاضي ، فنظر إلى الرجل مغضباً ، فقال الرجل : أيّها القاضي لا تصدّقها ، فإنّك لو عرفتها حقّ معرفتها ، لبزقت في آستها (البصائر والذخائر ١/٣١٤) .

وقال رجل لأبي العيناء : ما أنتن إبطك ، فقال له : نلقاك ـ أعزّك الله ـ بما يشبهك (البصائر والذخائر ٢/١/١٦٠) .

وقدم بعض المغفّلين للصلاة على جنازة امرأة ، فقال : ربّ ، إنّها كانت تسيء خلقها ، وتعصي بعلها ، وتؤذي جارها ، فحاسبها حساباً أدقّ من شعر آستها (البصائر والذخائر ٢/١/٩٨) .

ونزل ابن أبي فنن الشاعر ، في جوار زرياب المغنيّة ، فكايدته جارية من جواريها ، وقالت له : يا شيخ ، تحوّل من جوارنا ، لا يقول الناس هذا الشحاذ أبو هذه المغنيّة ، فقال لها : الذي يلزمني من العار أكبر ، لأنّ الناس يقولون : هذا الشاعر أبو هذه القحبة (البصائر والذخائر ١/٣٨٨) .

وتزوّج أعمى بآمرأة ، فقالت له يوماً : رزقت أجمل النساء وأنت لا تدري ، فقال لها : يا بظراء ، وأين كان عنك البصراء (البصائر والذخائر ٢/١/٢٤٥) .

واجتاز جحا بامرأة وهي على قبر زوجها تندبه ، فقال لها ، ما كانت صنعة زوجك ؟ قالت : كان يحفر القبور ، فقال : أفلم يعلم القوّاد ، أنّ من حفر حفرة لأخيه فسوف يقع فيها (البصائر والذخائر ٢/١/١١٥) .

وتذاكر قوم من ظراف البصرة الحسد ، فقال رجل : إنّ الناس ربما حسدوا على الصلب ، فأنكروا ذلك ، فجاءهم بعد أيّام ، وقال : إنّ الخليفة أمر بأن يصلب الأحنف بن قيس ، ومالك بن مسمع ، وقيس بن الهيثم ، وحجّام يعرف بحمدان ، فقالوا : هذا الخبيث يصلب مع هؤلاء ؟ فقال : ألم أقل إنّ الناس يحسدون على الصلب (البصائر والذخائر ٢/١/١١) .

وقال أبو هفّان ، كنت أنزل في جوار المعلّى بن أيوب ، وكـان ابن أبي طاهر قد نزل عندي ، وكنّا على ضيقة شديـدة ، فقلت لابن أبي طاهـر : هل لـك في شيء لا بأس بـه ، تجيء حتى أسجّيك وأمضي إلى منـزل المعلّى ، وأعلمه أنّ رفيقاً لي توفّي ، وآخذ ثمن الكفن ، فنتّسع به أيّاماً ، إلى أن يصنع الله ، فقـال : إفعل ، وكـان المعلّى قـد أقـام وكيـلاً يكفّن كـلّ من مـات ولم يخلف مـا يكفّن بـه ، بثـلاثـة دنـانيـر ، قـال أبـو هفّـان ، فصـرت إلى منـزل المعلّى ، وأعلمتهم ذلـك ، فجاء الـوكيـل ليعـرف الخبـر ، ودخـل منـزلي ، وكشف عن وجه ابن أبي طاهر ، فاستراب به ، ونقـر أنفه ، فضـرط ، فالتفت اليّ ، وقـال : ما هـذا ويحك ؟ فقلت : هـذه بقيّـة من روحـه كـرهت نكهتـه فخرجت من أسته ، فضحك حتى استلقى ، ودفع لي ثـلاثة دنـانير ، وقـال : أنتم ظرفاء مجّان ، فاصرفوها فيما تحتاجون (البصائر والذخائر ١ /٢٨) .

ومرّ مزبّد بقوم وهـو على حماره ، فقـالوا : إنـزل الينا يـا أبا إسحـاق ، فقال : هذا عرض سابري ، قالوا : فانزل يا ابن الـزانية (البصـائر والـذخائـر ٢/٢٦٥) .

اقول : العرض السـابري ، هـو العرض لا يجـري فيه تكـرار وذلك لأنّ الثوب السابري من أجود الثياب يباع بأدنى عرض .

وجيء إلى أحد الولاة ، برجل قد جنى جنايـة ، فأمـر بضربـه ، فمدّ ، فلما أخذه الضرب قال للوالي : بحقّ رأس أمّـك إلاّ ما عفـوت عنّي ، فقال : إضرب ، قال : بحقّ عينيها ، فقال : إضرب ، قال : بحقّ خـدّيها ، فقـال : إضـرب ، قـال : بحقّ نحـرهـا ، فقـال الـوالي : ويحكم خلّوه لئــلا ينحـدر (البصائر والذخائر ٢ /١ /٢٣٧) .

وأخـذ شيخ مـع زنجيّة ، ليلة الجمعـة ، في مسجد ، وقـد نوّمهـا على جنازة ، فقيل له : قبّحك الله من شيـخ ، فقال : إذا كنت أشتهي وأنـا شيخ ،

لا ينفعني شبابكم ، قالوا : فزنجيّة ؟ قال : من منكم يزوّجني بعربية ؟ قالوا : ففي المسجد ؟ قال : من منكم يفرغ لي بيته ؟ قالوا : فليلة الجمعة ؟ قال : إن شئتم فعلتها ليلة السبت ، فضحكوا منه وخلّوه (البصائر والذخائر ٣/١/٢٤٥) .

وشتم مضحك مدني ، قينتين ، فقال لهما : يازانيتان .

وتفصيل القصّة : إنّ هاشمياً بالمدينة ، كان له قينتان مجيدتان ، فجلس يوماً وأحضر مضحكاً ، لا يكاد يغيب عن مجالس المتظرّفين ، فسقاه نبيذاً ، وضع فيه سكر العشر ، فلما شربه المضحك تحرّك عليه بطنه ، وتناوم الهاشمي ، فقال المضحك للقينتين : أين المرحاض ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ قالت : يقول غنّياني :

رحضت فؤادي فخلّيتني أهيم من الحبّ في كلّ واد

فآندفعتا تغنّيانه ، فحسب أنهما لم تفهما ، فقال لهما : أين المخرج ؟ فقالت إحداهما للأخرى ، ما يقول ؟ قال : يقول غنّياني :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة فأعلما

فآندفعتا تغنّيانه ، فحسب إنّهما لم تفهما ، فقال لهما : أين المذهب ؟ فقالت إحداهما للأخرى ، ما يقول ؟ فقالت : يقول غنّياني :

ذهبت من الهجران في غير مذهب ولم يك حقّاً كلّ هذا التجنّب

فغنّتاه ، فحسب أنّهما لم تفهما ، فقال لهما : أين الخلاء ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها ، ما يقول ؟ قالت : يقول غنّياني :

خلّى عليّ جوى الأشواق إذ ظعنا من بطن مكّة والتسهيد والحزنا

فغنّتاه ، فحسب إنّهما لم تفهما ، فقال لهما : أين الحشّ ؟ فقالت إحداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ فقالت : يقول غنّياني :

أوحش الجِشّان فالربع منها　　فمناها فالمنزل المعمور

فغنتاه ، فحسب إنّهما لم تفهما ، فقال لهما : أين الكنيف، فقالت احداهما لصاحبتها : ما يقول ؟ فقالت : يقول غنّياني :

تكنّفني الهوى طفلاً　　فشيّبني وما آكتهلا

فأحسّ المضحك ، أنّهما تولعان به ، وغلبه بطنه ، فسلح على الفراش وقال لهما : كذبتما يا زانيتان ، وأنا أعلمكما ما هو (العقد الفريد ٦/٧١ - ٧٣) .

وروى أنّ يزيد بن المهلّب ، ولّى أعرابياً على بعض كور خراسان ، فصعد المنبر في يوم الجمعة ، وقال : الحمد لله ، ثم أرتج عليه ، فقال : أيّها الناس ، إيّاكم والدنيا ، فإنّكم لا تجدونها إلاّ كما قال الله عز وجل :

وما الدنيا بباقية لحيّ　　وما حيّ على الدنيا بباق

فلما نزل قال له كاتبه : أصلح الله الأمير ، هذا شعر ، وليس من كلام الله ، فقال له : ويحك ، هل الدنيا باقية لأحد ؟ قال : لا ، قال : فيبقى عليها أحد ؟ ، قال : لا ، قال : فما كلفتك اذن ؟ (أخبار الحمقى ٩٤) .

ودعا حمزة بن بيض الحنفي حجّاماً ثقيلاً كثير الكلام ، فلمّا أرهف المشارط ، قال له : ويحك ، الساعة توجعني ، قال : لا ، قال : فانصرف اليوم ، قال : لا تفعل ، فإنّك محتاج إلى إخراج الدم ، وذلك بيّن في وجهك ، وهي سنّة نبويّة ، قال : انصرف ، وعد اليّ غداً ، قال : لست تدري ما يحدث إلى غد ، والمشارط حادّة ، وإنّما هي لحظة ، قال : إن كان كما تقول ، فأعطني فردة بيضة من خصيتك ، تكون في يدي رهينة ، إن أوجعتني أوجعتك ، فجمع الحجّام مشارطه وقام ، وقال له : أرى أن تدع الحجامة هذا العام ، وانصرف (كتاب الحمقى ٤٣) .

وفي السنة ١١٦ خلع الحارث بن سريج ، وحارب عاصم أمير خراسان ، وكان معه عطاء الدبوسي ، من الفرسان ، وركب يوماً برذونه ، وبرز ، فدعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالقان ، فقال له بلغته : أي كير خر ، ومعناه بالعربية : يا أير الحمار (الطبري ٧/٩٨) .

وسمعت أعرابية شاعراً يقول :

وكم ليلة قد بتّها غير آثم بمهضومة الكشحين ريّانه القُلْب

فقال له : أخزاك الله ، هلاّ أثمت ؟ (نهاية الارب ٤/٢٠) .

وقال الجاحظ : قلت لعبيد الكلابي ، وكان فصيحاً مملقاً ، أيسرّك أن تكون هجيناً ولك ألف جريب ؟ قال : لا أحبّ اللؤم بشيء . قلت : فإنّ أمير المؤمنين ابن أمة ، قال : أخزى الله من أطاعه ، قلت : نبيّ الله إسماعيل كان ابن أمة ، قال : لا يقول هذا إلاّ قدري . قلت : فما القدري ؟ . قال : لا أدري . (محاضرات الادباء ١/٣٤٧) .

وغضب عبيدة بن هلال اليشكري أحد متألّهي الخوارج ، على فتى من جند المهلّب بن أبي صفرة ، فقال له : أخزاكم الله .

وتفصيل القصة : إنّ رجلين من عسكر المهلّب ، تنازعا في جرير والفرزدق ، أيّهما أشعر ، وارتفعا إلى المهلّب ، فامتنع أن يفضّل واحداً منهما على الآخر ، وأشار عليهما أن يسألا عبيدة بن هلال اليشكري ، وكان في عسكر قطري ، أمير الخوارج ، فخرج احد الرجلين ، ودعا عبيدة للمبارزة ، فبرز له ، فقال له : إنّي أسألك عن شيء تحاكمنا إليك فيه ، أيّ الرجلين عندك أشعر ، جرير أو الفرزدق ، فقال له عبيدة : إنّي سائلك قبل ذلك عن ثلاث ، ما تقولون في إمامكم إذا فجر ؟ فقال : نطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ ، فقال : قبحكم الله ، فما تقولون في كتاب الله وأحكامه ؟ فقال : ننبذه وراء ظهورنا ونعطّل أحكامه ، فقال : لعنكم الله ، فما تقولون في اليتيم ؟

فقالوا : نأكل ماله ونيك أمّه ، فقال أخزاكم الله إذن ، والله لقد زدتموني فيكم بصيرة ، ثم أجاب على سؤالهم بأن فضّل جريراً (الأغاني ٨/ ٧ و ٨) .

وتحرّش أشعب الطامع ، بأعرابيّ حديد ، في مجلس أبان بن عثمان ، أمير المدينة ، فصاح به الأعرابي : هلمّ يا آبن الخبيثة .

وسبب ذلك : إنّ أبان بن عثمان بن عفان ، كان من أهزل الناس وأعبثهم ، وبلغ من عبثه إنّه كان يجيء بالليل ، إلى منزل رجل في أعلى المدينة ، له لقب يغضب منه ، فيقول له : أنا فلان في فلان ، ثم يهتف بلقبه ، فيشتمه أقبح شتم ، وأبان يضحك ، وأبصر ذات يوم أعرابياً ، ومعه جمل له ، والأعرابي ، أشقر أزرق ، أزعر ، ، غضوب ، يتلظّى كأنّه أفعى ، ويتبيّن الشرّ في وجهه ، ما يدنو أحد منه إلاّ شتمه ونهره ، فقال أشعب لأبان : هذا والله ، من أهل البادية ، فاستدعاه أبان ، فحضر ، فسأله أبان عن نسبه ، فلما انتسب ، قال له : حيّاك الله يا خالي ، إنّي في طلب جمل ، مثل جملك هذا منذ زمان ، فلم أجده كما أشتهي بهذه الصفة ، وهذه القامة ، واللون ، والصدر ، والورك ، والأخفاف ، فالحمد لله الذي جعل ظفري به من عند من أحبّه ، أتبيعه ؟ قال : نعم ، أيها الأمير ، فقال : فإنّي قد بذلت لك به مائة دينار، وكان الجمل يساوي عشرة دنانير ، فطمع الأعرابي ، وسرّ ، وانتفخ ، وبان السرور والطمع في وجهه ، فأقبل أبان على أشعب ، وقال له : ويلك يا أشعب ، إنّ خالي هذا ، من آهلك وأقاربك - يعني في الطمع - فأوسعْ له ممّا عندك ، فقال له أشعب : نعم ، بأبي أنت وزيادة ، فقال له أبان : إنما زدتك في الثمن على بصيرة ، والجمل ، إنّما يساوي ستّين ديناراً ، ولكنّي بذلت به مائة ، لقلّة النقد عندنا ، وأنا أعطيك به عروضاً تساوي مائة ، فزاد طمع الأعرابي ، وقال : قد قبلتُ ذلك ، أيّها الأمير ، فأسرّ إلى أشعب ، فأخرج شيئاً مغطّى ، فقال له : أخرج ما جئتَ به ، فأخرج جرد عمامة خزّ خلق تساوي أربعة دراهم ، فقال له : قوّمها يا

أشعب ، فقال : عمامة الأمير ، تعرف به ، ويشهد فيها الأعياد والمواسم والجمع ، ويلقى فيها الخلفاء ، خمسون ديناراً ، فقال : ضعها بين يديه وقال لابن زبنّج : أثبت قيمتها ، فكتب ذلك ـ ووضعت العمامة بين يدي الأعرابيّ فكاد يدخل بعضه في بعض ، غيظاً ، ولم يقدر على الكلام ، ثم قال : هات قلنسوتي ، فأخرج قلنسوة طويلة ، خلقة ، قد علاها الوسخ والدهن ، وتخرّقت ، تساوي نصف درهم ، فقال : قوّم ، فقال : قلنسوة الأمير ، تعلو هامته ، ويصلّي فيها الصلوات الخمس ، ويجلس فيها للحكم ، ثلاثون ديناراً ، قال : أثبت ، فأثبت ذلك ، ووضعت القلنسوة بين يدي الأعرابيّ ، فتربّد وجهه ، وجحظت عيناه ، وهمّ بالوثوب ، ثم تماسك ، وهو متقلقل ، ثم قال لأشعب : هات ما عندك ، فأخرج خفّين خلقين ، قد نقبا ، وتقشّرا ، وتفتّقا ، فقال له قوّم ، فقال : خفّا الأمير ، يطأ بهما الروضة ، ويعلو بهما منبر النبي ﷺ ، أربعون ديناراً . فقال : ضعهما بين يديه ، فوضعهما ، ثم قال للأعرابي : آضمم إليك متاعك ، وقال لبعض الأعوان : إذهب فخذ الجمل ، وقال لآخر : إذهب مع الأعرابي ، فاقبض منه ما بقي لنا عليه من ثمن المتاع ، وهو عشرون ديناراً ، فوثب الأعرابي ، فأخذ القماش فضرب به وجوه القوم ، لا يألو في شدّة الرمي به ، ثم قال لأبان : أتدري أصلحك الله ، من أي شيء أموت ؟ قال : لا ، قال : لأنّي لم أدرك أباك عثمان ، فاشترك ـ والله ـ في دمه ، إذ ولد مثلك ، ثم نهض مثل المجنون ، حتى أخذ برأس بعيره ، وضحك أبان حتى سقط ، وضحك كلّ من معه ، وكان الأعرابيّ إذا لقي أشعب ، يقول له : هلم اليّ يا ابن الخبيثة ، حتى أكافئك على تقويمك المتاع (الأغاني ١٩/ ١٧٦ ـ ١٧٨) .

وقالت عجوز مدنيّة لأشعب الطماع : سخنت عينك .

روي أنّه كان بالمدينة عجوز عائنة ، لا تنظر إلى شيء آستحسنته إلّا عانته ، فدخلت على أشعب وهو في الموت ، فلما رآها أشعب ، غطّى وجهه

بكمّه ، وقال لها : يا فلانة ، بالله ، إن كنت إستحسنت شيئاً ممّا أنا فيه ، فصلّي على النبيّ لا تهلكيني ، فغضبت المرأة ، وقالت : سخنت عينك ، في أيّ شيء أنت مما يستحسن ؟ أنت في آخر رمق ! ، قال : قد علمتُ ، ولكن قلت لئلّا تكوني قد آستحسنت خفّة الموت عليّ ، وسهولة النزع ، فيشتد ما انا فيه ، فخرجت من عنده وهي تشتمه (الأغاني ١٩/١٧٨) .

وقال المهدي العباسي ، للقائد عبد الله بن مالك الخزاعي : **ما جاء بك قبّحك الله** .

وتفصيل القصّة : إنّ أصدقاء ثلاثة ، من أهل البصرة ، اثنان شاعران ، والثالث لا يحسن شيئاً ، فني ما في أيديهم ، فقصدوا بغداد ، ودخل الثالث على يقطين بن موسى وأخبره أنّه لا يمتّ إليه بوسيلة ، سوى أنّه أكذب الناس ، وأنّه يكذب الكذبة ، فيراها المكذوب عليه ، كأنّها صحيحة ، فضحك يقطين ، وخفّ الرجل على قلبه ، وأدخله في حاشيته . وكان المهديّ ، قد غضب على عبد الله بن مالك الخزاعي ، وأمره بأن يلازم بيته ، ولا يخرج منه ، فأتاه الرجل ، وآستأذن عليه ، وقال له : أنا رسول الأمير يقطين إليك ، بأنّ الخليفة ، قد ذكر سالف حقوقك ، وقديم خدمتك ، فعفا عنك ، وهو يأمرك بالركوب غداً ، ليخلع عليك ، ويجدّد الرضا عنك بمحضر الناس ، فسرّ عبد الله بذلك ، وخلع على الرجل ، ووصله ، وبكر الى دار المهدي ، فلما دخل عليه ، قال له المهدي : ما جاء بك ، **قبحك الله** ، وقد أمرناك بلزوم دارك ؟ فقال له : أو ما رضيت عنّي يا أمير المؤمنين ، قال : لا ، قال : فإنّ رسول يقطين أتاني بذلك ، فأمر المهدي ، فأحضر يقطين ، وسأله ، فأنكر أنّه بعث أحداً إلى عبد الله ، فقال عبد الله : بل أتاني رسوله فلان ، فأحضر الرجل في مجلس الخليفة ، وسأله يقطين : ما هذا الذي فعلت ؟ فقال له : يا سيدي ، هذا بعض ذلك المتاع (يعني الكذب) نشرناه ، خوفاً عليه من السوس ، فآستبهم الجواب على المهدي ،

فأخبره يقطين بالقصّة ، فضحك المهدي ، وجدّد الرضا عن عبد الله بن مالك ، ووصله ، ووصل الرجل (الملح والنوادر ٢١) .

وقال متطبّب أعجمي، ببغداد، لفتى ألحّ في مساءلته : **قولي لا شفاك الله** .

وتفصيل القصة : إنّ الحارثي ، قال : اجتزت ببغداد ، في أيام المقتدر ، وأنا حدث ، مع جماعة من مجّان أصحاب الحديث ، وإذا بخادم (خصيّ) جالس على دكّة في الطريق ، وبين يديه أدوية ، ومكاحل ، ومباضع ، وعلى رأسه مظلّة خرق كما يكون الطبيب .

فقلت لأصحابنا : ما هذا ؟

فقالوا : هذا خادم طبيب ، يصف للناس ، ويعالج ، ويأخذ الدراهم ، وهو من عجائب بغداد .

فقلت : أنا أحبّ أن أخاطبه ، لأنظر كيف فهمه .

فقال واحد منهم : لا أدري مقدار فهمه ، ولكنّا نحب أن نعبث به .

فتقدّم واحد منا إليه ، وتغاشى ، وتماوت ، وتمارض ، وصاح ، يا أستاذ ، يا أستاذ ، دفعات .

فضجر الخادم وقال : قولي ، **لاشفاك الله** ، أيش أصابكِ ، أيّ طاعون ضربكِ ؟

فقال له : يا أستاذ ، إنّي أجد ظلمة في باطن أحشائي ، ومغصاً في أطراف شعري ، وما آكله اليوم ، يخرج غداً مثل الجيفة ، فصف لي وصفة لما أنا فيه .

فقال له : أمّا ما تجدين من مغصٍ في أطراف شعرك ، فاحلقي رأسكِ

ولحيتكِ ، فيذهب المغص ، وأمّا الظلمة في باطن أحشائك ، فعلقي على باب دبرك قنديلاً يضيء مثل الساباط ، وأما ما تأكليه اليوم ، يخرج غداً مثل الجيفة ، فكلي خراكِ ، وآربحي النفقة .

قال : فعطعط بنا العامّة القيام ، وضحكوا منّا ، وانقلب الطنز الذي أردنا بالخادم ، طنزاً بنا ، فصار أقصى إرادتنا الهرب (الاذكياء ١١١ و١١٢) .

وخرج هارون الرشيد ، وعيسى بن جعفر بن المنصور ، والفضل بن الربيع ، متنكّرين ، فلاقوا أعرابيّاً ، فولع به عيسى ، حتى قال له : يا ابن الزانية ، فطلب العوض عن الشتيمة ، فحكم له الرشيد بدانقين ، عوضاً عن الشتيمة ، فقال : أهذا الحكم ؟ قالوا : نعم ، فأخرج درهماً ، وقال لهم : هذا درهم خذوه **وأمّهاتكم جميعاً زواني** (الهفوات النادرة ١٣٦) .

وقال أبو فرعون الشاشي : (الامتاع والمؤانسة ٢/٥٣).

أنا أبو فرعون فاعرف كنيتي	حلّ أبو عمرة وسط حجزتي
وحلّ نسج العنكبوت برمتي	أعشب تنّوري وقلّت حنطتي
وحالف القمل زماناً لحيتي	وضعفت من الهزال ضرطتي
وصار تبّاني كفاف خصيتي	أير حمارٍ في حرآم عِيشتي

أقول : أبو عمرة ، كناية عن الجوع .

وكانت عريب تتعشّق صالحاً المنذري الخادم ، فوجّه به المتوكّل إلى محلّ بعيد ، فغنّت المتوكّل في بيتين من الشعر صوتاً لها :

أما الحبيب فقد مضى	بالرغم منّي لا الرضا
أخطأت في تركي لمن	لم ألق عنه معوّضا

فآستعاده المتوكل ، وجعل جواريه يتغامزن ويضحكن ، فأصغت اليهنّ

سراً من المتوكّل ، فقالت : يا **سحّاقات** ، هذا خيـر من عملكّن . (الأغاني ٢١/٧٢).

ودخل حمصي على امرأة ، وأرادهـا ، فطلبت أربعـة دراهم ، ولـم يكن معـه غيرهـا ، فسألهـا أن تترك عليـه درهماً واحـداً ، وتأخـذ ثلاثـة ، فأبت ، فأعطاها الدراهم الأربعة . ولما خرج رأى في الدار مقلى ، فحملهـا وخرج ، فصاحت به المـرأة : **يا أحمق** ، سخـرتُ بك ، ولم تضـرّني بشيء ، فالتفت إليها ، وقال : حين تقلين تدرين (البصائر والذخائر ٤/٥١) .

وقـال عبيـد الله بن جعفـر بن المنصـور ، لحـاجبـه : **ثكلتـك أمّـك** ، وخلاصة القصّة أنّ عبيد الله بن جعفر بن المنصور كان عظيم الإعجـاب بغناء عمرو الغزال ، خلافاً للخضر بن جبريل فقد كان لا يطيق سماع غناء عمـرو ، وانصرف عبيد الله يوماً من الشمّاسيّة (الصليخ) فلقيه الخضـر ، فعاتبـه عبيد الله على تركه والانقطاع عنه ، فقال له : أنا وأنت على طرفين متباينين ، أنت في نهاية الحبّ لغناء عمرو الغزال ، وأنا أتوهّم أنّي إن عاشرته ساعةً متُّ ، وعلى هذا فما تستقيم بيننا عشرة أبـداً ، فقال لـه عبيد الله : إذا كـان الأمر هكـذا ، فأنا أعفيك مِنه إذا زرتني ، فصر إليّ آمناً من ملاقاته ، وفعـل الخضر ذلـك ، فلما جلس عبيد الله ، قال لحاجبه : لا تدخل عليّ اليوم أحداً ، فلما وضعت المائدة ، لم يـأكل ثـلاث لقم ، حتى دخل الحـاجب ووراءه عمرو الغـزال ، فقال عبيد الله للحاجب : **ثكلتك أمّك** ، ألم أقل لك لا تدخـل عليّ أحداً ، فقال له : لم أحسب يا سيّدي أنّ عمراً يجري هذا المجرى ، فإنّك أمرتني أن أدخله عليك بلا إذن ، فلما جلس عمرو على المـائدة ، تغيّـر وجه الخضـر ، وبانت الكراهية فيه ، فما أكل أكلاً فيه خير ، ورفعت المائدة ، وقدّم النبيـذ ، فجعل الخضر يشرب شرباً كثيراً حتى سكر ، وتبيّنت في وجهه وحركاته الرغبة في العربدة ، وأخذ عمرو يغنّي ، والخضـر يتمعّر غيـظاً ، إلى أن غنّى عمرو صـوتـاً ، وقال هذا الصوت لي ، فوثب الخضـر ، وكشف آسته ، وخـرىء في

وسط المجلس على بساط خزّ لم ير لأحد مثله ، ثم قال : إن كان هـذا الغناء لك ، فهذا الخراء لي ، فغضب عبيد الله ، وقال له : يا خضر أكنت تستطيع أن تفعـل اكثر من هـذا ؟ قال : إي والله أيّهـا الأميـر ، ثم وضـع رجليـه على سلحه وأخرجها ومشى على البساط مقبلاً ومدبـراً حتى خرج وقـد لوّثـه ، وهو يقول : هذا كلّه لي ، وتفرقنا عن المجلس على أقبـح حال وأسـوئها ، وشـاع الخبـر حتى بلغ الرشيـد فضحك حتى غلب عليـه . ودعـا الخضـر وجعله من ندمائه . (الاغاني ٢٣/١٣٧ و١٣٨) .

والح الصبيان على خالد الكاتب ، يصيحون به : يا خـالد ، يـا بارد ، وألحّت عليـه من بينهم جاريـة ، فقال لهـا : مرّي يا منتنة الكسّ (الأغـاني ٢٠/٢٨٣ و٢٨٤) .

وروى الجـاحظ ، أنّ رجلاً بعث غـلامه الى غـريم له، فـأسـاء الغـلام خطابه فخرق الغريم ثيابه ، فرجع إلى مولاه ، فقال : مالك ؟ قال : شتمك يا مـولاي ، فلم أحتمـل ، فـرددت عليـه ، فحـلّ بي مـا تـرى ، قـال : وكيف شتمني ؟ قال : قال لي ، هن الحمار في حرآمّ من أرسلك ، فقال له مولاه : دعني مما جرى ، ولكن لِمَ لم تجعل لحرآمّي من الوقار ما جعلته لأيـر الحمار حين كنيت عن ذا ولم تكن عن ذا (الملح والنوادر ٥٢) .

وكان أبو النضيـر البصري ، وآسمـه عمـر بن عبـد الملك ، يغنّي غنـاء صالحاً ، فغنّى ذات يوم صوتاً ببغداد ، فقالت له قينة بغدادية اسمها مكتومة : اطرح عليّ هذا الصـوت يا أبـا النضير ، فقـال : نفسي لا تطيب بـه مجّانـاً ، ولكني أبيعك إيّاه ، قالت: بكم ؟ قال : برأس ماله ، قالت : وما رأس ماله ؟ قال : ناكني فيه الذي أخذته منه ، فغطّت وجههـا ، وقالت : عليـك ، وعلى هذا الصوت الدمار . (الأغاني ١١/ ٢٨٧) .

وقالت امرأة بصرية ، لأبي القماقم : ويحك يا أبا القماقم ، إنّي تزوّجت زوجاً نهاريـاً (يعني يراجعهـا في النهار فقط) ، والسـاعة وقتـه ، ولستُ على

هيأة ، فاشتر لي بهذا الرغيف آساً ، وبهذا الفلس دهناً ، فإنّك تؤجر ، فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه ، فيرزقني على يدك شيئاً أعيش به ، فقد والله ساءت حالي ، وبلغ المجهود منّي ، فأخذهما ، وجعله وجهه ، فرأته بعد أيّام ، فقالت : سبحان الله ، أما رحمتني مما صنعت بي ؟ قال : **ويحك** ، سقط منّي الفلس، فمن الغمّ أكلت الرغيف (البخلاء ١٢٣ و١٢٤) .

وشرب طوقان المغنّي عند الشريف الرضي ، فسرق رداؤه ، فلما أصبح آفتقده ، فقال : قد سرق ردائي ، فقال له الشريف : سبحان الله **ويحك** ، من تتّهم منا ؟ أما علمت أنّ النبيذ بساط يطوى بما عليه ، فقال : انشروا بساطكم حتى آخذ ردائي ، ثمّ آطووه إلى يوم القيامة (الملح والنوادر ١٥٣) .

وأحضر حامد بن العباس ، الوليد بن أحمد ، ابن اخت الراسبي ، ليصادره ، وكان الرجل قد أحضر من السجن في جبّة صوف ، وكان يكلّم علي بن عيسى ، ويحلف له إنّه ما بقيت له حيلة ، فصاح حامد بعلي بن عيسى : يا أبا الحسن ، تلومني الساعة ، أن أنيك أمّ هذا ؟ فقال علي بن عيسى : اللهم غفراً ، إي والله ، أيّ لوم . (نشوار المحاضرة ٨/٨٧ رقم القصة ٣٦) .

وقال الصاحب بن عباد ، لشيخ خراساني ، في شيء جرى بينهما : والله ، لولا شيء لقطّعتك تقطيعاً ، وبضّعتك تبضيعاً ، ووزّعتك توزيعاً ، ومزّعتك تمزيعاً ، وجزّعتك تجزيعاً ، **وأدخلتك في حرآمّك جميعاً**. (معجم الأدباء ٢/٢٩٤) .

وقال أبو عصمة الخطيب في عكبرا ، إنّه إذا صعد المنبر ، أومأ إلى أهل عكبرا بيده ، إيماء السلام ، فيحسبون أنّه قد سلّم عليهم ، وإنّما يشير إليهم كأنّه يقول لهم : **لحاكم كلكم في آستي** (نشوار المحاضرة للتنوخي ، رقم القصة ١/٦٤ ج ١ ص ١٢٤) .

وغضب القاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي ، على بنت ابن

العلاف، زوجة أبي منصور بن المزرع ، وكانت عيّارة ، تمشي مع العيّارين ، فقال لها : **لحية زوجك في جحري** ، راجع القصّة الطريفة بتفصيلها في معجم الأدباء ٥/ ٣٠٨ /٣٠٩) .

وكان أحد الناس ، واقفاً بعرفة ، فرأى إنساناً يتضرّع ، ويبكي وينتحب، ويبالغ في الدعاء ، ويقول بحرقة وألم وتوجّع : اللهم آغفر لي ، وما أحسبك تفعل ، فقال له : يا أخي إنّ الله قد تصدّق على عباده في هذا اليوم ، بغفران ذنوبهم ، فقال له : يا أخي دعني ، فإنّ ذنبي عظيم ، فقال له : هل قتلت أحد والديك ؟ قال : لا ، قال : هل وطئت إحد محارمك ؟ قال : لا ، قال : هل كفرت بالله ؟ قال : لا ، قال : فهل دللت على سريّة من سرايا المسلمين ؟ قال : لا ، وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب ، وهو يقول : لا ، قال : فما الذي فعلت ؟ قال : نكت خنزيرة ، فقال : الأمر سهل ، إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً ، ولكن أخبرني ، كيف وقَفَتْ لك حتى فعلت ما فعلت ؟ قال : كانت ميتة ، قال : فكيف قام عليك ؟ قال : مصصتُ لسانها ، فقال له : **لا غفر الله لك** ، ولا تجاوز عنك ، ولا سامحك ، **يا أنحس الناس** . (تحفة المجالس ٣٥٣) .

وقالت امرأة لبشّار الأعمى ، وهو الشاعر بشّار بن برد : يا أبا معاذ ، هل رأيت وجهك قطّ ؟ قال : لا ، قالت : لو رأيته لآتّزرت عليه كما تأتزر على استك ، ستراً له من قبحه ، فقال لها بشّار : **اغربي قبّحك الله** (البصائر والذخائر ١/٣٨٦) .

وكان المغيرة بن عبد الله بن ابي عقيل الثقفي ، يلي الكوفة للحجاج ، وكان بخيلاً ، وكان على شرطته عبد الرحمن بن طارق ، فقال عبد الرحمن لرجل من الشرط ، إن أقدمتَ على الجدي في مائدة الأمير ، أسقطت عنك نوبة سنة ، فبلغ الأمير ذلك ، فكتب يشكوه إلى الحجّاج ، فعزله وولّى شرطة الكوفة زياد بن جدير ، فكان أثقل على المغيرة من عبد الرحمن ، ولكنّ لم

يستطع أن يعزله ، لأنّ الحجاج نصبه ، فكان المغيرة اذا خطب قال : يا أهـل الكوفة ، من بغاكم الغوائل ، وسعى بكم الى اميركم ، **فلعنه الله** ، **ولعن أمّـه العوراء** ، وكانت أمّ زياد عوراء ، فكان الناس يقـولون : مـا رأينا تعـريضاً قطّ أطيب من تعريضه . (البخلاء ١٥٠) .

واستعمـل معـاويـة رجـلاً من كلب ، فجـرى في مجلسـه يـومـاً ذكـر المجوس ، فقال : **لعن الله المجوس** ، ينكحون أمّهاتهم ، والله ، لو أعطيت مائة ألف درهم ما نكحت أمّي , (العقد الفريد ١٥٨/٦) .

وولّى يـوسف بن عمـر الثقفي ، رجـلاً من بني سليم ، يلقب بـأبي العاج ، وكان يغضب من هذا اللقب ، فقدم إليه رجلٌ خصماً له ، فقـال له : **يا أبا العـاج** ، فغضب ، وقال لـه : **يا ابن البـظراء** ، فقال : **أتقـول هذا لأمّي وقـد حجّت** ؟ فقال : **لا يمنعهـا مـا قلت من الحـجّ** (المحـاسن والمسـاوىء ٢/ ٢٣٠) .

أقـول : أبو العـاج هذا ، هـو أبو محمـد كثيـر بن عبـد الله السليمي ، أعرابي قحّ ، فيه جفاء الأعـراب ، كان على شـرطة دمشق لمـا كان يليهـا عبد الملك بن محمـد بن الحجاج ، وولّاه يـوسف بن عمر البصـرة ، لما بلغـه إنّه دافـع عنه ، لمـا ذكره أحـد جلساء هشـام بسوء ، وكـان يغضب اذا كني بأبي العاج (العيون والحدائق ١٠٤/٣ و١٣٥) .

ومما يروى عن أبي العـاج هذا ، إنّـه لما كـان والياً بـواسط ، جاء إليـه صاحب شرطته بقوّادة ، فقال له : ما هذه ؟ قال : قوّادة ، قـال: وما تصنـع ؟ قال : تجمع بين الرجال والنساء ، قال : إنّما جئت بها لتعرّفها بـداري ، خلّ عنها **لعنك الله ولعنها** (العقد الفريد ١٥٨/٦) .

وجيء إليه مرة ، بـرجل مـأبون ، فقيـل له : إنّ هـذا يمكّن من نفسه ،

فغضب ، وقال : فتريدون ماذا ؟ أوكّل به رجالاً يحفظون دبره ؟ لقد وقعت إذن في عناء ، الأست أسته ، يصنع بها ما يشاء .

أقول : ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، فإنّ قصّة مشابهة لهذه ، حصلت في بغداد ، في إحدى محاكم الجزاء ، أحضر إليها شاب مؤاجر اسمه علي قاو ، متهماً بأنّه يؤاجر ، فقال للحاكم : لست أدري يا سيّدي ، ما علاقة الشرطة بصناعتي هذه ، فهل أنّ هذا هو طيزي أو طيز الحكومة .

وعرض هشام بن عبد الملك ، الجند بحمص ، فمر به رجل حمصي ، على فرس نفور ، فقال له هشام : ما حملك على أن ترتبط فرساً نفوراً ؟ فقال الحمصي : لا والرحمن الرحيم ، يا أمير المؤمنين ، ما هو بنفور ، ولكنّه أبصر حولتك ، فحسبك غزوان البيطار ، وكان غزوان بيطاراً نصرانياً ببلاد حمص وكان يشبه هشام في حوله ، فقال له هشام : تنحّ ، عليك وعلى فرسك لعنة الله (الملح والنوادر ٢٩١ ومروج الذهب ٢/١٦٤) .

وحبق أبو النجم ، في ليلة حبقتين ، فخاف أن تكون آمرأته قد سمعته ، فقال : أسمعت شيئاً ؟

قالت : لا ، ما سمعت منهما شيئاً .

فقال : لعنك الله ، فمن أعلمك أنّهما آثنتان ؟ (اخبار الحمقى والمغفلين ١٦٨) .

وقال المأمون ، لمحمد بن العباس ، وهو التاجر الذي يتعامل بالغلّات : ما حال غلّتنا بالأهواز ؟

فقال : أمّا متاع أمير المؤمنين ، فقائم على سوقه ، وامّا متاع أمّ جعفر ، فمسترخ .

فقال له المأمون : أغرب لعنك الله. (اخبار الحمقى والمغفلين ١٦٩) .

قال أشعب لأمّه : رأيتك في النوم مطليّة بالعسل ، وأنا مطلّى بعذرة ، فقالت : **يا فاسق** ، هذا عملك الخبيث ألبسكه الله ، قال : إنّ في الرؤيا شيئاً آخر ، قالت : ما هو ؟ قال : رأيتني ألطعك ، وأنت تلطعيني ، قالت : **لعنك الله يا فاسق** (الاغاني ١٩/١٥٢) .

ودخل طبيب أحمق على مريض ، فشكا اليه علّته ، فقال له : خذ مثل رأس الفأرة كلنجبين ، وصبّ عليه مقدار محجمة ماء ، واضربه حتى يصير مثل المخاط ، واشربه ، فقال له العليل : **قم لعنك الله** ، فقد قذرت اليّ كلّ دواء في الأرض . (اخبار الحمقى ١٨٣) .

وتقدمت متيّم ، إلى قاضي البصرة عبيد الله بن الحسن العنبري ، فاحتاج الى أن يشهد عليها ، فأمرها فأسفرت ، فقال عبد الصمد بن المعذّل :

ولما سرت عنها القناع متيّمٌ　　تروّح منها العنبري متيّماً
فإن يصبُ قلب العنبريّ فقبله　　صبا باليتامى قلب يحيى بن أكثما

فبلغ ذلك يحيى بن اكثم ، فكتب إليه : **عليك لعنة الله** (الاغاني ١٣/٢٤٩) .

وأخذ رجل مع زنجيّة ، قد أعطاها نصف درهم ، فلما أتي به إلى الوالي ، أمر بتجريده ، وجعل يضربه ويقول : **يا عدوّ الله** ، تزني بزنجيّة ؟ فلما أكثر ، قال : أصلحك الله ، فبنصف درهم أيّ شيء كنت أجده ؟ فضحك وخلّاه (البصائر والذخائر ٣/١/٢٤٥) .

قال إسحاق الموصلي : كان لنا جار يعرف بأبي حفص ، وينبز باللوطي ، وكان يغضب من هذا اللقب ، فمرض جارٌ له ، فعاده ، وقال له : كيف تجدك ؟ أما تعرفني ؟ فقال له المريض بصوت ضعيف : بلى ، أنت أبو

حفص اللوطي ، فقال له : تجاوزت حدّ المعرفة ، **لا رفع الله جنبك** . (وفيات الأعيان ١/٢٠٤) .

وكتب ابن الكلبي ، صاحب الخبر ، الىأالمتوكّل : إنّ المعروف بابن المغربي القائد ، اجتاز البارحة بالجسر سكران ، فشخر ونخر ، وبربر وزمجر وجرجر ، وبأبأ بفيه ، وخرق الشريجة ، ومرّ منصلتاً ، وقال : أنا الكركدنّ فآعرفوني ، فضحك المتوكّل ، وقال : قد عرفنا ما كتب به البغيض إلاّ حرفاً واحداً ، فعليّ به ، فلما جاء قال له : ما معنى قولك : بأبأ بفيه ؟ قال : يا مولاي لما توسّط الجسر قال بفيه : بب بب ، فقال له المتوكل : **انصرف في غير حفظ الله** (الملح والنوادر ٩٩) .

وروى التنوخي ، مؤلف كتاب نشوار المحاضرة ، في القصة ٣/١٠١ قصّة معلم أولاد ، كان الصبيان إذا تشاتموا في مكتبه ، يدخل في التشاتم معهم ، ويقول لهم : **أخزى الله حرماتكم ، لا تتشاتموا يا بني البظر** .

وجاء زياد الأقطع ، يزور الفرزدق ، فخرجت بنيّة له تدعى مكّية ، فقال لها : ابنة من أنت ؟ قالت : آبنة الفرزدق ، قال : فما بالك حبشيّة ، قالت : فما بال يدك مقطوعة ؟ قال : قطعت في حرب الحرورية ، قالت : بل قطعت في اللصوصية ، فقال لها : **عليك وعلى أبيك لعنة الله** (شرح المقامات الحريرية ٢/٢٧٧) .

وكان القاضي أبو القاسم علي بن المحسّن التنوخي ، نائماً في وقت القيلولة ، فأزعجه اسكافيّ يصيح : شرّاك النعال ، فقال لأحد غلمانه : خذ جميع النعال في الدار ، وأخرجها الى الرجل ، ليشتغل بها لكي أنام ، ففعل ، وفي اليوم التالي في مثل ذلك الوقت ، جاء وأخذ يصيح : شرّاك النعال ، فإمر الغلام بإحضاره وقال له : **يا ماصّ بظر أمّه** ، أمس في هذا الوقت أصلحتَ كلّ نعل لنا ، فلماذا عدت اليوم تصيح على بابنا ، هل بلغك

أنّنا تصافعنا البارحة بالنعال وقطعناها ، وصاح بغلمانه : قفاه (يعني إنّه أمرهم بصفعه) ، فقال له : يا سيّدنا القاضي ، أتوب ، ولا أدخل هذا الدرب مرّة أخرى ، فقال : **اطلقوه الى لعنة الله** (معجم الأدباء ٥/ ٣٠٤ و٣٠٥) .

وقال ابو الفتح عثمان بن جني النحوي (ت ٣٩٢) لأبي الحسين القمّي الكاتب : **ويحك** يا أبا الحسين ، ما هذا القول ، ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي ؟ وخلاصة القصّة أنّ أبا الفتح النحوي ، زار أبا إسحاق الصابي في ديوان الإنشاء ، أيّام صمصام الدولة البويهي ، فرآه أبو الحسين القمّي ، الكاتب في الديوان ، فشخص إليه ببصره ، يتعجّب منه ، فقال له أبو الفتح : مالك يا أبا الحسين تحدّق إليّ النظر ، وتكثر التعجّب ؟ فقال : شيء ظريف يا سيّدي ، فقد شبّهت مولاي الشيخ ، وهو يلوي بوزه ، ويشير بيده عندما يتحدّث ، بقردٍ رأيته اليوم عند صعودي الى دار المملكة ، على شاطىء دجلة ، وكان في ليّ بوزه ، وحركة يده ، يفعل مثلما فعل مولاي الشيخ ، فامتعض أبو الفتح ، وقال له : **ويحك** يا أبا الحسين ، ما هذا القول ، ومتى رأيتني أمزح ، فتمزح معي ، أو أمجن ، فتمجن بي ؟ فقال له القمّي : المعذرة إلى الله تعالى ، وإلى مولاي الشيخ ، وقد صانه الله عن أن أشبّهه بالقرد ، وإنّما شبّهت القرد به ، فضحك أبو الفتح ، وقال : ما أحسن ما اعتذرت . (الهفوات النادرة ٣٠٨ و٣٠٩) .

ودخل أبو القاسم الشاعر المعروف بـآبن القطان البغدادي (ت ٥٥٨) على الوزير ابن هبيرة وعنده نقيب الأشراف ، وكان ينسب للبخل ، وكان شهر رمضان والحرّ شديد ، فقال له الوزير : أين كنت ؟ قال : في مطبخ سيّدي النقيب ، فقال له : **ويحك** ويحك أيش عملت في شهر رمضان في المطبخ ؟ فقال : وحياة مولانا ، كسرت الحرّ ، فضحك الحاضرون وخجل النقيب . (وفيات الأعيان ٦/ ٦٠) .

وجرى ذكر لوط عليه السلام ، في مجلس ، فقال أحد المتزهّدين

المغفّلين : عليه لعنة الله ، فقيل له : ويحك هذا نبي ، فقال : ما علمت (اخبار الحمقى ١٣٩) .

ووصفت ديباجة المدنيّة ، امرأة دخلت عليها ، فقالت : لعنها الله ، كأنّ بطنها قربة ، وثديها دبّة . (بلاغات النساء ١٠٣) .

كان أبو الطاهر الذهلي ، قاضي مصر للمطيع ، يلبس السواد ، ويضع على رأسه دنّية طويلة تزيد على الذراع ، فتحاكم إليه زوجان ، فبدر من المرأة في حقّ زوجها كلام ، فقال لها : اسكتي ، هذا القاضي أبو الطاهر ، متى زدت من هذا المعنى نزع الخفّ الذي على رأسه وقطّعه على دماغك ، فقال له أبو الطاهر : قم الى لعنة الله ، من أين لك أنّ هذا خفّ ؟ (اخبار القضاة ٥٨٥ ، ٥٨٦) .

وغضب دعبل على أبي نصر جعفر بن محمد بن الأشعث ، وكان دعبل مؤدّبه قديماً ، فقال يهجوه :

ما جعفر بن محمد بن الأشعث   عندي بخير أبوّة من عثعث

فلقيه عثعث ، فقال له : عليك لعنة الله ، أيش كان بيني وبينك حتى ضربت بي المثل في خسّة الآباء ؟ فقال له دعبل : اتّفاق اسمك في القافية (الاغاني ٢٠/١٤٧ و١٤٨) .

وشتم خياط ، فتاتين كانتا تتحدّثان في غرفة فوق دكّانه ، فقال : يا قحاب ، ثياب الناس في الدكان ، لا يَكِفْ علينا ، راجع تمام القصة في كتاب البصائر والذخائر (٢/٢/٧٠٥) .

وحدّث أبو العيناء ، قال : أراد أحد اصدقائي أن يخرج إلى أحد العمّال وأراد أن يصطحب وسيلة إليه ، وقيل له أنّ الجاحظ صديق العامل ، فقصدني وكلّفني أن أطالب الجاحظ بأنه يكتب للعامل كتاباً ، فصرت إلى

الجاحظ ، وحدّثته بالقصّة ، فكتب الكتاب وأعطانيه ، فقلت لـولدي : إنّ أبـا عثمان بعيد الغـور ، فينبغي أن نقرأ مـا كتب ، وفضضنا الكتـاب ، فإذا فيـه : كتـابي هذا ، مـع من لا أعرفـه ، وقـد كلمني فيـه من لا أوجب حقّـه ، فـإن قضيت حاجته لم أحمدك ، وإن رددته لم آذمّك ، فعدتُ إلى الجاحظ ، فلما رآني علم أنّي آطّلعت على مـا في كتابـه فقال : لا تعجب ممـا في الكتاب ، فإنّ هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني بـه ، فقلت له : إنّ صـديقي لما اطّلع على الكتاب ، قال : **أمّ الجـاحظ عشرة آلاف في عشـرة آلاف قحبة** ، فقلت له : لا تشتم صديقنا ، فقال : هذه علامتي فيمن أشكره (معجم الأدباء ٦١/٦ و٦٢) .

ونظر صبي في بئر ، فركض إلى أمّه ، وقال لها : يـا أمّاه في البئـر لصّ فجـاءت معـه وآطّلعت ، فقـالت : **إي والله ومعـه قحبــة** (اخبـار الحمقى ١٧٠) .

وقـرأ القارىء ، وسيفويـه على المنبـر : كأنّهنّ اليـاقـوت والمـرجـان ، فقال : هذه صفـات الحور العين ، **خـلاف نسائكم القحـاب** (اخبار الحمقى ١٣٢) .

وقرأ قارىء في مجلس سيفـويه القـاصّ : وقال نسـوة في المدينـة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبّـاً (سورة يـوسف ١٢ ـ ٣٠) ، فقال سيفويه : **أخذنا في حديث القحاب** . (البصائر والذخائر ٥٨/٤) .

وعن أبي علي الطائي : إنّ رجلاً قـرأ عند أحـد المتزهّـدين المغفّلين : وقال نسوة في المدينة امـرأة العزيـز تراود فتـاها عن نفسـه ، فقال : **دعنـا من آيات القحاب** (اخبار الحمقى ٣٦) .

ودخل شاعر من شعراء الهند ، على أمير المنصورة ، فمدحه ، فقال لـه الأمير : **تقدّم يـا زوج القحبة** ، فقـال : **وما زوج القحبـة أيّها لأميـر** ؟ قال :

هذا بلغة العرب كناية عمن له قدر جليل ، ومحلّ كبير ، ومال ، ودواب ، وجمال ، وغلمان ، وقدر ، ومنزلة ، قال : فأنت أيّها الأمير ، إذن ، **أكبر زوج قحبة في الدنيا** ، (الهفوات النادرة ٢٢٧) .

وقف سائل على باب دار ، فقال : يا أصحاب الدار الصالحين ، فقال صاحب الدار : اولئك بطرسوس (يريد أنّهم ذهبوا للمرابطة بالثغور) فقال السائل : يا طالبي ما عند الله ، فقال صاحب الدار : أولئك خرجوا إلى مكّة (يريد أنّهم ذهبوا للحجّ) فقال السائل : فمن أنتم **يا بني القحاب** ؟ (البصائر والذخائر ٤/٤٣) .

قال أحمد بن العلاء لمغنّ في المجلس : غنّ لي صوت كذا ، وبعده صوت كذا ، فقال له : **يا ابن الزانية** ، ما تقترح صوتاً الا بوليّ عهد (البصائر ٤/١٢٢) .

شكا الفضل بن إسحاق ، جاريته ، الى إبراهيم بن عبد الله الحرّاني ، فقال له ابراهيم : أرأيت وجهك في المرآة ؟ قال : نعم ، قال : أفرضيته لنفسك ؟ قال : لا ، قال : **يا عاضّ بظر أمّه** ، فكيف سمتها أن تحبّ ما لم تحبّه لنفسك (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٤٧٣) .

شيّع أبو العلاء المنقري ، جنازة أحمد بن يوسف الكاتب ، فظلّ يبكي ، وكان مكتحلاً ، فسال كحله على وجهه ، فنظرت إليه امرأة وقالت له : **سخنت عينك** ، كأنّك والله مطبخ يكف ، أيش هذه السماجة (البصائر والذخائر م ٣ ق ٢ ص ٦٤٧) .

وروي إنّ أبا الحسن البتّي (ت ٤٠٣) انحدر مرّة مع الرضي والمرتضى وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك ، فخرج عليهم اللّصوص ، ورموهم بالحذّافات ، وصاحوا بهم : ادخلوا ، **يا أزواج القحاب** ، فقال البتّي : ما خرج هؤلاء علينا إلاّ بعين ، قالوا : من أين

علمت ؟ قال : وإلّا فمن أين علموا أنّا أزواج قحاب (المنتظم ٧/٢٦٣) .

وفي السنة ٤٠٩ عرض سلطان الدولة على الرخجي ولاية العراق ، فأباها ، فولى أبا محمد الحسن بن سهلان ، فلما دخل بغداد أنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله ، من ذلك إنّ رجلاً من المستورين خرج في رمضان لحاجة له ، فرآهم على حالة عظيمة من شرب الخمر والفساد ، ولما أراد الرجوع إلى بيته ، تعلّقوا به ، وأدخلوه إلى دارٍ نزلوها ، وألزموه بشرب الخمر فامتنع ، فصبّوها في فيه قهراً ، ثم قالوا له : قم الى هذه المرأة فافعل بها ، وأشاروا الى قحبة كانت معهم ، فامتنع ، فألزموه ، وأدخلوه الى بيتٍ في الدار ، فأعطى المرأة دراهم ، وطلب منها أن تخرج إليهم وتخبرهم بأنّه قضى حاجته منها ، فقالت له : إنّ هذا شهر رمضان وأنا أصون نفسي عن الكذب فيه ، فقال لها : يا عاهرة ، تصونين لسانك عن الكذب ولا تصونين نفسك عن الزنا (ابن الأثير ٩/٣٠٧) .

وشتمت امرأة حمصيّ ، زوجها ، فقالت : يا مفلس ، يا كشخان ، فقال : إن كنت صادقة ، فواحدة من الله ، والأخرى منك . (البصائر والذخائر ٤/٢١٢) .

ومرّت امرأة منخرقة الخفّ ، برجل ، فأراد أن يهزأ بها ، فقال لها : يا امرأة ، خفّك يضحك ، فقالت : إنّه إذا رأى كشخاناً مثلك ، لم يملك نفسه ضحكاً . (بلاغات النساء ١٦٤) .

وقال جراب الدولة : كان عندنا بسجستان شيخ معلم سخيف ، اجتزت به يوماً ، وهو يقول لصبيّ بين يديه : اقرأ يا آبن الزانية (البصائر والذخائر ٤/٥٢) .

ومرجحا بقوم ، وفي كمّه خوخ ، فقال لهم : من أخبرني بما في كمّي ، فله أكبر خوخة فيه ، فقالوا : في كمّك خوخ ، فقال : ما قال لكم إلّا

من أمّه زانية (البصائر والذخائر ٤/ ١١٠) .

وقيل لابن سيّابة : ما نظنّك تعرف الله تعالى ، فقال : كيف لا أعرف من أجاعني وأعراني ، وأدخلني في حر آمّي (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٥٩) .

وشكا مزبّد ضيق حاله ، فقال له صاحبه : ويحك ، أحمد الله الذي رفع السماء بغير عمد ، فقال : ليته أصلح حالي ، وجعل على كلّ ذراع عدّة أعمدة (البصائر والذخائر ٢/٢/ ٣٩١) .

وقال رجل لسمّاك بالبصرة : بكم هذه السمكة ؟ قال : بدرهمان ، فضحك الرجل ، فقال السمّاك : ويلك ، أنت أحمق ، سمعت سيبويه يقول : ثمنها درهمان (معجم الأدباء ٦/ ٨٦) .

وسأل رجل الشعبي ، فقال له : ما تقول في رجل شتمني في أوّل يوم من رمضان ؟ فقال : إن قال لك يا أحمق ، رجوتُ أن يؤجر (الملح والنوادر ١٥٩) .

وقال الوليد بن يزيد لبديح المغنّي : يا بديح خذ بنا في الأماني ، فإني أغلبك فيها ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا أغلبك ، لأنّي فقير ، وأنت خليفة ، وإنّما يتمنّى المرء ما عسى أن يبلغ اليه ، وأنت قد بلغت الآمال ، فقال : لا تتمنّى شيئاً إلاّ تمنّيت ما هو أكثر منه ، قال : فإنّي أتمنّى كفلين من العذاب ، وأن يلعنني الله لعناً وبيلاً ، فقال : أغرب ، لعنك الله دون خلقه (الملح والنوادر ٤٦) .

أقبل رجل إلى يزيد بن أبي مسلم، فقال له: إنّي كنت رأيت الحجاج في المنام ، فقلت له : أخبرني ما فعل الله بك ؟ فقال : قتلني بكل قتيل قتلته قتلة ، ثم رأيته بعد الحول ، فقلت له : ما صنع الله بك ؟ فقال : يا عاضّ بظر أمّه ، سألتني عن هذا عام أوّل فأجبتك ، قال له يزيد بن أبي مسلم :

أشهد أنك رأيت أبا محمد حقاً (العقد الفريد ٥/ ٥٦) .

جاء رجل الى حاجب إبراهيم بن إسماعيل ، أمير المدينة ، فقال لـه : أدخلني عليه فإنّني قد مدحته ولك نصف ما يصلني منه ، فقـال له : أنشـدني مـا قلت فيه ، فقـال : لا أفعل ، فقـال : لا أدخلك ، قال : فـإني أنشـدك ، قال : هات ، قال : قلت :

كـاد الأمير على تكـرّمـه — أن لا يكـون لأمّـه بـظر

فقال الحاجب : **يا عاضّ بظر أمّه** ، كان يعطيك ستمائة سوط ، لي منها ثلاثمائة ، اذهب الى حرق الله وناره (المحاسن والمساوىء ٢/ ١٠١) .

وقال الجمّـاز : مات إنسان غمّاز ، فرآه جارٌ له في المنـام ، فقال لـه : ما فعل ربك بك ؟ فقال له : أنا هنا بخيـر بين يدي ملك أطـوف له ، وأسعى بين يديه في أموره ، وأردّ أخبار الكفّـار إليه ، قـال الجماز : **وإذا بـه العاضّ بظر أمّه** ، هناك أيضاً ، غمّاز . (البصائر والذخائر ٤/ ٥٦) .

وكان موسى الهادي ، وهو صغير ، ترتفـع شفته العليـا ، فوكّـل به أبـوه المهدي ، خادماً ، كان كلّما سها موسى عن نفسه ، صاح به : موسى إطبق ، فعرف موسى بذلك ، وكان يغضب اذا عيّره أحـد ، وقال لـه : موسى إطبق ، وأراد موسى مرّة ، أن يلهو بعليّان وبهلول ، وهما مجنونان ، فأحضرهما ، قال لعليّـان أيش معنى عليّـان ؟ فقـال لـه : وأيش معنى مـوسى إطبق ؟ فغضب موسى ، وصاح : **خذوا برجل ابن الفاعلة** ، فالتفت عليّان الى بهلول ، وقال له : كنّا اثنين فصرنا ثلاثة (الأذكياء ٢٠٦) .

وجمع مـزبّـد المدني ، في بيته بين متعاشقين ، فتعـاتبا سـاعة ، ثم ان العاشق مد يده إليها ، فقالت : دع هذا ، ليس هذا موضعه ، فسمعها مزبّد ، فقـال : يا زانيـة فأين مـوضعه؟ بين الـركن والمقـام؟ مـا بنيت هـذه الـدار إلاّ

للقحاب والقوّادين ، فأيّ موضع أحق بالزنا منها ؟ (فوات الوفيات ١٣٤/٤) .

وجاء سائل الى دار ، يسأل ، فأشرفت عليه امرأة من الغرفة ، فقال لها : يا أمة الله ، تصدقي عليّ بشيء ، قالت : أيش تريد ؟ قال : درهماً ، قالت : ليس ، قال : فدانقاً ، قالت : ليس ، قال : ففلساً : قالت : ليس ، قال : فكسرة ، قالت : ليس ، قال : فكفّاً من دقيق ، قالت : ليس ، قال : فقليل زيت ، قالت : ليس ، حتى عدّ كلّ شيء في البيوت ، وهي تقول : ليس ، فقال لها : يا زانية ، فما يجلسك ؟ مرّي تصدّقي معي . (المحاسن والمساوىء ٢/ ٢٢٠) .

ومرض رجل، فجاء أبو العبر يعوده وقد ثقل ، فصاحت امرأته : من لي بعدك يا سيّدي ؟ فغمزها أبو العبر ، وأومأ إليها : أنا لك بعده ، فلما مات الرجل ، وآنقضت عدّتها ، تزوّجها أبو العبر ، فأقامت عنده حيناً ، ثم مرض أبو العبر ، فجاء عوّاده ، فصاحت : من لي بعدك يا سيّدي ؟ ففتح عينيه ، وصاح : **لا يغمزها إلاّ من أمّه زانية** . (الملح والنوادر ١٨٦) .

وذكر أنّ يحيى بن عبد الله بن خالد بن أميّة ، مدّ يده إلى رغيف على خوانه ، وقوم يأكلون عنده ، فقال : يزعمون أنّ خبزي صغير ، **فمن هذا الزاني ابن الزانية** ، الذي يستطيع أن يأكل أكثر من نصف رغيف منه ؟ (العقد الفريد ١٨١/٦) .

واقيم عرس في دار بعض جيران أشعب ، فتجوّع ، ولزم منزله ، طمعاً في أن يدعى ، فلما تعالى النهار ، وجاع ، ولم يدع ، قال : قبّح الله هذا الجار ، وقام إلى طعام له ، فقدّمه ، وجعل يأكل ، واذا بالباب يطرق ، فقال : من هذا ؟ قال : من دار العروس ، فقال : إصبر فديتك ، ودخل الخلاء ، فقذف جميع ما كان أكله ، وغسل فمه ، وخرج اليه ، فقال : تقول

لك مولاتي ، أعيرونا الهاون ساعة ، فصاح به أشعب : مرّ ، أمّك وأمّ مولاتك زانية . (المحاسن والمساوىء ٢ / ٢٣٠) .

وعن بشر بن عبد الوهاب ، قال : كان يجلس الى عمود في جامع دمشق ، رجل جميل الهيأة ، فرأيته يوماً ، وقد سجد ، وهو يقول في سجوده : سجد لك خضرتي وحمرتي وصفرتي وبياضي وسوادي ، خاشعاً ، ضارعاً خاضعاً ، ماصّاً لبظر أمّه ، ومن أنا عندك الزاني ابن الزانية ، حتى لا تغفر له . (اخبار الحمقى ١٣٨) .

وقرأ إمام في الصلاة : القارعة ، فلما بلغ قوله : أمّا من خفّت موازينه ، فأمه هاوية ، قال : فأمه زانية ، فقطع القوم صلاتهم ، وأنكروا عليه ذلك ، فقال : يا قوم ، لِمَ تمنعوني أن أشتم الكفّار (تحفة المجالس ٣٥٨) .

وكان زريق الفزاري ، يمرّ بالليل وهو شارب (سكران) ، فيشتم أهل المجلس فلما أن كان بالغداة ، عاتبوه ، فقال : نعم ، زنيّت أمّهاتكم ، فماذا عليكم ؟ (البيان والتبيين ٢ /١٨٦) .

وكان أبو سالم القاصّ ، يقصّ على المنبر ، فقال : يا ابن آدم ، يا ابن الزانية ، أما تستحي من الملك الجليل ، حتى تقدم على العمل القبيح ؟ (اخبار الحمقى ١٣٣) .

وكان حجّاج الصوّاف الأعور ، صديقاً لابن مناذر ، فلما نزح ابن مناذر إلى الحجاز ، خرج حجّاج إلى مكة ، فوجد ابن مناذر بفناء زمزم ، فتغافل ابن مناذر عنه ، ثم أقبل عليه ، وقال له : من أي البلاد أنت ؟ قال : من البصرة ، قال ؛ اتعرف ابن زانية هناك اسمه : حجّاج الصواف ؟ قال : نعم ، تركته ينيك أمّ ابن زانية اسمه ابن مناذر ، فضحك ، وقام اليه فعانقه . (الاغاني ١٨/ ١٩٤) .

وتناظر أبو الحسين الناشىء ، وبعض المجبرة ، فحرّك المجبر يده ،

وقال للناشيء : هذه من حركها ؟ قال : **حركها من أمّه زانية** ، فغضب الرجل ، فقال له الناشيء : ناقضتَ ، فإذا كان المحرّك غيرك ، فلم تغضب ؟ (معجم الأدباء ٥/٢٣٨) .

واجتاز القاضي أبو القاسم على بن المحسّن التنوخي ، في بعض الدروب ، فسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر ابنتك ؟ فقالت : رزقتها يوم شهر القاضي التنوخي وضرب بالسياط ، فرفع رأسه إليها ، وقال لها : يا بظراء ، صار صفعي تاريخك ، ما وجدت تاريخاً غيره (معجم الأدباء ٥/٣٠٣) .

وسأل أعرابي شيخاً من بني مروان ، وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابتنا سنة ، ولي بضع عشرة بنتاً .

فقال له الشيخ : اما السنة ، فوددت ـ والله ـ لو أنّ بينكم ، وبين السماء صفائح من حديد ، ويكون مسيلها مما يلي البحر ، فلا تقطر عليكم قطرة ، وأمّا البنات فليت الله أضعفهنّ لك أضعافاً كثيرة ، وجعلك بينهنّ ، مقطوع اليدين والرجلين ، ليس لهنّ كاسب غيرك .

قال : فنظر إليه الاعرابي ، ثم قال : والله ، ما أدري ما أقول لك ، ولكنّي أراك قبيح المنظر ، سيء الخلق ، **فأعظّك الله ببظور أمّهات هؤلاء الجلوس حولك** . (العقد الفريد ٣/٤٣٧ و٤/٥١) .

وحكم على أشعب الطامع ، بأن تحلق لحيته ، وجيء بالحجّام ، فقال له : أنفخ شدقيك حتى أتمكّن من حلق لحيتك ، فقال له : **يا ابن البظراء** ، أمروك أن تحلق لحيتي ، أو أن تعلّمني الزمر ؟ (الاغاني ١٩/١٧٥) .

وتزوج أعمى ، امرأة قبيحة ، فقالت له : رزقت أحسن الناس ، وأنت لا تدري ، فقال لها : **يا بظراء ، لو كنتِ كذلك ، ما** تركك المبصرون (البصائر والذخائر ٢/١/٢٤٥) .

وكان جبلة بن عبد الرحمان ، والي كرمان ، يخرج الى طباخه الرقاع ، يستدعي بها الطعام ، وفيها الألفاظ الغريبة الحوشيّة ، فلا يفهم الطباخ ما فيها ، حتى يمضي بها إلى ابن أبي إسحاق ، ويحيى بن يعمر ، وغيرهما ، يفسّرون ما فيها من الألفاظ ، فإذا عرف الطباخ ما فيها ، أتاه بما استدعاه ، فقال جبلة يوماً لطبّاخه : **ويحك** أنا أصوم معك ، فقال له الطباخ : سهّل كلامك ، حتى يسهل طعامك ، فقال له : **يا ابن اللخناء** ، أأدع عربيّتي لعيّك ؟ (وفيات الأعيان ٧/٢٤٧) .

وقف سائل على باب ، فقال : يا أهل الدار ، فبادر صاحب الدار ، قبل أن يتمّ السائل كلامه ، فقال : صنع الله لك ، فقال السائل : **يا ابن اللخناء** ، كنت تسمع كلامي ، عسى جئت أدعوك إلى وليمة . (البصائر والذخائر ٤/٤٢) .

ودخل اعرابي الحمّام ، فضرط ، فقال نبطيّ كان في الحمّام : جبحان الله ، فقال له الأعرابي : **يا ابن اللخناء** ، ضرطتي أفصح من تسبيحك . (العقد الفريد ٦/٤٤٥) .

وشتم جحا يوماً أمّه ، فقال له أبوه : **يا ملعون** ، هذا جزاؤها منك ؟ قال : وأيش عملت لي ؟ قال : حملتك في بطنها تسعة أشهر ، وأرضعتك وربّتك ، قال : قل لها تدخل في آستي ، وأحملها تسعة عشر شهراً (البصائر والذخائر ٤/١١١) .

أخذ الحلّاق من شعر أبي الخيثم ، فلما فرغ ، دعا بمرآة ، فنظر فيها ، وقال للحلّاق : أمّا شعر رأسي فقد جوّدت أخذه ، ولكنّك ، والله ، **يا ابن الخبيثة** سلحت على شاربي ، ووضع يده عليه (اخبار الحمقى ٩٣) .

وقال عبد الصمد بن علي العباسي ، للدارمي المغنّي : **يا عاضّ بظر أمّه** .

قال مصعب الزبيري : شربنا يوماً عند عبد الصمد بن علي ، عم المنصور ، وكان يغنّينا الدارمي المكّي ، وكان حلواً ظريفاً ، فنعس عبد الصمد ، وأغفى ، فعطس الدارمي عطسة هائلة ، فوثب عبد الصمد مرعوباً ، وغضب غضباً شديداً ، وقال له : **يا عاضّ بظر أمّه** ، إنّما أردت أن تفزّعني ، قال : لا والله ، ولكن هكذا عطاسي ، قال : والله لأنقعنّك في دمك ، أو تأتيني ببيّنة على ذلك ، قال : فخرج ومعه حرسيّ ، لا يدري أين يذهب ، فلقي آبن الريّان المكّي ، فسأله عن أمره ، فأخبره ، فقال : أنا أشهد لك ، ومضى معه حتى دخل على عبد الصمد فقال له : بم تشهد ؟ فقال : رأيته عطس عطسة آنخلع منها ضرسه وتطاير نصف لحيته ، فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله (الأغاني ٣/٤٨ وقطب السرور ٢٢ و٢٣) .

وشتم الشيخ سعود المجذوب ، الوزير العالم جودت باشا ، فقال له : **يا حمار** .

وقف المجذوب المشهور ، الشيخ سعود ، صاحب النوادر ، على جودت باشا ، الوزير ، العالم المشهور (١٢٣٨ ـ ١٣١٢) ، وقال له : يقول الناس إنّك باشا ، وإنّك عالم ، وأنا أسألك سؤالاً ، لأرى من جوابك ، هل أنّك عالم أم لا ، فقال له : سل ، فقال له : ما هو بسمار (مسمار) الوجود ؟ فقال له : لا أدري ، فقال له : ضع في كفّي ليرة ذهب ، لأقول لك ما هو ، فأخرج جودت باشا ليرة ذهبية ووضعها في كفّه ، فقال له ، وهو يشير الى الليرة : هذا هو البسمار ، **يا حمار** ، فضحك الناس ، ومضى في سبيله (اعلام النبلاء ٣/ ٤٥٨) .

وذكروا إنّ شخصاً من أهالي قزلرباط ، وهي ناحية من نواحي قضاء خانقين ، سافر في العهد العثماني الى بغداد : وكانت أسباب الراحة في ذلك العهد غير متوفرة للمسافرين ، بحيث يصيب المسافر جهد وعناء ، ممّا كان يسمى : بوعثاء السفر ، ولذلك فقد كان عدد المسافرين قليلاً . ولما عاد القزلرباطي من بغداد ، أخذ يحدّث أهل بلده عن بغداد ، وسعتها ، وكثرة

سكّانها ، وما شاهده فيها ، فكان يثير تعجّب رفاقه من أهـالي البلد بحديثـه ، فانبرى أحدهم ، وسأله : قل لي بالله عليك ، هل أنّ سكان بغـداد من الكثرة بحيث يبلغ عددهم ضعف عدد أهـالي قزلـرباط ؟ فجـابه قـائلا : كيف تقـول هـذا ؟ إنّ القوّادين في بغـداد يبلغ عددهم أكثـر من أهالي قـزلربـاط ، فكيف ببقية السكّان ؟ (طرائف ٦٤) .

وحدّثني زيدان خليفة رحمه الله ، قال : كنت رئيس عمّال في المـطبعة التي تطبع فيها جريـدة (حبزبوز)، وجريـدة (أبو حمـد) وجريـدة (الكرخ) وكنت مـطلعاً على مجـالس المرحـوم الملاّ عبـود الكـرخي ، وأولاده ، وعبـد القـادر المميّـز ، المشهـور بـاسم (قـدّو) ، ونـوري ثـابت المشهـور بـاسم (حبزبوز) ، وكـان عبد القـادر المميّز أغنى الجمـاعة ، فقـد كان متـولّياً على وقف المميّز ، كما كان له راتب تقاعديّ من الحكومة ، ولذلك فقـد كان أولاد الملا عبود ينـادونه بلقب (بـك) وعرف بهـذا اللقب ، بحيث إذا قيل : جـاء البك ، عرف أنّه عبد القادر ، ولو لم يذكر آسمه ، وحصلت ذات يوم منـازعة بين عبد القادر المميّز ، وأحد أولاد المـلاّ عبود الكـرخي ، وتماسكـا ، فهجم بقيّة الكرخيّين على عبد القادر وهم يصيحون به : هدّه (أطلقه) بيك كوّاد .

وكانت ريمة أمّ عـظام ، أشهر قـوّادة ببغداد ، قبـل ستّين سنة ، وكـانت دورها في محلّة الذهب ، في جانب الكرخ ببغداد ، وجاءها ذات يوم أعـرابيّ ورد من آهله خارج بغداد ، وطرق بابها ، وهو لا يعرفها ، يريد عملاً، فأطعمته، وكستـه ، وأجلسته في دهليـز الـدار ، وطلبت منـه أن يفتـح البـاب اذا طـرقـه طـارق ، وأن يغلقه وراء من يبـارح الدار ، وقـام الأعرابيّ بمهمّته ، وأتقنها ، وتحسّنت صحّته ، وسمن من طعام ريمة ، ومن الهبات التي كـان يتلقّاهـا من المـراجعين ، وأحسّ بالنعمـة المتصلة ، وانزعـج منه أحـد المراجعين ، ذات يـوم ، فصاح بـه : اسكت يا قـوّاد ، فهاج الأعـرابيّ ، وجنّ جنونـه ، وهجم على المراجع ، يريد قتله ، وعندما حيل بينهما ، عاود الهجوم ، وهو يقول :

لن ينجو منّي ، يقول عنّي أنّي قوّاد ، لا بدّ أن أقتله ، وضحك الحاضـرون ، وقـالـوا لـه : لمـاذا غضبت من هـذه التسميـة ، ألست أنت الآن قـوّاداً ؟ ، فبهت ، وقـال : هل أنّ مـا أقوم بـه من عمل سهـل ، بـأجـر وافـر ، وطعـام فاخر ، هو القيادة ؟ قالوا : نعم ، قـال : إذن لا بدّ أن أسـافر غـداً ، وأحضر جميع أفراد عشيرتي لأشغلهم قوّادين . (طرائف ٩٤٤) .

وكان عبد العزيز الخيّاط ، الحاكم في محكمـة الجزاء ببغـداد ، شديـد الحدّة ، صارماً في الحكم ، ولكنّه كان عفيفاً عن الأموال والفروج .

وجيء له ذات يوم بشاهد ، فسـأله عن صنـاعته ، فقـال : إنّه صـاحب مقهى في الكلّجية (دار القحاب) . فالتفت الحاكم إلى كاتب الضبط ، وقال له : سجّل أنّ صناعته قوّاد . فتظاهر الشاهد بالإنزعاج ، وقـال له : يـا سيّدي الحـاكم ، أنا صـاحب عمـل شـريف ، أنـا صـاحب مقهى هنـاك ، فقـال لـه الحاكم : صاحب مقهى في الكلّجيـة ، وتغضب أن قيّدنـاك قوّاداً ، ثم التفت الى كاتب الضبط ، وقال : **سجّله قواد ابن قواد** (طرائف ٤٣٧) .

وعنـدما عـرضت معاهـدة شطّ العرب ، على مجلس النّـواب العراقي ، في السنـة ١٩٣٧ كنت إذ ذاك حاكمـاً في منطقـة الكرادة الشـرقية ، وكنت في كلّ يوم أتلقّى درساً في اللغة الانكليـزية عصـراً ، وبعد انتهـاء الدرس ، أزور المرحوم صادق البصام ، في داره حيث ينعقد مجلسه في كلّ مساء ، وفي يوم عرض المعاهدة على مجلس النّواب ، وجدت المرحوم صادق البصام في أشدّ حالات الغيظ ، ينتقد الحكومة بألفاظ من نـار ، ويتّهمها بـالتفريط في حقـوق العراق ، ويقول إنّ هـذه المعاهـدة أضاعت حقـوق العراق في شطّ العـرب ، وفي خـلال الحديث ، دخـل إلينا المـرحوم عبّـود الملاك ، وكـان عضـواً في مجلس النّواب ، فبادره المرحوم صادق البصام ، وسأله قائلاً : هـا أبو علي ، مـاذا تمّ في أمر المعـاهدة ؟ فـأجابـه قائـلاً : صدّقوها الكواويـد ، فقال لـه : وأنت ؟ فأجابه : آني هم ويّاهم .



الباب الثاني

ما يشبه الشتيمة

أريد بما يشبه الشتيمة ، التصرّفات التي تدل على الشتم ، وإن لم يكن السب باللسان فيها بيّناً ، وهي تصرفات يراد بها الشتم والاهانة ، وتقوم مقام الشتم ، وقد تزيد عليه .

وقد قسمت هذا الباب الى تسعة فصول :

الفصل الأول : **العفطة** ، أي اصدار صوت بين الشفتين ، يشبه الضرطة .

الفصل الثاني : **الاشارة** ، أو التعريض ، أو أيّ تصرّف يراد به الاهانة ويقوم مقام الشتيمة .

الفصل الثالث : **التفل** ، اي البصق على المشتوم .

الفصل الرابع : **عرك الاذن** .

الفصل الخامس : **السحب** .

الفصل السادس : **الحصب** .

الفصل السابع : **الحذف بما في اليد** .

الفصل الثامن : **الالجام** .

الفصل التاسع : **التغطيس في مستودعات القذر** .



الفصل الأول

العفطة

العفطة : فصيحة ، إسم للصوت الخارج من بين الشفتين ، مشابهاً للضرطة ، فإذا علا الصوت ، فهو عند البغداديين : فص ، فإن اشتدّ ، فهو : زيك ، بالكاف الفارسية ، ويقال للفاعل : عفّاط ، وزيّاك ، ولا يقال فصّاص .

والعفطة عند البغداديين ، لون من ألوان الشتم .

وكان أبو جعفر المنصور ، قد حصر يزيد بن عمر بن هبيرة ، أمير العراقين للأمويّين بمدينة واسط ، وآستنزله بالأمان ، فنزل على أمانه ، هو وقوّاده وجميع من معه ، ثم غدر بهم المنصور فقتل يزيد في داره ، وأحضر قوّاد يزيد عنده ، فأمر بنزع سيوفهم ، فجعل أحدهم ابن نباتة ، يضرط في لحية نفسه (يعفط) فقال له حوثرة ، أحد القوّاد ، وكان أميراً على مصر لمروان ، ثم شارك في محاربة العباسيّين بواسط : إنّ هذا لا يغني عنك شيئاً ، فقال : كأنّي كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا جميعاً (الطبري ٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥٧) .

ولما خرج عبد الله بن علي العباسي ، على ابن أخيه المنصور ، مطالباً بالخلافة ، وخسر المعركة فرّ إلى البصرة ، والتجأ إلى أخويه سليمان وعيسى ، فطالبهما المنصور بإحضاره ، وأعطاهما أماناً عامّاً لعبد الله ومن اشترك معه في حركته ، فقدما على المنصور ، ومعهما عبد الله وقوّاده ، فغدر

المنصـور بهم ، واعتقلهم ، وكان أحـد القوّاد خفـاف بن منصور ، قـد حـذّر أصحابه غدر المنصور ، فلم يسمعوا ، فلما رأى دلائل الغدر ، قال لأصحابـه أطيعوني ، وشدّوا شدّة واحدة على أبي جعفر ، فلا يحول بيننا وبينـه حائـل ، حتى نـأتي على نفسه ونشـدّ على هذه الأبـواب مصلتين سيوفنـا ، حتى نخرج وننجو بأنفسنا ، فعصوه ، فلما أخذت منهم سيوفهم ، جعل خفاف يضرط في لحية نفسه (**يعفط**) ويتفل في وجوه أصحابه (الطبري ٧/٥٠١ و٥٠٢) .

وذكر أبو الحسن بن المهندس ، إنّه كان يتقلّد الضريبـة بواسط ، فقـدم عليه ملّاح بغدادي ، يقال له : ابن شبيب ، فلما تبيّن أنّ ضريبته ثمـانية آلاف درهم ، ضـرط له من فمـه (عفط) ، وقال لـه تأخـذ منّي بميزان قـرع وصنج بعر ، أنظر تفصيل القصة في كتاب نشوار المحـاضرة للقـاضي التنوخي ، رقم القصة ٨/٧٠ ج ١ ص ١٦٠ـ ١٦٣ .

ولما مدح أبو بكر محمـد بن الروح الشلبي ، الأميـر إبراهيم بن يـوسف بن تاشفين بقصيدته التي منهـا :

أنا شاعـر الدنيـا وأنت أميرهـا   فمالي لا يسري إليّ سـرورها

أشار الأمير إلى مضحك له كان حاضراً ، أن يحبق له (يعفط) ، لقـوله (أنا شاعر الدنيا) ، فحبق .

فقال له ابن الروح : على من حبقت ؟ يعني أنه يحتمـل أن يكون ذلـك الفعل ، لقوله (أنا شاعر الدنيا) ، أو لقوله (أنت أميرها) .

ففـطن الأمير لمـا قصـده ، وضحـك ، وتغـافـل (نفـح الـطيب ٤/٧٢ و٧٣) .

ومرّ أبو جعفـر بن سعيد ، ليلة ، بـطريانـة ، مقابلة إشبيليـة ، وكان في زورق يحفّ به أصحابه ، فأخرج أحد الأنـذال رأسه من شرجـب ، وضرط لـه

(عفط) بغاية ما قدر ، ثم ثنّى عليه بواحدة أخرى ، راجع بقيّة القصّة في كتاب نفح الطيب (١٩٢/٤) .

وروى القاضي التنوخي ، أنّه حضر مجلس قاضٍ ، فتقدّم إليه رجلان ، وادّعى أحدهما على الآخر شيئاً ، فقال للمدعى عليه : ما تقول ؟ فضرط بفمه (عفط) .

فقال المدعي : يسخر بك أيّها القاضي .

فقال القاضي : إصفع يا غلام .

فقال الغلام : من أصفع ، الذي سخر منك ، أم الذي ضرط عليك ؟

فقال : بل دعهما ، وآصفع نفسك (الكنايات للجرجاني ٤٧) .

وروى الأمير الفارس اسامة بن مرشد الكناني (٤٨٨ - ٥٨٤) ، في كتابه الاعتبار ، قصّتين عن شخصين ، استعملا (العفطة) ، تعبيراً عن الإستهانة ، الأولى صدرت عن فتى تركي ، والأخرى صدرت عن جنديّ صليبيّ .

روى الأولى عن المؤيّد البغدادي الشاعر ، فقد ذكر إنّ أباه ، أقطعه الخليفة ضيعة ، وكان فيها جماعة من العيّارين يقطعون الطريق ، فجاء غلام تركي على حصانه ، ومعه بغل رحل عليه خرج ، وجارية راكبة فوق الخرج ، فنزل التركي ، وأنزل الجارية ، وقال : يا فتيان ساعدوني على حطّ الخرج ، فتقدّم بعض العيّارين ، وأعانوه ، فإذا بالخرج دنانير وذهب مصاغ ، وبعد أن أكل التركي والجارية ، استعان بالعيّارين على إعادة الخرج على ظهر البغل ، فأعانوه ، وسأل من صاحب الضيعة عن الطريق ، فقال له : في الطريق ستّون عيّاراً أخاف عليك منهم ، فضرط له التركي (عفط) ، وقال له : أنا أخاف من العيّارين ؟ وعارضه العيّارون في الطريق ، فأخرج قوسه ، فانقطع وتره ، ففرّ عنهم ، فأخذوا البغل والجارية والخرج ، فقالت لهم الجارية : يا شباب

بالله ، لا تهتكوني ، وبيعوني نفسي والبغل ، بعقد جوهر مع التركي ، قيمته خمسمائة دينار ، وخذوا الخرج بما فيه ، فدفعهم الطمع الى القبول ، فلما دنت الجارية من التركي ، قالت له : قد آشتريت نفسي ، والبغل ، بالعقد الذي في ساق موزك (الجزمة) فادفعه اليّ ، فتذكّر التركي إنّه قد حفظ هناك وتراً لقوسه ، وقد نسيه من الدهش ، فأخرجه ، وشدّه في القوس ، ورجع على العيّارين ، فقتل منهم ثلاثة وأربعين رجلاً ، وآستنقذ منهم الجارية والخرج والبغل (الاعتبار ٧١ ـ ٧٣) .

أما القصّة الثانية ، فقد ذكر الأمير أنّه شاهدها بنفسه، وهي إنّه في السنة ٥٠٩ نزل جيش المسلمين على كفرطاب ، وكانت في يد الإفرنج ، واستولى المسلمون عليها ، وجمع القائد المنتصر ، الجنود الإفرنج الأسرى ، ليقطعوا على نفوسهم فداءً ، يتخلّصون به من الأسر ، فوقف أحدهم ، وقال : كم تأخذون منّي ؟ فقالوا : نريد ستمائة دينار ، فضرط لهم (عفط) ، وقال : أنا ديواني في كلّ شهر دينارين ، من أين لي ستمائة دينار ؟ (الاعتبار ٧٥) .

وفي السنة ٥٤٨ وقعت معركة عظيمة ، بين السلطان سنجر ، والاتراك الغزّ ، فانكسر السلطان سنجر ، وأسر ، وقتل أمراؤه وعدد عظيم من عسكره ، فاجتمع أمراء الغزّ ، وقبّلوا الأرض بين يدي السلطان ، وقالوا له : نحن عبيدك ولا نخرج عن طاعتك ، وقد علمنا أنّك لم ترد قتالنا ، وإنّما حملت عليه ، وأخذوه إلى مرو ، وهي كرسي ملك خراسان ، وطلبها منه أحد أمراء الغزّ ، إقطاعاً ، فقال السلطان : هذه دار الملك ، ولا يجوز أن تكون إقطاعاً لأحد ، فضحكوا منه ، وحبق له بختيار الذي طلب الإقطاع ، بفمه (عفط له) ، فلما رأى سنجر ذلك ، نزل عن سرير الملك ، ودخل خانكاه مرو ، وتاب عن الملك . (ابن الأثير ١١/١٧٦ و١٧٧) .

ويروى أنّ عشيرة من العشائر ، في العهد العثماني ، توفّي شيخها ،

وخلفتـه امرأتـه ، وتأخّـرت في أداء بقايـا رسـوم أميـريـة ، فبعث إليهـا مـديـر الناحية ، عريفاً صحبة بعض الجنود لمطالبتها بالبقايا ، فلما طالبها (عفطت) له ، فعاد غاضباً ، وقـدّم تقريـراً للمديـر ، قال فيـه : لما ركبنـا على فلانـة ، وطـالبنـا بـالبقـايـا ، رفعت ثـوبهـا إلى أعلى بـطنهـا ، وقـالت طيط ، قشمـرة للداعي .

طيط : يعني عفطت ، والقشمرة : عاميّة بمعنى السخريّة .

أقول : ادرجت في مقدمة هذا الفصل أنَّ البغداديين يسمّـون العفطة إذا علا صوتها : فصّاً ، فإن اشتدّ فهي : زيك ، وقد أدرجت في كتابي « موسوعة الكنـايات العـامية البغـداديـة » بحثـاً عن الـزيـك ، أدرج قسمـاً منـه في هـذا الفصل :

والزيك له عند ظرفاء البغداديين حرمة واعتبار ، وهم يعتبرونه أسلوباً من أساليب التعبير ، إذا جاء في موضعه كان أبلغ من الكلام الفصيح .

ويروى أن المرحوم السيد محمـد سعيد مصـطفى الخليل ، عميـد اسرة آل مصطفى الخليل ، وهو فقيه علوي ، مليح الشيبة ، يعتم بعمامة خضـراء ، كان معروفاً بأنه (زيّاك) ممتاز ، وأنه كان يرسـل الزيـك في موضعـه ، فيغني عن كلمـة فاصلة ، ويبـالغ البعض فيقـول : أنـه كـان إذا (ضـرب) شخصـاً بزيك ، فإن ذلك الشخص لا بدّ وأن يقع أرضاً ، وذكروا أن فتى من الكرخ ، قدم من الاستانة إلى بغداد ، وهو برتبة مقدم أركان حرب ، وهي رتبة عظيمـة القـدر ، لقلة من ينالهـا من الضباط العـرب ، في ذلـك الحين ، وكـان الفتى مزهواً برتبته وثيابه العسكرية ، فكـان يخرج من داره مـاشياً ، ووراءه مراسله ، ويعبر الجسر ذاهباً إلى محل عمله في القلعة ، ثم يعود فيعبر الجسر عائداً إلى داره ، وحدث ذات يوم أن كان الفتى يمشي على الجسر منتفخ الأوداج ، كأنه الديك الهراتي ، وإذا بزيك قوي يرن في أذنه فالتفت فلم يجد أحداً غير شيخ

بهي الطلعة ، أبيض اللحية ، يعتم بعمامة خضراء ، له منظر يبعث على الاحترام ، يسير خلفه ، وكان هذا الشيخ السيد محمد سعيد مصطفى الخليل رحمه الله ، فأدار رأسه ، وعاد إلى سيره ، وإذا بزيك آخر يرنّ في أذنه ، وعاد إلى التلفت ، فلم يجد غير الشيخ سائراً وراءه ، ولا يدري ناقل الحكاية ، ما إذا كان الفتى الضابط قد عرف ان الزيك كان من الشيخ ، أم لم يعرف ، ولكن الثابت أن الفتى انقطع منذ ذلك اليوم عن عبور الجسر ماشياً على قدميه ، واستأجر قارباً يعبر به النهر ، فيوصله إلى محل عمله في القلعة .

ومن لطيف ما يؤثر عن المرحوم عبد المجيد الشاوي ، عميد اسرة آل الشاوي ، وكان أميراً من امراء الفضل والفكاهة والأدب الرفيع ، أنه كان قد اتخذ في مجلسه ببغداد ، ببغاء ، قد دربت على أنها إذا سمعت صرخة ، أو صوتاً عالياً ، نفضت صاحب الصوت بزيك قوي ، وحدث ذات يوم أن حضر في مجلس الشاوي ، رجل يلقبه الناس ببطل الفتنة ، وكان سليط اللسان ، ومن عادته أن يرفع صوته عالياً إذا تحدّث فما ان بدأ حديثه ، حتى قاطعته الببغاء بزيك حاد قطع عليه كلامه ، فسكت مغتاظاً ، ثم عاود الحديث بعد دقائق ، فما إن رفع صوته ، حتى فاجأته الببغاء بزيك حادٍ آخر ، فاشتد غيظه ، فاعتذر إليه المرحوم الشاوي ، وقال له : ان هذه الببغاء قد حيرتني ، فإنها منذ سنين ، وهي تسمع أذان المؤذن في الجامع وهو بجوارنا ، فلم تتعلم منه شيئاً ولكن السيد محمد سعيد ، اقترب من قفصها ، وعفط أمامها ثلاث مرات ، فتعلمت منه العفاط ، وأصبحت تكرره في كل مناسبة .

وحدثني الاستاذ عبد الرزاق الظاهر ، عن حفلة حضرها ، ختمت بزيكين بغداديين من النوع الممتاز ، وكانت الحفلة من أجل تمثيل رواية ، لعلها كانت عن مقتل يوليوس قيصر ، قال : كان خالص ، رأس فرقة التمثيل ، فتى بغدادياً مدللاً ، وكان يملك بقية من مال انفقها على التمثيل والممثلين ، حتى صار يمشي « على الرنك » (كناية بغدادية عن الاملاق)

وأعلنت فرقة خالص عن رواية تمثلها ، فاشتريت بطاقة ، وحضرت في الموعد ، فتأخر رفع الستارة عن موعده ، فضج الحاضرون وصفقوا واحدثوا جلبة ، ثم رفعت الستارة ، وإذا بخالص وجماعته من الممثلين في ملابسهم الاعتيادية ، مع ان الرواية تقتضي أن يلبسوا ملابس رجال الرومان ، ومما زاد في الطين بلّة ، ان الممثلين لم يحفظ احد منهم دوره ، ولم يكن لديهم ملقّن ، وقد حملوا نسخة واحدة من الرواية ، يتناولها الواحد منهم ، فيقرأ فيها دوره ، ثم يسلم النسخة إلى صاحبه ليقرأ الدور الخاص به ، فكان الوضع من جميع جهاته مثاراً للهزء والسخرية ، كما كان باعثاً على الاشمئزاز ، وهاج المتفرجون ، وصاحوا ، وضجوا ، فاسدلت الستارة ، وخرج السيد خالص ، رأس الممثلين ، يخطب في المتفرجين ، ووقف على المسرح ، وصاح : اخواني ، فأجابه احد الحاضرين بزيك عنيف اسكته ، ثم عاد بعد هنيهة ، فصرخ قائلاً : أخواني ، فأجابه أحد الحاضرين بزيك أعلى من الأول وأطول مدى ، فاغتاظ خالص ، وصاح بهم : أما سرسرية ، فهاج الحاضرون ، وصاحوا ، ففرّ إلى ما وراء الستارة ، ثم تبين من بعد ذلك أن الممثلين وعلى رأسهم خالص ، كانوا قد لاذوا بالفرار ، وانتهت الحفلة .



الفصل الثاني

الشتم بالاشارة أو التعريض

والشتم بالاشارة ، يتمّ بكلّ لون من ألوان الإشارة أو التعريض كما حصل من المرأة التي عيّرت الأحنف ، لما قعد عن الحرب ، إذ أشارت إليه بإصبعها الإبهام ، وقالت له : اجلس على هذا ، يعني أنّه امرأة ، وهذه الاشارة ، مستعملة الى الآن ببغداد ، ولكن بالاصبع الوسطى ، لا بالإبهام .

ومثل ذلك ما صنعه عقبة بن أبي معيط بأميّة بن خلف الجمحي ، لمّا قعد عن الخروج إلى بدر مع المشركين ، فجاء له بمجمرة فيها بخور ونار ، يعني إنّه امرأة .

وكان نساء قريش ، في موقعة أحد ، يحملن الدفوف ، يضربن بها ، ويذكّرن القوم بقتلى بدر ، ومعهنّ مكاحل ومراود ، فكلّما ولّى رجل ، أو تكعكع ، ناولته إحداهنّ مروداً ومكحلة ، إشارة إلى إنّه امرأة ، ثيعود إلى الحرب (اعلام النساء ١٧٣/٥ و١٧٤) .

ويشبه ذلك ، ما صنعته فتيات ماجنات ، من جواري بني أميّة ، مع عمر بن أبي ربيعة ، لما أهدين إليه صندوقاً مغلقاً ، ولما فتحه ، وجدهنّ قد أودعن فيه أوتاداً (خوازيق) ، وقد كتبن على كلّ واحد من الأوتاد إسم أحد رجال مكّة ، ابتداء من أميرها ، وقد أوردنا القصّة مفصّلة في هذا الفصل .

ويشبه ذلك ، ما صنعه الحجّاج بن يوسف الثقفي ، الظالم السيء

الصيت ، بالصحابة من الأنصار ، لما ختم أعناقهم ، تشبيهاً لهم بأهل الذمّة .

وكما صنع خلف الأحمر الراوية ، بمحمد بن مناذر ، لما تعاظم ، وألحق نفسه بالنابغة ، وامرئ القيس ، وزهير . فإنّ خلف غضب ، وتناول صحفة مملوءة مرقاً ، وصبّها على رأس ابن مناذر .

وكما صنع الملك المعظم ، صاحب دمشق ، في السنة ٦١٧ ، لما غضب على القاضي بدمشق ، فبعث إليه بثياب رجال الشرط ، وألزمه بأن يلبسها في مجلس حكمه ، وكان ذلك سبباً لموت القاضي .

وكما صنعه كذلك بالشاعر ابن عنين الأنصاري ، لما تزهّد ، فإنّه بعث إليه بقنينة خمر ، وفصوص نرد ، وقال له : سبّح بهذا ، فكتب ابن عنين إليه : (تاريخ الخلفاء ٤٥٦ و٤٥٧) :

يا أيّها الملك المعظّم سنّة	أحدثتها تبقى على الآباد
تجري الملوك على طريقك بعدها	خلع القضاة وتحفة الزهّاد

وكما صنع الفتى التيميّ الشاعر ، بمروان بن أبي حفصة ، لما آستهان به مروان ، وقال له : ما أنت والشعر ؟ ، فهجا مروان ببيتين من الشعر ، ولما توسّل إليه مروان أن يكفّ عنه ، أبى إلّا أن يصير إليه مروان مع شهود يقول أمامهم : قاق ، في آستي بيضة ، ففعل مروان ذلك .

وكما صنع الوزير أبو القاسم ، العلاء بن الحسن ، وزير صمصام الدولة ، فإنّه ضجر من ابن ثعلبة ، أحد كتّاب الديلم ، وإلحاحه في طلب المحالات ، فوقّع له ، في رقعة عرضها عليه : قاق ، قاق ، قاق .

وكما أراد عامّة بغداد ، أن يصنعوا في يوم عيد ، بأن يجمعوا عدداً وفيراً من القنابر ، ويطلقوها في موكب حاجب الباب ، ابن الناقد ، لأنّه كان يلقّب : قنبرة .

وكما صنعوا لما نصبت السلطة مشانق لإرهابهم ، فعلّقوا عليها في الليل جرذاناً ميتة .

وأمـا فيما يتعلق بـالتعـريض ، فـإنّ الأخبـار فيـه أكثـر من أن تحصـر ، ويحتاج في جمعها إلى موسوعة يضيق عنها كتابنا هـذا ، وقد أوردنـا في بحثنا أنموذجات على سبيل المثال .

ذكـر الجاحظ في كتـاب الحيوان ٣/٣١٣ أنّ جمـاعـة من الأزد ، كـان معهم فتى تميمي ، وكانوا على نبيذ ، فسقط ذباب في قدح أحدهم، فقـال له أحدهم : غطّ التميمي ، ثم سقط الذباب في قدح آخر ، فقال البـاقون : غطّ التميمي ، فلما كان في الثالثة ، قال التميمي : غطّه ، فإن كان تميميّـاً رسب ، وإن كان أزدياً طفا، فقال صاحب المنزل : ما يسرّني أنّه كان نقصكم حـرفاً ، وإنما عنى أنّ أزد عمان ملّاحون ، يعيّرهم بذلك .

وعـرّض عمرو بن معـدي كرب الـزبيدي ، بـالقـائـد سلمـان بن ربيعـة البـاهلي ، وتفصيـل ذلـك : إنّ القـائـد سلمـان بن ربيعـة البـاهلي ، عـرض الخيل ، فمرّ عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، على فرس له ، فقال سلمـان : هذا الفرس هجين ، فقال عمرو : هو عتيق ، فأمـر به سلمـان ، فعطّش ، ثم دعا بطست فيه ماء ، ودعـا بخيل عتـاق فشربت ، وجيء بفـرس عمرو ، فثنى يده وشرب ، وهكذا يصنع الهجين ، فقال له سلمـان : أترى ؟ فقـال عمرو : أجل ، الهجين يعرف الهجين ، فبلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب ، فكتب الى عمـرو : قـد بلغني مـا قلت لأميـرك ، وبلغني أنّ لـك سيفـاً تسمّيـه الصمصـامـة ، وعنـدي سيف أسّميه مصمّمـاً ، وأيم الله لئن وضعتـه على هامتك ، لا أقلع حتى أبلغ بـه رهابتـك ، فإن سـرّك أن تعلم أحقّ ما أقـول ، فعد ، والسلام (وفيات الأعيان ٦/٣٩٧) .

وقال قتيبة بن مسلم الباهلي ، لهبيرة بن مسروح : أي رجل أنت لو كان

أخوالك من غير سلول ، فقال له : أصلح الله الأمير ، بادل بهم من شئت من العرب وجنّبني باهلة (وفيات الأعيان ٤ / ٩٠) .

أقول : يعتبر أهل النسب ، قبيلة باهلة من آدنأ العرب نسباً ، وروي أنّ أعرابياً لاقى شخصاً في الطريق ، فسأله : ممّن أنت ؟ فقال : من باهلة ، فرثي له الاعرابي ، ثم قال له : وآزيدك ، أنّي لست من صميمهم ، وإنما أنا من مواليهم ، فأقبل الاعرابي يقبّل يديه ورجليه ، فسأله عن سبب ذلك ، فقال : إنّ الله تعالى ما ابتلاك بهذه الرزيّة في الدنيا ، إلاّ ويعوضك الجنّة في الآخرة . وقيل لأعرابي : أيسرّك أن تدخل الجنة وأنت باهلي ؟ فقال : على شرط ألاّ يعلم أهل الجنة بأنّي باهلي (وفيات الأعيان ٤ / ٩٠ و٩١) .

وقال عمرو بن العاص ، لعديّ بن حاتم الطائي : متى فقئت عينك يا أبا طريف ؟

قال : يوم طعنت في دبرك وأنت مولٍّ (المستجاد من فعلات الاجواد ٢٥٢) .

أقول : فقئت عين عديّ بن حاتم الطائي يوم صفّين مع الإمام علي ، وكان عمرو بن العاص مع معاوية ، وقصّته مشهورة في فراره من الإمام علي ، وقال أبو فراس الحمداني :

ولا خير في ردّ الردى بمذلّة   كما ردّه يوماً بسوءته عمرو

وقال معاوية للأحنف : يا أبا بحر ما الشيء الملفّف بالبجاد؟ فقال: السخينة يا أمير المؤمنين .

عيّر معاوية الأحنف ، وهو تميمي بقول الشاعر الذي اتّهم بني تميم بالنهم والشره ، فقال :

إذا ما مات ميتٌ من تميم   وسرّك أن يعيش فجيء بزاد

بـخبـزٍ أو بـتمـرٍ أو بـسـمـنٍ   أو الشيء الملفّف في البجـاد

وأراد الأحنف بذكر السخينة ، وهي الطعام الذي تعيّر به قـريش (شرح نهج البلاغة ١٦/٥) .

ومـرّ أبو غسـان المسمعي ، بأبي غفـار السدوسي ، فقـال لـه : يـا أبـا غفـار ، ما صنـع الدرهمـان ؟ فقال : لحقـا بالـدرهم ، أراد بالـدرهمين قـول الأخطل : (شرح نهج البلاغة ٢٢/٥) :

فإن تبخل سدوس بدرهميها   فـإنّ الـريــح طيّبـة قبــول

وأراد السدوسي قول بشّار :

وفي حـور لؤم وفي آل مسمع   صلاح ولكن درهم القوم كوكب

وكان أبو بـلال مرداس بن حـدير ، من كبـار الخوارج ونسّـاكهم ، نزل آسك بالأهواز ، ومعه أربعـون من أصحابـه ، فوجّـه اليه ابن زيـاد ، أسلم بن زرعة في ألفين ، فصدمه الخوارج صدمة عنيفة ، فانهـزم وأصحابـه ، فغضب عليه ابن زياد ، وقال له : ويلك تمضي في ألفين ، وتنهزم من أربعين ، فكان أسلم يقـول : لأن يـذمّني الأميـر وأنـا حيّ ، أحب إليّ من أن يمـدحني وأنـا ميت ، فكـان أسلم إذا خرج الى السـوق صاح بـه الصبيان : أبـو بلال وراءك (شرح نهج البلاغة ٨٦/٥) .

وتسابّ اثنان من أهل الكوفة ، ولم يشعر من كـان معهما بـذلك ، فـإنّ اسمـاء بن خارجـة الفزاري أبصـر ابن مكعبر الضبّي ، فـأخرج أسمـاء من يده خاتماً فصّه فيروزج ، وبعث به إلى ابن مكعبر ، فـأخذ ابن مكعبـر سيراً رقيقـاً من الجلد فربطه بالخاتم ، وأعاده إلى أسماء ، أراد أسماء بالخـاتم ذي الفصّ الفيروزج .

لقـد رزقت عيناك يـا ابن مكعبـر   كــذا كــلّ ضبّي من اللؤم أزرق

وأراد ابن مكعبر قول الشاعر :

لا تأمننّ فزاريّاً خلوت به ... على قلوصك واكتبها بأسيار

وكانت فزارة تعيّر بإتيان الإبل (شرح نهج البلاغة ٥/٣١ و٣٢) .

ودخل عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، على معاوية بن أبي سفيان ، فقال له: على أيّ ظهر جئتنا ؟ فقال له : على أجشّ هزيم ، يعرّض بقول النجاشي في معاوية يوم صفّين :

ونجّى ابن حرب سابح ذو علالة ... أجشّ هزيم والرماح دوان

اذا قلت أطراف الرماح تناله ... مرته له الساقان والقدمان

فغضب معاوية ، وقال : إلاّ أنّه لا يركبه صاحبه في الظلم الى الريب ، ولا هو ممن يتّهم بتسوّره على جاراته ، ولا يتوثّب بعد هجعة الناس على كنائنه ، وكان عبد الرحمن يتهم بذلك في امرأة أخيه (شرح نهج البلاغة ١٥٣/٦) .

ولما اشتدّ الأمر بين الأزد وتميم ، بعد فرار عبيد الله بن زياد من البصرة ، ألحّ بنو تميم على الأحنف ، في الخروج للحرب ، فكان يتمكّث ، فجاءت اليه امرأة من قومه فقالت : يا أحنف ، اجلس على هذا ، وأشارت إليه بإصبعها الإبهام ، إي إنّما أنت امرأة ، فقال لها : استك أحقّ به ، فما سمعت من الأحنف كلمة أرفث منها . (انساب الأشراف ٤/٢/٩٩) .

وكانت تختم أعناق وأيدي من يراد إذلاله من أهل الذمّة، ولكنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي ختم أعناق الصحابة بالمدينة يريد بذلك إذلالهم ، فختم في عنق أنس بن مالك خادم النبي صلوات الله عليه ، وختم في يد الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري ، وأرسل الى سهل بن سعد ، فقال له : ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان بن عفان ؟ قال قد فعلت ، قال : كذبت ، ثم

أمر بـه فختم في عنقه بـرصـاص (الـطبـري ٦ / ١٩٥ والنـجـوم الـزاهـرة ١/١٩١) .

وفي السنـة ٦٥ خالف من كـان بخراسـان من بني تميم ، على عبد الله بن خازم أمير خراسان ، وكانوا قـد أعانـوه أوّلاً ، فلما تمكّن جفـاهم ، فأقبلوا الى هراة ، وعاملها محمد بن عبـد الله بن خازم ، وأمّـه تميمية ، فكتب عبـد الله الى ولده محمد أن ينفيهم عن هراة ، فنفاهم ، وقتـل منهم رجلين ضربـاً بـالسياط حتى مـاتا ، وخـرج محمد يتصيّـد خارج هـراة ، فرصـده التميميّـون وأخذوه ، وشدّوه وثاقاً ، وشربوا ليلتهم ، وجعل كلّ من أراد منهم أن يبول بال عليه ، ثم قتلوه (الطبري ٦٢٣/٥ و٦٢٤) .

وحـدّث أحد مـوالى عمـر بن أبي ربيعـة ، أنّ عمـر تعـرّض لنسـوة من جواري بني أميّة ، قد حججن ، وحادثهنّ ، ونـاشدهنّ مـدّة أيّام حجّهنّ ، ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطّاب ، إنّا خارجات في غدٍ ، فآبعث مولاك هـذا إلى منزلنا ، ندفع إليه تذكرة تكون عندك ، تذكرنا بهـا ، فسرّ بـذلك ، ووجّـه بي إليهنّ في السحـر ، فوجـدتهنّ يركبن ، فقلن لعجـوز معهنّ : يا فـلانـة ، ادفعي إلى مـولى أبي الخـطّاب التـذكـرة التي أتحفنـاه بهـا ، فـأخـرجت اليّ صندوقاً مقفلاً مختوماً ، فقلن : ادفعه إليـه ، وآرتحلن ، فجئته بـه ، وأنا أظنّ أنّـه قد أودع طيبـاً أو جوهـراً ، ففتحه عمـر ، فإذا هـو مملوء من المضارب ، وهي الكيررنجات (الكيررنج : قـطع من الخشب تنحت على شكل الـذكر ، والكلمة فارسية كير أي ذكـر ، ورنك : أي مثـل) ، وإذا على كلّ واحـد منها اسم رجـل من مجّان مكّـة ، وفيها اثنـان كبيران عـظيمان ، على أحـدهمـا : الحارث بن خالد ، وهو يومئذ أمير مكّة ، وعلى الآخر : عمر بن أبي ربيعـة ، فضحـك ، وقال : تمـاجنّ عليّ ، ونفذ لهنّ ، ثم أصلح مـأدبـة ، ودعـا كـلّ واحد ممّن له اسم في تلك المضارب ، فلما أكلوا واطمأنّوا للجلوس ، قال : هات يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بـالصندوق ، ففتحـه ، ودفع إلى الحـارث

الكيرزنج الذي عليه اسمه فلما أخذه ، وكشف عنه غطاءه ، فزع ، وقال : ما هذا أخزاك الله ، فقال له : رويداً ، إصبر حتى ترى ، ثم أخرج واحداً واحداً ، فدفعه إلى من عليه اسمه ، حتى فرّقها فيهم ، ثم أخرج الذي باسمه ، وقال : هذا لي ، فقالوا له : ويحك ما هذا ؟ فحدّثهم بالخبر ، فعجبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ، ويضحكون منه . (الاغاني ١/١٦٩ و١٧٠) .

وقال محمد بن عمير بن عطاء التميمي ، لشريك النمري : ليس في الجوارح صقر أحبّ اليّ من البازي ، فقال شريك : إذا كان يصيد القطا ، أراد محمد قول جرير :

أنا البازي المطلّ على نمير　　أتيح من السماء له آنصبابا

وأراد شريك قول الطرماح (شرح نهج البلاغة ٥/٢٣) .

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا　　ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

ودخل عبد الله بن ثعلبة المحاربي ، على عبد الملك بن يزيد الهلالي ، أمير ارمينية ، فقال له : ماذا لقينا البارحة من شيوخ محارب ، منعونا النوم ، فقال له ابن ثعلبة : أصلح الله الأمير ، إنّهم أضلّوا برقعاً ، فكانوا في طلبه ، أراد عبد الملك بشيوخ محارب ، الضفادع ، لقول الشاعر :

تنق بلا نفع شيوخ محارب　　وما خلتها كانت تريش ولا تبري
ضفادعُ في ظلماء ليلٍ تجاوبت　　فدلّ عليها صوتها حيّة البحر

وأراد عبد الله بن ثعلبة ، بالبرقع ، قول الشاعر : (شرح نهج البلاغة ٥/٢٣ والعقد الفريد ٢/٤٦٨ و٤٦٩) .

لكلّ هلالي من اللؤم برقع　　ولابن يزيدٍ برقع وجلال

ووفد زياد بن عبيد الله الحارثي اليماني ، على مروان الجعدي ، وكان يـزيد بن عمـر بن هبيرة الفـزاري على حاشيتـه ، وكـانت الفتنـة بين اليمـانيـة والقيسيّـة ما زالت مستعـرة ، وابن هبيرة قيسي ، وأخـذ ابن هبيـرة يسـأل كـلّ داخل على مروان عن قبيلته ، فلما وصـل الى زياد ، أخبـره بأنّـه يماني ، من بني الحارث بن كعب ، فقال له ابن هبيرة : يـا أخا بني الحـارث ، إنّ الناس يزعمون أنّ أبا اليمن قرد ، فما تقول في ذلك ؟ فقال لـه : أصلحك الله ، انّ الحجّة في هذا غير مشكلة ، تنظر كنية القرد ، فإن كان يكنى أبـا اليمن ، فهو أبـوهم ، وإن كانت كنيتـه أبا قيس ، فهـو أبو من كني بـه ، فآمتلأ ابن هبيـرة خجلًا ، وأخذ القيسيّة ينظرون الى زياد شزراً ، واعتـذر ابن هبيرة من زيـاد ، وقال له : يا أخا بني الحارث ، لقد كان كلامي معـك هفوة ، ولقـد سرّني أن لقنت عليّ الحجّة ، ليكون ذلك أدباً لي فيما استقبل (الهفوات النادرة ١٣١ - ١٣٣) .

أقول : كنية القرد أبو قيس ، وقال الشاعر في قرد يزيد بن معاوية الـذي سابق الخيل على أتان فسبق :

تمسّـك أبـا قيس بفضـل عنـاتهـا	فليس عليهـا إن هكـتَ ضمـان
ألا من رأى القرد الذي سبقت به	جيـادَ أميـر الـمؤمـنيـن أتـان

ومما يشبه الشتيمـة ، ما صنعـه زفر بن الحـارث ، بفتى من جنود أهـل الشام كان يسبّـه فيكثر ، حـدث ذلك في السنـة ٧٢ وكان زفـربن الحارث من أصحـاب ابن الـزبير قـد آستولى على قـرقيسيا ، واستقـرّ فيها ، فقصـده عبـد الملك بن مـروان ، وحصره ، وكـان رجل من كلب يقـال له الـذيّال ، يخـرج فيسبّ زفر فيكثر ، فقال زفر للهذيل ابنه : أما تكفيني هذا ؟ فقال : أنا أجيئك به ، فدخل عسكر عبد الملك ليلًا ، فجعل ينادي : من يعرف بغلًا صفته كذا وكذا ، حتى انتهى الى خباء الرجل وقد عرفـه ، فقال الـرجل : ردّ الله عليـك ضالّتك ، فقال : يا عبـد الله انّي قد عييت، فلو أذنت لي فـاسترحت قليـلًا ،

قال : ادخل ، فدخل والرجل وحده في خبائه ، فرمى بنفسه ، ونام صاحب الخباء ، فقام اليه فأيقظه ، وقال له : والله لئن تكلّمت لاقتلنك ، أمّا إذا سكتّ وجئت معي الى زفر فلك عهد الله وميثاقه أن أردّك الى عسكرك بعد أن يصلك زفر ويحسن إليك ، فخرج به وهو ينادي على البغل ، حتى جاء به الى زفر ، فأعلمه أنّه آمنه ، فوهب له زفر دنانير ، وألبسه ثياب النساء ، وحمله على رحالة النساء ، وبعث معه رجالاً حتى دنوا من معسكر عبد الملك ، فنادوا : هذه جارية بعث بها زفر الى عبد الملك ، وانصرفوا ، فلما نظر إليه أهل العسكر عرفوه ، وأخبروا عبد الملك الخبر ، فضحك ، وهرب الرجل من العسكر (ابن الأثير ٤/ ٣٣٩) .

وفي السنة ١٠٦ لمّا وقعت الفتنة بين اليمانيّة والمضريّة ببلخ واقتتلوا، فرّت تميم ، فقال عمرو بن مسلم ، لرجل من تميم كان معه : كيف ترى أستاه قومك يا أخا تميم ؟ يعيّره بهزيمتهم ، ثم كرّت تميم ، فهزموا أصحاب عمرو بن مسلم ، فقال التميمي : هذه استاه قومي ، وقال لأصحابه : لا تقتلوا الأسرى ، ولكن جرّدوهم ، وجوبوا سراويلهم عن أدبارهم ، ففعلوا (الطبري ٧/ ٣٢).

وروي أنّ شريك بن عبد الله النميري ، ساير يوماً يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري ، فندرت دابة شريك ، فقال له يزيد غضّ من لجامها ، فقال شريك : إنّها مكتوبة أصلح الله الأمير ، فقال له يزيد : ما ذهبتُ حيث أردتَ .

ظنّ شريك أنّ يزيد في قوله غضّ من لجامها ، قصد قول جرير : (وفيات الأعيان ٦/ ٣٢٠ و٣٢١) :

فغضّ الطرف إنّك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فقال إنّها مكتوبة ، يريد قول الشاعر :

لا تأمننّ فزاريّاً خلوت به على قلوصك وأكتبها بأسيار

ودخل الفرزدق على بلال بن أبي بردة، فأنشده قصيدة في مدحه، فقال له ابن أبي بردة : هلكتَ ـ والله ـ يا أبا فراس ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : ذهب شعرك، أين شعرك هذا، من شعرك في سعيد بن العاص والعباس بن الوليد ، وفلان ، وفلان ، فقال الفرزدق : جئني بأحساب مثل أحسابهم ، حتى أقول فيك مثل ما قلت فيهم ، فغضب بلال غضباً شديداً حتى جيء له بطست فيه ماء بارد ، فوضع يده ورجله فيه ، ليذهب الغيظ عنه (الهفوات النادرة ٣٨٧) .

وأنشد كثير عزة ، الفرزدق ، شعراً أعجب به الفرزدق ، فقال له : يا أبا صخر ، هل كانت أمّك ترد البصرة ؟ قال : لا ، ولكن كان يردها أبي (الأغاني ٣٤١/٩ و٣٤٢) .

أراد الفرزدق ، أنّ أمّ كثير لا بد أنّها علقت من أبى الفرزدق ، فجاء ولدها شاعراً ، وأراد كثير أنّ أباه أحبل أمّ الفرزدق .

وقال تميم بن نصر بن سيار ، لأعرابي : هل أصابتك تخمة قط ؟ قال : أمّا من طعامك وطعام أبيك فلا ، فيقال إنّ تميماً حمّ من هذا الجواب أيّاماً (البصائر والذخائر ٢/٢/٥٩٩) .

وممّا يشبه الشتيمة ، ما صنعه أحد المجّان ، في برنَوَذ (من قرى نيسابور ـ مراصد الاطلاع ١٨٩/١)، بحمار أبي مسلم الخراساني، فإنّ أبا مسلم ، قدم في السنة ١٢٠ قاصداً خراسان ، فلما حلّ ببرنَوَذ ، نزل بخان فيها ، وتحدّث صاحب الخان ، فقال : إنّ هذا يزعم أنّه يلي خراسان ، وخرج أبو مسلم لبعض حاجته ، فعمد بعض المجّان ، فقطع ذنب حماره ، فآلى على نفسه ، أنّه إذا تمكّن ، أخرب هذه القرية ، فلما تمكّن أخربها (ابن الأثير ٢٥٨/٥) .

وعلى ذكر ما تقدّم ، أورد ابن الأثير (٤٨٠/٥) ، أنّ أبا مسلم ، مرّ

بنيسابور على حماره ، فقصد داراً لفاذوسيان ، دهقان نيسابور ، وطلب منه ألف درهم ودابّة ، فأعطاه ، فقال له أبو مسلم : ما يضيع لك ما فعلته ، فلما ملك ، قيل له : إن فتحت نيسابور ، أخذت ما تريد من أموال الفاذوسيان ، دهقانها المجوسي ، فقال أبو مسلم : له عندنا يد ، ولما ملك نيسابور ، أتته هدايا الفاذوسيان ، فلم يتعرّض له ، ولا لأحد من أصحابه وأمواله ، وقال : له عندي يد .

وتسابّ الفرزدق ، وزياد الأعجم ، فقال الفرزدق لزياد : يا أقلف ، فقال له زياد : يا ابن النمّامة (البصائر والذخائر ٢/٢/٧٦٩) .

أقول : أراد زياد أنّ أمّ الفرزدق أخبرته عن قلفته .

وقال رجل للفرزدق : متى عهدك بالزنا ؟ فقال له : مذ ماتت عجوزك (البصائر والذخائر ٢/٢/٧٦٦) .

وقال السدي للجمّاز : ولد لي البارحة مولود كأنّه دينار منقوش ، فقال له الجمّاز : لاعن أمّه ويحك ، فبلغت النادرة أبا العيناء ، فقال : وددت أنّها لي بجميع ما قلته (البصائر والذخائر ١/٣٤١) .

أقول : أراد أنّ المولود لما كان جميل الصورة فليس الجمّاز بوالده .

وقال ابن مكرم لأبي العيناء : الستُ عفيفاً ؟ فقال له : أنت عفيف النفس ، زاني الحرم ، فقال له : إنّما صار هذا مذ تزوّجت أمّك (البصائر والذخائر ٢/٢/٥٦٨) .

ومرّ مطيع بن إياس بيحيى بن زياد ، وحمّاد الراوية ، وهما يتحدّثان ، فقال لهما : فيم أنتما ؟ قالا : في قذف المحصنات ، فقال : أوفي الأرض محصنة فتقذفانها ؟ (الأغاني ١٣/٢٨٦) .

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، أذكر انه كان في بغداد ، في العهد

العثماني ، صاحبان كرخيّان ، لا يكادا يفترقان ، وهما ح . ا . وم . ى . صاحب حمّام يتيّم في الكرخ ، وكانا فرسي رهان في ثلب الناس ، وكانا يجتمعان عصر كلّ يوم في مقهى المميّز ، الكائن في الجانب الشرقي من بغداد (جانب الرصافة) في الساحة المطلّة على رحبة الجسر ، وعلى النهر ، ملاصقة لجامع الآصفيّة ، ويقضيان الوقت في ثلب من يقع عليه بصرهما من المارّة ، حتى إذا أظلم الوقت ، وحان موعد إغلاق المقهى ، نهضا ، وعبرا الجسر ، الى جانب الكرخ ، حتى إذا بلغا رأس الجسر من الجانب الغربي (جانب الكرخ) وقفا ، وقال أحدهما للآخر : إحنا شعلينا (أيش علينا) من الناس، فأجابه صاحبه: أنعل (ألعن) أبو كلّ الناس، فيقول الأوّل: حاشي الزينين (الجيّدين) فيقول صاحبه : وأنعل (ألعن) أبو الزينين ، ثم يفترقان ، وظلّ هذا دأبهما في كلّ يوم ، حتى فرّق الدهر بينهما .

وكان أبو عبيدة جبّاهاً ، قصد موسى بن عبد الرحمان الهلالي بفارس ، فقال موسى لغلمانه : احترزوا من أبي عبيدة ، فإنّ كلامه كلّه دقّ ، فلما حضر الطعام صبّ بعض الغلمان على ذيل أبي عبيدة مرقة ، فقال له موسى : قد أصاب ثوبك مرق ، وأنا أعطيك بدله عشرة ثياب ، فقال له أبو عبيدة : لا عليك ، فإنّ مرقكم لا يؤذي ، أراد أنّه ما فيه دهن (وفيات الأعيان ٥/٢٤٠) .

وقال أبو نؤاس ، يهجو الفضل الرقاشي ، ويعرّض بأنّه مولى ، وأنّه ملصق في رقاش ، قال : (أخبار أبي نؤاس لابن منظور ١/٤٤) .

هجوت الفضل دهري وهو عندي رقاشيّ كما زعم المسول
وجدنا الفضل أكرم من رقاشٍ لأنّ الفضل مولاه الرسول

أقول : يشير بذلك الى قول النبيّ صلوات الله عليه : أنا مولى من لا مولى له .

ومما يشبه الشتيمة ، ما صنعه أبان بن عبد الحميد اللاحقي (ت ٢٠٠) ، بأبي نؤاس ، فإنّ الفضل بن يحيى البرمكي ، أعطى أبان مالاً ليفرّقه في الشعراء ، كلّ واحد منهم على قدره ، فبعث إلى أبي نؤاس بدرهم زائف ناقص ، وقال : لقد أعطيتُ كلّ شاعر على مقدار شعره ، وهذا أوفر نصيب لك عندي (العقد الفريد ٤/٢٠٥) .

وسبب هذا التصرّف من أبان ، أنّ جعفر البرمكي ، أمر أبا نؤاس أن يصف كلبة صيدٍ له، وأن يسميها، فوصفها وسمّاها : أمّ أبان ، يغيظ بذلك أباناً ، وكانا يتحاسدان ، فغضب أبان ، وانتقم منه ، بأن أعطاه ذلك الدرهم الزائف ، وقال له : هذا قدر شعرك عندي .

وكانت عاقبة عمل أبان ، أن هجاه أبو نؤاس بأهاجٍ ، تعرّض فيها لاعتقاده الديني ، واتّهمه بالزندقة ، وهي التهمة الرائجة في ذلك الزمان ، فقال من أبيات .

جالست يوماً أباناً	لادرّ درّ أبان
حتى إذا ما صلاة الـ	أولى دنت لأوان
فقلت سبحان ربّي	فقال سبحان ماني

فقابله أبان ، وعيّره بأمّه ، فقال :

أبو نواس بن هاني	وأمّه جلّبان
والناس أفطن شيء	إلى دقيق المعاني

يريد أبان ، تصحيف جلّبان ، وهو: خلّ ثان ، يتّهم أمّ أبي نؤاس ، بالفاحشة وأنّها كلما واصلت رجلاً ، طلبت خلّاً ثانياً .

فقابله أبو نواس ، بأن هجاه واتّهمه بما ينافي الرجولة ، فقال من أبيات :

غنــج أبـانٍ ولين منــطقـه   يخبّــر النـاس انّــه حلقي

فعاود أبان هجاء أبي نؤاس ، وذكر أمّه ، فقال من أبيات :

إن يـكن هــذا الـنــواسيّ   بــلا ذنــب هــجــانــا

فــلقــد نكنـاه حــيـنــاً   وصــفــعــنــاه زمــانــا

ســائــل العبّــاس وآسمع   فــيــه مــن أمّــك شــانــا

عــجــنــوا مــن جــلّبــانٍ   لــيـكــيــدوك عــجــانــا

لـزيادة التفصيـل راجع دائـرة المعارف الاسـلامية ١٦/١ و١٧ وخـزانـة الأدب للبغدادي ٤٥٨/٣ و٤٥٩ وأخبار أبي نؤاس لابن منظور المصري ٣٢ - ٣٤ وأخبار أبي نؤاس لأبي هفّان ١٨ .

وثمة لون من ألـوان العذاب ، مـارسه خليفـة ، وهو الأمين ، ضـد أمير عباسي ، وهو عمّه يعقوب بن المهـدي ، فقد بلغ الأمين ، أنّ عمّـه يعقوب ، لا يتمّ نسبه ، أي إنّه لا يسلسله كما يسلسل العربي نسبه ، فدعاه ، وقال له : انتسب ، فقـال : أنا يعقـوب بن المهدي ، فقـال لـه : ابن من ؟ فلم يعلم ، فأمر به فحمل على الفيـل ، وحلف انّه لا ينزله حتى يحفظ نسبـه ، والإقامـة على الفيل ، لا تدخل في مشمول الإشهـار لأنّ من شهر يـطاف به في البلد ، أو يعـرض على الناس ، وهـذا لم يحصل ، واذا لم يكن الحمـل على الفيـل داخلاً في الإشهار ، فهو عن بقيّة ألوان العذاب أبعد ، ولذلك وضعته في هذا البحث ، بـاعتبار الحمـل على الفيل لـون من ألوان الشتيمـة ، وإن تكن أشدّ منها ، راجع القصّة في الهفوات النـادرة ٣٧٢ و٣٧٣ وراجع بشـأن يعقوب بن المهدي الهفوات النادرة ٣٨٠ و٣٨١ .

ومن لطيف التعريض ، ما أورده صاحب المحاسن والمساوىء ٢٣٤/٢ و٢٣٥ قال : كان جميل بن محفوظ يلي أرجان ، وأبو دهمـان يلي نيسابـور ،

فزارهما أبو الشمقمق ، فأحسن اليه أبو دهمان ، ولم يحسن اليه جميل ، فقال :

رأيت جميل الأزد قد عقّ أمّه فناك أبو دهمان أمّ جميل

واجتمع أبو دهمان وجميل ، عند يحيى بن خالد البرمكي ، يتناظران في حساب ، فأربى جميل على أبي دهمان ، فقال له أبو دهمان : احفظ الصهر الذي جعله أبو الشمقمق بيني وبينك ، فضحك يحيى حتى فحص برجليه .

ومن لطيف التعريض ، ما أورده صاحب نفح الطيب ١/١٩٠ ـ ١٩٣ ، قال : كان أبو بكر المخزومي الضرير ، شاعراً هجّاءً ، قدم غرناطة ، فبعث إليه الوزير أبو بكر بن سعيد ، يستدعيه إليه ، ووجّه له عبداً صغيراً قاده ، فلما استقرّ به المجلس ، تحرّشت به الشاعرة نزهون القلاعية ، وتشاتما ، فأسكته الوزير ابن سعيد ، وقال له : انا اشتري منك عرض نزهون ، فاطلب ، فقال : بالعبد الذي أرسلته فقادني الى منزلك ، فقال له الوزير يمازحه : لولا كونه صغيراً ، كنت أهبه لك وأبلغك به مرادك (يتّهمه بالسوءة) ، ففهم المخزومي قصده ، وقال له : أصبر عليه حتى يكبر ، ولو كان كبيراً ما آثرتني به على نفسك ، فضحك الوزير ، وقال له : إن لم تهج نظماً هجوت نثراً ، فقال المخزومي : ايها الوزير ، لا تبديل لخلق الله .

وقد ترجم الوزير ابن الخطيب ، لأبي بكر المخزومي ، في الاحاطة ٤٣٢ ـ ٤٣٥ وقال عنه : إنه كان شديد القحة والشرّ ، معروفاً بالهجاء ، مسلّطاً على الأعراض، سابقاً في ديوان الهجاء، وأورد له صاحب نفح الطيب ٣/٢٠٥ أبياتاً في التعريض ، قال يهجو فتى اسمه عيسى :

يودّ عيسى نزول عيسى عساه من دائه يريح
وموضع الداء منه عضو لا يرتضي مسّه المسيح

وقال يهجو:

يـا فـارس الخيـل ولا فـارس إلّا على متن جـواد الخـصى

زدت عـلى مـوسى وآيـاتـه تفجّـر المـاء وتخبى العصـا

ونافر مروان بن أبي حفصة ، شاعراً من تيم اللات ، وقال لـه : ما أنت والشعر ، فقال التيميّ يهجوه :

ثوى اللؤم في العجلان يوماً وليلة وفي دار مـروان ثوى آخـر الدهـر

وليست لمروان على العرس غيرة ولكنّ مـروانـاً يغـار على القـدر

فسـألـه مـروان أن يكفّ عنـه ، فـأبى إلاّ إذا صـار إليـه بنفـر من أهــل اليمامة ، وأن يقـول بحضرتهم : قـاق ، في آستي بيضة ، فـاحضرهم مـروان إليه ، وفعل ذلك بحضرتهم ، فـانصرفـوا وهم يضحكون من فعله. (الأغـاني ١٠/٩٣) .

ومدح أبو نواس : الفضل بن يحيى البرمكي ، فقال في قصيدته :

سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هـواكم لعـلّ الفضـل يجمـع بيننـا

فقـال الفضـل : مـا زاد على أن جعلني قـوّاداً (المـوشـح للمـرزبـاني ٤٢٤) .

وكان الحسين بن الضحّاك ، يكتب لأحد أجناد الشام ، رسائـل غرام ، يبعث بها الى حبيبة له ، ثم بدا للحسين أن يفسد حال الشـاميّ ، فكتب على لسانه إليها ، وكان آسمها بصبص .

أرقصني حبّـك يـا بصبص والحبّ يـا سيّدتي يـرقص

وابـأبي وجهك ذاك الـذي كـأنّـه من حسنـه عصعص

فكان جزاؤه على الشعر ، أن دعته حبيبته إليها ، ثم صبّت عليه ماءً قـد

خلط بالرماد والسرجين ، وقطعت علاقتها به ، راجع تفصيل القصة في الأغاني ١٩٩/٧ و٢٠٠) .

وقال يموت بن المزرّع : قال لي ابن صدقة المدني : ضربك الله بآسمك ، فقلت له : أحوجك الله إلى آسم أبيك . (البصائر والذخائر ٥٢٢/١) .

وكان أبو الشمقمق الشاعر ، أديباً ، ظريفاً ، محارفاً ، صعلوكاً ، متبرّماً ، قال له أحد أصحابه وقد رأى سوء حاله وعريه : أبشر أبا الشمقمق ، فإنّا روينا في الحديث ، أنّ العارين في الدنيا ، هم الكاسون يوم القيامة ، فقال له : إن كان ما تقول حقّاً ، فساكوننّ بزّازاً يوم القيامة ، ثم قال : (العقد الفريد ٣٦/٣) .

أنا في حال تعالى الـ ـله ربي أيّ حال
فلقد أفلستُ حتى حلّ أكلي لعيالي
في حرآمّ الناس طرّاً من نساءٍ ورجال

وكان أبو هفان ، وأبو العيناء ، على مائدة ، فقدّم عليها فالوذج حارّ ، فقال أبو هفان لأبي العيناء : هذه الفالوذجة أحرّ من مكانك في جهنم ، فقال له أبو العيناء : إن كانت حارّة ، فبرّدها بشعرك (مطالع البدور ٢/ ٨٠) .

وقال رجل من آل سعيد بن سلم ، لأبي العيناء : إنّ أبي يبغضك ، فقال له : يا بنيّ لي أسوة بآل محمد ﷺ . (معجم الأدباء ٦٨/٧) .

وفي السنة ٢٥١ خرج القائد الحسين بن اسماعيل من بغداد ، إلى الأنبار صحبة جيش وقوّاد، لمحاربة أتراك سامراء ، واشتبك معهم قرب الأنبار ، فانكسر ، وعاد مع فلّ العسكر إلى الياسرية ، قرب بغداد ، فقال له أحد التجّار ممن ذهبت أموالهم في عسكره : الحمد لله الذي بيّض وجهك ،

أصعدت في اثني عشر يوماً ، وانصرفت في يوم واحد ، فتغافل عنه . (الطبري ٣٢٣/٩) .

واشترى خزام ، صاحب دوابّ المعتصم ، خادماً كان عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع يتعشّقه ، وسأله عبد الله أن يبيعه منه ، أو يهبه له ، فلم يفعل ، فصنع أبياتاً ثلاثة ، وعمل فيها لحناً ، وغنّى بها ، فاتّصل خبرها بخزام ، وخاف أن تبلغ المعتصم ، فوجّه اليه بالخادم ، أمّا الأبيات فهي : (مصارع العشاق ١٤٩/١) .

يوم سبتٍ فصرّفا لي المداما ... وآسقياني لعلّني أن أناما
شرّد النوم حبّ ظبي غرير ... ما أراه يرى الحرام حراما
إشتراه فتًى بقضمة يوم ... أصبحت غبّه الدواب صياما

ومن التعريض ، قول بعض الشعراء ، في هجو بعض حسان الغلمان :

مضى خالد والمال تسعون درهماً ... وعاد وباقي المال ثلث الدراهم

وهو معنى بليغ ، وهجو خفي شنيع ، لأنّه أشار الى أنّ خالداً مضى ضيّقاً ، وعاد واسعاً ، لأنّ عاقد التسعين يضم طرف السبّابة إلى أصلها ضمّاً محكماً ، بحيث تنطوي العقدتان اللتان فيها ، وعاقد الثلاثين يضع طرف إبهامه على طرف سبّابته ، وقد فصّلنا البحث عن حساب الاصابع في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ، تحقيق المؤلف ج ١ ص ١٠٤ ١٠٧ رقم القصة ٥٣ .

وذكر القاضي التنوخي ، انّه قد بلغ من آنحطاط أمر الوزارة ، بعد المقتدر ، انّ قرّاداً في شارع الخلد ، يجتمع الناس عليه ، فيقول لقرده : تشتهي أن تكون بزّازاً ؟ فيقول : نعم ، ويومىء برأسه ، فيقول : تشتهي أن تكون عطّاراً ؟ فيقول : نعم ، برأسه ، ويعدّد عليه الصنائع ، فيومىء برأسه ، ويقول له في آخرها : تشتهي أن تكون وزيراً ؟ فيومىء برأسه : لا ،

ويصيح ، ويعدو من بين يدي القرّاد ، فيضحك الناس ، للتفصيل راجع كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ١ ص ٢٣١- ٢٣٣ رقم القصة ١٢٣) .

ولما ولي أبو عبيد علي بن الحسين بن حرب البغدادي الشافعي ، ويقال له حربويه ، قضاء مصر ، سنة ٢٩٣ ، قيل له إنّ في حُبْس (وقف) الوليد بن رفاعة ، شرطاً ، وهو أن يجعل في وجوه البرّ ، ولم يعيّن شيئاً ، فسأل أبو عبيد عن ترجمته ، فقيل له : كان عامل مصر ، وكان يلعن عليّ بن أبي طالب على المنبر ، فقال : اجعلوا حُبْسه للمنبوذين ، فثبت إلى الساعة ، أراد أبو عبيد التلميح ، بالحديث الوارد : إنّ من يبغض علياً لغير رشدة (أي ولد زنا) . (القضاة للكندي ٥٢٨) .

أقول : وقصّ علينا القاضي ابن خلكان ، في كتابه وفيات الأعيان ٧٨/٤ أنّ دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي ، وكان يكره علياً ، قال يوماً في مجلس والده أبي دلف ، ما معناه : يقولون إنّ من كره عليّاً فهو لغير رشدة ، وأنا أكرهه ، فقال له أبوه : صدقوا ، فإنّي لما وطئت أمّك وعلقت بك ، ما كنت بعد استبرأتها .

وسئل الامام أحمد بن حنبل ، عن قول الناس : عليّ قاسم الجنة والنار فقال : هذا صحيح ، لأنّ النبيّ صلى الله عليه وعلى آله وسلّم ، قال لعليّ بن أبي طالب : لا يحبّك إلّا مؤمن ، ولا يبغضك إلّا منافق ، فالمؤمن في الجنّة ، والمنافق في النار (البصائر والذخائر م ٢ ق ٢ ص ٣٢٨) .

وقال أبو حيان النحوي الغرناطي ، لقاضي القضاة ابن جماعة : إنّ النبي ﷺ ، عهد إلى عليّ بن أبي طالب ، فقال له : لا يحبّك إلّا مؤمن ، ولا يبغضك إلّا منافق ، أتراه صدق في قوله هذا أم لا ؟ قال : صدق ، قال : فالذين سلّوا السيوف في وجهه يبغضونه أو يحبّونه ؟ (نفح الطيب ٥٤٢/٢) .

ومـا أحسن ما قـال صفي الدين الحـلّي : (ديـوان صفي الـدين الحلي ٨٩) .

أميـر المـؤمنيـن أراك إمّـا	ذكرتك عند ذي حسبٍ صغالي
وإن كـرّرت ذكرك عنـد نغـلٍ	تكـدّر سـرّه ، وبغى قتـالي
فصرت إذا شككتُ بأصل مرءٍ	ذكـرتك بـالجميل من المقـال
فليس يـطيق سمـع ثنـاك إلّا	كريم الأصل محمود الخصال
فها أنا قـد خبرت بـك البرايـا	فـأنت محـكّ أولاد الحـلال

ومما يشبه الشتيمة ، ما كتبه أبو الحسن علي بن عيسى الـوزير ، وكـان محبوساً في دار الخلافة ، وبعث إليه الخليفة بـأسماء جمـاعة سعـوا في طلب الوزارة ، وسأله عن رأيه فيهم ، وكـان من جملتهم أبو القـاسم علي بن محمد المعـروف بابن الحـواري ، فكتب أمام اسمـه : لا إلـه إلا الله ، ويعني بهـذه الكلمة ، أنّه لا يصلح للوزارة أبداً ، ويعجب من طلبه لها .

ومن المناسب أن أورد جواب أبي الحسن ، وما دوّنه في الرقعة ، مقابل كلّ اسم ورد فيها : (صلة عريب) .

إبراهيم بن عيسى وقع مقابل اسمه	شرهٌ لا يصلح
أبو العباس أحمد بن بسطام	كاتبٌ سفّاك للدماء
أبو الحسين محمد بن أحمد المعروف بابن أبي البغل	ظالم لا دين له
أبو محمد حامد بن العباس	عامل موسر عفيف قد كبر
أبو زنبور الحسين بن أحمد المادرائي	لا علم لي به ، وقد كفى ما في ناحيته
أبو العباس أحمد بن عبيد الله بن سليمان الخصيبي	أحمق متهوّر
أبو القاسم سليمان بن الحسن بن مخلد	كاتب حدث
أبو القاسم علي بن محمد المعروف بابن الحواري	لا إله إلّا الله

وذكـر أبو إسحـاق الصابي ، إنّـه كـان مـع أبي أحمـد الشيـرازي ، في

مجلس الوزير المهلّبي ، وتذاكرا فيما بينهما سرّاً حسن الدواة التي صيغت للوزير من الذهب ، وكانت في طول ذراع وعرض شبر ، محلاّة حلية ثقيلة ، فقال أبو أحمد : ما كان أحوجني إليها لأبيعها فأنتفع بثمنها ، فقال له الصابي : فأي شيء يعمل الوزير ؟ قال : يدخل في حرآمّه ، وسمع الوزير ما جرى بينهما ، بإصغائه إليهما ، ولما آجتمعا في الغد ، قال أبو أحمد لأبي إسحاق : عرفتَ خبر الدواة ؟ قال : لا ، قال : جاءني البارحة رسول الوزير ومعه الدواة ومرفعها ومنديل وعشر قطع ثياب وخمسة آلاف درهم ، ومعها رسالة من الوزير قال فيها : أنا عارف بقصور المواد عنك ، وتضاعف المؤن عليك ، وقد آثرتك بهذه الدواة لما ظننت من استحسانك لها ، وجعلت معها ما تكتسي به ، وتصرف بعضه في نفقتك ، فبقيت متعجّباً من اتّفاق ما تجارينا فيه ، وتقدّم الوزير بصياغة دواة أخرى ، فصيغت ، ودخل الصابي وأبو أحمد إلى مجلسه ، فنظر الوزير إليهما ، وهما يلحظان الدواة ، فقال لهما : هيه ، من منكما يريد الدواة ، بشرط الإعفاء من الدخول ؟ فاستحيا ، وعلما أنّه كان قد سمع أقوالهما السابقة ، وقالا : بل يمتّع الله بها الوزير ، ويبقيه ليهب ألفاً منها . (المنتظم ٩/٧ و١٠) .

ودخل السلامي على عضد الدولة ، فمدحه ، فأجازه وأعطاه ، ثياباً ودنانير ، وكان بين يدي عضد الدولة جام خسرواني ، فرآه عضد الدولة يلحظه ، فرمى به اليه ، وقال : خذه ، فقال السلامي :

وكلّ خير عندنا من عنده

فقال له عضد الدولة : ذاك أبوك ، قال السلامي : فبقيت متحيّراً لا أدري ما أراد ، ورجعت الى أستاذ لي ، فشرحت له الحال ، فقال لي : ويحك ، لقد أخطأت خطأً عظيماً ، فإنّ هذا الشطر لأبي نؤاس يصف كلباً ، حيث يقول : (الهفوات النادرة ١٧١) .

أنعت كلباً أهله من كدّه قد سعدت جدودهم بجدّه

وكلّ خير عندهم من عنده

وكان ابن ثعلبة ، أحد كتاب الديلم ، كثير الإلحاح على أبي القاسم العلاء بن الحسن ، وزير صمصام الدولة ، في طلب المحال ، وما لا يجوز ، وما لا يسوغ ، فوقّع الوزير في رقعة عرضها عليه : قاق قاق قاق . (الهفوات النادرة ٣٠٢ و٣٠٣) .

ومن لطيف التعريض ، ما أورده الصفدي في الوافي بالوفيات ٩/ ٤٠ ، قال : جمع القاضي ابن عمّار قاضي طرابلس ، بين أبي الفضل أسعد بن أحمد الطرابلسي (ت ٥٢٠) وبين مالكيّ ، فناظره في تحريم الفقاع ، فآنزعج المالكي ، وقال له : كلني ، فقال له أسعد : ما أنا على مذهبك ، يشير إلى ما يتّهم به المالكيون بأنّهم يجوّزون أكل الكلب .

وفي السنة ٥٧١ ولّى الخليفة المستضيء بأمر الله ، حجابة الباب ، أبا طالب نصر بن عليّ الناقد ، وكان يلقّب في صغره قنبراً ، فصاروا يصيحون به ذلك إذا خرج ، فأمر الخليفة أن يركب معه جماعة من الأتراك ، لمنع الناس من ذلك ، فامتنعوا، فلما كان قبل العيد ، خلع عليه ليركب في الموكب ، فاشترى جماعة من أهل بغداد ، شيئاً كثيراً من القنابر ، وعزموا على إرسالها في الموكب ، إذا رأوا ابن الناقد ، فأنهي ذلك إلى الخليفة ، وقيل له : يصير الموكب ضحكة ، فعزله ، وولّى ابن المعوجّ . (ابن الأثير ١١/ ٤٣٣) .

ومن لطيف التعريض ، قول ابن مغيث المغربي ، في عبد المجيد بن المهذّب ، وكان ابن المهذّب له في رأسه قروح ، وله عبد يؤثره اسمه سعيد ، فقال :

زرت عبد المجيد زورة مشتا قٍ إليه ، فصدّ عنّي صدودا

فكـأنّي أتيت انتـزع العمـ ـة عن رأسه وأخصي سعيـدا

اخذ هذا التعريض من ولّادة الاندلسية بنت المستكفي ، في تعريضها بالوزير بن زيدون مشيرة إلى غلام اسمه علي ، كان ابن زيدون يؤثره (الوافي بالوفيات ٥/٢٤٩) .

إنّ ابـن زيـدون على فـضـله يغتـابني ظلمـاً ولا ذنب لـي
يلحـظني شـزراً اذا جئتـه كـأنّني جئـت لأخصـي علي

ومن لطيف التعريض ، ما قاله البديع الدمشقي (ت ٥٢٤) ، في قاضي الصعيد ، يوحي إلى أنّه لا يصلح إلّا للصفع ، قال :

حـاكـمكـم بـهـيـمـة ليست تسـاوي العلفـا
ولـيس فـيـه مـضـغـة طـيّبـة إلّا الـقـفـا

فأمر القاضي بسجنه ، فقال : (فوات الوفيات ٢/١٣٣) .

أصبحت حلف مـصـائب من كيـد ذات حـرٍ سمين
أنـا يـوسف أمـرت بسجـ ـني زوجة القاضي المكين

وقلبت قينة بغدادية ، على عاشقها ، بعد أن تبيّن لها إفلاسه ، مرقةً من قدرسكباج ، وذلـك : إنّ فتًى بغداديّـاً كان يتعشّق قينـة ، وأنفق عليها مـاله ، فلمـا افتقـر ، اطّـرحتـه ، وزارهـا من بعـد ذلـك ، فحسبت أن أحـوالـه قـد تحسّنت ، ولكنّه آعترف لهـا بأنّـه ما يـزال مفلساً ، فـطردته ، ولمـا خرج الى الشارع ، قلبت عليه مرقة من قدر سكباج، وصيرته آية ونكالاً ، راجـع تفصيل ذلـك في كتاب نشـوار المحاضـرة للتنوخي ، تحقيق المؤلف ج ١ ص ١٧٩ رقم القصة ٩٣ .

وكان بالرقّة قـاصٌ يكثر من الحـديث في أخبار بني إسـرائيل ، فقـال له الحجّـاج بن حنتمة ، يسخـر منه : مـا كان اسم بقـرة بني إسرائيـل ؟ فقـال :

اسمها حنتمة ، فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : في أيّ الكتب وجدت هذا ؟ فقال : وجدته في كتاب عمرو بن العاص (وفيات الأعيان ٢٥/٥٥) .

وكان بين ابن زبرج العتّابي ، وابن الخشاب منافرات ومناقرات ، وكان ابن الخشاب يقول : الناس يتعجّبون اذا رأوا حماراً عتّابياً ، فكيف لا أتعجّب اذا رأيت عتّابياً حماراً (الوافي بالوفيات ٤/١٥٢) .

اقول : كان القماش المعلّم بالأعلام المختلفة الألوان ، يدعى ، العتّابي ، نسبة الى محلّه العتّابيين ، بالجانب الغربي من بغداد ، وكانت هذه المحلّة مشتهرة بصنع هذا الصنف من الثياب ، فنسب إليها ، ومنها اشتقّت تسمية حمار الزيبرا ، وهو الحمار المخطّط ، بالحمار العتّابي ، لأنّ جلده معلّم بخطوط بيضاء وسوداء على غرار الثياب العتّابية (الكنايات للمؤلف ص ٩٠ ، ٩١) .

وكان أبو حاتم محمد بن أبي المنهال الأزدي الزبنّي (ت ٤٠٨) قاضياً في (زبنّة) إحدى كور الساحل ، وإليها نسبته ، فهجاه ابن أبي مغنوج بأبيات أوّلها : (الوافي بالوفيات ٥/٧٩) .

أبا حاتم سدّ من أسفلك   بشيء هو الشطر من منزلك

ووقف الزمخشري ، على كتاب الأمثال للميداني ، فزاد في لفظة الميداني ، نوناً ، فصارت : النميداني ، ومعناها بالفارسية : الذي لا يعرف شيئاً ، فعمد الميداني إلى أحد تصانيف الزمخشري ، وأبدل الميم في اسمه إلى نون ، فصارت : الزنخشري ، ومعناها بالفارسيّة : بائع زوجته (الفلاكة والمفلوكون ١٣٠) .

ويشبه ذلك ما حصل بين ابن عمار الوزير الأندلسي ، وأبي بكر الداني ، لما اجتمعا في مجلس ، فقال له ابن عمّار : اجلس يا داني بغير

ألف ، فقال له : نعم ، يا ابن عمّار بغير ميم (نفح الطيب ٤/ ٢٦٠) .

وكان ابن عبد ربّه ، صاحب العقد الفريد والقلفاط الشاعر ، صديقين ، ثم تصارما ، وسبب ذلك إنّ ابن عبد ربّه كان في مشيته اضطراب ، فقال له القلفاط : يا أبا عمر ، ما علمت أنّك آدر إلّا اليوم ، لما رأيت مشيتك ، فقال له ابن عبد ربّه : كذبتك عرسِك يا أبا محمد ، فاغتاظ القلفاط منه ، وتصارما ، وتهاجيا (نفح الطيب ٣/ ٢٩٤) .

وكان الرمادي الشاعر الأندلسي ، أبو عمر يوسف بن هارون ، معاصراً للمتنبّي ، وكلاهما من كنده ، سمع المتنبّي قول الرمادي :

في أيّ جارحة أصون معذّبي   سلمَتْ من التعذيب والتنكيل
إن قلت في بصري فثم مدامعي   أو قلت في قلبي فثم غليلي

فقال المتنبي : يصونه في آسته ، وسمع الرمادي قول المتنبّي :

كفى بجسمي نحولاً أنّني رجلُ   لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني

فقال : فهو إذن ضرطة (نفح الطيب ٣/ ٧١ و٧٢) .

وحكى ابن سيد الناس ، قال : ان الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل الى الجامع الأزهر فوجد ابا الحسين الجزّار جالساً وإلى جانبه مليح ففرّق بينهما وصلّى ركعتين ولما فرغ قال لأبي الحسين : ما أردت الا قول ابن سناء الملك ، فقال له ابو الحسين : ما تفاءلت الا بقول صاحبنا السراج الوراق .

اراد الشيخ بهاء الدين بيت ابن سناء الملك : (تاج الأخبار ونتائج الافكار ـ مخطوط) .

أنا في مقعد صدق   بين قوّاد وعلق

واراد أبو الحسين بيتي السراج الوراق :

ومــهــذّب راض الأبــيّ فــقــاده سلس الــقــيــاد
لــمــا تــوسّط بــيــنــنــا جرت الأمور الى ســداد

وخلع السلطان نور الدين محمود زنكي ، على ملك النحاة ، خلعة سنيّة ، ونزل ليمضي الى منزله ، فرأى في طريقه حلقةً عظيمةً ، فمال إليها لينظر ما هي ، فوجد رجلاً قد علّم تيساً له ، استخراج الخبايا ، وتعريفه من يقول له من غير إشارة ، فلما وقف عليه ملك النحاة ، قال الرجل : في حلقتي رجل عظيم القدر ، شائع الذكر ، ملك في زيّ سوقة ، أعلم الناس ، وأكرم الناس ، وأجمل الناس ، فأرني إيّاه ، فشقّ ذلك التيس الحلقة ، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة ، فلما يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة ، ووهبها لصاحب التيس ، فبلغ ذلك نور الدين ، فعاتبه ، وقال : استخففت بخلعتنا حتى وهبتها لطرقيّ ؟ ، فقال : يا مولانا ، عذري في ذلك واضح ، لأنّ في هذه المدينة زيادة على مائة تيس ، ما فيهم من عرف قدري إلّا هذا التيس ، فجازيته على ذلك ، فضحك نور الدين ، وسكت (معجم الأدباء ٣/٧٨ و٧٩) .

وفي السنة ٥٧٩ ملك السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، حلب ، من عماد الدين زنكي بن مودود بن زنكي ، الذي نزل له عنها لقاء سنجار ونصيبين، فقبّح أهل حلب ما صنعه ، وأحضر أحد عامّة حلب اجّانة ، وماء ، وناداه: أنت لا تصلح للملك ، وإنّما يصلح لك ان تغسل الثياب ، وأسمعوه المكروه (ابن الأثير ١١/٤٩٧) .

ومن التعريض اللطيف ، ما صنعه الخليفة العباسي المستظهر ، مع الأبيوردي الشاعر أبي المظفر محمد الأموي ، وكان ينتسب الى معاوية الأصغر ، فإنّه كتب رقعة الى المستظهر ، وذكر فيها نفسه : الخادم المعاوي ،

فكره الخليفة النسبة ، وحكّ الميم ، فأصبحت الجملة : الخادم العاوي (وفيات الأعيان ٤٤٦/٤) .

وحضر الحيص بيص ، وهو تميمي ، وابن الفضل الشاعر (ت ٥٥٨) على السماط ، عند الوزير في شهر رمضان ، فأخذ ابن الفضل قطاةً مشويّة ، وقدمها إلى الحيص بيص ، فقال الحيص بيص للوزير : يا مولانا ، هذا الرجل يؤذيني ، فقال الوزير : كيف ذلك ، قال : قدّم لي قطاة ، يشير بها إلى قول الشاعر : (وفيات الأعيان ٥٦/٦) .

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلّت

وفي السنة ٥٧٣ حدثت فتنة في بغداد ، وهاجت العامّة على اليهود وقصدوا دكاكين المخلّطين ، وأكثرهم يهود ، فنهبوها ، وخربوا الكنيسة التي عند دار البساسيري ، وأحرقوا التوراة ، فأمر الخليفة ، فنصبت بالرحبة أخشاب ليصلب عليها قوم من المفسدين ، فظنّها العامة نصبت تخويفاً لهم ، فعلّقوا عليها في الليل جرذاناً ميتة . (ابن الأثير ٤٤٧/١١ و٤٤٨).

وفي السنة ٥٩٤ حصر خوارزم شاه علاء الدين تكش ، مدينة بخارى ، وامتنع أهلها منه ، وقاتلوه مع الخطا ، وأخذوا كلباً أعور ، وألبسوه قباء وقلنسوة ، وقالوا : هذا خوارزم شاه ، لأنّه كان أعور ، وطافوا به على السور ، ثم ألقوه في منجنيق إلى عسكر خوارزم شاه ، وقالوا : هذا سلطانكم ، وكان الخوارزميّون يسبّونهم ، ويقولون : يا أجناد الكفّار ، قد آرتددتم عن الإسلام ، فلم يزل هذا دأبهم حتى ملك خوارزم شاه البلد بعد أيّام يسيرة عنوة ، وعفا عن أهله ، وأحسن إليهم (ابن الأثير ١٣٧/١٢ و١٣٨) .

وفي السنة ٩١١ هجا الشاعر يوسف السلموني المصري ، القاضي معين الدين بن شمس وكيل بيت المال ، فقال فيه من قصيدة :

وحرفته فاقت على كلّ حرفة يركّب ياقوتاً على فصّ خاتمه

فشكاه معين الدين الى القاضي ، فضربه القاضي وأشهره (الكواكب السائرة ١/٣١٨) .

أقول : الظاهر أنّ الشاعر يشير إلى علاقة بين معين الدين وعبد من عبيده اسمه ياقوت .

وحدّثنا أحد أصحابنا من المحامين بالعراق ، قال : كنّا في وليمة ، وقدّمت إلينا ، رؤوس ، فمدّ أحد المحامين يده ، وأخذ لساناً قدّمه إلى أحد القضاة فشكره القاضي ، ثم قدّم اليه قطعة من المخّ ، وتبيّن لنا من بعد ذلك ، أنّ المحامي قدّم للقاضي اللسان ، يعيّره بأنّه غير منطيق ، وأنّه في حاجة إلى لسان ، فردّ عليه القاضي ، بأنّ قدّم له المخّ ، يعني أنّه في حاجة إلى دماغ .

وهكذا تشاتما بالإشارة ، من دون أن يشعر أحد بذلك .

ومن لطيف التعريض ما حدّثني به الأستاذ عبد القادر البرّاك ، قال : عند آنتهاء أمد عينيّة المرحوم جميل صدقي الزهاوي (أي عضويته في مجلس الأعيان العراقي) لم يجدّدها له المرحوم الملك فيصل الأوّل ، وعيّن في موضعه الحاج محمود الاسترابادي عضواً في مجلس الأعيان ، فأعلن الزهاوي على الملك فيصل حرباً لا هوادة فيها، وأخذ يتناوله في كلّ مجلس، تلميحاً إن كان المجلس عامّاً ، وتصريحاً إن كان المجلس خاصّاً ، وفي أحد الأيّام حضر الزهاوي مجلس الأستاذ فهمي المدرّس، وكان في صدر المجلس خارطة العراق ، فنهض الزهاوي واقترب منها ، وأخذ يطيل النظر إليها ، يتظاهر بأنّه يبحث عن شيء ، وآستلفت ذلك نظر صاحب الدار ، فسأله : عن أيّ شيء تبحث يا أستاذ ؟ فأجابه الزهاوي : أبحث عن استراباد ، لأرى موقعها ، وهل هي في وسط العراق أو في جنوبه ، يشير بذلك إلى أنّ استراباد مدينة إيرانية ، وأنّ الاسترابادي إيراني ، فلا يصلح أن يكون عضواً في مجلس

الأعيان العراقي ، فضحك الأستاذ المدرّس ، وقال : إنّ مدينة استراباد ، يا أستاذ ، تقع بجوار مدينة زهاو ، فأبحث عنها هناك ، ولا يخفى أنّ مدينة زهاو التي ينتسب إليها الزهاوي ، مدينة إيرانية أيضاً .

ومن أوجع ألوان التعريض ، ما قام به جماعة من الشبّان البغداديين في السنة ١٩٥٢ حيث قاموا بمظاهرة ضدّ الحكومة القائمة ، وعندما مرّوا بحزب الإتّحاد الدستوري ، وهو حزب الحكومة ، عمدوا إلى اللوحة المرفوعة على الباب ، وعليها اسم الحزب ، فرفعوها ، ووضعوها على مدخل زقاق المبغى العام (الكلّجيّة) . (تاريخ الأحزاب السياسية في العراق للحسني ٢١٩) .

وتذكّرني هذه القصّة بقصّة مماثلة لها حصلت في العشرينات في ابتداء تشكيل الحكومة العراقية خلاصتها ان السلطة البريطانية عمدت إلى جماعة من الوطنيّين فنفتهم إلى هنجام فهاج الناس في بغداد وكانوا ينتظرون من الحزب الحرّ[1] المعتدل أن يشجب هذا التصرّف من السلطة البريطانية فلم يحرّك الحزب ساكناً فنظم فيه شاعر العراق معروف الرصافي مقطوعة منها :

قولوا لحزب تسمّى الحرّ معتدلاً   هل أنت من بعد نفي القوم معتدل
قد احتملت من التاريخ لعنته   لله درّك ماذا أنت محتمل

وعمد جماعة من الشبان البغداديين إلى اللوحة المثبتة على باب الحزب وعليها اسمه فحملوها وعلّقوها على باب المبغى العام (دار القحاب) وحدث من بعد ذلك أن اجتمعت الهيأة الادارية للحزب فتأخر احد أعضائها عن الحضور وتعجّب رئيس الحزب وكان يرأس الجلسة من تأخّر العضو وتساءل عن سبب التأخر وكان المرحوم عبد المجيد الشاوي من جملة الاعضاء وهو أمير من أمراء الفكاهة لا تفوته النكتة في موضعها فقال للرئيس : لعلّ صاحبنا ذهب إلى المقرّ الجديد للحزب .

الفصل الثالث

التَفْل

التفل : بفتح فسكون : البصق .

والتفال ، بضم التاء : البصاق ، وهذه الكلمة ما زالت مستعملة في بغداد .

وهذا اللون من العذاب ، هو أقرب إلى الشتيمة ، منه إلى أيّ لـون من ألوان العذاب الأخرى .

في إحـدى المعارك ، صـرع الإمام علي ، رجـلاً من الكفّار ، ثم قعـد على صدره ليحتزّ رأسه ، فبصق ذلك الرجل في وجهـه ، فقام عنـه وتركـه ، فلمـا سئل عن سبب قيـامه عنـه بعد أن تمكّن منـه ، قال : إنّـه لمـا بصق في وجهي اغتـظت منـه ، فخفت إن قتلتـه أن يكـون للغيظ والغضب نصيب في قتله ، وما كنت أريد أن أقتله إلا خالصاً لوجه الله تعالى (الفخري ٤٤) .

وفي السنـة ٧٢ كتب عبد الملك بن مـروان إلى عبد الله بن خـازم أمير خراسان لابن الزبير ، وعرض عليه إمارة خراسان سبع سنين ، إن بـايعه وخلع ابن الزبير ، فـأبى ، فكتب إلى بكير بن وشـاح أمير مـرو ، يعرض عليـه إمارة خراسان ، ويحرّضه على الخروج على ابن خازم ، فخلع بكيـر ، فقصده ابن خازم الى مرو ، واشتبك مع بكير في معركة قتل فيها ابن خازم ، اعتوره بحير بن ورقـاء وعمّـار بـن عبـد العـزيـز الجشمي ، ووكيـع بن عميـرة القـريعي ، فطعنوه ، فصرعوه ، فقعد وكيع على صدره فاحتزّ عنقه ، قال وكيع : لمـا قعدت على صـدره ، حاول القيـام ، فلم يقـدر عليـه ، وقلت : يـا لثارات دويلة ،

ودويلة أخ لوكيع من أمّه ، قتله عبد الله بن خـازم ، فتنخّم (بصق) ابن خازم في وجهي : وقال : لعنك الله ، تقتل كبش مضر بـأخيك علج لا يسـاوي كفّاً من نوى (الطبري ٦/١٧٦ و١٧٧) .

وتفـل المنصـور العبـاسي ، على عبـد الله بن الحسن بـن الحسن العلوي ، لما اعتقله بالحجاز ، وأخذه معه مقيداً ، ومعـه كثير من بني الحسن إلى بغـداد ، حيث حبسهم ، حتى مـاتـوا في حبسه ، فلمـا وصـل المنصـور الربذة ، وهو في محمل والربيع معادل له ، ومعه بنو الحسن مغلولين ، صـاح عبد الله بن الحسن ، بالمنصور : يا أبا جعفر ، مـا هكذا فعلنـا بأسراكم يوم بدر ، فأخسأه أبو جعفـر ، وتفل عليـه ، ومضى ولم يعرّج (مقـاتل الـطالبيّين ٢٢١) .

أقـول : يشير عبـد الله بن الحسن بقولـه هذا ، إلى تصـرّف جدّه النبيّ صلوات الله عليـه ، بعـد وقعـة بـدر ، في العنـايـة بعـمّـه العبـاس ، جـدّ المنصـور ، لما أسـره المسلمون ، فـإنّ النبي قضى ليلته سـاهـراً ، فقـال لـه أصحابه : يا رسول الله ، مـالك لا تنـام ، فقال : سمعت تضـوّر الـعبّاس في وثاقه ، فقاموا إلى العباس ، فأطلقوه ، فنام رسول الله (الطبري ٢/٤٦٣) .

ولمـا جيء إلى المنصـور ، بـرأس إبـراهيم بن عبـد الله بن الحسن بن الحسن ، قتيـل باخمـرى ، ووضـع بين يـديـه في تـرس ، أكبّ عليـه بعض السيّافة ، فبصق في وجهه ، فنظر إليه أبو جعفر نظراً شديداً ، وأمر بدقّ أنفه ، فأخذته أعمدة الحرس ، وما زال يهشم بهـا حتى خمد (الـطبري ٨/٨١ و٨٢ وابن الأثير ٥/٥٥١) .

وكـان المنصور ، قـد طلب عمّه عبـد الله وقوّاده ، وأعـطاهم الأمـان ، ولكن خفـاف بن منصور ، أحـد القـوّاد ، حـذّرهم من غـدر المنصـور ، فلم يلتفتـوا إليه ، وقـدموا عليـه ، وكـان خفـاف معهم ، فلمـا وصلوا إليـه ، أمـر

المنصور ، فأخذت سيوفهم ، واعتقلوا ، فجعل خفاف يضرط في لحية نفسه (يعفط) ، ويتفل في وجوه أصحابه ، لأنّهم لم يستمعوا إلى نصحه ، ثم أنّ المنصور قتلهم بأجمعهم . (الطبري ٧/ ٥٠١ و٥٠٢ وابن الأثير ٥/ ٤٩٦ و٤٩٧) .

وكان من جملة ما يمتحن به المتهم بالزندقة في عهد العباسيين ، أن تعرض عليه صورة ماني ، ويؤمر بأن يبصق عليها ، فإن بصق زالت عنه التهمة (أخبار أبي نواس لابن منظور ٢٢٤ و٢٢٥) .

وتشاتم حماد عجرد ، وصاحبته خشة ، المعروفة بظبية الوادي ، فقال لها : يا زانية ، فقالت له : الزانية أمّك ، وثاورها ، وثاورته ، فشقت قميصه ، وبصقت في وجهه ، وقالت له : ما تصادقك إلاّ زانية (الأغاني ١٣/ ٢٨٢) .

وغضب المأمون ، على فرج الرخجي ، فبصق في وجهه .

وفرج الرخجي هذا ، نسبته إلى الرخج ، كورة ومدينة في نواحي كابل (معجم البلدان ٢/ ٧٧٠) أبوه زياد من سبي معن بن زائدة ، أمّا فرج فكان مولى لحمدونة بنت الرشيد (الهفوات النادرة ٧٧) وكان فرج من كبار العمّال في الدولة العباسّية ، وكان دميماً قبيح الصورة (المحاسن والاضداد ١١٦) وفيه شرّ وغدر ، ونفاق ومكر (رسوم دار الخلافة ٣٩) والقصّة المرويّة عنه في كتاب رسوم دار الخلافة ٣٨ ـ ٤٥ المشتملة على خيانة من أحسن إليه ، تدلّ على مقدار ما فيه من لؤم وخسّة ، ولي الاهواز للرشيد ، فسرق ، وظلم ، وخان ، فصرفه الرشيد ، ثم أعاده . والقصّة التي بصق المأمون من أجلها في وجهه ، وان كان فيها طول ، إلاّ إنّني آثرت إيرادها بكاملها ، قال مخلد بن أبان الكاتب : كان بيني وبين فرج الرخجي ، من التعادي لأجل الأعمال ، وولاية الأهواز ، والمجاورة ببغداد ، ما هو مشهور ، وكان في فرج شرّ

وغدر ، ونفاق ومكر ، وجرت الحال بيننا على ذلك أيّام الرشيد ، والأمين ، والمأمون ، واحترقت الدواوين في فتنة الأمين ، وفيها على فرج الأموال الجليلة ، وقد احتال في آستهلاك ما تعلّق به منها بضروب التوصّل والحيلة ، واتّفق أن آجتمعنا يوماً بحضرة المأمون ، وأخذنا في المناظرة ، وكنتُ أتولّى يومئذ الضياع العامّة ، وفرج يتولّى الضياع الخاصّة ، فقال لي المأمون : أنا أعلم أنّ جميع حساب فرج عندك ، وأنّه كان قد احتال فيما كان في الدواوين منه ، وما يقنعني منك إلاّ احضاري كلّ ما تعرفه وعمل مؤامرة له بما يلزمه ، فقلت له : لست أعرف من ذلك إلاّ قدر ما أتذكّره وأرجع إلى اثباتٍ عندي فيه ، وأطالع أمير المؤمنين به ، قال : افعل ، واجمع كلّ ما يمكنك جمعه ، ويتحقّق عندك وجوبه ، فانصرفت الى داري ، وكان عندي ، سائر الحساب ، وأحضرت كاتبين ، هما يونس بن زياد ، ويحيى بن راشد ، وحجبت الناس عنّي ، واشتغلت معهما بإخراج ما يقتضي إخراجه ، واستعانوا بابن حدث ليحيى بن راشد ، ليكتب بين أيديهم ، ولم يطلقوا له أن ينصرف إلى بيته ، وأقاموا على ذلك يومين وليلتين ، فأخرجوا على فرج مالاً جليلاً ، فأخذت المؤامرة ، وأبطلت كلّ ما يقدّر أنّ لفرج حجّة فيه ، وبقي على فرج مما حقّق وصحّح ، إثنان وثلاثون ألف ألف درهم ، لا حجّة له فيها ، وانصرف آبن يحيى إلى منزله ، فأخبر خاله بما صنعوا ، وكان خاله من أتباع فرج ، فذهب الى فرج وأخبره بما وقع ، فقامت قيامته ، وجاء إليّ ليلاً ، وطرق الباب وتوسّل بكل وسيلة حتى دخل اليّ ، وطرح نفسه على حصير بين يديّ ، وبكى طويلاً ، وقال لي : الله ، الله ، يا أبا الحسن فيّ ، وفي نعمتي ، وولدي ، لا تقتلني وتفقرني ، وآعفُ عن كلّ ما تقدّم منّي ، فإنّ في إخراج حسابي ، هلاكي وفقري ، وذهاب حالي بقيّة عمري ، فعاتبته على ما سبق منه ، وذكّرته بما صنع معي ، وكيف إنّه سعى عليّ مرّات ، وعرّضني للقتل وذهاب النعمة ، فقال لي : صدقتَ في كلّ ما قلت ، فجد عليّ بالفضل ، وقابلني بالصفح ، وحلف لي بالايمان العظيمة ، انّه لا يقوم بعدها مقاماً

يسوءني ، فقلت له : إنّي سوف أحسن إليك على تحقّقي بأنّك لن تقلع عن عادتك ، ولن ترجع عن عداوتك ، وأنّك سوف يأتيني منك من القبيح ، أكثر مما أتاني منك فيما مضى ، فقال : أكون إذن لغير رشدة (أي ولد زنا) ، فقلت له : فما تشاء ؟ فاطّلع على المؤامرة ، وأقرّ بما فيها ، وطلب منّي أن أنزل ما صحّح عليه ، إلى عشرين ألف ألف درهم ، فقلت له : ما دمتَ قد سلكتَ معي سبيل الإستصفاح والاستقالة ، فإنّي سوف أسقط عنك المطالبة ، وأحرقت المؤامرة أمامه ، فأظهر من الفرح والشكر أمراً عظيماً ، فقلت له : أما إنّك لن تترك غاية في الغدر وركوب الشرّ والبغي ، إلّا بلغتها ، فبكى فرج ، وقال : إذن أكون ولد زنا ، وجعل يحلف على الإخلاص والوفاء ، وخرج ، وتلطّفت له عند المأمون ، فاندرجت القصّة ، وزالت عن فرج المطالبة ، وبعد أقلّ من خمسة عشر يوماً ، سعى فرج في تعريضي للقتل والاستئصال ، وذلك إنّه كان لفرج غلام يعرف بنصر ، يعمل القلانس والشاشيّات ، وكان يعمل لنا ما نحتاج إليه منها ، فلما كان بعد هذا الحديث بأيّام جاءنا نصر بخمس شاشيّات ، قد تأنّق فيها فأخذها خادمي ، وأدخلها اليّ ، فاستحسنتها ، وأمرته أن يحضر لي واحدة منها ، إذا ركبت الى الديوان ، فأحضر واحدة منها في اليوم التالي ، ووضعتها على رأسي ، ولما وصلتُ إلى الدهليز ، وجدت أنّ برذوني يـراض ، فجلستُ في الدهليز ، وأحسست بحكّةٍ في رأسي ، فخلعت الشاشيّة ، ولما جسستها وجدت في باطنها شيئاً مربّعاً ، فأخذت سكّيناً من خادمي ، وفتقت الشاشيّة ، فإذا في داخلها صليب من الخوص ، فصاح خادمي ، فأسكتّه ، وآستدعيت الشاشيّات التي أحضرها نصر ، وفتحتها ، فإذا فيها جميعاً ، الصليب الخوص ، فأمرت خادمي فأحضر لي شاشيّة من غير صناعة نصر ، ولبستها ، وأمرت خادمي ، بأنّه إذا سأله نصر ، أن يخبره بأنّي لبست شاشيّة من صنعه ، وخرجتُ فإذا نصر بالباب ، وأخبره خادمي ، بما أمرته به ، ولما وصلت إلى الديوان ، وأذن الخليفة للكتّاب والقوّاد ، ودخل فرج ، فتعرّض فرج لي ، وهاترني ، وقال

للمأمون : والله ، يا أمير المؤمنين ، إنّ مخلداً ، لا يدين بدينك ، وإن أظهر انّه مولاك ، وإنّه ليعتقد عبادة الصليب ، ودليل ذلك إنّ في شاشيّته واحداً ، ومتى شككت في قولي فخرّقها ، وفتّشها ، وآعرف كذبي من صدقي فيه بآمتحانها ، فوجم المأمون لقوله ، وحمله كرم نفسه ، على السكوت ، فبادرت إلى شاشيّتي ، ومزّقتها بين يدي المأمون ، وحدّثته بخبري بتمامه ، وما دبّره عليّ في الشاشيّة ، وما فعله نصر القلانسي ، فعجب المأمون من ذلك ، وأحضر نصراً ، وسأله عن الصورة ، فلجلج ، فأمر به ، فمدّ ، وضرب خمسين عصا ، فآعترف ، وأحال على فرج فيها ، فبصق المأمون في وجه فرج ، وشتمه ، وانصرف فرج خازياً منخذلاً ، وخرجت مخلوعاً عليّ مكرماً ، وحمل فرج الى الحبس ، حيث تقرر عليه ثلاثة آلاف ألف درهم (رسوم دار الخلافة ٣٨ ـ ٤٥) .

أقول : كان لفرج الرخجي ، ولد اسمه عمر ، كان شرّاً من أبيه ، انظر ترجمته في الفصل الثاني من الباب الثالث ، وهو بحث الصفع .

وولي عيسى بن المنكدر ، القضاء بمصر ، من السنة ٢١٢ الى السنة ٢١٤ فصال أحد الخصوم على خصمه ، فأمر القاضي الخصم المعتدى عليه بأن يبصق في وجه الخصم المعتدي ، ففعل ، فقال له القاضي : أذلّك الحقّ . (القضاة للكندي ٤٣٨) .

وكان أحمد بن الخصيب يركل المتظلّمين ، ويبصق عليهم ، أما أبو عبّاد ثابت بن يحيى ، فكان يضربهم بالمقرعة ، إذا كان راكباً ، وبالدواة ، إذا كان في دسته ، أما أحمد بن أبي خالد ، فكان يشتمهم ، أما أبو العباس بن الفرات ، فكان يشتم ، ويرفس برجله في الركاب ، ويقنّع المراجعين بالمقرعة ، ويبصق عليهم ، راجع القصة ٨/٣٥ من كتاب نشوار المحاضرة للتنوخي (ج ٨ ص ٨٣ ، والهفوات النادرة ٢٦١) .

ولما هاج الجند الاتراك على الخليفة المهتدي ، دخلوا عليه ، وجعلوا يصفعونه ، ويبصقون في وجهه . (الطبري ٤٥٨/٩) .

وفي السنة ٢٩١ اشتبك الجيش العباسي ، والقرامطة ، في معركة ضارية ، فأسر رئيس القرامطة ابن زكرويه ومعه من رؤساء القرامطة المدثّر ، والمطوّق ، وغلام له رومي ، وأدخلوا الرقّة ، على جمال ، وعليهم برانس حرير ودراريع ديباج ، ثم أدخلوا بغداد مشهرين وكان ابن زكرويه صاحب الشامة على كرسي ارتفاعه ذراعين ونصف ذراع راكباً على ظهر فيل ، أما أصحابه فكانوا على جمال ، مقيّدين ، وعليهم دراريع وبرانس حرير ، وكان المطوّق في وسطهم غلام ما خرجت لحيته بعد ، وقد جعل في فيه خشبة مخروطة شدّت إلى قفاه بهيأة اللجام ، وذلك إنّه كان لما دخل الرقّة كان يشتم الناس اذا دعوا عليه ويبزق عليهم ، ففعل به ذلك (الطبري ١٠٨/١٠ - ١١٢) .

وركب ابن الجصاص الجوهري التاجر ، مع الوزير الخاقاني ، في المركب ، وكان بيده بطيخة كافور ، وأراد أن يبصق في دجلة ويعطي الوزير البطيخة ، فبصق في وجه الوزير ، ورمى البطيخة في دجلة ، فارتاع الوزير ، وقال له : ويحك ما هذا ؟ فأخذ يعتذر للوزير ، ويقول : أردت أن أبصق في وجهك ، وأرمي البطيخة في الماء ، فغلطتُ ، فقال له الوزير : كذا فعلتَ يا جاهل ، فغلط في الفعل ، وفي الاعتذار (الهفوات النادرة ٣٠ والنجوم الزاهرة ٢١٨/٣) .

وفي السنة ٣٥٣ قبض بمصر على رجل يعرف بأبي الليث الواسطي ، ينسب إلى التشيّع ، فضرب مائتي سوط ، ثم ضرب خمسمائة سوط ، وجعل في عنقه غلّ ، وحبس ، وكان يتفقّد في كلّ يوم ، لئلا يخفّف عنه ، ويبصق في وجهه ، فمات في حبسه ، وحمل ليلاً ودفن (خطط المقريزي ٣٤٠/٢) .

ودخل النظّام على شيخه أبي الهذيل ، وقد اسنّ ابو الهذيل وبعد عهده بالمناظرة ، والنظام ما يزال حدث السنّ ، فقال : يا أبا الهذيل ، أخبرني عن فراركم من أن يكون جوهراً، مخافة أن يكون جسماً، فهلا فررتم من أن يكون جوهراً مخافة أن يكون عرضاً ، والجوهر أضعف من العرض ، فبصق أبو الهذيل في وجهه ، فقال له النظّام : قبّحك الله من شيخ فما أضعف حجّتك (سرح العيون ١٥٥) .

وفي السنة ٣٩٧ بعث الحاكم الفاطمي جيشاً بقيادة ينال الطويل لقتال أبي ركوة ، وانتصر أبو ركوة ، وأسر ينال ، وقال له : العن الحاكم ، **فبصق ينال في وجه أبي ركوة** ، فأمر به أبو ركوة فقطع إرباً إرباً (النجوم الزاهرة ٤/٢١٦) .

وفي السنة ٤٠٣ بعث السلطان محمود بن سبكتكين الى حضرة الخليفة كتاباً ورد إليه من الحاكم الفاطمي صاحب مصر ، يدعوه فيه إلى طاعته ، والدخول في بيعته ، وقد خرّقه ، **وبصق في وسطه** . (المنتظم ٧/٢٦٢) .

وكان رئيس الرؤساء ، ابن المسلمة ، يتعصّب على أهل الكرخ ، ويؤذيهم ، فلما اعتقله البساسيري في السنة ٤٥٠ وأشهره ، من محبسه في الحريم الطاهري ، ماراً بالكرخ ، إلى حدّ النجمي، **بصق أهل الكرخ في وجهه** عند اجتيازه بهم . (المنتظم ٨/١٧٢ و١٩٧ وابن الأثير ٩/٦٤٤) .

وفي السنة ٥١٤ فتح عبد المؤمن الموحدي مراكش ، واعتقل أمير المرابطين إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، وبقيّة أمراء المرابطين ، ومن جملتهم الأمير سير بن الحاج ، وكان إسحاق أمير المرابطين صبيّاً صغيراً ، فأخذ يبكي ، فقام إليه الأمير سير ، **وبصق في وجهه** ، وقال له : تبكي لأمّك وأبيك ؟ إصبر صبر الرجال ، فإنّ هذا الرجل (يريد عبد المؤمن)

لا دين له ولا يخاف الله ، فقام اليه الموحّدون بالخشب ، فضربوه حتى قتلوه . (ابن الأثير ١٠/٥٨٤) .

وفي السنة ٧٠٢ كانت معركة بين جيش التتار ، بقيادة قطلو شاه ، وجيش السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت المعركة قرب دمشق ، وانكسر جيش التتار ، فلما عاد قطلوشاه مكسوراً إلى السلطان غازان ، سلطان التتار ، أمر غازان بقتله ، فما زالوا به حتى عفا عن قتله ، وأمر بأن يوقف في موضع يحبث يراه ، وأمسك به الحجاب ، وصار كلّ واحد من الحاضرين يبصق في وجهه ، وكانوا خلقاً كثيراً ، حتى بصق الجميع في وجهه . (النجوم الزاهرة ٨/١٦٤ و١٦٥) .

وكان أبو الحارث جمّيز ، يظهر لجارية من المحبّة أمراً عظيماً ، فدعته ، وأخّرت الطعام إلى أن ضاق ، فقال لها : يا سيّدتي مالي لا أسمع للغداء ذكراً ؟ فقالت : يا سبحان الله ، أما يكفيك النظر إليّ ، وما ترغبه فيّ ، عن أن تقول هذا ؟ فقال : يا سيّدتي ، لو جلس جميل وبثينة ، من بكرة الى هذا الوقت لا يأكلان طعاماً ، لبصق كلّ واحد منهما في وجه صاحبه (الملح والجواهر ٢٧٩ و٢٨٠) .

وقالت الخنفساء لأمها : ما مررت بأحد إلاّ بصق عليّ ، فقالت لها : يا بنيّة لحسنك تعوّذين (الملح والنوادر ٣٠٤) .



الفصل الرابع

عرك الأذن

عرك الأذن : فركها بين إصبعين من أصابع اليد

والبغداديّون يسمّون ذلك : فرك الاذن ، أو جرّ الاذن ، وهم يكنّون عمّن يحتاج إلى تأديب أو ترويض ، بأنّه يحتاج إلى « جرّ إذن » ، «و « فرك إذن » (ويلفظونه كلمة اذن ، بكسر الألف والذال) ، ويعتبرون « جرّ الإذن » من علامات الاستسلام والإستخذاء .

والبغداديّ ، إلى الآن ، إذا أراد الإعتراف بانتصار خصمه عليه ، أمسك له أذن نفسه ، وجرّها ، ويعتبر هذا منه ، إعترافاً بالاستسلام .

والظاهر أنّ تقليد جرّ الاذن اعترافاً بالإستسلام قديم في بغداد ، وقد أبصرت صوراً لملوك المغول الايلخانية ، وقد وقف غلمانهم وخدمهم ويمنى كلّ واحد منهم قد أمسك بها شحمة أذنه .

والأصل في عرك الأذن ، أن يمارس مع الصبيان ، أو مع الأشخاص قليلي الأهميّة ، فإذا جرت ممارسته مع شخص ذي حرمة ، فالمقصود بذلك إذلاله ، باظهار الاستهانة به .

وكان نصر بن سيار ، قد نصبه هشام لإمارة خراسان ، فغاظ ذلك يوسف بن عمر الثقفي ، لأنّ من كان قبله في إمارة العراق ، هو الذي يولّي أميراً لخراسان ، فكتب يوسف إلى هشام يطلب منه أن يضمّ خراسان إلى

العراق ، وأن ينصب الحكم بن الصلت الثقفي أميراً عليها ، وأثنى عليه ، وقال إنّ نصيحته لأمير المؤمنين مثل نصيحتنا ومودّتنا أهل البيت ، وسأل هشام عن الحكم أحد القوّاد بخراسان وهو مقاتل بن علي السغدي فقال إنّه يعرف الحكم وإنّه كان ولي قرية يقال لها الفارياب ، خراجها سبعون ألفاً ، وإنّ الحارث بن سريج أسره ، فاكتفى بفرك أذنه ، وقفده ، وخلّى سبيله . (الطبري ١٩٣/٧) .

ووصل المنصور ، أحد أتباعه بدنانير ، وضعها له تحت سجّادته ، فأغفل منها ديناراً . فقال له آدن منّي ، فدنا ، فعرك أذْنه عركاً شديداً ، وقال : تترك ديناراً . وفيه نفقة يومك ، راجع القصّة في المحاسن والمساوىء (١٤٢/١) .

ولما عزل الوزير ابن الفرات ، من وزارته الأولى ، نيطت مناظرته برجل شرير ، هو أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابه ، فكان من جملة ما عذّبه به أن أمر بعرك أذنيه . (تجارب الأمم ٨٨/١ و٨٩ الحاشية) .

الفصل الخامس

السحب

السحب : الجرّ على وجه الأرض .

ويمارس هذا اللون من العذاب ، عادة ، بقصد الإهانة والإذلال ، بأن يمسك بساقي الأسير ، ويسحب على الأرض ، ثم يترك ، أما إذا كان المطلوب قتل المعذّب ، فيجري شدّ أحد أطرافه إلى دابّة ، ثم تركض شوطاً ، فيموت من جراء ذلك .

أما سحب جثّة الانسان وهو ميت ، فلا يدخل في هذا الباب ، وإنّما يدخل في بحث المثلة.

ومثل مروان بن أبي حفصة ، بين يدي المهدي العباسي ، للإنشاد ، فقال له : من آنت ؟ ولما عرف أنّه مروان ، قال له : ألست القائل في معن بن زائدة :

أقمنا باليمامة بعد معنٍ　　مقاماً لا نريد به زوالاً
وقلنا أين نذهب بعد معنٍ　　وقد ذهب النوال فلا نوالا

فإذا كان النوال قد ذهب ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ ، وأمر به فجرّوا برجله حتى أخرج . (الفرج بعد الشدة للتنوخي رقم القصة ١٣٦) .

وغضب المهدي ، مرّة ، على وزيره أبي عبيد الله ، فشتمه ، ثم أمر به ، فجروا برجله ، وآخرجوه ، وحبس . (اعتاب الكتاب ٧٣) .

وأمر جعفر بن المنصور ، المعروف بابن الكرديّة ، بحمّاد الراوية ، فصفع ، ثم جرّ برجله حتى أخرج من بين يديه (الأغاني ٦/٨١ و ٨ / ٢٥٣) .

وقال الشاعر ابن مناذر : دخلت على الرشيد ، فبدر الفضل بن الربيع ، قبل أن أتكلّم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا شاعر البرامكة ومادحهم ، فتنكّر الرشيد ، وعبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قول فيهم :

أتانا بنو الأملاك من آل برمك

فأمرني ، فأنشدته ، فقال : يا غلام ، ألطم وجهه ، فلطمت حتى سدرت ، ثم قال : آسحبوه على وجهه ، فسحبت حتى أخرجت (الاغاني ١٨/٢٠١) .

وغضب الأمين ، على الحسين بن الضحاك ، وهما في مجلس شراب ، فأمر به ، فجرّ من رجله ، وأخرج مسحوباً ، راجع القصّة في كتاب الفرج بعد الشدّة ، للتنوخي ، تحقيق المؤلف ، رقم القصة ٢٦٤ .

ومازح المسدود المغنّي ، الخليفة الواثق ، فغضب ، وقال : خذوا برجل العاضِ بظر أمّه ، فسحب من بين يديه ، ونفي الى عمان (الاغاني ٢٠/٢٨٩) .

وغضب الواثق مرّة على إسحاق الموصلي ، فأمر به ، فسحب من مجلسه ، ونفاه إلى بغداد (الأغاني ٥/٣٦١) .

وفي السنة ٢٥٥ لما أراد الأتراك خلع المعتز ، دخلوا عليه ، وجرّوا برجله الى باب الحجرة . (الطبري ٩/٣٨٩) .

وغضب الوزير عبيد الله بن سليمان ، وزير المعتضد ، على عامل

بادوريا ، فأمر به فسحب من مجلسه ، راجع تفصيل ذلك في كتاب نشوار المحاضـرة وأخبار المذاكرة للقاضي التنوخي ج ٨ ص ٢٣ـ ٢٦ .

وغضب العبّاس بن الحسن ، وزير المكتفي ، على الحسن بن محمد القصري ، المعروف بابن زياد ، وكان إليه الصدقات بقصر ابن هبيرة ، فقال : من ابن زياد الكلب ، حتى يلقاني بما لاقاني به ، ورفع الكتاب الى أبي الحسن بن الفرات ، وقال له : أنفذ إليه من يسحبه إلى الحضرة على وجهه ، فأخذ ابن الفرات الكتاب ، وتلاه ، فاشتدّ غيظه من ابن زياد ، وأمر بإنفاذ من يجرّه من القصر (قصر ابن هبيرة ، احسب أن قد حلّت محلّه الآن مدينة المسيّب) . (الوزراء للصابي ٢٥٤ و٢٥٥) .

وغضب الوزير المهلّبي ، وزير معزّ الدولة ، في السنة ٣٥٠ على أبي بكر محمد بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي ، فأمر به بأن تجرّ رجله ويطرد من مجلسه ، فجرّ من رجله وأخرج ، راجع التفصيل في كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي في القصة رقم ٣٧/١ .

وفي السنة ٣٦٢ قتل صاحب المعونة ببغداد ، رجلاً من العامة ، فثار به العامة والأتراك ، فهرب ، والتجأ الى دار ، فأخرج منها مسحوباً ، وقتل ، وأحرق (ابن الأثير ٦٢٨/٨) .

وفي السنة ٦٠٣ قتل شاب يعرف بابن المقرىء ، ببغداد ، شاباً ، بسبب اختلاف ونزاع على مغنيّة ، وفرّ القاتل ، ثم قبض عليه ، وقرّر ، فأقرّ بقتله ، فسلّم إلى أخي المقتول ليقتصّ منه ، فأخذه مكتوفاً ، مسحوباً بشعره في أعراف الخيل ، إلى قراح ابن رزين ، حيث ارتكبت جريمة القتل وقتلوه ضرباً بالسيوف ، ثم وطئوه بالخيل ، وبقي ملقى هناك أربعة أيّام ، لا يؤذن لأهله في دفنه، ثم أذن لهم ، فأخذوه ودفنوه . (الجامع المختصر ١٩٩ و٢٠٠) .

وغضب السلطان محمد بن تغلق سلطان الهند ، على رجل أعمى ، خالف أمره في مبارحة دهلي ، فأمر بأن يجرّ من دهلي إلى دولة آباد ، مسيرة أربعين يوماً ، فتمزّق في الطريق ووصل منه رجله . (رحله ابن بطوطة طبعة صادر ص ٤٧٩).

وفي السنة ٧٦١ أسر السلطان ابراهيم بن عليّ المريني ، الحسن بن عمر الفودوي ، فطيف به على جمل بمدينة فاس ، ثم أمر به السلطان فسحب على وجهه ، وضرب ثم قتل (الاعلام ٢/٢٢٦) .

وفي السنة ٩٢٥ اتّهمت صبيّة مصريّة ، في القاهرة ، بأنّها كانت مع نصراني ، فأمر بها ملك الأمراء ، نائب السلطان ، فعرّيت من أثوابها ، وكتّفت ، وربطت من رجليها إلى ذنب اكديش ، وسحبت على وجهها ، فماتت في الطريق (بدائع الزهور ٥/٢٩٠) .

واتّهم إبراهيم بن خضر اللاري التاجر (ت ٩٤٦) نزيل حلب ، أحد مماليكه بأنّه اختلس من أمواله ، فأمر به فربط إلى ذنب فرس جرت به في شوارع حلب إلى أن مات . (اعلام النبلاء ٦/٢٧) .

الفصل السادس

الحصب

الحصب : الرمي بالحصباء ، أي الحصى ، وكانت المساجد مفروشة بالحصى ، يسبّح به المصلّون ، ويحصبون به الولاة والخطباء ، إذا سمعوا منهم ما لا يرضيهم .

وكان عبد الملك بن هلال عنده زنبيل ملآن حصى ، فكان يسبّح بواحدة واحدة ، فإذا ملّ شيئاً طرح آثنتين آثنتين ، ثم ثلاثاً ثلاثاً ، فإذا ملّ ، قبض قبضة ، وقال : سبحان الله بعدد هذا ، فإذا ضجر ، أخذ بعروتي الزنبيل ، وقلبه ، وقال : سبحان الله بعدد هذا كلّه ، وإذا بكّر لحاجة ، وكان مستعجلاً ، لحظ الزنبيل لحظه ، وقال : سبحان الله عدد ما فيه من حصى (البيان والتبيين ٣/٢٢٨) .

ولما تأنّق المعمّرون في بناء المساجد ، وبلّطت ساحاتها ، وآتّخذت المسابح للتسبيح ، انقطع الحصى عن المساجد ، فآنقطع الحصب .

وقد بدأ حصب الولاة من زمن الخليفة عمر ، فقد رووا إنّه بلغه أنّ أهل العراق قد حصبوا أميرهم ، فخرج غضباناً (تاريخ الخلفاء ١٢٧) .

ولما حصر أهل الأمصار ، الخليفة عثمان بن عفّان ، خرج في يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ، وخطبهم ، فانقسم الناس وتحاصبوا ، وحصبوا عثمان ، فدخل داره (شرح نهج البلاغة ٢/١٤٢) .

ولما قدم الزبير وطلحة البصرة ، يتأهّبان لقتال الإمام علي ، اجتمعوا بالمربد ، وخطب طلحة والزبير ، فأيّدهما قوم ، وخالفهما قوم ، فتحاثى الناس وتحاصبوا (الطبري ٤/٤٦٤) وقام رجل من جشم ، فقال : أيّها الناس ، إنّ هؤلاء قدموا إلينا من مكّة ، فإن كانوا خائفين فقد قدموا إلينا من المكان الذي يأمن فيه الطير ، وإن جاءوا مطالبين بدم عثمان ، فغيرنا الذي ولي قتله ، فأطيعوني وردّوهم من حيث أقبلوا ، فحصبه ناس من أهل البصرة فأمسك ، ثم خطبت عائشة ، فماج الناس واختلطوا ، فمن قائل : القول ما قالت ، ومن قائل يقول : هي امرأة مأمورة بلزوم بيتها ، وآرتفعت الأصوات ، وكثر اللغط حتى تضاربوا بالنعال وتراموا بالحصى (شرح نهج البلاغة ٩/٣١٤ و٣١٦) .

وكان عبد الله بن عمر بن غيلان ، عامل البصرة لمعاوية ، يخطب على المنبر ، فحصبه رجل من بني ضبّة ، فأمر به فقطعت يده (الطبري ٥/٢٩٩) .

واستعمل معاوية بن أبي سفيان ، على الكوفة ، الضحّاك بن قيس الفهري ، فحصبوه (العقد الفريد ٤/٨) .

وفي السنة ٥٠ لما استعمل معاوية زياداً على الكوفة ، إضافة الى البصرة ، قدم الكوفة ، وجلس على المنبر ، فحصب ، فجلس حتى أمسكوا ، ثم أمر فأخذت أبواب المسجد ، ثم أمر بكرسيّ ، فوضع له على باب المسجد ، ودعا الموجودين فيه ، وطلب منهم أن يحلفوا بالله ما حصبناك ، فمن حلف خلّاه ، ومن لم يحلف ، بلغ عددهم ثمانين ، فقطع أيديهم . (ابن الأثير ٣/٤٦١ و٤٦٢ الطبري ٥/٢٣٥ تاريخ الكوفة ٤٣) .

وخرج زياد من الكوفة الى البصرة ، واستعمل على الكوفة عمرو بن

حريث ، فخطب الناس ، فحصبوه ، وشتموه . (الأغاني ١٣٥/١٧ و١٣٦) .

ولما اتّصل بيزيد خبر توجّه الحسين إلى العراق ، كتب إلى عبيد الله بن زياد ، وكان يلي البصرة ، بولاية الكوفة معها ، وكان عليها قبله النعمان بن بشير الأنصاري ، فجاء عبيد الله إلى الكوفة وهو ملثّم ، فحسبه الناس الحسين ، فكان إذا سلّم عليهم ، قالوا : وعليك السلام يا ابن رسول الله ، قدمتَ خير مقدم ، حتى إذا طرق باب القصر ، حسر اللثام عن وجهه ، فلما رأوه تنادوا : إبن مرجانه ، وحصبوه ، ففاتهم ودخل القصر . (شرح المقامات الحريرية ١٧٢/١) .

وفي السنة ٦٤ لما هلك يزيد بن معاوية ، طالب عبيد الله بن زياد أهل البصرة أن يبايعوه على أن يقوم بأمرهم حتى يصطلح الناس على إمام يرضونه لأنفسهم ، وأرسل عبيد الله رسولاً إلى الكوفة يدعو أهلها لمثل ما دعى إليه أهل البصرة ، فأبوا عليه وحصبوه ، وحصبوا الوالي الذي كان عليهم (الطبري ٥٠٣/٥ وأنساب الأشراف ٩٧/٢/٤) .

وذكر صاحب الإمامة والسياسة ١٦/٢ إنّ عبيد الله لما خاطب أهل البصرة ودعا الى نفسه ، بعد هلاك يزيد ، حصبه الناس ، ورموه بالحجارة ، وسبّوه .

وكان عمرو بن حريث ، خليفة عبيد الله بن زياد على الكوفة ، فخطبهم في السنة ٦٤ فحصبوه ، فدخل داره (الطبري ٥٢٤/٥) .

ولما دخل الحجّاج الكوفة ، في السنة ٧٥ ، جلس على المنبر ، فسكت ، وطال سكوته فتناول محمد بن عمير حصى ، وأراد أن يحصبه بها (ابن الأثير ٢٠٤/٦) .

ولما جلس الحجّاج على منبر البصرة وتكلّم ، حصبه الناس ، فلما أكثروا ، خلع عمامته ، فوضعها على ركبته ، وكانت هذه إشارة إلى جنده بقتل الناس ، فجعلت السيوف تبرى الرقاب فسالت الدماء إلى باب المسجد والى السكك . (الامامة والسياسة ٢/ ٢٦) .

وكان سعيد بن المسيب ، يحضر الجمعة في مسجد النبي صلوات الله عليه فإذا خطب هشام ، عامل عبد الملك على المدينة ، أقبل سعيد عليه بوجهه ما دام يذكر الله ، حتى إذا بدأ بمدح عبد الملك أعرض سعيد عنه بوجهه ، ففطن هشام لذلك ، فأمر حرسيّاً بأن يحصب وجه سعيد إذا تحوّل عنه ، ففعل ذلك به ، إلى أن عزل هشام . (الامامة والسياسة ٢/ ٢٦) .

وفي السنة ١٤٤ جهر رياح ، عامل المدينة لأبي جعفر ، بشتم محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن ، فسمّاهما : الفاسقين الخالعين الحاربين ، ثم ذكر أمّهما فأفحش ، فأعظم السامعون ذلك ، وقالوا : لا نسمع منك يا ابن المحدود ، وبادروه بالحصى . (الطبري ٧/ ٥٣٧) .

وفي السنة ١٣٢ قلّد أبو العبّاس السفّاح ، أخاه يحيى ، الموصل ونواحيها ، وكان يحيى فدماً ، ناقص العقل ، متخلّفاً . مستهتراً بالشراب ، فأوصى بصنع طبول ، وجيء إليه بواحد منها ، وهو على بغلته يريد المسجد الجامع لصلاة الجمعة ، فلمّا رأى الطبل علّقه في عنقه ، ودقّه ليرى جودة صوته ، فنفرت به البغلة ، وحملته والطبل في عنقه ، في الممرّ الذي يوصله من بيته إلى الجامع ، فلمّا سمع الحجّاب وقع حافر البغلة رفعوا الستر ، فدخلت البغلة به الى وسط الناس وهي نافرة ، والطبل معلّق في عنقه ، فرماه الناس بالحصى من جميع أنحاء المسجد ، فما أفلت إلّا بحشاشة نفسه ، وبلغ السفّاح ما صنع ، فعزله (الهفوات النادرة رقم ١١٣ ص ١٠٠ و١٠١) .

وذكر صاحب نفح الطيب ١/ ٢٢٠ أنّ الناس بالأندلس ، إذا رأوا من

السلطان ، أو من أحد أصحابه تهاوناً في أمور الدين ، دخلوا عليه قصره ، وأخرجوه ، ونفوه عن بلدهم ، أمّا الرجم بالحجارة للقضاة ولولاة الأعمال إذا لم يعدلوا ، ففي كلّ يوم .

وجاء في خطط الشام ٢/١٨٥ إنّه في السنة ٨٠٤ رجم أهل دمشق ، نائب الشام ، الأمير تغري بردي ، وأرادوا قتله ، ففرّ إلى حلب .

وجاء في خطط الشام ٢/٢٠٩ إنّه في السنة ٩٠٣ حصب الحلبيّون ، نائب حلب ، إينال السلحدار ، وطردوه من بلدهم ، لأنّه أراد أن يسلّم حلب إلى أقبردي الدوادار .



الفصل السابع

الحذف بما في اليد

ولما قتل الحسين عليه السلام ، في موقعة الطف ، عمد سنان بن أنس إليه ، وهو قتيل ، فآحتز رأسه ، وجاء به حتى وقف على فسطاط عمر بن سعد ، قائد الجيش ، وهو يقول :

أوقر ركابي فضّة وذهبا   فقد قتلت السيّد المحجّبا
قتلتُ خير الناس أمّاً وأبا   وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فصرخ فيه عمر بن سعد : أشهد أنّك لمجنون ما صححت قطّ ، ثم خذفه بالقضيب ، وقال له : يا مجنون ، لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك (الطبري ٥/٤٥٣ و٤٥٤) .

ودخل أسقف نجران ، على المصعب بن الزبير ، فكلّمه بشيء فأغضبه ، فرماه بقضيب كان في يده ، فأدماه ، فقال له الأسقف : إنّ المسيح قال : لا ينبغي للرئيس أن يكون سفيهاً ، ومنه يلتمس الحلم ، ولا جائراً ، ومنه يلتمس العدل ، فقضى حاجته (أنساب الأشراف ٥/٢٨٢) .

رمى الرشيد ، سلّاماً الخادم ، بسفرجلة كانت في يده ، وشتمه ، لمدحه سيرة العمرين ، وتفصيل ذلك : إنّ الرشيد ولّى سلّاماً الخادم ، ضياعه بالثغور والشامات ، فتواترت الكتب بحسن سيرته ، ثم وفد عليه ، فلما دخل عليه ، كان الرشيد يأكل سفرجلاً ، حمل اليه من بلخ ، وهو يقشره

ويـأكله ، فتكلّم سلام ، وأخـذ يـذكـر حسن سيـرتـه ، حتى قـال : أنسيتهم ـ والله ـ يـا أمير المؤمنين سيـرة العمرين ، فغضب الـرشيد ، واستشـاط ، وأخذ سفـرجلة فرمـاه بها ، وقـال له : يـا ابن اللخناء العمرين العمـرين (الـطبـري ٨/٣٥٤).

وفي السنة ١٨٧ بالعمر الذي بالأنبار ، أمر الرشيد ، خادمه مسروراً بأن يقطع عنق الوزير جعفر البرمكي ، وأن يأتيه برأسه ، وبالنظر لخطر الأمر ، فقد راجع الرشيد ، يستثبته في تنفيذ العمل ، فشتمه ، وقال له : يا ماصّ بظر أمّه ، آئتني برأسه ، ثم راجع الرشيد ، مرّة أخرى ، فحذفه بعمود كان في يده ، وحلف إنّه إن لم يأته برأسه ، ليقتلنّه ، فذهب الى جعفر ، وقطع عنقه ، وأحضر رأسه فوضعه أمام الرشيد (ابن الأثير ٦/١٧٥ ـ ١٧٩) .

واستدعى الرشيد ماءً مبرّداً بالثلج ، فلم يوجد في الخزانة ثلج ، فأحضر إليه ماء غير مثلوج ، فضرب وجه الغلام بالكوز ، وآستشاط غضباً ، فقال له أحد الحاضرين : أقول يا أمير المؤمنين وأنا آمن ؟ قال : قل ، قال : يا أمير المؤمنين ، قد رأيتَ ما كان من الغير بالأمس ، والدنيا غير دائمة ، ولا موثوق بها ، والحزم ألاّ تعوّد نفسك الترفّه والنعمة ، بل تأكل الليّن والجشب ، وتلبس الناعم والخشن ، وتشرب الحار والقار ، فنفحه الرشيد بيده ، وقال : لا والله ، لا أذهب إلى ما تذهب إليه ، بل ألبس النعمة ما لبستني ، فإذا نابت نوبة الدهر ، عدت إلى نصاب غير خوّار (شرح نهج البلاغة ٢/٢٠) .

كان أبو عبّاد ثابت بن يحيى بن يسار ، وزير المأمون ، كاتباً ، حاسباً ، وكان أهوج شديد الحدّة ، سريع الغضب ، وكان إذا اغتاظ من بعض من يكون بين يديه ، رماه بدواته ، أو شتمه فأفحش ، فقال فيه دعبل : (الفخري ٢٢٦) .

أولى الأمور بضيعةٍ وفسادِ أمـر يـدبّـره أبـو عبّـاد
يسطو على كتّابه بدواتـه فمضمّخ بدمٍ ونضح مداد
وكأنّه من دير هِزْقِل مَفلتٌ جِردٌ يجرّ سلاسل الأقياد

أقول : اشتهر أبو عبّاد ، وزير المأمون ، بحدّته ، وتهوّره ، حتى أنّ المأمون لما قيل له إنّ دعبلاً هجاك ، قال : إنّه قد تجرّأ على هجاء أبي عبّاد ، يعني أنّ الذي يجسر على هجاء أبي عباد مع حدّته وتهوّره ، لا يخاف من هجائي مع حلمي ورغبتي في العفو .

وذكر صاحب الهفوات النادرة (ص ٢٤٧) ، أنّ أبا عبّاد هذا ، انصرف يوماً من الديوان ، فلما وصل إلى الباب ، أمر المأمون بردّه ، وخاطبه في أمر ، فلما انصرف ، أمر بردّه ، فغضب ، وأخذ الدواة من يد الدواتي ، وقال للرسول : الساعة ـ والله ـ يا ابن الفاعلة ، أضرب بها رأسك ، ألا قلتَ له قد مضى إلى النار .

وأنشده شاعر مديحاً له ، فقال :

لما أنخنا بالوزيـر ركابنـا مستعصمين بجوده أعطانـا
ثبتت رحى ملك الإمام بثابتٍ وأفاض فيه العدل والإحسانا
يقري الوفود طلاقةً وسماحةً والنـاكثين مهنّـداً وسنـانـا
من لم يزل للناس غيثاً ممرعاً متخـرّقـاً في جـوده . . . .

وجعل الشاعر يردّد : في جوده ، فضجر منه أبو عبّاد ، وقال له : ويلك ، قل : قرنانا ، كشخانا ، وأرحنا ، فقال الشاعر : يا سيّدي ، معوانا ، فارتجّ المجلس بالضحك (الهفوات النادرة ٢٥٠) .

وكان حسين بن الضحاك يميل الى خادم لأبي عيسى بن الرشيد ، فعبث به يوماً على سكر ، فأخذ قنينة ، فضرب بها رأسه ، فشجّه شجة منكرة . (الأغاني ١٩٤/٧) .

وفي السنة ٥٧٨ حصر السلطان صلاح الدين الأيّوبي ، الموصل ، فلاقى مقاومة عنيفة ، وفي أحد الأيّام كان أحد أمراء صلاح الدين ، وآسمه جاولي الاسدي ، مقدّم الأسديّة وكبيرهم ، أخذ أحد العامة لا لكة (حذاء) من رجله ، فيها المسامير الكثيرة فرماه بها ، فأصاب صدره ، فوجد لذلك ألماً شديداً ، وأخذ اللالكة ، وعاد عن القتال الى صلاح الدين ، وقال له : لقد قاتلنا أهالي الموصل بحماقات ما رأينا بعد مثلها ، وألقى اللالكة من يده ، وحلف أنّه لا يعود يقاتل ، أنفة مما أصيب به (ابن الأثير ٤٨٦/١١) .

وبلغ من حلم السلطان صلاح الدين الأيّوبي رحمه الله ، إنّه كان يوماً جالساً ، وعنده جماعة ، فرمى أحد المماليك صاحباً له بسرموز (حذاء) فأخطأته ، ووصلت الى صلاح الدين ، فأخطأته ، ووقعت بالقرب منه ، فالتفت الى الجهة الأخرى يكلّم جليسه ، متغافلاً عنها (ابن الأثير ٩٦/١٢) .

وفي السنة ٦٤٦ دخل محسن خادم الملك الصالح ، الى العادل اخي الصالح ، وكان معتقلاً في القاهرة ، ليكلّمه ، فرماه العادل بدواة كانت عنده ، فكان ذلك سبب قتل العادل . (النجوم الزاهرة ٣١٢/٦) .

وفي السنة ٧٨٦ غضب السلطان برقوق على تقي الدين عبد الرحمن الشافعي ناظر الجيوش ، فضربه بالدواة في رأسه (نزهة النفوس ٩٦ وبدائع الزهور ٣٤٧/٢/١) .

وفي السنة ١٢٤٣ (١٨٢٧ م) غضب حسين باشا ، أمير الجزائر ، على القنصل الفرنسي ، فشتمه ، وشتم الراي (ملك فرنسا) وضرب القنصل بمنشّة كانت في يده ينشّ بها الذباب ، ضربه بها على وجهه ، فأخبر القنصل دولته بما حصل له ، فاتّخذت فرنسا من هذا التصرف حجة لمحاربة الجزائر واحتلالها في السنة ١٢٤٥ (١٨٢٩ م) ، وكانت عاقبة حسين باشا أن توفّي

بمدينة الاسكندرية في السنة ١٢٥٤ (١٨٣٨ م) وهو في السادسة والسبعين من العمر (مذكرات الزهار ١٦٤ و١٦٥ ومعجم الأنساب والاسرات الحاكمة ١٢٩) .



الفصل الثامن

الالجام

ويتمّ هذا اللون من العذاب ، بوضع لجام ، أو أيّة أداة تشبه اللجام ، تحول بين الأسير وبين الكلام ، وهذا اللون من العذاب يجمع بين الإهانة والإيذاء .

وأوّل من مارس هذا اللون من العذاب ، عبيد الله بن زياد ، فإنّه أمر بميثم التمّار ، أحد أصحاب الإمام علي عليه السلام ، فعلّق على خشبة ، ثم أمر بأن يلجم ، ليحول بينه وبين الكلام ، وفي اليوم الثالث ، أمر به ، فبقرت بطنه بحربة ، فسال أنفه وفمه دماً ، ومات (تاريخ الكوفة ٢٨٤ - ٢٨٧) .

وفي السنة ١١٧ أخذ أسد بن عبد الله القسري ، أمير خراسان ، موسى بن كعب ، أحد دعاة بني العباس ، فألجمه بلجام حمار ، وجذب اللجام ، فتحطّمت أسنانه ، ودقّ وجهه وأنفه ، فلما صار الأمر للعبّاسيّين ، أمالوا عليه الدنيا ، وولّاه المنصور ، مصر صلاتها ، وخراجها ، فكان يقول : كانت لنا أسنان وليس عندنا خبز ، فلمّا جاء الخبز ، ذهبت الأسنان . (الولاة للكندي ١٠٧ و١٠٨ والنجوم الزاهرة ١/٣٤٥) .

وفي السنة ٢٩١ أدخل الى بغداد أسرى القرامطة ، مقدمهم الحسين بن زكرويه ، وهم على الجمال مقيّدين ، وعليهم دراريع وبرانس من الحرير ، والمطوّق في وسطهم ، غلام ما خرجت لحيته ، قد جعل في فيه خشبة

مخروطة، شدّت إلى قفاه، كهيأة اللجام، وذلك إنّه لمّا أدخل الرقّة، كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم ، ففعل به ذلك لئلا يشتم إنساناً (الطبري ١٠/١١٢) .

وفي السنة ٦٧٧ قبض على أحمد بن بقا الشربدار ، ببغداد ، وحبس ، ثم عمل له حجلة ، وسمرّ عليها ، وجعل على رأسه مسخرة ، يصفعه بنعل ، ويروّحه به ، ثم يبول عليه ، وأشهر ببغداد ، فأخذ في سبّ الصاحب ، فوضعوا في فمه مسلّة منعته من الكلام ، ثم قتل في آخر النهار ، وقطع رأسه ، ووضع مكانه رأس تيس بلحيته ، وطيف به ، ثم أحرق (الحوادث الجامعة ٤٠١) .

الفصل التاسع

العذاب بالتغطيس في مستودعات القذر

العذاب بتغطيس الإنسان ، في مستودعات القذر ، كجومة الكنيف ، أو بئر البالوعة ، لون قليل الممارسة ، ولم أجد له ذكراً ، فيما تيسّر لي من المراجع إلّا خبراً واحداً في الإعلام للزركلي (٣/١٨٤) .

وكنت على أن أغفل ايراد هذا الخبر ، أو أن أضمّه الى لون آخر غيره ، لولا أنّ هذا اللون من العذاب ، قد مارسه المعذبون في بعض البلاد العربية ، في النصف الثاني من القرن العشرين ، فأفردت له هذا البحث ، ليكون ابتداء لإثبات ما يرد بشأن هذا اللون من العذاب ، من أخبار .

ففي السنة ٩٠٢ قبض السلطان عامر بن عبد الوهاب ، بتعز ، في اليمن ، على سليمان بن حسن ، رئيس الاسماعيلية ، وعالمهم في تعز ، وألقاه في مكان قذر ، وأمر بكتبه ، فأتلفت . (الاعلام ٣/١٨٤) .



فهرس الكتاب